عدد خاص

الريحان

مجلة سنوية محكمة

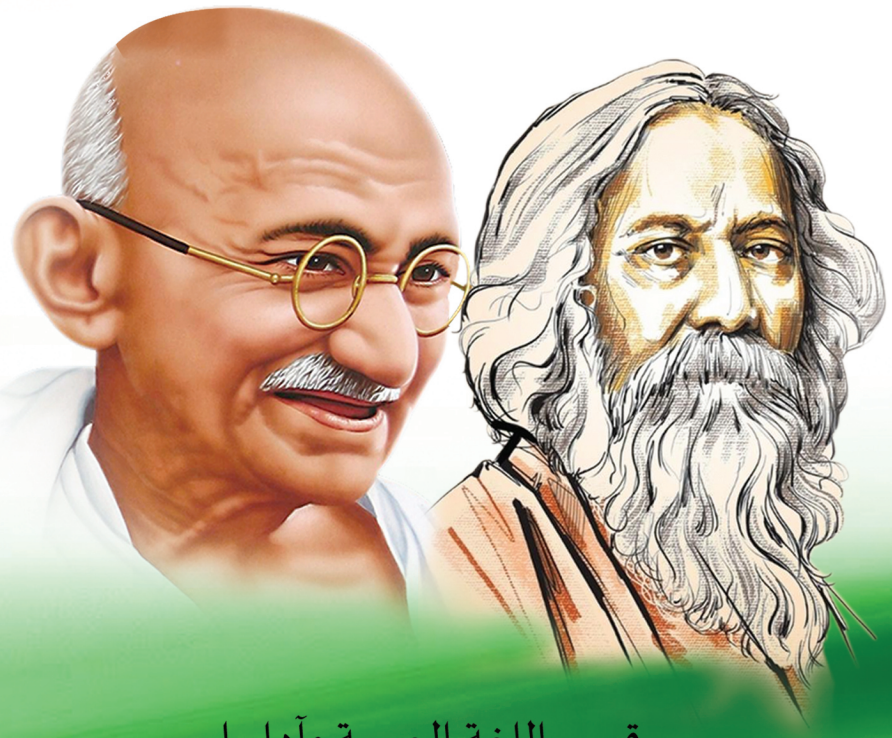
المجلد الثاني عشر
٢٠٢١ (١٤٤٣هـ)

بحوث المؤتمر الدولي

حول

الهند فى الكتابات العربية المعاصرة

المنعقد بالهند في تاريخ ٢-٥ أغسطس ٢٠٢١



قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بويناد

(التابعة لجامعة كالكوت)، موتل، كيرالا- الهند.

ISSN 2394-8493

الريحان

مجلة سنوية محكمة المجلد الثاني عشر ٢٠٢١

عدد خاص

بحوث المؤتمر الدولي حول الهند فى الكتابات العربية المعاصرة

المنعقد بالهند في تاريخ ٢-٥ أغسطس ٢٠٢١

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بويناد

(التابعة لجامعة كالكوت) موتل، كيرالا- الهند

raihanwmoc@gmail.com

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

هيئة التحرير

المستشار العام : د. محمد فريد، عميد كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد

رئيس التحرير: د. نجم الدين. ب رئيس قسم اللغة العربية،كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد

المحرر: د. يوسف محمد الندوي ، الأستاذ المساعد،كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد

الأعضاء

- شكير نلكنومال، الأستاذ المساعد، كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد
- شيلة. ك.أتش، الأستاذة المساعدة، كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد
- د.محمد سعيد.م . ك، الأستاذ المساعد، كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد
- آسل . ك، الأستاذ المساعد، كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد
- عباس الوافي، الأستاذ المساعد، كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد

هيئة المراجعة والتحكيم

- أ.د. أحمد علي إبراهيم الفلاحي، الأستاذ، قسم اللغة العربية، جامعة الفلوجة، العراق
- د. مريم الهاشمي ، الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، كليات التقنية العليا، الشارقة
- أ . د. رضوان الرحمن ، رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية،جامعة جواهرلال نهرو،نيودلهي
- أ.د.دويدة نفيسة، أستاذة التعليم العالي، المدرسة العليا للأساتذة بوزيعة
- د. عبد المجيد. ت. أ، مدير مركز تنمية الموارد البشرية، جامعة كالكوت)
- د.جمال الدين الفاروقي، العميد المتقاعد، كلية العلوم والفنون لدار الأيتام المسلمين بوبناد
- د. سيد علوي، عميد كلية مليبار للدراسات العليا، وينغارا، كيرالا
- د. صابر نواس، الأستاذ المساعد، كلية مدينة العلوم العربة، بوليكل، كيرالا
- د. محمد سليم محمد سلطان الندوي، محاضر قسم اللغة العربية، جامعة فاراد ينيبا، سريلانكا

المحتويات

قائمة المحتويات	الصفحة
كلمة الريحان	٦
تصوير الهند فى الأدب العربي	٧
١. الهند ورموزها الحضارية في الشعر العربي الحديث	
د. مصطفى الضبع، جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل، السعودية	٨
٢. صورة الآخر الهندي في الرواية السعودية	
د .أسماء الصاعدي،الأستاذة المساعدة،جامعة طيبة، المدينة المنورة	٢٤
٣. بناء الصورة في رواية "ميراث الخسارة" لكيران ديساي	
حنان الراجي را، باحثة الدكتوراه، جامعة ابن زهر، المغرب	٣٥
٤. صورة المرأة الهندية بين الأدب الهندي والأدب العربي	
الأستاذ سامي بن عباد الطويرقي،معلم العربية الثانوية،السعودية	٤٦
٥. صوت التَّابع في نظريَّة ما بعد كولونياليَّة في فكر النَّاقدة غياتري سبّيفاك	
خولة عبسي، باحثة الدكتوراه،قسم اللغة والأدب العربي/ بجامعة قالمة	٥٩
٦. الواقع الهندي في روايات آرافينا آديغا رواية النمر الأبيض أنموذجاً	
سلمى جلاب، جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، الجزائر	٧٢
٧. تصوير الهند وثقافتها في كتابة نوال سعداوي	
مبشر عبد القادر، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية -حيدرآباد	٨٢
٨. ثقافة الهند في مرآة " تاريخ الإسلام في الهند" للشيخ عبد المنعم النمر	
أبو شيماء سعيد الهدوي / د.جابر كي تي، كلية تونجان الحكومية،ترور	٩٢
٩. المرأة الهندية في السرد العربي المعاصر	
محمد مدثر عالم، باحث الدكتوراه،جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية	١٠٠
١٠. تصوير الهند وثقافتها في كتابات أحمد أمين	
محمد يوسف مير. باحث الدكتوراه ،الجامعة المليّة الإسلاميّة	١١١
١١. أهمية "سبحة المرجان في آثار هندوستان" في جمع النصوص الأدبية حول الهند	
محمد رياض، في، في باحث دكتوراه في قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت،	١٢٥
المهاتما الغاندى والطاغور العظيم وفلسفتهما فى الأدب العربى	١٣٤

١٢. مهاتما غاندي رجل الإنسانية
إسماعيل سالم العجمى/ باحث الدكتوراه،جامعة الجنان، لبنان ١٣٥
١٣. تصوير غاندي في قصيدة "بني مصر" لأمير الشعراء
محمد أزهر سي. أتش، الأستاذ المساعد، كلية أنوار الإسلام ، كنيل، كيرلا ١٤٥
١٤. المهاتما غاندي بين الإنسانية والقومية
شامة درويش،جامعة باجي مختار عنابة ، الجزائر ١٥٨
١٥. أساليب السرد لعباس محمود العقاد عن شخصية مهاتماغاندي
سهيل إم، قسم اللغة العربية، جامعة كيرلا ١٧٣
١٦. فلسفة "أَهِمْسَا" (اللاعنف الكامل) لدى المهاتما غاندي
د. محمد قاسم العادل،كلية ذاكر حسين دلهي، جامعة دلهي ١٨٢
١٧. رمزية الطبيعة في الشعر الهندي (هكذا غنى طاغور أنموذجا)
د.عبدالجليل منصوري، أستاذ متقاعد، جامعة عمار ثليجي الأغواط،الجزائر ١٩٢
١٨. الحب والمرأة في شعر طاغور كما يلمح فى الأدب العربي
د/ يوسف محمد الندوي،كلية العلوم والآداب لدارالأيتام المسلمين بوبناد.الهند ٢٠٤
١٩. فلسفة رابنترناد طاغور في التعليم والتربية
أجوشاهد. أ، كلية الجامعة، تروانتبرام/ فاطمة زهرة، جامعة كاليوكوت ٢١٥
أدب الرحلة ألى الهند ٢٢٥
٢٠. النقد السياسي في الهند من خلال رحلة ابن بطوطة
د. أميرة علي زيدان، أستاذ مساعد، جامعة صنعاء، اليمن ٢٢٦
٢١. المادة الإثنوغرافيّة لمجتمعات الهند في أدب الرّحلة العربي الحديث
د. زهرة بن يمينة،جامعة عبد الحميد بن باديس،مستغانم،الجزائر ٢٣٧
٢٢. صورة الهند في رحلة أمينة السّعيد "مشاهدات في الهند"
سارة مزيان، باحثة الدكتوراه، جامعة الجزائر (٢) ٢٤٧
٢٣. تصوير ثقافة شمال الهند في رحلات ناصرالعبودي
د. صديقة جابر،أستاذة مساعدة، كلية حميدية للبنات،جامعة اله آباد ٢٥٨
٢٤. الهند في رحلة أنيس منصور، دراسة ثقافية
شميم أحمد ،باحث الدكتوراة، جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي، الهند ٢٦٤

٢٥. كتاب رحلة إلى الهند (A PASSAGE TO INDIA) لإدوارد مورجان فورستر
لوصيف منية، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر ٢٧٦
٢٦. دراسة تحليلة لكتاب"خواطر طالب في بلاد الهند"
د.منظرعالم،أستاذ مساعد، جامعة بابا غلام شاه،راجوري جامو وكشمير ٢٨٥
٢٧. أدب الرحلة الى الهند، فى مرآة رحلة ابن بطوطة
ا. د. ياسر عبد الجواد المشهداني، جامعة الموصل، العراق ٢٩٨
٢٨. صورة الهند في كتابات الشيخ علي الطنطاوي
علاء الدين محمد / د.محمد نور الأمين،كلية بي. تي. أم الحكومية ، فارندلمان، كيرلا ٣١٩
إسهمات الهنود فى الأدب العربى ٣٢٧
٢٩. إسهامات الهنود في النثر العربي في القرن العشرين.
د. يوسف بكوش، أستاذ ،جامعة أحمد زبانة، غليزان، الجزائر ٣٢٨
٣٠. إسهامات الهنود في الأدب الإسلامي الشيخ أبو الحسن الندوي أنموذجا
رابع محمد عبد الله،باحث الدكتوراه، جامعة ولاية يوبى، نيجيريا ٣٤٧
٣١. أدب الأطفال العربي في الهند، الشيخ أبو الحسن علي الندوي أنموذجا
خالد. ك، باحث في قسم العربية بكلية أم إي أس ممباد، كيرلا ٣٥٦
٣٢. الجمالية والرمزية في ترجمة قصيدة الزهرة الساقطة للشاعر "كمارناشان
د. شمير الندوي،مدرس اللغة العربية،المدرسة الحكومية، كيرلا ٣٦٩
٣٣. إسهامات يوسف كوكن في الأدب العربي وتطويرها
بشنين هدى كى. سي، باحث الدكتوراه، كلية الفاروق، كيرلا ٣٧٨
٣٤. إسهامات ظفر أحمد العثماني في الشعر العربي
أحمر غني، باحث الدكتوراه بجامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي ٣٨٨
٣٥. إسهامات الدكتور ضياءالرحمن الأعظمي ا في الادب العربي المعاصر
ساجد كى باحث الدكتوراه قسم اللغة العربية بجامعت كالكوت، كيرلا ٣٩٩
٣٦. الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي صحفيا محنكا وكاتبا مفكرا
د/نجم الدين، كلية دارالأيتام المسلمين، موتل، وايناد، كيرلا، الهند ٤٠٦
٣٧. إساهمات الأسرة الأريكلية في الشعر العربي
محمد صالح . ك.ك الباحث ، كلية إصلاح العلوم ، تانور، كيرلا ٤١٨

كلمة الريحان

هذا هو عدد خاص لمجلة الريحان المحكمة بمناسبة المؤتمر الدولي بالهند المنعقد عبر منصة الزوم فى تاريخ ٢-٥ أغسطس ٢٠٢١م حول "الهند فى الكتابات الأدبية المعاصرة" نظمته أكاديمية التميز بالهند، وقسم اللغة العربية بكلية العلوم والآداب لدار الأيتام المسلمين بوايناد التابعة لجامعة كاليكوت بولاية كيرالا الهندية، بالشراكة مع قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية بنيودهلي، وديوانية السريحي للإبداع بجدة- المملكة العربية السعودية، وكلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة الموصل، العراق.

قد نجح المؤتمر بدوره الفعال بتعداد مشاركة الأساتذة الكبار والباحثين والباحثات من مختلف الجامعات والكليات فى أنحاء العالم، وبقيمة المداخلات والبحوث. إن المؤتمر تسلط الضوء إلى التراث الهندي من العلوم والآداب والفنون والثقافات والحضارات، كما ألقى الضوء إلى فلسفة الزعيم الروحي بالهند المهاتما الغاندي وعن التسامح والتعايش بين جميع الأديان والمذاهب والأعراق والأقوام، و فلسفة الحب والإنسانية لذلك الشاعر العملاق رابنترنات طاغور، كما تفوق المؤتمر بالدراسات والبحوث القيمتين فى مواضيع تصوير الهند فى الأدب العربي المعاصر، واسهامات الهنود فى الأدب العربي، وأدب الرحلة إلى الهند.

هذه هي ثمرة المؤتمر، هي التي مأدبة ثرية عن الهند علما وأدبا، ثقافة وحضارة، تأتي أكلها كل حين لأهل العلم و الدراية فى أنحاء العالم، ولله الحمد على هذه النعمة العظيمة، كما نشكر أكادمية التميز ومديرها د. صابر نواس.

د. يوسف محمد الندوي (المحرر)

تصوير الهند
في الأدب العربي

الهند ورموزها الحضارية
في الشعر العربي الحديث

د. مصطفى الضبع
جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل ،المملكة العربية السعودية

المقدمة

كانت الهند مطروحة على وعي الإنسان العربي بعوامل عديدة، ومن ثم لم يكن هذا الطرح بعيدا عن وعي الشاعر العربي منذ مطلع عصور الأدب العربي ولم تكن العلاقات التجارية أولا والدينية ثانيا بعيدة عن التأثير على العلاقة بين ثقافتين تتباعدان جغرافيا وتتقاربان ثقافيا، ثقافتان منتجتان تتشاركان في ميراث روحي وتتقاربان في ميراث فكري، وتجمع بينهما من عوامل المشاركة أكثر مما تفرق بينهما عوامل التفريق.

هي علاقة قديمة مثمرة ومؤثرة في النتاج الحضاري للجغرافيتين: العربية والهندية، كان الأدب شاهدا على تشكلها واستمرار تواصلها منذ القدم، ومقاربتنا للشعر ليس لكونه الحلقة الأبرز في العلاقة وإنما لأنه واحد من أبرز المؤشرات على رصد مساحات التواصل وأهم ملامحها، منذ عصوره الأولى احتضن الشعر العربي العلامة الأبرز في تاريخ العلاقة كأنه يبدأ برؤية كلية للعلامة قبل تفككها في مجموعة من العلامات، حيث جاءت العلامة " الهند" بمثابة المعلم الأبرز في جانب استيحاء الهند ورموزها شعريا، ويمكننا الوقوف على مرحلتين تاريخيتين أساسيتين عبرت عنهما

القصيدة العربية

المرحلة الأولى: الهند بوصفها علامة شعرية جامعة لمفهومها وموجهة متلقيها إلى بلد بعيد، يستقطب الوعي فور حلول العلامة في سياق نص شعري. وقد اتخذت العلامة بدورها مظهرين أساسيين: مظهر مباشر: عبر مفردة الهند بوصفها العلامة المحيلة إلى علميتها بوصفها اسما علما على مكان له تاريخه وله ثقافته، ومن أقدم الإشارات قول الشاعر الجاهلي الأخنس بن شهاب (ت ٦٩ قبل الهجرة) من البحر الطويل.

لُكَيزٌ لَها البَحرانِ وَالسَيفُ دونَهُ وَإِن يَأتِهِم ناسٌ مِنَ الهِندِ هارِبُ (١)

ومظهر غير مباشر: عبر علامتين تشير أولاهما إلى الأنثى" هند" الاسم العلم الذي يحيل إلى الهند بوصفها جغرافية معروفة وإن لم يكن يحيل تماما إليها في الحقيقة، وتشير ثانيتهما إلى السيف " المهند- الهندي- الهندواني" إذا طبع بالهند. ومن أقدم الشواهد على ذلك قول الشاعرة ريطة بنت عاصم الهوزانية جامعة بين السيف وأصله (الهند)و الموت الواقع على من ترثيهم.

وَقفت فَأَبكَتني بدارِ عَشـــــيرتي عَلى رُزئهنّ الباكيات الحواس

غَدوا بِسيوفِ الهندِ ورّاد حومةٍ مِنَ الموتَ أَعيا وردهنّ المصادرُ (٢)

وقول زهير بن أبي سلمى غير مبتعد عن تأكيد العلاقة بين الهند والسيف:

بِفِتيَةٍ كَسُيوفِ الهِندِ يَبعَثُهُم هَمٌّ وكُلُّهُمُ ذو حاجَةٍ يَقِدُ (٣)

مستدعيا الهند عبر التشبيه ومكونا صورة تجمع بين ثلاثة عناصر لها بعدها الثقافي: الفتية العرب (المشبه)، السيوف (المشبه به)، الهند (المضاف إليه الدال على نوع السيوف والموجه المتلقي إلى تصور الهند وحلولها عبر السيف بوصفها عنصرا مطروحا على وعي القصيدة أولا ومطروحا على وعي متلقيها ثانيا).

١- أبو العباس المفضل بن محمد الضبي: المفضليات،بشرح أبي القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، تحقيق: كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1920، ص 410.

٢- موسوعة الشعر العربي، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، دبي، الإصدار الثالث 2009.

٣- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. حنا نصر الحتى، دار الكتاب العربي ، بيروت 2004، ص 204.

المرحلة الثانية:الهند عبررموزها الحضارية.

جاءت الهند بكليتها، ورموزها الحضارية ليست بوصفها موضوعا شعريا فحسب وإنما بوصفها علامة شعرية تمثل تقنية شعرية لم يكن الشعراء يكتبون عنها بقدر ماكانوا يكتبون بها، وبين حرفي الجر: (عن) في دلالته على الموضوع، و (بـ) في دلالته على التقنية تتشكل مساحة من الشعر تمثل مدونة شعرية يمكن لمتلقيها مكاشفة سؤال تأسيسي: كيف رأي الشاعر العربي الهند ورموزها الحضارية؟، ما ذا أضافت هذه الرموز من جماليات للقصيدة العربية؟

وصولا إلى إجابات، وتحقيقا لما يستهدفه البحث، واستكشافا لرحلة العلامة الشعرية في القصيدة العربية في حركتها التاريخية من القديم إلى الحديث، يمكننا رصد العلامة في سياق ثلاث مراحل أساسية تمثل حركتها وإضافتها للقصيدة: الإشارة – الموضوع – الرمز.

١- الإشارة.

وهي حركة انتشار مفردة الهند في القصيدة العربية عبر مرحلة تمتد تاريخيا قرابة ثلاثة عشر قرنا من الزمان، كانت الهند فيها مجرد إشارة لغوية في سياق القصيدة، تشارك في تشكيل معجم القصيدة العربية وصورها وبلاغتها، ويمكن للباحث رصد المفردات الدالة على ذلك حيث بلغت العلامة ومرادفاتها أو ما يشكل حقلها الدلالي آلاف المرات وفق الترتيب التالي:

مفردة "الهند"٩٦٦ مرة، وتحيل جميعها إلى الهند بوصفه مكانا أو جغرافية لا يختلف فيها مقصد الشاعر عما يقر في ذهن متلقيه ، والتكرار هنا يشمل عصور الأدب العربي التي تتردد فيها المفردة صعودا وهبوطا من حيث الكم دون أن تغادر سياقها ووظائفها الدلالية ويمثل العصر الحديث ذروة تكرار الكلمة (٢٠٥ مرات) في مقابل (٩٩ مرة في العصر العباسي) و (٩٥ مرة في المغرب والأندلس)و (٨٨ مرة في العصر الأموي

)(٤)، وفي العصر الحديث يأتي أحمد شوقي في مقدمة الشعراء المعتمدين المفردة في معجمهم الشعري (٢٢ مرة) ، تأتي العلامة في سياق القصيدة دالة على المكان ، منها على سبيل المثال قول شوقي في قصيدته التي ينعي فيها الخلافة الإسلامية التي ألغاها مصطفى كمال أتاتورك عام (١٩٢٣):

عادَت أَغاني العُرسِ رَجعَ نُواحِ وَنُعيتِ بَينَ مَعالِمِ الأَفراحِ
كُفِّنتِ في لَيلِ الزَفافِ بِثَوبِهِ وَدُفِنتِ عِندَ تَبَلُّجِ الإِصباحِ
شُيِّعتِ مِن هَلَعٍ بِعَبرَةِ ضاحِكٍ في كُلِّ ناحِيَةٍ وَسَكرَةِ صاحِ
ضَجَّت عَلَيكِ مَآذِنٌ وَمَنابِرٌ وَبَكَت عَلَيكَ مَمالِكٌ وَنَواحِ
الهِندُ والِهَةٌ وَمِصرُ حَزينَةٌ تَبكي عَلَيكِ بِمَدمَعٍ سَحّاحِ
وَالشامُ تَسأَلُ وَالعِراقُ وَفارِسٌ أَمَحا مِنَ الأَرضِ الخِلافَةَ ماحِ؟ (٥)

حيث اعتمد الشاعر العلامة الجغرافية توسيعا لمجال النكبة ، وتعظيما لحال الإسلام بادئة بالهند بوصفها المكان الأبعد في منظومة الجغرافيا الإسلامية متحركا بذهن القارئ إلى مصر واصفا حل البلدين رابطا بينهما في رزء واحد وكارثة مشتركة ممهدا للصورة بصورة ممتدة من البيت الأول حتى الرابع معتمدا جملا فعلية فعلها ماض ترسيخا لحدوث المصيبة وتأكيدا لتمام وقوعها ، ومنتقلا في البيت الخامس إلى أسلوب خبري بالجملة الاسمية المكررة المبتدأ (الهند والهة) و(مصر حزينة) فيما جاء الشطر الثاني خبرا يحتمل أن يكون متصلا بأي من الجملتين وخبرا ثانيا لأي من المبتدأين (الهند- مصر) ، ومتممة الصورة في البيت السادس عبر تكرار الصيغة الاسمية نفسها ، جامعا ثلاث جغرافيات(الشام – العراق – فارس) في حالة تساؤل يتمم حالة المبتدأين في البيت الخامس .

٤- الأرقام هنا تقريبية اعتمدنا فيها على موسوعة الشعرالعربي الالكترونية ، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم،دبي، الإصدار الأول 2009، وهي أرقام مرشحة للزيادة وليس النقص، وزيادتها لا تخالف دلالتها العامة (حركة المفردة واستمرارها في الشعر العربي عبر عصوره المختلفة) ، أو دلالتها الخاصة (ماتؤديه من وظيفة جمالية ودلالية متغيرة داخل القصيدة الواحدة).

٥- أحمد شوقي: الشوقيات، دار العودة ، بيروت 1988 ، مج 1، ص 105.

ويكاد شوقي يكرر الصورة نفسها في قصيدته المنظومة عن الأسطول العثماني، القصيدة في (٤٧ بيتا) من بحر الكامل، والصورة في مقطع القصيدة الأخير (البيت الثاني والأربعون):

لا الهِندُ قَد كَرُمَت وَلا مِصرٌ سَخَت وَالغَربُ قَصَّرَ عَن نَدىً وَالشامُ

سَيلُ المَمالِكِ جارِفٌ مِن شِـــدَّةٍ وَقُوىً وَأَنتُم في الطَـــريقِ نِيامُ([٦])

هند ٩٥١ مرة: في إحالتها للمؤنث لا تبتعد الصورة الذهنية عن استقطاب الهند صوتيا حتى وإن لم تكن العلامة ذات صلة مباشرة بالهند بوصفها المعنى المتداول والمظنون علاقته بالبلد ([٧]).المهند ٣٦٠ مرة، الهندي ٣٠٦ مرة، هندواني ١٧ مرة: وجميعها من أسماء السيف في دلالتها على مكان صناعته أو مكان طبعه وهي تطرح معنى التطلع إلى المغاير المختلف فكل مختلف مرغوب وهو ما يعني أن الصفة تطلق للتميز وليس لما هو أقل مستوى، والعلامة في تكرارها الشعري تحيل إلى الهند جغرافيا وقد تأصلت عبر التاريخ العربي على مدار عصور القصيدة المتوالية.

المفردة في سياقاتها المختلفة وفي مساحتها الممتدة كانت تعبيرا عن مرحلة لم تكن الشعوب العربية تعرف الكثير عن الهند حيث المعرفة كانت محدودة برحلات التجارة ومشاهدات الرحالة ولم تكن هناك من وسائل الاتصال المتداولة اليوم مما يعني أن المفردة في حد ذاتها كانت تحيل على ماهو مجهول أكثر من إحالتها لما هو معلوم، وهذه المرحلة تكاد تنحصر تاريخيا في عصور الأدب الأولى ممتدة حتى العصر الحديث ، وهي المرحلة التي أرهصت – مع تطور الحياة واتساع دائرة التعليم – إلى تطور رؤية الهند شعريا لتصبح الهند موضوعا للقصيدة الشعرية.

٦- الشوقيات، مج 2، ج 3، ص 230.

٧- ورد في لسان العرب هِنْدٌ وهُنَيدةٌ: اسم للمائة من الإبل خاصة؛ وقيل هي اسم للمائة ولِما دُوْنَهَا ولما فُوْقَهَا، وقيل: هي المائتان، والهُنَيْدَةُ مائةُ سنة. والهِنْدُ مائتان؛وهَنَّدَتْه المرأَةُ: أَورثَتْه عِشْقاً بالملاطَفةِ والمُغازَلةِ؛ .....وهَنَّدَتْني فلانةُ أَي تَيَّمَتْني بالمُغازلة، وقال أَعرابي:غَرَّكَ مِنْ هَنّادةَ التَّهْنِيدُ، مَوْعُودُها، والباطِلُ المَوْعُودُ

هَنَّدْتُ الرجلَ تَهْنِيداً إذا لايَنْتَه ولاطفْته. (لسان العرب : مادة " هند").

٢- الموضوع.

تكاد تمثل المرحلة الأوسع انتشارا على مستوى الموضوع فقد اتسعت مساحة المعرفة بالهند، مما اتسعت معه دائرة التفاعل مع الآخر المسلم أو الآخر غير العربي وخرجت المعرفة بالهند عن كونها مجرد علامة على مكان بعيد أو مكان يرتبط بصناعة لها طابعها الخاص، من أقدم الإشارات في العصر الحديث قول الشاعر نقولا الترك في قصيدته من بحر الكامل:

إن نسّمت في الهند ريح زعزعت أركانَه وإذا نفخت به رجفْ([٨])

ومن أقدم القصائد الكاملة موضوعا عن الهند يمكن تصنيفها تاريخيا وفق هذه المساحة "القصيدة الهندية" للشاعر ديمتري خلاط (1913) المطولة (122بيتا)، يقول في مطلعها:

أراك في يقظة من روعة الألم إني شبهك مكلـــوم فعي كلمي
أصغي ولا تعجبي مما أصبت به إني سعيت إلى حتفي على قدمي
سلطانة الهند لما كنت يافعة وكان فيك هيامي غير مكتتم ([٩])

وتكاد القصيدة تكون لوحة تعريفية بالهند سياسيا واجتماعيا وثقافيا، اعتمد الشاعر فيها تقنية التناص متآلفا مع عدد من شعراء العربية (المتنبي – صفي الدين الحلي)، مستعينا بهم في رسم لوحته ومستشهدا بهم في التعبير عن دواخله.

وقد خلقت القصائد الأولى عند شعراء العربية في العصر الحديث حالة شعرية جعلت من الهند ورموزها موضوعا شعريا لدى عدد كبير من الشعراء الذين تفاعلوا مع الهند وأحداثها ورجالها ومعالمها الحضارية فجاءت قصائدهم مشاركة حضارية للهند، ومن هذه القصائد ما يمثل مشاركة في المناسبات السياسية والاجتماعية، ومنها قصيدة شوقي في مولانا محمد علي(22 بيتا بحر الكامل):

٨- نقولا الترك: ديوان المعلم نقولا الترك، ضبط نصوصه ووضع مقدمته وفهارسه: فؤاد أفرام البستاني، بيروت 1949، ص 378.
٩- ديمتري خلاط : القصيدة الهندية، المقتطف ، القاهرة ، العدد الخامس / مايو 1913 ص 471.

بَيتٌ عَلى أَرضِ الهُدى وَسَمائِهِ الحَقُّ حائِطُهُ وَأُسُّ بِنائِهِ
الفَتحُ مِن أَعلامِهِ وَالطُهرُ مِن أَوصافِهِ وَالقُدسُ مِن أَسمائِهِ
تَحنو مَناكِبُهُ عَلى شُعَبِ الهُدى وَتُطِلُّ سُدَّتُهُ عَلى سينائِهِ (١٠)

ونظم شوقي نظم العارف بالشخصية، المكتشف لجوانب تميزها، المتعمق في أبعادها، وهي وضعية الشعراء الذين استلهموا الهند ورموزها الحضارية وقد اتسعت دائرة الشعراء العرب المستلهمين الهند ورموزها موسعين دائرة الاهتمام ومعددين الموضوعات الشعرية الخاصة بالهند ، ومن هؤلاء

١- أحمد نسيم في قصيدته " تتويج إمبراطورية الهند ":

صغت القوافي التي راقت معانيها والسعد يكتبها والمجد يمليها
تسعى إلى الهند من مصر مدبجة في صاحب التاج والدنيا ومافيها
.....
الله أكبر هذي الهند في دعة فأي مصر غداة الفخر يحكيها(١١)

٢- قصيدة عبد المعين الملوحي " تحية إلى الهند" :

معاذ الهوى ياهند ماحدت عن عهدي فمازال بي حبي ، ومازال بي حقدي
ومازلت أهدي الثائـــــرين طريقهم إذا قيل ضيعنا الطريق فمن يهدي
رسالة حب من دمشق حملتها مضمخة بالورد تهدي إلى الهند
ألمت بنهرو ساعة ثم رفرفت لتنثر أزهار السلام على غاندي
إذا ذكرت عهدي بدلهي تمزقت على أعين سود يذبن من الوجد
" أهيم بهند" ما حييت فإن أمت فواحسرتامن ذا يهيم بها بعدي؟ (١٢)

١٠- الشوقيات، مج 2 ، ج3، ص 12.

١١- أحمد نسيم : ديوان أحمد نسيم ، مطبعة الإصلاح ، القاهرة 1908، ج 1، ص 107 .

١٢- عبد المعين الملوحي: تحية الهند، مجلة الثقافة، دمشق، السنة السادسة / أغسطس 1965، ص 12، والشاعر في البيت الأخير يتناص مع قول الشاعر نمر بن تولب في بيته الشهير:

أَهيمُ بِدعد ما حيّيت فَإِن أمت أوكل بدعد من ذا يَهيمُ بِها بَعدي

ديوان النمر بن تولب العكلي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت 2000، ص 56.

٣- قصيدة الشاعر عمر يحيى الذي نفاه الانجليز إلى الهند فعاش في بلد لم يشعر بابتعاده عن وطنه:

أنا في الهند أرى الشرق وما في حناياه من الداء الدفين
ضاق صدر الشرق عن أبنائه وحوى من قادة الغرب مئين
فلكـــم تضحك لما أن ترى بقرا ترعى وأقواما تهـــون
ولكم تبكي إذا شاهدت في ساحة الهند جموع البائسين (١٣)

٤- معروف الرصافي في قصيدته " الإنجليز في سياستهم الاستعمارية" مناصرا الهند وشعبها:

زرِ الهند إن رمت العيان فكم ترى على الأرض من غُبر هناك ومن شُعث
يقولون إنا عاملـــون لسعدكم ولم يعملوا غير الكـــوارث والكرث
فكم بعثُوا في الشرق حرباً ذميمة تمثّل في أهوالها ساعـــــة البعث (١٤)

وفي ديوان الرصافي يتكرر ظهور الهند في ست قصائد، منها قصيدته الرمزية " الفيل والحمل " التي أنشدها مخاطبا الزعيم الهندي محمد علي حين التقاه في بغداد عام (١٩٢٩)، يقول في مطلعها:

إليك زعيم الهند أورد هـاهنا سؤالاً له أرجو الجواب تفضّلا
فنحن هنا في مجلس ذي أمانةٍ فلم يخشَ فيه الحرّ أن يَتَقوّلا
إذا ما سمعتُ الهند في قول قائل تخيّلت فيلاً بالحديد مكبّلا
تُزَجّيه كفّ الأجنبيّ مســـخَّراً فيمشي بأعباء الأجانب مُثقلا (١٥)

والقصيدة ذات طبيعة تمثيلية يجمع فيها بين الهند والعراق موظفا رمزية الفيل دلالة على العراق المحتل شأنه شان الهند في احتلالها.

١٣- د. عمر الدقاق: غاندي في الأدب العربي، ثقافة الهند، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية نيودلهي .مج 43، ع 1/1992 ، ص 66.

١٤- معروف الرصافي: ديوان الرصافي، أتم شرحه وصححه: مصطفى السقا، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4/1953، ص 469.

١٥- ديوان الرصافي ص 453.

الرموز الحضارية

في استلهامه الهند اعتمد الشعر العربي مجموعة من الرموز الحضارية ذات القيمة الإنسانية، التي تعد بمثابة اختزال لرؤية الشاعر وتوجيه للمتلقي إلى بلد له ثقافته العريقة، ونظرا لضيق المقام نكتفي بأربعة رموز تجمع بين الإنسان والمعالم الحضارية، ونمثل لها بعدد من القصائد على سبيل التمثيل لا الحصر.

غاندي

يمثل الزعيم الهندي المهاتما غاندي أيقونة الحضور الهندي في الشعر العربي الحديث([١٦]).وقد اتخذ التعريف بالزعيم الهندي عدة طرق وأشكال كان لها دورها في تشكيل مساحة حضور الزعيم في الثقافة العربية عامة وفي الشعر العربي خاصة:

- الصحافة عبر الأخبار والمقالات المتنوعة عن الزعيم.
- حركة التأليف حول الزعيم الروحي ([١٧]).
- عرض مؤلفاته في الدوريات المختلفة آنذاك ([١٨]).
- ترجمة قدر كبير من مقالات الزعيم، ومقولاته، وتمثل قطاعا كبيرا في الدوريات العربية مطلع القرن العشرين، وهي مادة يصعب حصرها ([١٩]).

---

[١٦] - أفردت مجلة " المجلة" عددها الخامس والستين بعد المائةالصادر في ديسمبر (1969) عن غاندي، والعدد متاح أونلاين على موقع أرشيف المجلات العربية في الرابط:

https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/AL-Majalla/All_Issues/Issue_156/index.html

١٧- من أبرز المؤلفات حول غاندي:

- العقاد: روح عظيم، المهاتما غاندي، شركة فن للطباعة، القاهرة 1948.

- ترجم إسماعيل مظهر كتاب" مهاتما غاندي، نشأته وعمله في جنوب أفريقيا"، من سيرته كما كتبها بقلمه ونشرها مستر أندروز الإنجليزي أحد مريديه، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1934، وقد صدر المترجم الكتاب بقصيدة شوقي مصدرها بقوله: نمهد لهذا الكتاب بالقصيدة الفريدة التي حيا بها المرحوم شوقي بك غاندي عندما مر بمصر في طريقه إلى إنجلترا ليحضر مؤتمر المائدة المستديرة، تحية من مصر لبطل الهند " ص 4 من ترجمة الكتاب.

[١٨] - ظهرت عروض عدة لمؤلفات غاندي منها سلسلة مقالات في مجلة المنار، منها على سبيل المثال:

عرض كتاب الصحة، على مدار عام كامل من إصدار المجلة (1926) بترجمة الأستاذ الشيخ عبد الرازق ينظر على سبيل المثال: المنار، القاهرة، ج 9، م 26، فبراير 1926، ص 691.

١٩- ظهرت في كثير من المجلات العربية الصادرة في مصر والبلدان العربية، منها على سبيل المثال:

- القصائد الشعرية التي اتخذت من الشاعر موضوعها، ولم تقف عند شعر الفصحى، وإنما تجاوزه لشعر العامية المصرية ([٢٠]) وقد كان لذلك كله أثرهالواضح في إنتاج سياق معرفيبالزعيم الهندي، لذا فإن القصيدة العربية لم تكن تنطلق من منطقة المجهول بقدر ما كانت تنطلق من منطقة المعرفة الشعبية بغاندي، تلك المعرفة التي يتأسس عليها إنتاج الدال الشعري، ومن شعراء العربية المستلهمين روح الزعيم :

١-أحمد شوقي في قصيدته عن المهاتما غاندي (٣٩ بيتا من بحر الهزج) ([٢١]):

بَني مِصرَ اِرفَعوا الغار وَحَيّوا بَطَلَ الهِندِ
وَأَدّوا واجِباً وَاِقضوا حُقوقَ العَلَمِ الفَردِ
أَخوكُم في المقاساةِ وَعَركِ المَوقِفِ النَكدِ
وَفي التَضحِيَةِ الكُبرى وَفي المَطلَبِ وَالجُهدِ
وَفي الجُرحِ وَفي الدَمعِ وَفي النَفيِ مِنَ المَهدِ
وَفي الرِحلَةِ لِلحَقِّ وَفي مَرحَلَةِ الوَفدِ([٢٢]).

٢- الشاعر المصري خالد الجرنوسي، في قصيدته " غاندي"، يرسم صورة بصرية للزعيم في واقعه:

رجل كالطـــــــيف إلا أنه جاثم كالطود في وجه القدر
في مسوح الزهد منه واعظ يلهم الفكر ملايين البشر
قد كفته خرقـــــــة بالية تستر العورة أو بيت وبر ([٢٣])

- الجهاد إلى النهاية، العرفان (أسبوعية عام 1327هـ)، صيدا (سورية) ج 5،4، مج 19/ أبريل، مايو 1930، ص 393.
- العصيان المدني في الهند، المجلة الجديدة، القاهرة، يوليو 1930، ص 1099.

[٢٠] - من ذلك قصيدة بيرم التونسي عن الزعيم، ويقول فيها:"السلام لك والسلامة/ من هنا ليوم القيامة/ياللى أظهرت الكرامة/ بعد عهد المرسليـن /ياللى من لعبك بمغزل /تطلع البورصات وتنزل/فوق دماغ لندن وتعزل/ لانكشير الغزالـين" .

[٢١] - كتبها أحمد شوقي تحية للمهاتما غاندي عند مروره بمصر 1931 في طريقه إلى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن.

٢٢ - الشوقيات، مج 2، ج4، ص 86.

٣- العقاد في قصيدته التي يقدم بها كتابه عن غاندي، موظفا شخصية غاندي بوصفها معلم الإنسانية ويعده كونا روحيا فريدا يقف في مقابل العالم المادي، والشاعر يجتهد في التوسط بينهما:

زاهد الهند نعى الدنيا وصام أنا أنعاها ولكن لا أصوم
طامع الغرب رعى الدنيا وهام أنا أرعاها ولكن لا أهيم
بين هذين لنا حد قوام وليلم من كل حزب من يلوم ([٢٤])

٤- إبراهيم طوقان في قصيدته " اشتروا الأرض تشتريكم من الضيم"، يؤسس الشاعر قصيدته على صورة الزعيم غاندي مستلهمه في سياق استكشاف مساحة الواقع الفلسطيني المرير، مؤملا في زعيم عربي يكون مثيلا لغاندي فعلا ونتيجة:

حبَّذا لو يصومُ منّا زعيمٌ مثلُ غَانْدي عسى يُفيدُ صيامُهْ
لا يَصُمْ عن طعامه في فلسطيـــــنَ يموت الزعيمُ لولا طعامُهْ ([٢٥])

٥- الشاعر الكويتي عبد الله سنان في قصيدته " غاندي " ألقاها في احتفال الجالية الهندية بمرور مائة عام على ميلاد المهاتما غاندي في الثاني من أكتوبر عام ١٩٦٦، يقول في مطلعها:

أذهبت روحك في البلاد شعاعا ومشيت في الجمع الغفير مطاعا
دوى نداؤك في المدائن والقرى فتقاطرت تلك الجموع سراعا
إن سرت ساروا أو وقفت توقفوا أو قلت أصغوا نحوك الأسماعا ([٢٦])

طاغور الشاعر

٢٣- خالد أحمد الجرنوسي :غاندي ، المجلة الجديدة ، القاهرة ، ع 8 / أغسطس 1934.
٢٤ - عباس محمود العقاد: روح عظيم، المهاتما غاندي، شركة فن للطباعة، القاهرة 1948، ص3.
٢٥- إبراهيم طوقان : ديوان إبراهيم ، دار الشرق الجديد ، بيروت 1955، ص 53.
٢٦- عبد الله سنان: غاندي، البيان، رابطة الأدباء، الكويت، ع 8 / نوفمبر 1966، ص 6.

يمثل الأديب الهندي، متعدد المواهب (طاغور / تاجور) ([٢٧]) العلامة الشعرية الثانية بعد الزعيم غاندي، وإذا كان تعلق الشعراء العرب واستلهامهم لشخصية غاندي ذات طابع روحي تفرضه طبيعة الشخصية ، وقد وجد الشعراء فيها نموذج السياسي الحكيم والزعيم الروحي القدير ، فإن طاغور يمثل نموذجا أدبيا اتسعت مساحة حضوره بوصفه تجربة أدبية فريدة كان لها صداها عند الشاعر العربي الذي قرأ الزعيم من خلال ماكتب عنه وتداولته الأقلام ووسائل الإعلام ، وقرأ طاغور من خلال مؤلفاته المترجمة للعربية سواء على صفحات الدوريات أو في كتبه ، ومنهم من قابله شخصيا في زيارته الوحيدة إلى مصر (نوفمبر 1926) واستمرت أسبوع كامل كان كفيلا أن يستكف الشاعر الشرق العربي ويستكشف الشرق العربي أديبا كبيرا بحجم طاغور.

وعلى مدار قرابة قرن من الزمان تفاعل الشعراء العرب مع طاغور ونتاجه، وعبر رصد مساحة الاستلهام الشعري يمكن مكاشفة مساحة شعرية لم تكن حصريا على حقبة زمنية بعينها، ومن هؤلاء :

١- أحمد زكي أبو شادي وقد جاءت قصيدته" تحية تاجور " متزامنة مع زيارة الشاعر لمصر، وقد قدم رفقها تقريرا شاملا عن مقابلة طاغور في بورسعيد مطلع ديسمبر ١٩٢٦([٢٨])وقد أسف أبو شادي لعدم اطلاع طاغور على الأدب العربي لذا أدرج عنوان طاغور داعيا الأدباء العرب التواصل مع الشاعر وإرسال إنتاجهم له ليكون على إطلاع على الأدب العربي ، وقد ترجم الشاعر مشاعره نحو طاغور في قصيدته :

(تاجور)ياعلم (الهنود) ويا أديب (المشرق).

أهلا بمقدمك الودود إلى الودود الشيق

٢٧- ورد الاسم باللفظين :تاجور ، طاغور ، وربما كانت التسمية الأولى قرينة الأعمال الأولى المكتوبة عن الشاعر في العصر الحديث ، انظر على سبيل المثال: نقولا يوسف : تاجور بمصر، الأديب ، بيروت ، ع 4/أبريل 1964، ص 26.

٢٨- أحمد زكي أبو شادي: في صحبة تاجور، الزهراء، القاهرة، جمادى الأولى 1345هـ، ص 325.

شعب (بوادي النيل) يعشق فيك نورا بعد نور
من وحيك الصافي النبيل غذاء دولات الشعور ([٢٩])

٢-معروف الرصافي الشاعر العراقي المعروف، وقد جاءت قصيدته كشفا لجوانب ذات صبغة فلسفية في شخصية طاغور :

فإليك يا طاغور جئـــت عن الحقيقة بالحكاية
أنت الذي قال الحقيـــــقة بالصراحة والكناية
ما أخطأتْ سنن العلا إذ هذّبتك يد العناية([٣٠])

٣-عبد العزيز المقالح في قصيدته " بالقرب من حدائق طاغور " والقصيدة نشرت للمرة الأولى (٢٠١٧)([٣١]) شاهدة على تواصل استلهام شخصية طاغور، وتصدر عنوانها ديوان الشاعر المنشور عام (٢٠١٨) بنادي الباحة الأدبي بالمملكة العربية السعودية .

حاشية

في محاولة للالتزام بما أقرته اللجنة المنظمة للمؤتمر، أكتفي بالإشارة إلى بعض القصائد الأخرى عن طاغور ([٣٢]):

1-أديب كمال الدين: حوار مع طاغور ،مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، مسقط، ع 28/ أكتوبر 2001.

٢-جميل صدقي الزهاوي: رابندرانات طاغور مجلة المعرفة، القاهرة/يونيو ١٩٣٢.

٣-سليم حيدر :طاغور ، مجلة آفاق ، اتحاد كتاب المغرب العربي، الرباط ، ع ٤/ أكتوبر ١٩٦٣.

٢٩- السابق، ص 323.

٣٠- موسوعة الشعر العربي الالكترونية.

٣١- عبد العزيز المقالح: بالقرب من حدائق طاغور، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، مسقط، ع 91/يوليو 2017.

٣٢- لا يتسع المقام أيضا لإيراد قصائد الشعر العرب عن رموز الهند الحضارية الأخرى ، تاج محل ، معبد كاجوراء وغيرهما من معالم الهند الحضارية .

٤-سيف الرحبي :تسونامي وطاغور، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة ، مسقط ، ع ٧٢، أكتوبر ٢٠١٢.
٥-عبد الوهاب البياتي :سأنصب لك خيمة في الحدائق الطاغورية ، مجلة المعرفة ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ع ١٣٢/ فبراير ١٩٧٣.
٦-عزت عامر :مدخل الحدائق الطاغورية– جاليري ٦٨، القاهرة ، ع ٢/ يوليو ١٩٦٨.

وهذه القصائد وغيرها تكشف عن اتساع المساحة الشعرية زمانا على مدار قرن ومكانا على اتساع الوطن العربي من المحيط إلى الخليج كاشفة عن حالة شعرية خاصة بشاعر من طراز طاغور.

٤- الرمز.

لم تتوقف العلامة الشعرية عن الحضور فارضة جمالياتها، وطارحة فنون حلولها، في ديوانه " ثائرٌ مثل غاندي.. زاهدٌ كجيفارا" الصادر عام (2018) يتخذ الشاعر المصري سمير درويش من غاندي رمزا شريكا لرمز جيفارا الثائر المعروف، معتمدا الرمز في ثنائيته مساحة كاشفة عن الفعل الإنساني في بعده الحضاري، ومبدلا الصفات بين الرموز الإنسانية حيث وصف غاندي بالثائر وهي الصفة الأبرز لجيفارا، ووصف جيفارا بالزاهد وهي الصفة الأبرز لغاندي:

"وتستطيعُ أن تجعلَنِي ثائرًا مثل غاندِي
لو اكتفيتَ بالقلمِ الرصاصِ والخطوطِ المبتورةِ
أو زاهدًا كجيفارا
لو تركتَ لحيتِي نابتةً دونَ تهذيبٍ
أو عبقريًّا كسارتر لو ألقيتَ ضوءًا على وجهِي

من جانبٍ واحدٍ" ([٣٣])

ولا تتوقف وظيفة الرمز في نص سمير درويش عند دلالته الداخلية في سياق الصورة الشعرية وإنما تشهد العلامة المتصدرة عتبة العنوان على بقاء الرمز، واستقراره في مخيلة الأجيال، وما بين ظهور غاندي في القصائد الأولى وظهوره في ديوان سمير درويش (المنشور 2018) مساحة تزيد عن القرن في دلالة واضحة على استقرار الرمز وبقائه، فلم يكن مجرد حالة شعرية مؤقتة اقترنت بحياة غاندي (1869-1948)، وانتهت بنهايتها وإنما بقيت خالدة في الفكر الإنساني العربي بوصفها روحا ملهمة لكل مفكر ينشد الإنسانية وينشغل بها.

النتائج

على مدار خمسة عشر قرنا من الزمان تشكلت العلامة الشعرية كاشفة عن عدة أمور:

١-تجذر العلامة الشعرية (الهند) في الشعر العربي منذ أقدم عصوره.

٢-تعدد مظاهر العلامة الشعرية: الهند، رموزها الحضارية: معالم، بشر، تاريخ.

٣-استمرار حضور العلامة وتواصلها عبر القرون دون توقف.

٤-مساحة الشعر العربي الحديث التي تضمنت العامة الشعرية تزيد عن القرن من الزمان.

التوصيات

جمع النصوص الشعرية الخاصة بالهند في الشعر العربي في ديوان يكون معينا للباحثين لإجراء دراسات علمية موسعة، يكون لها دورها في الكشف عن العلاقات التاريخية والروحية بين الثقافتين.

٣٣- سمير درويش: ثائر مثل غاندي زاهد مثل جيفارا–مؤسسة بتانة، القاهرة 2018، ص 40.

المصادروالمراجع

- ✓ إبراهيم طوقان : ديوان إبراهيم ، دارالشرق الجديد ، بيروت ١٩٥٥.
- ✓ أبو العباس المفضل بن محمد الضبي: المفضليات، بشرح أبي القاسم بن محمد بن بشارالأنباري، تحقيق: كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٠
- ✓ أحمد شوقي: الشوقيات، دارالعودة، بيروت ١٩٨٨.
- ✓ أحمد نسيم : ديوان أحمد نسيم ، مطبعة الإصلاح ، القاهرة، جـ١/١٩٠٨ .
- ✓ ديمتري خلاط: القصيدة الهندية، المقتطف، القاهرة، العدد الخامس / مايو١٩١٣.
- ✓ ديوان النمربن تولب العكلي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي،,دارصادر،بيروت
- ✓ سميردرويش: ثائرمثل غاندي زاهد مثل جيفارا – مؤسسة بتانة، القاهرة ٢٠١٨.
- ✓ شرح ديوان زهيربن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. حنا نصرالحتى، دارالكتاب العربي، بيروت ٢٠٠٤.
- ✓ عباس محمود العقاد: روح عظيم، المهاتما غاندي، شركة فن للطباعة، القاهرة ١٩٤٨.
- ✓ د. عمرالدقاق: غاندي في الأدب العربي، ثقافة الهند، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية – نيودلهي ، مج ٤٣، ع ١٩٩٢/١.
- ✓ المجلة، القاهرة، العدد ١٦٥، ديسمبر١٩٦٩.
- ✓ معروف الرصافي: ديوان الرصافي، أتم شرحه وصححه: مصطفى السقا، دارالفكر العربي، القاهرة، ط١٩٥٣/٤.
- ✓ موسوعة الشعرالعربي الالكترونية، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، دبي ٢٠٠٩.
- ✓ نقولا الترك: ديوان المعلم نقولا الترك، ضبط نصوصه ووضع مقدمته وفهارسه: فؤاد أفرام البستاني، بيروت ١٩٤٩.
- ✓ نقولا يوسف :تاجور بمصر، الأديب ، بيروت ، ع ٤/أبريل ١٩٦٤.

صورة الآخر الهندي
في الرواية السعودية

د.أسماء الصاعدي ، أستاذة مساعدة
جامعة طيبة، المدينة المنورة ، السعودية

ملخص البحث

تتناول هذه الورقة قضية حضور الآخر الهندي في الخطاب الروائي السعودي (من خلال نماذج مختارة)؛ بهدف الكشف عن التمثيلات المختلفة التي شكلت هذا الحضور، وطبيعة العلاقة التي جمعته بالآخر الذي حضر في سياقه، وتأويل هذه العلاقة في إطار الخطاب الثقافي الذي يعتقد بأن الثقافات مهما تعددت وتنوعت فلا بد من تلمس سبلٍ تكفل إمكانية التعايش بينها.

وتبعاً لهذا الهدف جاء البحث في تمهيد وقسمين وخاتمة، يعرف التمهيد بمفهوم (الآخر) ويتعرض القسم الأول لتمثيلات الآخر الهندي في الرواية السعودية، فيما يتعرض القسم الثاني لعلاقة الآخر الهندي بغيره في الرواية السعودية، وتتضمن الخاتمة نتائج البحث.

وظهرت تمثيلات الآخر الهندي في الرواية السعودية في: الآخر الهندي المتقدم، والآخر الهندي الحبيب، والآخر الهندي المتدين، والآخر الهندي الفنان، وبدت علاقات الآخر الهندي بغيره في الرواية السعودية من خلال كونه مؤثراً حضارياً ساهم في دفع عجلة التقدم والتطور، أو شريكاً اجتماعياً دخل معه في علاقة زواج ومصاهرة، أو دينياً أصبح يؤدي أدواراً دينية كأداء الأذان وتغسيل الجنائز، أو فنياً يساهم عبر فنه في إعادة صياغة الهوية وتشكيل سماتها في إطار التوافق والتكامل بين الثقافات.

الكلمات المفتاحية: الآخر الهندي- الرواية السعودية- الاختلاف الثقافي- التأثر والتأثير

المقدمة

تندرج دراسة الآخر في حقل الدراسات الثقافية الراهنة التي تتشكل من خلالها آليات الوعي الثقافي، و تبرز عبرها مناهج صالحة للاشتغال على الخطاب الأدبي بجنسيه الشعري والسردي؛ لتشكيل صورة الذات وفهم حقيقة الآخر، من خلال حركة مثاقفة خلاقة تهدف إلى التقريب بين الشعوب والتصالح بين الثقافات والتحاور بين الحضارات في الأدب العالمي عامة والأدب العربي والسعودي خاصة.

وتحتل دراسة موضوع الآخر في الخطاب الأدبي أهمية كبرى لأنها تتغيا الوقوف على علاقة الأديب بذاته ومجتمعه وثقافته وتحليل هذه الظروف وبيان آثارها في أدبه، وذلك عبر ما يضمه هذا المجتمع الواسع من آخر ينتمي إلى ثقافة الأديب ذاتها أو يختلف عنها، وحضر الوافد الهندي في المجتمع السعودي مدفوعاً بعوامل مختلفة دينية كزيارة الأماكن المقدسة في مواسم الحج والعمرة، واقتصادية مثل العمل في المؤسسات والشركات التجارية، وسجلت الرواية السعودية هذا الحضور الذي تحاول هذه الورقة الكشف عن حدوده وتمثيلاته وأبعاده.

هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة نموذجين روائيين سعوديين هما (البعث) لمحمد علي مغربي، و(الأيام لا تخبئ أحداً) لعبده خال؛ للكشف عن تمثيلات حضور الآخر الهندي فيهما وعلاقات هذا الحضور.

منهج البحث

المنهج الذي اختاره هذا البحث هو (الدراسة الثقافية) عبر موضوع التمثيلات الذي يشتغل على علم الصورة الأدبية (الصورولوجيا) ، ويعد الإطار الأمثل لمقاربة موضوع الآخر الذي أصبح البحث فيه ملمحاً إبداعياً ومتطلباً ثقافياً في الوقت نفسه.

إشكاليات البحث

يطرح هذا البحث التساؤلين التاليين:

١.ما تمثيلات حضور الآخر الهندي في الرواية السعودية؟

٢.ما علاقة الآخر الهندي بغيره في الرواية السعودية؟

الدراسات السابقة

هناك عدة دراسات تم إنجازها حول (الآخر في الرواية السعودية) مثل:

١.مدخل إلى الآخر في الرواية السعودية، حسن النعمي، مجلة الراوي ع ١٨ مارس ٢٠٠٨-ربيع أول ١٤٢٩م، وتبحث هذه الدراسة قضية الآخر في التجارب الروائية المبكرة (التوأمان- البعث- ثمن التضحية) والتجارب الروائية المتأخرة (غداً أنسى- السنيورة- لحظة ضعف).

٢.تجليات الآخر في الرواية السعودية المعاصرة ، شادية شقروش، مجلة خطاب ع ١٩ يناير ٢٠١٥م، وتبحث هذه الدراسة في الصور الإيجابية والسلبية للآخر من خلال أربع روايات هي: رواية (العصفورية) و(٧) لغازي القصيبي، رواية (جاهلية) لليلى الجهني، ورواية (سقف الكفاية) لمحمد حسن علوان.

٣.الآخر في الرواية السعودية (١٩٣٠-٢٠١٦م)، علي زعلة، رسالة دكتوراه غير منشورة تمت مناقشتها في ٦ مايو ٢٠٢١، و"اتجهت الدراسة إلى مقاربة تمثيلات الآخر المحلي الداخلي والآخر الحضاري الخارجي في المدونة، وتأتي هذه الدراسة ضمن الدراسات الثقافية التي تعنى بقضايا الهوية والآخرية وعدد من القضايا التي عنيت بها نظريات ما بعد الاستعمار"[٣٤].

والفرق بين هذا البحث والدراسات السابقة أنه يركز على حضور الآخر الهندي في الرواية السعودية من خلال نموذجين دالين هما: (البعث) لمحمد علي مغربي، و(الأيام لا تخبئ أحداً) لعبده خال.

التمهيد

([٣٤]) تم استرجاعه بتاريخ 13-7-2021م

https://twitter.com/yamamahMAG/status/1389887710811262976 :

يتناول التمهيد المفاهيم الأساسية التي يشتغل عليها البحث، والمفهوم الأساس الذي يشتغل عليه هذا البحث مفهوم الآخر.

الآخر

الآخر في اللغة يعرفه ابن منظور بقوله:(الآخر بالفتح أحد الشيئين، وهو اسم على أفعل والأنثى أخرى...والآخر بمعنى غير كقولك: رجل آخر وثوب آخر، وأصله أفعل من التأخر، فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلتا، فأبدلت الثانية ألفاً لسكونهما، وانفتاح الأولى قبلها"[٣٥]، فالآخر هو أحد الشيئين وهو يرادف الغير.

والآخر اصطلاحاً هو "مثيل أو نقيض الذات أو الأنا"[٣٦]، ويعد الآخر انفصالاً عن الذات؛ حيث إن "كل شخص هو آخر بالنسبة لأي شخص آخر على وجه الأرض"[٣٧]، وذلك بصرف النظر عن نوع العلاقة التي تربطهما سواء كانت علاقة اتفاق أم اختلاف، وتأتي أهمية الآخر في الفلسفة السارترية والوجودية، وفي علم النفس اللاكاني من "جوهريته الأساسية في تكوين الذات وتحديد الهوية، وكذلك من إسهامه في تأسيس وتوجيه المنطلق الذاتي الشخصي والقومي والثقافي"[٣٨]، ومن ثم فهو ضرورة من ضرورات الوجود التي يكتشف الإنسان من خلالها ذاته وقدراته، يقول سارتر: "الآخرون هم أساساً الأهم فينا كي نتعرف على ذاتنا"[٣٩]، ويرى فوكو أن الآخر "متعلق بالذات تعلقاً لا فكاك منه شأنه في ذلك ارتباط الحياة بالموت"[٤٠]، ورغم أن الإنسان لا يستطيع العيش إلا مع الآخرين فإن هيدجر يرى أن "الوجود بدون الآخرين هو نفسه صورة الوجود مع الآخرين، بمعنى أن الشعور الفردي لا ينطوي على أي انفصال عن عالم الغير...وكما أنه ليس ثمة (ذات) بدون العالم، فإنه ليس ثمة (ذات) بدون

([٣٥]) لسان العرب، ابن منظور، قدم له عبدالله العلايلي، دار الجيل ودار لسان العرب بيروت- لبنان، ط1988م، مادة (أخر).

([٣٦]) دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي بيروت- الدار البيضاء، ط2002م، ص 21.

([٣٧]) سرد الآخر(الأنا والغير عبر اللغة السردية)، صلاح صالح، المركز الثقافي العربي بيروت- الدار البيضاء ط 2003م، ص 10.

([٣٨]) دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق ص 21.

([٣٩]) الآخر حسب سارتر وظاهرية ميرلوبونتي، عبدالله عازار، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 87-86)، مارس 1991. ١٠٦

([٤٠]) دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق ص 22.

الغير"[٤١].

ويوظف مفهوم الآخر في فضاءات متعددة أهمها: الإيديولوجيا، والخطاب النسوي، والخطاب الاستعماري، والنقد الثقافي، والدراسات الثقافية، والنقد النسوي[٤٢].

القسم الأول: تمثيلات الآخر الهندي في الرواية السعودية

حضر الآخر الهندي في الرواية السعودية عبر التمثيلات التالية: الآخر الهندي المتقدم، والآخر الهندي الحبيب، والآخر الهندي المتدين، والآخر الهندي الفنان.

- **الآخر الهندي المتقدم**

ظهر الآخر الهندي المتقدم في رواية البعث[٤٣] لمحمد علي مغربي، التي تدور حول بطل الرواية (أسامة الزاهر) الشاب الحجازي الذي يصاب بمرض السل الرئوي (الدرن) ، ويسافر إلى الهند طلباً للعلاج بعد أن تعذرت عليه وسائل الشفاء في بلده، ويلتقي على ظهر الباخرة المتجهة إلى الهند برجل هندي كبير السن هو (سيد أكبر)، الذي جاء لأداء فريضة الحج، وفرح بلقائه حيث دعاه لأداء الصلاة جماعة على ظهر الباخرة، وبعد الصلاة أبدى له تقديره وإعجابه بصفته مسلماً ثم حجازياً؛ لما تحظى به هذه البلاد من قدسية لدى المسلمين، وحين وصل (أسامة) إلى (بومباي) اندهش عندما رأى مقدار التطور والتقدم في هذه المدينة المزدحمة بالسكان، وزادت دهشته عندما قارن بينها وبين بلاده، وظهرت آماله وتطلعاته المستقبلية في نقل هذه التقنيات المتطورة إلى بلاده المملكة العربية السعودية، ومن خلال حوار بينه وبين مرافقه الهندي يصل إلى أن التطور والتقدم لن يكون إلا عن طريق التعليم ومكافحة الجهل والتخلف، ولن يتحقق إلا بإنجاز أهل البلاد أنفسهم.

([٤١]) مشكلة الإنسان في الفكر العربي المعاصر، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر للطباعة والنشر الفجالة –القاهرة، د.ت، ص 153.

([٤٢]) دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق ص 23.

([٤٣]) البعث، محمد علي مغربي، دار الكتاب العربي- القاهرة، ط1948م.

وعندما يعود البطل إلى المملكة يبيع ممتلكاته ليحول قيمتها إلى مشروع تعليمي، يتمثل في بناء مدرسة لأبناء البادية، لكنه لأسباب شخصية ينصرف عنهم ؛ ليسافر إلى مصر ويلتقي تاجر الجلود المصري الذي يساعده في تأسيس مصنع جلود للاستفادة من جلود الأضاحي، وإنتاج المنتجات الجلدية.

- **الآخر الهندي الحبيب**

يذهب (أسامة) ومرافقه الهندي إلى كراتشي لاستشارة طبيب الأمراض الصدرية، الذي نصحهما بمستشفى خاص في الريف الهندي، وفي هذا المستشفى الريفي يقع في حب ممرضة هندية جميلة اسمها (كيتي)،ويصارحها بحبه ويحاول إقناعها بالدخول في الإسلام لكنها تطلب منه فرصة للتفكير، وبعد عودة البطل إلى بلاده يسافر إلى الطائف لتحقيق مشروعه التعليمي لأبناء البادية، وهناك يقع في حب فتاة اسمها (بلقيس) ذكرته بمحبوبته الأولى (كيتي) حيث تشبهها إلى حد كبير، ويتقدم لخطبتها لكن والدها يطلب منه مهراً عالياً، فيصرف النظر عن هذه الفتاة ويعود إلى جدة، وتحدث المفاجأة في نهاية الرواية حيث تسلم (كيتي) وأمها على يد (سيد أكبر)، وتطرد من المستشفى لدخولها في الإسلام، وتغير اسمها من (كيتي) إلى (بلقيس) ويذهبون جميعاً إلى مكة لأداء فريضة الحج، ويلتقون ببطل الرواية (أسامة) الذي يتزوج من (بلقيس) لتنتهي الرواية نهاية سعيدة.

- **الآخر الهندي المتدين**

الآخر الهندي المتدين ظهر في رواية (الأيام لا تخبئ أحداً)[٤٤] لعبده خال من خلال شخصية (حسن الهندي) الذي يؤدي دورين سرديين في الرواية: مؤذن المسجد ومغسل الجنائز، وتقف الرواية وقفة مطولة مع غسيله جنازة المأمور أبو شايب، فقد كان يقوم بغسل الجنازة ودموعه تفيض ويتمخط بصوت مرتفع، ويعاود الغسيل ببطء وكأنه لأول مرة يقوم بهذه المهمة؛ مما هيج الكثيرين حوله وتحول مكان الغسل إلى

(٤٤) الأيام لا تخبئ أحداً، عبده خال، منشورات الجمل كولونيا – ألمانيا، ط 2002م.

مناحة، وواصل غسل المتوفى بكثير من التأثر، مقبلاً جبين الميت ومعيداً غسله مراراً، وممراً السدر في أماكن متعددة من جسده، وساكباً عليه العود الذي أحضره العمدة، وزاد عليه (تولة) كان يخبئها لجنازته، وصرح بقوله: (كنت أخبئها لموتي لكن الميت أغلى من روحي)، ثم يدلك بها وجهه وصدره وأعضاءه السفلى ويسد منافذه بقطن ناصع البياض، وبعد الانتهاء من تجهيز الجنازة يرفع الأذان، بعد أن أوصى زوجته بتوزيع الرياحين في أماكن متفرقة في الحي.

إن (حسن المؤذن) يرى أن مغالاته في غسل المأمور واجباً بسيطاً من إكرام المتوفى؛ لأنه زكاه ووقف معه ليكون مؤذناً لمسجد الحي بالرغم من اعتراض كثيرين على عجمته ، لكن المأمور أبا شايب أصر على أن يؤدي الأذان (حسن الهندي) بدلاً من (الكثيري) ذي الصوت الحاد، ضارباً مثلاً بسيدنا بلال الحبشي الذي ارتفع صوته بالأذان في وسط أكابر الصحابة.

- **الآخر الهندي الفنان**

وظهرت في رواية (الأيام لا تخبئ أحداً) لعبده خال، من خلال شخصية (الرسام الهندي) الذي كان يزاول مهنة الرسم عن طريق بالوشم بالإبرة داخل السجن، وقد رسم لبطل الرواية (عبدالله) حية عظيمة نافرة على ساعده المفتول، تلتف حول معصمه، ويغيب ذيلها في أسفل إبطه، وتهم بغرس نابها المدبب في وريده الضخم، مبقية عينيها الصغيرتين المتوقدتين تحدقان في اتجاه وجهه، لونها أخضر داكن، كانت أفعى أضخم من المألوف تزداد صلابتها وتثنياتها مع انسياب ساعده المفتول المتوتر، ويتراءى للرائي أنها سوف تعصر ساعد عصراً، وعندما خرج من السجن نسي الناس اسمه، وأصبح مشهوراً بها، ولقب بـ(أبو حية).

كان يبدأ في وشمه مع الغروب مستعملاً إبرة خاصة يحملها معه ويخبئها في قعر رجله بعد أن يغرسها بشكل أفقي، كان النقش يتم عميقاً ، وبعد أن أتم رسم الأفعى بدقة أعاد نقش ما التأم منها، وكانت هذه أصعب مرحلة؛ إذ قد تسبب حدوث تورمات

قد تؤدي إلى تسمم ، وبعد ذلك كان عليه أن يردم تلك الثقوب بمادة سرية من ثلاث عناصر كان يحتفظ بها في كلفات ثيابه، وبعد أن ردم تلك الثقوب أوصى صديقه ألا يغتسل لمدة ثلاث أيام حتى تتشرب بشرته تلك المادة، وكانت الرسمة مذهلة للجميع.

القسم الثاني: علاقة الآخر الهندي بغيره في الرواية السعودية

سيد أكبر:

١.تتأطر صور الآخر (بطل الرواية أسامة) بالنسبة إلى الذات (سيد أكبر) انطلاقاً من المحدد الديني، باعتباره آخر مشابهاً؛ ولذلك تقوم علاقته به على الانبهار والإعجاب بصفته مسلماً، فضلاً عن كونه حجازياً ينتمي إلى الحجاز حيث توجد الأماكن المقدسة.

٢.في الحوار الدائر بين الآخر (بطل الرواية أسامة) والذات (سيد أكبر) حول قضية التطور والتقدم في الهند، يتناولها كل منهما من زاوية مختلفة يبني عليها أحكامه، فـ(سيد أكبر) يؤكد على ضرورة اعتبار العامل الاقتصادي (الغنى والفقر) ، فيما يرى (أسامة) ضرورة اعتبار العامل الثقافي (العلم والجهل) ، فالعلم يقضي على كل الأمراض ومنها الفقر.

٣.في داخل مستشفى كراتشي تبدو علاقة الذات (سيد أكبر) بالآخر (بطل الرواية) براغماتية نفعية، فيرغب (بطل الرواية) في أن يكون (سيد أكبر) وسيلة تواصله مع الأطباء، و(سيد أكبر) يناقشه في موضوع إمكانية الهجرة إلى مكة ويأمل مساعدته في ذلك.

٤.ظهرت علاقة الهندي (سيد أكبر) مع الآخر الهندي(كيتي وأمها) علاقة اختلاف في المحدد الديني قد تجعله نقيضاً، لكنه يسعى إلى تعريفهما بالإسلام وتشجيعهما على الدخول فيه، ومساعدتهما في القيام بفريضة الحج إلى مكة ليبدآ حياة جديدة.

كيتي

١.تتأطر صورة الآخر(بطل الرواية أسامة) بالنسبة إلى الذات (كيتي) من زاوية وظيفية، فهي ممرضة تقتضي أولويات وظيفتها تقديم ما يحتاجه المرضى من أساسيات العلاج والرعاية، لكن الآخر (أسامة) كان واقعاً تحت تأثير لحظة ضعف (المرض) ربما جعلته يقرأ هذه الرعاية والعناية من زاوية عاطفية –فإصابته بالمرض كانت نتيجة انفصاله عن والديه وافتقاده الرعاية والعناية- ويفسره على أنه حب، فضلاً عن أنها جميلة فهو يصفها بقوله (كأن الفتنة خلقت على صورتها)، ولذلك يصرح لها بحبه ويتقدم لخطبتها.

٢.تجد الذات (كيتي) بعد هذا الطلب المقدم من الآخر (أسامة) نفسها واقعة تحت صراع قد يفسر ظاهرياً انطلاقاً من المحدد الديني المتمثل باختلاف هوية كل منهما، فهي (هندوسية) وهو (مسلم)، ولكن ما يضمره خطاب الرواية ويكشف عنه فيما بعد أنها تركت ديانتها (الهندوسية) وتحولت إلى (المسيحية) استجابة لمتطلبات الوظيفة التي تقدمت للعمل بها، ومعنى ذلك أن قبولها بالآخر (أسامة) وارتباطها به سيشكل تهديداً لمستقبلها ويفقدها وظيفتها.

٣.حين يمارس الآخر الهندي (سيد أكبر) تأثيره على الهندي (كيتي وأمها) يجمعهم الاتفاق في الهوية الوطنية والاختلاف في المحدد الديني، من أجل إقناعهم بالدخول في الإسلام، وهو ينجح في ذلك ويساعدهما في أداء فريضة الحج.

٤.بعد دخول (كيتي) في الإسلام تجد نفسها مضطرة إلى تغيير اسمها من (كيتي) إلى (بلقيس) و(بلقيس) كما تذكر الرواية من قبل اسم الفتاة التي تعلق بها بطل الرواية في بادية الطائف ؛ لأنها تشبه محبوبته الأولى (كيتي) كثيراً وتذكره بها، ثم صرف نظره عنها بعد ذلك، فهل تريد الرواية أن تقول لنا إن ذلك من قبيل المصادفة؟

حسن الهندي

١.تتأطر صورة الآخر (بطل الرواية عبدالله) بالنسبة إلى الذات (حسن الهندي)

من زاوية وظيفية، فقد تعرضت أسرة (عبدالله) لحريق كانت نتيجته احتراق جثث جميع أفراد أسرته: والده ووالدته وأخته، واحتارت الحارة في طريقة تغسيلهم ورفض (حسن المؤذن) أن يغسلهم خشية أن تذوب الجثث على يديه، ولفت جميعها في كفن واحد ودفنوا في مقبرة واحدة.

٢.تأطرت صور الآخر (المأمور أبو شايب) بالنسبة إلى الذات (حسن الهندي) من زاوية إيجابية، فهو يحسن غسل جنازته ويخصه بـ(تولة) عود خبأها لموته لكنه آثر أبا شايب على نفسه؛ لأنه يتذكر معروفه عليه وتزكيته له ليصبح مؤذناً للمسجد، ويفضله على (الكثيري) وحين يعارض بعضهم هذا الأمر بسبب عجمته، يستشهد بتقديم بلال بن رباح الحبشي على أكابر الصحابة في الأذان.

٣.تأطرت صور الآخر (أبناء الحارة) بالنسبة إلى الذات (حسن الهندي) من زاوية سلبية عنصرية، فهم يسخرون منه بسبب عجمته، وهو بالمقابل يهددهم بترك مئذنة المسجد خاوية إذا أمعن أهل الحارة في السخرية من أذانه، فقد كان يمتلك صوتاً عذباً لكن أعجميته تجعل نطقه بعض الحروف مضحكاً.

الرسام الهندي

١.تأطرت صور الآخر(بطل الرواية عبدالله) بالنسبة إلى الذات (الرسام الهندي) من زاوية إيجابية، فهو صديقه الذي أمضى معه مدة سنتين في السجن، ومنحه وشم الأفعى الذي طلبه والذي أعطاه هوية جديدة؛ حيث لم يعد الناس يتذكرون اسمه السابق وأصبح اسمه (أبو حية)، وصار مهاباً مرهوباً من قبل الآخرين.

٢.بالرغم من الهوية الجديدة التي منحتها الذات (الرسام) للآخر (بطل الرواية عبدالله) لكنه بدا فاقداً للهوية، فالرواية لا تذكر له اسماً محدداً تعرفه به وتكتفي بالإشارة إليه بـ(رفيقنا الهندي) و(رفيقي الهندي) و(صديقي الهندي) فتضيف إليه الضمير المشترك أو ياء المتكلم؛ لتشير إلى علاقته بالحاضرين معه في المكان نفسه وهو السجن.

الخاتمة

ظهرت تمثيلات الآخر الهندي في الرواية السعودية في: الآخر الهندي المتقدم، والآخر الهندي الحبيب، والآخر الهندي المتدين، والآخر الهندي الفنان، وبدت علاقات الآخر الهندي بغيره في الرواية السعودية من خلال كونه مؤثراً حضارياً ساهم في دفع عجلة التقدم والتطور، أو شريكاً اجتماعياً دخل معه في علاقة زواج ومصاهرة، أو دينياً أصبح يؤدي أدواراً دينية كأداء الأذان وتغسيل الجنائز، أو فنياً يساهم عبر فنه في إعادة صياغة الهوية وتشكيل سماتها في إطار التوافق والتكامل بين الثقافات.

المصادر والمراجع

- ✓ الأيام لا تخبئ أحداً، عبده خال، منشورات الجمل كولونياألمانيا ط ٢٠٠٢م.
- ✓ ٢.الآخر حسب سارتر وظاهرية ميرلوبونتي، عبدالله عازار، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٨٦-٨٧)، مارس ١٩٩١م.
- ✓ البعث، محمد علي مغربي، دارالكتاب العربي- القاهرة، ط١٩٤٨م.
- ✓ ٤.دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي بيروت- الدار البيضاء، ط٢٠٠٢م.
- ✓ سرد الآخر(الأنا والغير عبر اللغة السردية)، صلاح صالح، المركز الثقافي العربي بيروت- الدارالبيضاء ط ٢٠٠٣م.
- ✓ ٦.لسان العرب، ابن منظور، قدم له عبدالله العلايلي، دار الجيل ودار لسان العرب بيروت- لبنان، ط١٩٨٨م.
- ✓ مشكلة الإنسان في الفكر العربي المعاصر، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر للطباعة والنشر الفجالة –القاهرة، د.ت.

المراجع الإلكترونية:

- ✓ تم استرجاعه بتاريخ ١٣-٧-٢٠٢١م
- ✓ https://twitter.com/yamamahMAG/status/

بناء الصورة
في رواية "ميراث الخسارة" لكيران ديساي

حنان الراجي را، باحثة الدكتوراه
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب

المقدمة

لعل المتون الروائية، من بين أكثر أشكال الكتابة السردية تعبيرا عن طبيعة العلاقة بين الذات وآخرها. كما أن جزءا مهما من التصورات والمعارف عن تواريخ البلدان، وتطور الأنماط الثقافية وعادات الشعوب وقيمها وتقاليدها، مصدره الروايات. ولابد أن تجسد هذه الأخيرة صورا من التناقضات بين الأنا والآخر وبين الهنا والهناك، والماضي والحاضر. كما تضم بين أسطرها كذلك، رسما لملامح الآخر المختلف والبعيد، في مقابل الأنا الناظرة. وتجدر الإشارة إلى أن تعقب صورة الآخر، لا يروم تحقيق فهم الآخر فحسب، بالرغم من أن هذا الفهم كان ولايزال غاية للأنا. بل إنها لن تصل إلى فهم متكامل لذاتها، دون أن تنطلق من رؤية واضحة جلية، لمن همخارجها.

لا شك إذن أن في فهم الآخركشف للذات، «بل إن ماهية الغير تتحدد على أساس ماهية الذات.»[٤٥] وبهذا المعنى، فصورة الآخر في الكتابة، هي ترجمة للذات، كما هي ترجمة للآخر؛ فمهما عبرت صورة الآخر عن اختلافه، وتميزه، فهي لابد أن تحيل إلى الذات كذلك. ولهذا، ففي كتابة الآخر، يجب أن نبقى«منتبهين لما يمكِّن من التمييز (الآخر مقابلا للأنا) أو الاستيعاب (الآخر مشابها للأنا).[٤٦]» وتقدم رواية "ميراث الخسارة" لصاحبتها كيران ديساي لقارئها صورة واضحة للتقابل بين الأنا والآخر، مع

٤٥ ذاكر(عبد النبي): المغرب وأوروبا نظرات متقاطعة، جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلومالإنسانية، أكادير ٢٠٠٦م، ص.١٣

٤٦ PAGEUX (Daniel-Henri): De L'imagerie culturelle à L'imaginaire, Précis de la littérature comparée, **Sous la** direction de Pierre Brunel et Yves Chevrel , Presses universitaires de la France, 1989.p.143

كشف النقاب عن مجموعة من القضايا التي يولدها هذا اللقاء، كالتعددية الثقافية، وصراع القيم، وتضارب المصالح واختلاف الانتماء وتشتت الهوية.. في تعبير واضح عن تلك العلاقة غير المتكافئة بين العالم المتقدم الذي تمثله الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، والعالم الثالث الذي تجسده الهند. تلك العلاقة التي سيتكبد فيها الطرف الأضعف الخسارة والفشل الذريع.

١- الصورلوجيا الروائية: مرتكزات نظرية

إذا كان الأدب الروائي نتاجا للبيئة التي يولد بها، فهو كذلك منتج مهم للصور التي تتشكل في وعي الجماعة المنتمية لتلك البيئة، عمن هم خارجها. ويمكن اعتبار الأدب المجالَ الأرحب لظهور الصور ونقلها وتطورها. وفي المقابل، فإن دراسة صور الآخر في الأدب، أو الصورلوجيا الأدبية «L'imagologie Littéraire»تساعد بشكل مضاعف في معرفة الأدب».[٤٧] وقد كان انشغال الصورلوجيا الأول- ولايزال- هو دراسة صورة الأنا في إبداع الآخر، أو العكس. وهذان الطرفان، ينتميان بالضرورة إلى فضاءين، هما في أغلب الأحيان متباعدان. ينظر كل طرف إلى الآخر، ويُكوِّن عنه صورة، إما تساعد على التقارب بينهما، أو تكون عاملا أساسيا في تباعدهما. فصورة الآخر في الأدب القومي، وعي بوجود هذا الآخر في حياة الأنا. ووعي كذلك بوجود فضاء مختلف (الهناك) عن فضاء عيش الأنا (الهنا).

ويعد هذا النوع من دراسة الصور الأدبية، من أكثر مباحث علم الصورة المقارن أهمية، وحضورا في السنوات الأخيرة.. كما كانت «دراسة صور الأجنبي وتجلياته، خلال عقود طويلة أحد الأنشطة المفضلة (للمدرسة الفرنسية) في الأدب المقارن».[٤٨]وتجدر الإشارة إلى أنه، لا مجال للحديث عن حركية أو تطور مجتمع ما، إلا من خلال علاقته

٤٧marc Moura (Jean): L'image du tiers monde dans le roman français contemporain , Presses Universitaires de France ,première édition, paris, 1992.p.14

٤٨ هنري باجو (دانييل): الأدب العام والمقارن، ترجمة: غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،١٩٩٧م.، ص ٨٩

مع آخر، ولا يمكن لشعب أن يفهم خصوصياته ومميزاته إلا بتفاعله مع آخر قريبا كان أو بعيدا، مشابها أو مختلفا. وبغض النظر عن طبيعة هذه الصور المنقولة، ومدى صدقها، أو كونها مجرد صور سلبية جاهزة، أو كليشي.. فلا يمكن إنكار كون الصورة الروائيةنقلا فنيا «ومحاولة لتجسيم معطيات الواقع الخارجي بواسطة اللغة[٤٩]».«ولابد أن يكون تزايد الاهتمام بالبحث في صورة الآخر في جنس الرواية، راجعا بالأساس إلى أنها صارت اليوم أكثر الأنواع السردية شيوعا. بل وتكاد تكون «الفن الأكثر رواجا، يقبل عليه الناس للمتعة النفسية والفكرية حيث يدس القاص بين السطور آراءه في النواحي المختلفة» .[٥٠]

ويضم حقل الصورة الروائية الذات والغير، والداخل والخارج، مادام لكل أنا محيطها، وآخرها، وخارجها..وبناء صورة الذات من خلال السرد، يقتضي بالضرورة وجود نظير أو نقيض مختلف عنها، قد يظهر باعتباره أعلى مرتبة منها، أو أقل شأنا. فتعد هذه الصورة «أنجع الوسائل الأسلوبية في رسم الشخوص الإنسانية؛ إنها علامة تدل على السمات المميزة للشخصيات التي تستعملها.[٥١]»وكيفما كان الأنا والآخر، فاللقاء بينهما اليوم يثير إشكالات ثقافية وحضارية، ذات أبعاد سياسية ودينية.. وتبرز هذه الإشكالات بجلاء في الخطاب الأدبي، الذي لطالما كان مرآة تعكس تجليات تلك العلاقة.

وقد تختلف الصور التي يجسدها أدب عن بلد معين خلال فترات متباينة، وذلك يمكن أن يرجع إلى اختلاف وجهات النظر، والتصورات، وطرق رؤية هذا البلد باختلاف المؤلفين. كما قد يرجع إلى التطور الذي يعرفه هذا البلد، وتغير طريقة النظر إليه. فصورة بلد من البلدان« في إطار مجموع أدب ما على مدى تطوره، غالبا ما تظهر تنوعا، هو نتاج تطور البلد الذي نتناوله وتطور المتلقي في آن واحد. ولكي نرسمها يجب

٤٩ أنقار (محمد): بناء الصورة في الرواية الاستعمارية، صورة المغرب في الرواية الاسبانية، مكتبة الإدرسي، تطوان١٩٩٤م. ص.١٣

٥٠ المعوش (سالم): صورة الغرب في الرواية العربية، السلسلة الأدبية، مؤسسة الرحاب ، بيروت- لبنان، ١٩٩٨م، ص.٣٣ و ٣٤

٥١ أولمان (ستيفن): الصورة في الرواية، ترجمة رضوان العيادي و محمد مشبال، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م ص.١٩

أن يكون لدينا إحصاء بكافة العناصر الأدبية التي تكونها، على أن نعطي لكل عنصر حقه من الأهمية.» [٥٢]

٢- صورة الهندي في رواية ميراث الخسارة لكيران ديساي

أ - تقديم الرواية

تأخذ كيران ديساي متصفح هذه الرواية في رحلة طويلة، تنتقل به من خلالها بين الهند والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. لترسم صورة واضحة عن التناقض الذي تلفيه الشخصيات المنتقلة بين هذه الفضاءات. كما تغوص الرواية بالقارئ في نفوس الشخصيات التي تعيش في عالم تعتوره فوضى صارخة. وتناقضات صريحة. تكشفها العلاقات بينها، وعلاقتها بالفضاءات والأزمنة.

وتناقش هذه الرواية بأسلوب سلس مجموعة من القضايا والاشكالات التي تفصح عنها العلاقات غير المتكافئة بين الأنا والآخر. كما تشي بها المقارنة بين بساطة أماكن في مقابل عظمة أخرى في المتن المحكي. ومن أبرزها القومية والهوية والطبقية واختلاف الانتماء والعنف والارهاب والهجرة والاحساس بالإحباط.. فتتوالى أحداث الرواية في سرد عميق يظهر صورا شتى للهندي، الذي يجد نفسه في أحيان كثيرة ملزما بتقبل الخسارة ومعايشتها. لأن القدر قد كتب له أن يكون أقل حظا من آخره الغربي.

وتدور أحداث هذه الرواية في عام ١٩٨٦م، بين قرية فقيرة في الهند، تدعى « كاليمبونج شمال شرق جبال الهيملايا -حيث يعيش القاضي وطباخه وساي والكلبة مات[٥٣] » في عزلة. بعد تقاعد القاضي جيموباي من العمل«بالسلك القضائي بعد عودته من إنجلترا.»[٥٤]ونيويورك، مدينة الأحلام التي يهاجر إليها ابن الطباخ بيجو، منقادا

٥٢بيشوا (كلود) و م. روسو (أندريه): الأدب المقارن، ترجمة الدكتور أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ٢٠٠١م.ص.١٤٥

٥٣ ديساي(كيران): ميراث الخسارة، ترجمة أحمد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م، ص . ٢٥

٥٤نفسه، ص. ٢٣٣

خلف الحلم الأمريكي، بحثا عن الكرامة، وهروبا من الفقر. وسيجد نفسه بعد سنوات من الاغتراب فاشلا، لا هو استطاع أن ينجح في بلاد الغير، ولا سيتمكن من تحقيق هذا النجاح في بلاده. والغريب أن الشعور بالخسارة لا ينفك يظهر للقارئ حين يقترب من شخصيات الرواية. فيخرج في الأخير بفكرة مفادها أن الشعوب الأقل شأنا لاتجني إلا الخسارة. سواء حاولت التأقلم مع محيطها أو بحثت عن تحقيق النجاح بعيدا عنه. لأنه سيبقى هنالك دائما «عالم أول يلعن العالم الثالث لمجرد أنه عالم ثالث.» [٥٥]

ب - الهندي، الانتماء والهوية

لقد كانت أحداث هذه الرواية تجسيدا حقيقيا لمحاولة الأنا فهم ذاتها، من خلال الاحتكاك بآخرها. إلا أنها ابتعدت كثيرا في محاولاتها هذه، لدرجة ضاع فيها انتماؤها، وتشتتت هويتها. صحيح أن صورة الهندي التي تقدمها الرواية، هي صورة إنسان احتفظ بجزء كبير من هويته داخله، رغم محاولاته الهروب من أسر ما يربطه ببلده الذي يمثل بالنسبة إليه الفشل والضياع. لكنه في كثير من الأحيان لم يكن يعرف ما يريده، أيريد تحقيق النجاح باعتباره هنديا، أو أن النجاح بالنسبة إليه مرتبط بالتشبث بالغرب، ونسيان انتمائه.

وقد سلطت الرواية الضوء على حياة شخصيات مختلفة، حاولت ما أوتيت من عزم وقوة الهروب من محيطها، محيط الأنا. الهنا الذي ارتبط بالنسبة اليها بالخسارة. فاختارت الانطلاق بعيدا إلى الهناك، المكان الذي يمثل النجاح والغنى وتحقيق الأحلام. لكنها ستكتشف شيئا فشيئا أنها أضاعت جزءا مهما من حياتا في بحث عن سراب لم تطله. فكانت شخصية الهندي في الرواية مخدوعة ساذجة، مثيرة للشفقة، يستبد بها الخوف من قساوة الماضي، وقتامة المستقبل. وتتشاطرها تناقضات كبيرة بين ما تعيشه

٥٥نفسه،ص. ٢٨٢

وما تريد عيشه. فتخسر هويتها في التخبط بين محاولات الهروب من جحيم الوطن الأم، والركض وراء الحضارة والتقدم الغربيين. ويمكن في هذا الإطار التركيز على شخصيتين:

- شخصية القاضي جيموباي: من أكثر الشخصيات تناقضا في الرواية. «شب وكبر غريبا الى نفسه قبل ان يصبح غريبا بالنسبة الى الآخرين بسبب اختلاف لون بشرته ولهجته[٥٦]» في إنجلترا التي عاش بها فترة من حياته.وحتى بعد عودته إلى بلاده الهند، لم يستطع أن يجد لنفسه مكانا بين أهله، حتى أن والده اعترف له: « كان من الخطأ ارسالك إلى البعيد، لأنك أصبحت مثل الغريب بالنسبة لنا.[٥٧]» وهو نفسه، لم يكن يحس بحب الانتماء لبلده، ولا هو يشعر بأنه منصهر في إنجلترا. وكان «يداخله شعور بالحسد لكل ما هو انجليزي، واحساس بالنفور من الهنود. الأمر الذي جعله يعمل جاهدا لكي يبدو انجليزيا، وانتهى الى أن صار مثار احتقار الإنجليزي والهندي على السواء.[٥٨]»

- شخصية بيجو ابن الطباخ: ظل سنوات من حياته في الولايات المتحدة الأمريكية محاولا التأقلم مع حياة الحضارة والتقدم، لكنه لم يتمكن من ذلك. لعدم حصوله على البطاقة الخضراء، ذلك الحلم الذيكان « يستحوذ على عقله طوال النهار، ويتحول الى كابوس يؤرقه في الليل، ولا شيء آخر يشغل تفكيره سوى هذه البطاقة.»[٥٩] لكنه لم يجسر على العودة إلى وطنه، لأنه كان« يعرف أنه ليس من السهل عليه اتخاذ قرار بالعودة إلى الهند، وأنه ليس من السهل كذلك عليه العودة ثانية إلى أمريكا..[٦٠]» لكنه بعد سنوات من التضحيات والخسارات.. يعود إلى وطنه جارا أذيال الخيبة.

٥٦نفسه،ص. ٨٣

٥٧نفسه،ص. 398

٥٨نفسه، ص. ١٨٤

٥٩نفسه، ص.٢٦٤

٦٠نفسه،ص.٢٦٤

ج - تجسيد الرواية لصورة الهندي في مقابل آخره الغربي

- علاقة الأنا بالآخر في الرواية، وتأثيرها على العلاقة بين الفضاءات:

تظهر الرواية أشكالا من العلاقات بين الهندي وآخره. هذا الآخر الذي يكون تارة قريبا ومنتميا إلى نفس البلد، كما يمكن أن يكون آخر بعيدا، غربيا. ويلامس قارئ الرواية تنوع هذه العلاقات من خلال اقترابه من حياة هذه الشخصيات، التي يعيش بعضها في بلد ويتمنى أن يكون في آخر. ويعيش البعض الآخر في بلد أحلامه دون أن يحس بالسعادة التي كان يطمح إليها. وإن ما نجده في هذا المتن الروائي من التقابلات بين الأنا وآخرها، يولد بطبيعة الحال تقابلات من نوع آخر، بين الهنا والهناك. ولذلك، يجب أن نكون يقظين «إزاء العلاقات التي تقوم بين الفضاء، وجسد الشخصيات. وإزاء تسجيل الشخصية ضمن الفضاء واستخدام الفضاء من قبل الجسد..[٦١]» ويمكن أن نلخص هذه العلاقات فيما يلي:

علاقة الهندي بآخره القريب: وضمنها نجد كذلك تناقضات وتباينات. ونشير هنا إلى علاقة القاضي جيموباي بالطباخ الذي يعمل لديه. صحيح أنهما ينتميان إلى نفس البلد، ونفس القرية، بل ويعيشان في نفس المنزل، إلا أنهما مختلفان تماما. ففي حين كان الطباخ إنسانا فقيرا وبسيطا ومؤمنا بالخرافات وذليلا، يعرف كيفية «استجداء الرحمة.. و..يدرك بالغريزة كيف يبكي.».[٦٢] أقصى طموحه في الحياة هو أن يعود ابنه ظافرا من أمريكا. كان القاضي لايزال متأثرا بالفترة التي قضاها في إنجلترا، فكان يظهر لا مبالاة وترفعا منقطعي النظير. يحس بأنه أجنبي في بلاده، وبين أهله. فكر طويلا« في التبجيل الذي كان ينتظر منهم اظهاره له ولما حققه من نجاح، لكن بدلا من ذلك رآهم يتضاحكون ويتغامزون..[٦٣]» لأن ما بدا لهم، لم يكن النجاح الذي حققه، ولكن الغرابة التي صارت تطبع سلوكاته، وتعامله مع الآخرين. خاصة أنه في الهند« كان كل شخص

٦١هنري باجو (دانييل): الأدب العام والمقارن، مرجع سابق، ص 102

٦٢ ديساي(كيران): ميراث الخسارة، مرجع سابق،ص.١٩

٦٣نفسه، ص.٢٣٧

يضحك كثيرا عند رؤيته لأناس مخدوعين.. اعتقدوا أنهم أرفع مقاما ومنزلة، لكنهم في الحقيقة مثل الباقين[٦٤] »

علاقة الهندي بآخره البعيد:

والذي كان تارة أمريكيا، وتارة أخرى انجليزيا. لكن في كلتا الحالتين، كان النظر إلى الهندي على أنه ذلك الغريب المختلف في لون البشرة والثقافة واللهجة والانتماء. بل كان الهندي الذي يعيش في الغرب، يلقى أشكالا من العنف والعنصرية والتنمر. لا لشيء إلا لأنه ينتمي إلى العالم الثالث. فلا يبقى للهنود من المساكن والمطاعم إلا الطوابق السفلى التي تمتلئ..بالجزائريين..والهنود..والمغاربة والمهاجرين من الدول الفقيرة، خاصة الذين لم يحصلوا على البطاقة الخضراء[٦٥] ». لكن الأدهى من كل ذلك هو ألا يجد الهنود أنفسهم إلا قابلين لكل أنواع المذلة والاحتقار من الآخر الغربي، في سبيل أن يحظوا بتقدير هنود آخرين يشبهونهم. فيعتقدون بأن ذلك هو طريق التحضر والرقي. لكن ما لا يدركه أولائك «الأبرياء السذج ..أنهم لا يزالون في عالم امبريالي.»[٦٦]

صدام الماضي والحاضر، وصراع الأجيال

تشي هذه الرواية للجائل بين سطورها بنوع من التقابل الزمانيبين الماضي والحاضر، على غرار التقابل بين الشخصيات، وبين الأمكنة. فيدرك القارئ أن الروائية اختارت أن تخلق شخصيات تنتمي إلى ثلاثة أجيال متتالية، لكي تكشف عن التطورات التي حصلت في حياة الهندي، وفي بلاده بمرور الزمن. صحيح أن المنتمين إلى نفس الجيل هم أنفسهم لا تجمعهم نفس القناعات والمبادئ والطموحات. كجيان وساي اللذين لم يتفقا قط على مفهوم الحضارة، التي تراها ساي في اللغة

٦٤نفسه، ص.٢٨٢

٦٥نفسه، ص.٥٠

٦٦نفسه، ص. ٢٨٢

الإنجليزية والخضراوات الإنجليزية والشوكولاتة والجبن وكل المنتجات الغربية المستوردة.. أما جيان فكان له رأي آخر. كان لا يألو جهدا في التعبير عن احتقاره لكل ما هو غربي. فيخاطب ساي كلما سنحت الفرصة لذلك: « أنتم تشبهون العبيد، تقلدون الغرب..وبسبب وجود أناس مثلكم، فلن نحصل على مكان أو على أي شيء[٦٧] ».

أما الهنود الذين ينتمون إلى أجيال مختلفة، فهم مهما حاولوا إخفاء ذلك، يظهرون نفورا أكبر لبعضهم البعض. ومثال ذلك علاقة جيموباي بحفيدته ساي، التي كانت علاقة غريبة لا تغلب عليها المشاعر التي تربط في العادة الجد بحفيدته. فلم يكن يجمع بينهما أي حديث، ولا كان أي منهما يبدي اهتماما بما يفعله الآخر. أو بما لا يفعله. وكان جيموباي منغلقا على نفسه، ومنعزلا. بينما أحبت ساي الانفتاح على الآخرين وربط علاقات جديدة. فتمسكت بكل من أبدى لها الحب والاهتمام. وربما كان الشيء الوحيد الذي يجمع بينهما هو التطبع بالثقافة الإنجليزية. حيث كانت ساي «هندية ذات سمات غربية بتأثير رعاية راهبات انجليزيات .. هي هندية غريبة تعيش في الهند.» [٦٨] مثل جدها تماما، الذي أحس منذ عودته من إنجلترا بأنه غريب داخل الهند.

الخاتمة

قادتنا دراسة صورة الآخر في الرواية إلى الاقرار بأنها ليست صورة بالمعنى التشابهي، أي أنها تشبه الواقع وتحاكيه. بل هي صورة مرجعية، تتشكل انطلاقا من أفكار وتصورات موجودة مسبقا في ذهن الكاتب، الذي ينتمى إلى الثقافة الناظرة، عن الثقافة المنظور إليها، أو يعرف عنهما معا. وإن انتماءها الحقيقي هو العالم

٦٧نفسه،ص. ٢٣١

٦٨نفسه،ص.286

المتخيل الرمزي. وتبعا لذلك يمكن أن نعتبرها وليدة المتخيل الاجتماعي. فيكون بذلك عرض الشخصية«في كثير من الأحيان عائدا للأديب نفسه ولطريقته في رسم الشخصيات الثانوية والرئيسة.. في حيويتها واندماجها بواقعها أو نفورها منه، في سيطرتها على الحدث وانجذاب القارئ اليها[٦٩]

وقد مكنت دراسة الصورة الروائية من وضع خط فاصل بين الأنا والآخر. فأظهرت نوعا من التميز الذي يسم كلا منهما. لكن، بينما يكون الانفتاح في العلاقة بين الطرفين في العادة طريقا إلى فهم الآخر والذات على حد سواء. اتخذ الانفتاح على الآخر في الرواية مجرى معاكسا. فلم تكن محاولات الأنا الذي يمثله الهندي في الرواية، الاقتراب من الآخر لفهم أفضل للذات والغير والعلاقة بينهما. وتمييز الذات عن المختلفين والمخالفين لها. بل نُظر إلى الغربي باعتباره مثالا يحتذى، لا يجب إلا أن يُقلَّد ويُتَّبع. لأنه مصدر المعرفة والحضارة والتقدم. فوصلت الأنا إلى مرحلة من التعلق والانبهار بالآخر، لدرجة نسيت فيها ذاتها، واحتقرتها فقط لأنها لا تشبه آخرها، ولا تستطيع تحقيق ما يحققه.

فنخلص إلى أن ما ميز صورة الهندي في الرواية هو الإحساس بالنقص الذي يولده النظر إلى غيره. يعرف بأن الآخر يستغله ويحتقره، وبأنه أخذ منه حين كان مستعمرا، ولازال يفعل للآنَ. يدرك كذلك بأن الغربيين «يذهبون بعد آن يحصلوا على كل شيء.. البيض الملاعين.. سبب كل جرائم القرن.. يمكنهم القيام بأعمالهم القذرة وهم في البعيد..[٧٠] » ولكنه ينسى كل ذلك، ويتحين أية فرصة لينسلخ من هويته، ويلبس ثوب الحضارة الغربية. غير مدرك بأن ذلك سيكون سببا في جعله منبوذا في بلده وفي بلد غيره

٦٩ المعوش (سالم): صورة الغرب في الرواية العربية، مرجع سابق، ص. ٣٩

٧٠ديساي(كيران): ميراث الخسارة، مرجع سابق، ص.٨٣

المصادروالمراجع

- ✓ ديساي(كيران): ميراث الخسارة، ترجمة أحمد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م.
- ✓ ذاكر(عبد النبي): المغرب وأوروبا نظرات متقاطعة، جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلومالإنسانية، أكادير٢٠٠٦م.
- ✓ هنري باجو (دانييل): الأدب العام والمقارن، ترجمة: غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،١٩٩٧م.
- ✓ أنقار (محمد): بناء الصورة في الرواية الاستعمارية، صورة المغرب في الرواية الاسبانية، مكتبة الإدرسي، تطوان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- ✓ المعوش (سالم): صورة الغرب في الرواية العربية، السلسلة الأدبية، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ✓ أولمان (ستيفن) الصورة في الرواية، ترجمة رضوان العيادي ومحمد مشبال، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م.
- ✓ بيشوا (كلود) و م. روسو (أندريه): الأدب المقارن، ترجمة الدكتور أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ٢٠٠١م.

المراجع الأجنبية

- ✓ PAGEUX (Daniel-Henri) De L'imagerie culturelle à L'imaginaire, Précis de la littérature comparée, Sous la direction de Pierre Brunel et Yves Chevrel , Presses universitaires de la France, 1989.
- ✓ Marc Moura (Jean) :L'image du tiers monde dans le roman français contemporain , Presses Universitaires de France ,première édition, paris, 1992.

صورة المرأة الهندية
بين الأدب الهندي والأدب العربي

الأستاذ.سامي بن عباد الطويرقي، معلم اللغة العربية
المدرسة بثانوية الأقصى- تعليم الطائف-السعودية

ملخص البحث

هدفت الورقة إلى تناول صورة المرأة الهندية بين الأدب الهندي والأدب العربي من خلال ثلاثة محاور رئيسة وهي: أولاً: العلاقة التأثيرية بين الأدبين الهندي والعربي. ثانياً: وصف المرأة الهندية في الأدب الهندي. ثالثاً: وصف المرأة الهندية في الأدب العربي وتحديداً أدب الرحلة، حيث استعرض الباحث صورة المرأة الهندية في كتابات الكتاب المصريين وهم (نوال السعداوي وأمينة سعيد وأنيس منصور).

وقد توصلت الورقة إلى أن العلاقة بين الأدب العربي والأدب الهندي علاقة تفاعلية تبادلية حيث ساهمت اللغة العربية بدور مهم في تعزيز الانسجام الطائفي وحماية الهوية الثقافية والإسلامية في الهند، كما أن الأدب الهندي أثر في الأدب العربي وحركة التأليف ولعلمائهم جهود ملموسة في تعزيز انتشار اللغة العربية والأدب العربي، كما أن ازدهار حركة الترجمة التبادلية ساهمت في هذا التأثير، وعن المرأة الهندية في الأدب الهندي نجد أن الأدب الهندي ناقش القضايا الاجتماعية والثقافية الخاصة بالمرأة من حيث تعليمها وثقافتها والإشارة إلى إنجازاتها ومكانتها في الحياة الأسرية والمجتمعية، وفي المقابل ركزت الكتابات السردية في الأدب العربي على وصف حياتها وحقوقها وقضاياها من منظور الحركة النسوية.

المقدمة

إن العلاقة بين اللغة العربية والهند علاقة قديمة بقدم التاريخ، فقد رجح المؤرخون والكتاب أن دخول اللغة العربية إلى الأراضي الهندية قد سبق العصر الإسلامي من خلال العلاقات التجارية في بادئ الأمر ثم استمر انتشار اللغة العربية من خلال الفتوحات الإسلامية، كما ساهم في العلماء والشيوخ الذين أتوا إليها في انتشار اللغة العربية من خلال نشرهم رسالة الإسلام في أنحائها.

تشهد الهند تنوعاً وتعدداً لغوياً نظراً لترامي أطرافها واختلاف الأعراق فيها، وبالرغم من أن اللغة العربية لم تكن لغة رسمية، إلا أنها أثبتت وجودها في شبه القارة الهندية، فهي لغة المدراس والجامعات وأهلها يتكلمون بها وينشرونها، وقد انتشرت في أوساط العلماء والمدارس الدينية والجامعات العصرية انتشاراً كثيراً حيث أقيمت لها معاهد وأقسام خاصة، كما قام علماء الهند بجهود جبارة في سبيل خدمة لغة الضاد، فترك العلماء الهنود بصمة واضحة في كل مجال من مجالات الأدب العربي والعلوم الإسلامية، فنهض من أرض الهند على مر العصور مفسرون ومحدثون وفقهاء وأدباء وشعراء عرفوا بفصاحة اللسان العربي المبين، قاموا بأدوار رائدة في مجالاتهم المتخصصة.[٧١] (الفاروقي، ٢٠١٥؛ والندوي، ٢٠١٤؛ ونعمان خان، ٢٠١٤)

أولاً: العلاقة التأثيرية بين الأدبين الهندي والعربي

بدأت فترة تأثر العرب والعربية في الهند ما بين القرنين السابع والعاشر الميلادي وسميت تلك الفترة بالعصر الذهبي، وقد تميزت هذه الفترة بأنها مرحلة الحوار الثقافي؛ حيث بلغت العلاقات ذروة جديدة خاصة بالمجالات الفكرية والثقافية والأدبية أثناء

[٧١] الفاروقي، زبير أحمد. (٢٠١٥).دور الهند في نشر اللغة العربية. محرر في [الثقافة العربية في الهند] مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية ١٥/٢

العصر العباسي، حيث لعبت الترجمة دوراً هاما في نقل العلوم والفنون الأدبية الهندية إلى اللغة العربية، بالإضافة إلى ما سجله السياح العرب من انطباعات ساهمت بشكل أو بآخر في نقل الثقافة الهندية إلى العالم العربي.

وفي المقابل أنجبت الهند كثير من المؤلفين النابغين في العربية، وكان للحكومة العربية في السند بقيادة محمد بن القاسم الثقفي دوراً مؤثراً في انتشار اللغة العربية في المناطق الهندية ، وبذل العلماء جهداً كبيراً لحفظ اللغة العربية ونشرها وتطويرها في ربوع الهند من خلال التأليف في العربية وتصنيف الكتب في العربية نفسها بدلاً من ترجمتها إلى اللغات المحلية في الهند، وقدموا موضوعات متنوعة دينية ولغوية وأدبية، ولكن في تلك الفترة كان مفهوم الأدب العربي مقتصراً على الموضوعات الدينية، أما الفنون الأدبية فالتفت إليها جيل العصر الحديث الذين تعلموا الآداب الأخرى وتأثروا بالمذاهب الأدبية الحديثة.[٧٢]

وتمثل اللغة العربية جوهر الهوية الإسلامية وأحد عناصرها، وبالتالي ساهمت اللغة العربية في حفظ الهوية الإسلامية في الهند وذلك من خلالأن اللغة العربية حافظة للثقافة العربية والإسلامية فاحتوتها وتناقلتها، فبواسطة نشر اللغة العربية في الهند انتشر الموروث الثقافي العربي، وساعد تعلمها على تعلم الدين وفهم علومه، وساعدت الترجمة التبادلية بين الموروث العربي والموروث الهندي، على مد الجسور الثقافية والمعرفية واستمرار التبادل الثقافي والأدبي والحضاري.[٧٣]

وازدهرت الترجمة من اللغة العربية وإليها بعد استقلال الهند، حيث قامت المنظمات الهندية بترجمة الكتب العربية إلى اللغات الهندية مثل أكاديمية الآداب في

٧٢ جسيم الدين، محمد. (٢٠١٥) الأدب العربي في الهند وترجمته إلى اللغات الهندية، محرر في [الثقافة العربية في الهند] مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية. ص٥٢٩

٧٣ غالب، عبد السلام حمود. (٢٠١٥). اللغة العربية ودورها في حماية الهوية الإسلامية في الهند. محرر في [الثقافة العربية في الهند] مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية. ص٥٥٢

دلهي حيث بدأت بمشروع ترجمة الكتب الأدبية، واضطلع المجلس الهندي للعلاقات الثقافية بنيو دلهي بترجمة الكتب من العربية وإليها، وماثله كذلك مركز الثقافة الهندية العربية التابع للجامعة الملية الإسلامية بنيودلهي.

وأطلقت في العالم العربي عدد من المشاريع لترجمة الكتب الهندية إلى اللغة العربية حيث ترجم المركز القومي بالقاهرة تحت إشراف وزارة الثقافة ما يقرب ٢٥ كتاباً، كما ترجمة هيئة أبو ظبي للثقافة والسياحة ٣٥ كتاباً أدبياً وثقافياً هندياً للغة العربية[٧٤].

وفي الأدب العربي الحديث ترجمت عدد من الأعمال الأدبية العربية إلى اللغات الهندية كبعض كتابات نجيب محفوظ وعبقريات العقاد وأهم روايات ومسرحيات توفيق الحكيم ومنظومات محمود درويش غيرها، بينما تمثلت ترجمة النصوص الأدبية الهندية إلى العربية كأعمال محمد إقبال وأعمال طاغور، وترجم وديع البستاني بعض النصوص من غيتا وبعض النصوص من ملحمة رامايانا.

ولم يقتصر الأمر في التأثير المتبادل بين العربية والهندية على جهود المسلمين من الهند، بل قدم المصلحون والوطنيون من الفئات غير المسلمة في الهند خدمات عديدة في اللغة العربية، وأسهمت إسهاماً فعالاً في بناء الهند ونهضتها وإصلاحها وتوطيد علاقاتها مع الدول العربية، فكانت اللغة العربية مثالاً حياً للانسجام الطائفي الذي كان يسود الهند منذ قرون.[٧٥]

ويمكن إيجاز علاقة التأثر والتأثير بين اللغة العربية والثقافة الهندية فيما يلي:

١- تأثر الأدب العربي بالأمثال الهندية والحكايات القصيرة والروايات فعلى سبيل المثال صنفت بعض المؤلفات العربية بطريقة رواية كليلة ودمنة وهي كتاب هندي

٧٤ نعمان خان، محمد. (٢٠١٤). دور النشر والمؤلفات العربية في الهند. [ورقة علمية]، ندوة مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية (اللغة العربية في الهند)، المملكة العربية السعودية، ٤٦٨ص

١-عالم، مظفر. (٢٠١٥). دور اللغة العربية في الانسجام الطائفي. محرر في [الثقافة العربية في الهند] مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، ص٤٨٦

الأصل ومن هذه المصنفات (ثعلبة وعفرة) لسهل بن هارون، و (القائف) للمعري، و(كشف الأسرار عن حكم الطيور والدواب والأزهار) للمقدسي.

٢- أفادت اللغة العربية من اللسانيات الهندية حيث روى البيروني عن بداية علم النحو كما اطلع العرب على علم العروض الهندي حيث ذكر البيروني أن الخليل بن أحمد سمع أن للهند موازين في الأشعار، كما وجدت في مواضع مختلفة في الكتب الأدبية العربية أقوال أهالي الهند البلاغية حيث تميزت بلاغة الهند بأنها ضابطة للمعنى الذي لا تقوم به إلا العبارات الطويلة في عبارات قصيرة وفي ذلك قال التنوخي " إن في البلاغة الهندية إطناباً، وفي بلاغة العرب إيجازاً". (عالم ، ٢٠١٦)

٣- كان للغة العربية أثر بارز في اللغات الهندية حيث ظهرت لغة مستقلة لأهالي منطقة كيرالا الواقعة على الساحل الجنوبي العربي سميت بماليالم العربية، كما تأثرت اللغة الأردية باللغة العربية في نواحي عدة منها الخط والأصوات والمفردات والأبنية والتراكيب والعروض، وغير هذه الكثير من اللهجات واللغات الهندية حيث زخرفت بمفردات العربية وألفاظها.

٤- نبوغ عدد من العلماء في الهند الذين ألفوا باللغة العربية في العلوم الإسلامية واللغوية ومنهم صديق حسن خان الذي ألف ٥٦ كتاباً ذات قيمة علمية منها "البلغة في أصول اللغة"، كما ألف عبد الحي بن عبد الحليم اللكهنوي عدداً من المؤلفات بلغت العربية ٨٦ كتاباً، ولايزال كتابه " الفوائد البهية" عمدة المؤلفين في تراجم علماء المذهب الحنفي ومرجعهم.

٥- وكان للأدب بقسميه النثر والشعر نصيب وافر، حيث ظهر منهم شعراء ملكوا ناصية البيان من أمثال " عبد المقتدر الكندي" و" أحمد التهانيسري" و"غلام علي آزاد البلجرامي".

٦- الاهتمام بتعليم اللغة العربية وتعلمها في الهند حيث بذلت المدارس الأهلية العربية، والأقسام الخاصة بدراسة اللغة العربية في الجامعات الحكومية جهوداً في العناية باللغة العربية تدريساً وتأليفاً، كذلك الاهتمام بنشرها وإحيائها من خلال المجلات والصحف العربية التي أصدرت في الهند منها مجلة البيانومجلة الضياءومجلة ثقافة الهند، كما خصصت الدولة جائزة سميت بـ " جائزة رئيس الجمهورية التقديرية" لتشجيع الباحثين في مجال اللغة العربية.[٧٦]

ويتضح مما سبق، ارتباط العلاقات بين العرب والهند من القدم عن طريق الروابط التجارية، كما ساهم الإسلام وانتشاره في اتساع رقعة التبادل والعلاقات لتشمل المجالات الثقافية والأدبية، وازدهرت حركة الترجمة التبادلية من اللغة العربية وإليها، وقد بذل علماء ومؤلفي الهند جهوداً ملموسة في العناية باللغة العربية تعليماً وتأليفاً، واتسم إنتاجهم في اللغة العربية بالغزارة والإبداع، مما أدى إلى توثيق الروابط الثقافية والأدبية والاجتماعية بين اللغة العربية وأبناء الهند، وميلهم إلى الحفاظ عليها والعناية بها وإثرائها وإنمائها بهدف الحفاظ على الهوية الإسلامية وبما يحقق الانسجام الطائفي في الهند، في المقابل اهتم العالم العربي بالثقافة الهندية وترجمتها والاستفادة من علومها وآدابها الغنية والقيمة.

ثانياً: وصف المرأة الهندية في الأدب الهندي:

يمكن القول أن تغير الأوضاع السياسة والثقافية والاقتصادية والاجتماعية في الهند الحاصلة أثناء حكم المغول ومروراً بالاستعمار وانتهاءً بالاستقلال ساهمت في تطور الأدب الهندي، ويشير رضا (٢٠١٤) إلى أن نزعات الناس وميولهم إلى المتلقي (الجمهور) لعبت دورا أساسيا في تشكل الرواية الأردية وتطورها، فأصبحت النساء يمشين بجانب الرجال في كل شؤون الحياة. فلا يمكن لنا أن ننكر الدور المتزايد لمكانة

[٧٦] مالاني، ألطاف أحمد. (٢٠١٦). الشعر العربي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية.٢٠١٦

المرأة في نشأة الرواية، فهناك شواهد كثيرة تشير إلى بواكير "نزعة نسائية" بدأت في التشكل خلال القرن العشرين، وبخاصة بعد أن شاعت نظرة جديده إلى المرأة وهي الدعوة إلى تثقيف المرأة ونشعر من خلال ذلك بالاهتمام الذي يوليه المجتمع الجديد لمكانة المرأة.

وفي سياق متصل يشير القاسمي (٢٠١٤) إلى دور المرأة الهندية في تطور الأدب الأردي وفنونها وإثرائها، ومنهم: بابر جهان أرا بيغم، قرة العين حيدر، واجدة تبسم، رشيد جهان، جيلاني بانو، هاجرة نازلي، أمة الله تسنيم، وغيرهم من الأدبيات والشاعرات اللواتي ساهمن في إثراء أدب اللغة الأردية بأساليب شتى.[٧٧]

وبالنظر إلى الإنتاج الأدبي لنازلي يلاحظ أن موضوعات رواياتها وقصصها القصيرة كانت تتمحور حول قضايا المرأة ومشكلاتها المستوحاة من الواقع، وظهر اهتمامها بالجانب الأخلاقي الإسلامي للمرأة، فهي تؤمن أن التعليم المنزلي الهادف والتربية الصالحة تجعل المرأة الهندية ناجحة ومحققة للأهداف التي خلقت من أجلها، فجميع كتابتها جاءت مستندة إلى مبادئ إسلامية هادفة وأسس أخلاقية حميدة وقيم أدبية سامية تدعو إلى بناء مجتمع سليم، وبالتالي فقد وظفت نازلي كتاباتها في تربية بنات المسلمين على مبادئ الخير والأمانة والشرف والصدق. فظهرت صورة المرأة الهندية في كتابات نازلي في صورة أخلاقية مشرفة تتمثل في أبعادها قيم ومبادئ الدين الإسلامي؛ فالبنات لا يظهرن أمام الأجانب دون حجاب، والأبطال والبطلات لا يختلطن ببعضهم دون قيد أو شرط، حتى أن الحوار ينم عن أدب جم واحترام كبير.[٧٨]

ومن منظور نقدي ركزت سبيفاك[٧٩] على دراسة المرأة من خلال دراسات التابع فاهتمت بالدفاع عن المرأة الشرقية والاهتمام بالأدب والثقافة، والتركيز على العلاقات

[٧٧] القاسمي، محمد نجيب. (٢٠١٤). الجانب الخلقي في الأدب القصصي عند هاجرة نازلي. مجلة الأدب الإسلامي. ، ٢١(٤)، ٤٦-٥١. (ص٤٧)

[٧٨] والمرجع نفسه

[٧٩] منظرة وناقدة هندية لخطاب ما بعد الاستعمار ساهمت من خلال أعمالها في إعادة تعريف المناهج التقليدية والأنماط المتعارف عليها في التحليل الثقافي

النصية المتمثلة بالأدب واللغة، وقد طورت سبيفاك جوانب حيوية في مجال دراسة المرأة، فظهر من خلال أعمالها أن المرأة لم تكن تابعاً فقط بسبب هيمنة المفاهيم الاستعمارية، بل أنها تابع بفعل الثقافة الذكورية، وقد عملت على إنصاف المرأة من خلال دراساتها والنظر إليها كائناً اجتماعياً فعالاً في مجتمعات بدأت ببطء تستعيد استقلالها الفكري.[٨٠]

وفي ضوء ما سبق، يمكن القول أن المرأة وقضاياها ومشكلاتها في المجتمع الهندي كانت موضوعاً خصباً تناوله الأدب الهندي من زوايا متعددة، فقد تناولت نازلي الجانب الأخلاقي الإسلامي للمرأة الهندية ووجهت أدبها لتربية بنات الهند على القيم والمبادئ الإسلامية، وصورت المرأة الهندية بأنها مرأة صالحة تهتم بواجباتها ولها دورها وكيانها ومكانتها الذي ضمنته لها الشريعة الإسلامية، كما دافعت سبيفاك عن المرأة الشرقية وتحديداً المرأة الهندية التي عانت في فترة الاستعمار ومن الثقافة الذكورية وسعت نحو تمكينها.

ثالثاً: وصف المرأة الهندية في الأدب العربي

لقد تناول الأدب العربي الهند وثقافته وقضاياه أما عن صورة المرأة الهندية فكان لها أدب الرحلة منبراً، حيث تطرقت بعضها إلى تصوير المرأة الهندية وظهر ذلك في كتابات الكتاب المصريين (نوال السعداوي وأمينة سعيد).

وتعد كتابة تاريخ المرأة من واقع تجاربهن وأصواتهن من أكثر الموضوعات إثارة للجدل في الأدب النسوي، وتعد المرأة وحريتها وقضاياها فكرة أساسية للسعداوي تدور حولها معظم كتاباتها، لذلك أشارت إلى شكلها وتقاليدها وسيطرة الذكور على الإناث داخل المنزل وخارجه بالنسبة للبعض، فالنساء الهنديات يرتدين الساري والنقطة

٨٠ شمناد، ن . (٢٠١٤). غايتري سبيفاك: منظرة هندية لخطاب ما بعد الاستعمار، مجلة ثقافة الهند. ٦٥(١)، ٢٦-٤٢.

الحمراء في منتصف الجبهة التي بقيت من عادات دينية هندية، ثم أصبحت زينة للنساء أو الرجال في بعض أنحاء الهند .[٨١]

وأن الفلاحات في المنطقة الجنوبية من الهند يعملن في حقول الشاي طيلة النهار منذ بزوغ الفجر حتى الغسق حيث رأت النساء يرتدين الساري والبعض الآخر نصف ساري فقط. وأن المرأة المتزوجة تتميز بارتدائها الساري كاملاً، وإنهم يتزوجون في سن مبكر جدًا ويعملون طوال اليوم، وعندما يعودون إلى المنزل في نهاية اليوم يطبخون وينظفون المنزل ويغتسلون[٨٢] .ثم تبين السعداوي اختلاف آراء بعض النساء والرجال في الساري قالت بعض النساء إن الساري يوجد فيه شيء من الأنوثة، بينما قالت بعضهن إن الساري يميز النساء الهنديات عن غيرهن من النساء في العالم.[٨٣]

ومن خلال محادثة جرت بين السعداوي ورئيسة وزراء الهند إنديرا غاندي، ذكرت بعض النقاط التي تصور حياة المرأة الهندية ومكانتها ومنها:

- النساء الهنديات يشاركن في جميع القطاعات الحيوية في الهند.
- المساواة بين الرجل والمرأة في الهند لها تاريخ فلسفي قديم، وقد أثبتت النساء أنهن قادرات على العمل والتضحية.
- المرأة الهندية في الحياة الواقعية أكثر احترامًا وإيجابية وكفاحًا وتقدمية، لكن الأفلام الهندية تظهر المرأة بصورة رجعية؛ ولا تتدخل الحكومة في شؤون السينما لأنها مجانية في الهند.
- جميع القوانين هي نفسها بالنسبة للنساء والرجال، ولكن يجب على المنظمات النسائية والنساء أنفسهن تطبيقها في الحياة[٨٤].

٨١السعداوي، نوال، رحلاتي في العالم، ص : 210 -213.

٨٢المصدر نفسه ص : 224.

٨٣المصدر نفسه ص: 225.

٨٤المصدر نفسه ص: 206

وذكرت السعداوي تقاليد تتعلق بالمرأة الهندية، فالمرأة تعطي مهرًا لزوجهاوهو ما يرجع إلى عقلية الرجل الهندي الذي يعتبر المرأة أقل شأناً، كما أن المرأة لا تجلس في حضور رجل[٨٥]، وإذا مات زوجها تحرق نفسها؛ لأن الأرملة تعتبر سببًا للكراهية والبلاء، وتتعامل أحيانًا على أنها ساحرة شريرة[٨٦]..، ويعتقد الكثير من الرجال الهنود أن المرأة خُلقت للشؤون المنزلية، وأن قدرتها العقلية تجعلها غير صالحة للعمل وتولي مقاليد الحكم، على الرغم من أن (إنديرا غاندي) كانت تحكم الهند في ذلك الوقت[٨٧].

ومن التقاليد التي ذكرتها السعداوي كذلك أنه في بعض مناطق جنوب الهند، تتزوج المرأة أحيانًا بأكثر من رجل، لأن نسب الأبناء لا يهم الأب كثيراً.[٨٨] وتكون المرأة ذات سيادة في بعض أجزاء جنوب الهند، حيث يُنسب الأطفال إلى أمهاتهم، وترث البنات أرض الأم، وتشمل مكانة المرأة في هذا المجتمع الأمومي الحياة والعلوم والفنون في جوانب مختلفة.[٨٩].هذه بعض العادات والتقاليد الغريبة التي ذكرها الكاتب السعداوي، وهذه التقاليد ليست شائعة في جميع أنحاء الهند إنما قبلية وغير متجانسة، ويمارسها عدد قليل جدًا من الناس. يبدو أن السعداوي ذكرت هذه التناقضات بشكل غير صحيح، وحاولت انتقاد المجتمع الهندي بقسوة، مشيرة إلى وجهة نظرها النسوية.

أما أمينة سعيد فقد زارت الهند لحضور مؤتمر المرأة الهندية الذي عقد في حيدر أباد[٩٠]، وسجلت ملاحظات عن المرأة الهندية، فأشارت إلى أن آلام المرأة الهندوسية لا تقف عند هذا الحد بل تتعداه إلى تقاليد الزواج فهي تخطب

[٨٥] المصدر نفسه ص: 225

[٨٦] المصدر نفسه، ص: 227.

[٨٧] المصدر نفسه، ص: 228

[٨٨] المصدر نفسه، ص: 226.

[٨٩] المصدر نفسه، ص: 229.

[٩٠] السعيد، أمينة، مشاهدات في الهند. ص :23

الرجل، وتمهره مبلغاً من المال يرتفع وينخفض تبعاً لمركزه وقد ينخفض في حال كانت المرأة على نصيب يذكر من الجمال[٩١] "والعادة الشائعة أن يبعث أهل الفتاة رسولا لخطبة الشاب الذي يختارونه، فتدور المباحثات المالية أولا، وعليها يتوقف القبول أو الرفض. ويغالي شباب الهندوس في تقدير الصداق مغالاة جعلت من الزواج تجارة رابحة، دفعت ببعض الآباء إلى الانتحار، لعجزهم عن توفير المال اللازم لزواج بناتهم"[٩٢] فانتقدت أمينة سعيد نيل الهندوس من قدر النساء بهذه العادات والتقاليد التي أدت إلى انتحار العديد من النساء الهندوسيات.

والمرأة الهندوسية "لا ترث أبدا، فإن توفي زوجها أو والدها لا تصيب شيئا من ماله مهما عظم؛ وتضطر في مثل هذه الحالة لأن تعيش كلاً على أفراد أسرتها، إلا إذا كانت متعلمة، وأرادت الاستقلال، فإنها تقتحم الحياة العملية، وتكتسب رزقها بعرق جبينها.ومن أجل ذلك تقبل الهندوسيات على التعليم بشغف، فتكون الأمية بينهن أقل منها في المسلمات، ولكن نسبة التعليم ما زالت ضئيلة، والمثقفات قليلات، وأكثر النساء يذقن الأمرين من جراء هذا الغبن الاجتماعي الصارخ؛ مما يدفع أرامل كثيرات إلى الانتحار "[٩٣]

كما أشارت أمينة إلى أن الدين الإسلامي منحالمرأة الهندية المسلمة حقوقاً كثيرة لكنها لا تستفيد منها؛ فبحكم الجيرة والحياة المشتركة اقتبس مسلمو الهند بعض العادات الهندوسية، فهم مثلاً لا يورثون المرأة عملاً بقانون التقاليد المعترف به رسمياً في البلاد.

وقد أثنت أمينة على المرأة الهندية "في الواقع أن نساء الهند ملأن قلبي بالإعجاب، وهن يتوالين على المنصة كل صباح ومساء، فيناقشن أعظم الموضوعات

[٩١] المصدر نفسه ص: 71

[٩٢] المصدر نفسه ص: 72

[٩٣] المصدر نفسه ص: 71-70

حيوية بحكمة وذكاء وسعة اطلاع؛ فكنت أحس في بعض الأحيان أنني أمام عقول جبارة صافية، لا بد أن تصل إلى أهدافها عما قريب" [٩٤]، كما تشير إلى أن المرأة الهندية المتعلمة برغم ما تتعرض له من ظلم وحرمان من الحقوق إلا أنها تقوم بواجبها الكامل نحو بلادها

الخاتمة

وفي ضوء الاستعراض السابق يمكن القول أن العلاقة بين الأدب العربي والأدب الهندي علاقة تفاعلية تبادلية حيث ساهمت اللغة العربية بدور مهم في تعزيز الانسجام الطائفي وحماية الهوية الثقافية والإسلامية في الهند، كما أن الأدب الهندي أثر في الأدب العربي وحركة التأليف،ولعلمائهم جهود ملموسة في تعزيز انتشار اللغة العربية والأدب العربي، كما أن ازدهار حركة الترجمة التبادلية ساهمت في هذا التأثير، وعن المرأة الهندية في الأدب الهندي نجد أن الأدب الهندي ناقش القضايا الاجتماعية والثقافية الخاصة بالمرأة من حيث تعليمها وثقافتها والإشارة إلى إنجازاتها ومكانتها في الحياة الأسرية والمجتمعية، وفي المقابل ركزت الكتابات السردية في الأدب العربي على وصف حياتها وحقوقها وقضاياها من منظور الحركة النسوية .

المصادروالمراجع

- ✓ **جسيم الدين، محمد. (٢٠١٥) الأدب العربي في الهند وترجمته إلى اللغات الهندية، محرر في [الثقافة العربية في الهند] مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية.**
- ✓ **رضا، محمد شاكر. (٢٠١٤). فن الرواية الأردية: النشأة والتطور. مجلة ثقافة الهند.٦٥(١)،**
- ✓ **السعداوي، نوال. (٢٠٠٦) رحلاتي في العالم، القاهرة: مكتبة مدبولي.**
- ✓ **سعيد، أمينة. (١٩٤٦). مشاهدات في الهند، مصر: دار المعارف للطباعة والنشر.**

[٩٤] المصدر نفسه ص: 63

✓ شمناد، ن . (٢٠١٤). غايتري سبيفاك: منظرة هندية لخطاب ما بعد الاستعمار، مجلة ثقافة الهند. ٦٥(١)، ٢٦-٤٢.

✓ عالم، صهيب. (٢٠١٦). تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند. مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية.

✓ عالم، مظفر. (٢٠١٥). دور اللغة العربية في الانسجام الطائفي. محرر في [الثقافة العربية في الهند] مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية.

✓ غالب، عبد السلام حمود. (٢٠١٥). اللغة العربية ودورها في حماية الهوية الإسلامية في الهند. محرر في [الثقافة العربية في الهند] مركز الملك عبد الله الدولي

✓ الفاروقي، زبير أحمد. (٢٠١٥). دور الهند في نشر اللغة العربية. محرر في [الثقافة العربية في الهند] مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية.

✓ القاسمي، محمد نجيب. (٢٠١٤). الجانب الخلقي في الأدب القصصي عند هاجرة نازلي. مجلة الأدب الإسلامي. ٢١(٨٣)، ٤٦-٥١.

✓ مالاني، ألطاف أحمد. (٢٠١٦). الشعر العربي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية.

صوت التَّابع في نظريَّة مابعد كولونياليَّة في فكر النَّاقدة غياتري سبّيفاك

خولة عبسي، باحثة الدكتوراه والأستاذة المؤقتة
قسم اللغة و الأدب العربي بجامعة قالمة الجزائر

ملخص البحث

هذه الورقة تسليط الضَّوء على فكر النَّاقدة الهنديَّة غياتري سّبيفاك في تتبعها للحركة النَّقديّة المابعد كولونيالية في الأدب الهندي المعاصر ،وكيفية تبنيها للمنهج التفكيكي في قراءتها النَّقدية من خلال نظرية التَّابع و تعمقها في دراسة أوضاع المهمَّشين و التَّابعين وقضايا المرأة في المجتمع الهندي ،نحاول من خلال هذه الدّراسة العمل على الحفر الكَّشف في فكر النَّاقدة وكيف سعت من خلال مواكبتها للتحولات السياسيَّة و الاجتماعيَّة و التَّاريخيَّة أن تفرض ذاتها و فكرها ووجودها في مجتمع يرفض الصَّوت النسَّوي، كيف صورت التغيير القوميّ التاريخيّ و مواجهة الإستعمار البريطاني ،في ظل الاختلافات الطائفيَّة و الحزبيَّة والتَّشكل الميتافيزيقي لحضور التَّابع في الثقافة المحليَّة المابعد كولونيالية ، كما نهدف إلى إبراز مركزيَّة الهيمنة الغربيَّة في المنظومة الفكريَّة المعاصرة وذوبان الهوية وتقويض الأصل نحو بوتقة التعدد و الاختلاف (الثقافة المشتركة)،باعتبار الناقدة الهندية غياتري سبيفاك أيقونة الحضور النسوي للعالم الثالث في الغرب .

الكلمات المفتاحية :غياتري سبيفاك،مابعد كولونيالية ،نظرية التابع، الصوت النسوي.

المقدمة

تشكلُ الدراسات الثقافية والما بعد كولونيالية رؤية معاصرة ما بعد حداثية تستندُ في مفاهيمها على الانفتاح و التعددية الثقافية في انتاج المعرفة وقد تنوعت

متونها و مصطلحاتها في نقدها للمركزيات الغربية و مواكبتها للتحولات السياسية والإجتماعية و الثقافية لمجتمعات العالم الثالث، أين هيمنت المنظومات الفكرية الغربية على الهوية وقوضت الأصل نحو بوتقة التعدد و الاختلاف وراء التبعية الاستعمارية التي تشكل حضوراً بارزاً في الثقافة المحلية .

وكشفت لنا الدراسات المابعد كولونيالية علاقة التأثر بالمستعمر و التبعية التي لم يتخلص منها إلى يومنا هذا، فكل أشكال الهيمنة أصبحت تتشكلُ تحت رداء العولمة وتتضمن لمفاهيم استعارية تختزلُ خبث الأنظمة الغربية و مناهجها في النيل على عقل الفرد في العالم الثالث ،وهذا لا يبرهن انعزال الفكر بقدر ما يوضح الممارسة المباشرة والتعددية الثقافية تعكسُ مدى نجاح هذه المقاربات المعاصرة "تقول ماري كلود سموت يعدُّ مابعد الكولونيالي عبارة عن مقاربة ،وعن مبادرة نقدية تهتمُ بشروط الانتاج الثقافي التي تطور المعارف الخاصة بالأنا والآخر ، كما تهتمُ بقدرة الإنهمام و بالفعل عند المضطهدين في سياق الهيمنة التفوقية(أشكالالهيمنة: النساء، المثليون، الأقليات..إلخ)"[٩٥]

هذا الأخير يوضح أن ما تبحث فيه الدراسات المابعد كولونيالية هي قضايا الهيمنة والمهمشين ف يالمجتمع وكل ذلك ثائرٌ بصوت النضال ضد الآخر ،عكس أن المكان شكل بؤرة في التداعي والتماهي في عمق الحقيقة ، فكان الصوت المنادي يعيش في اللامكان (غربة فردية واجتماعية)، إلا أنهم ينادون بصوت المهمش في المجتمع الأصل ،وهنا تعارض في المبدئ الوجودي ما بين الحضور و الغياب ،وقد شكلوا باحثين و مثقفين الأساس في الدراسات المابعد كولونيالية حيثُ أن المصطلح " انتشر ما بين مثقفي أوروبا و أمريكا بين جماعة من الباحثين تعودُ أصولهم إلى مستعمرات قديمة خاصة في الهند ، استقروا في الو.م.أ بعد أن تحصلوا على منح دراسية أبرزهم، ادوارد

[٩٥]:وحيد بوعزيز: جدل الثقافة(مقالات في الآخرية والكولونيالية و الديكولونيالية)، دار ميم،ط1، الجزائر،2018، ص:14.

سعيد، هومي بابا ، و غياتري شاكرافورتي سبيفاك وهذه الأخيرة تبعها المثقفون وهو بذلك يعيشون في غربة ذاتية وموضوعية"[٩٦].

١-المولد والنشأة و السيرة الأكاديمية

ولدت غيارتري شاكروفورتي سبيفاك سنة٢٤/٠٢/ ١٩٤٢ بكالكتا بالهند قبل سنوات من تقسيم الهند فترة اتسمت بالصراعات الدينية و السياسية وشهدت ظروف اجتماعية و اقتصادية بين البلدين الهند و باكستان التحقت بجامعة كالكتا سنة ١٩٥٧م وتخرجت بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى في الأدب الانجليزي ١٩٥٩م ثم كافأتها الجامعة برحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتكمل دراستها ، بدأت رحلتها الدراسية ١٩٥٩م في و.م.أ تخصص أدب مقارن حصلت على الماستر من جامعة كورنال Cornale ومع بداية الثمانينات انضمت إلى مجموعة التابع الهندية وقدمت نقاشات حول التاريخ الهند النخبوي الزائف وقدمت نقداً للعوائق التي تقفُ بوجه كتابة التابع وتاريخ المرأة بالدرجة الأولى ،اشتغلت أستاذ مساعد للأدب المقارن في جامعة(أيو) وهو العام الذي كانت تكمل فيه أطروحة الدكتوراه بإشراف بول دي مان Paul de Man أحد أهم أعلام جماعة ييل Yale للتفكيكية وكانت موضوع أطروحتها حول(وليام بيتلر بيتس)استثمرت كل معارفها وترجمت كتاب جاك دريدا Grammatology ofوكان لهُ الفضل في اهتمامها بهذا الجانب وتوجت بإصدارها لكتاب سنة ١٩٨٧ عوالم أخرى (مقالات في السياسة الثقافية)،ودراستها (هل يستطيع التابع أن يتكلم١٩٨٨)،ثم كتاب ناقد مابعد الاستعمار لقاءات واستراتيجيات وحوارات١٩٩٠ ،أيضا كتاب نقد عقل ما بعد الاستعمار١٩٩٩ ،ومقدمة المترجمة لجاك دريدا ،كتاب موت النظام ٢٠٠٣،وكتاب Other Asiais2005 ، كتاب جماليات التعليم في عصر العولمة٢٠١٢. ثم أن لها العديد

[٩٦]:مجموعة من الأكاديمين : العين الثالثة(تطبيقات في النقد الثقافي ومابعد كولونيالي)،إع: حياة أم السعد، تق: وحيد بن بوعزيز،دار ميم ، ط1، الجزائر ،2018،ص:56.

من الأعمال المترجمة و منها قصص مشهورة توزعت مابين ١٩٩٤ إلى ٢٠٠٢،(خرائط متخيلة ، قصص لمرضعات ، أغنية لكالي سلسلة، شوتي موندا وسهمهُ) ، ولديها العديد من المقالات و الحورات ، نذكر بعض من عناوينها الأساسية: الأخلاق و السياسة ٢٠٠٤، اعادة التفكير٢٠١٠،عالم بلا حدود٢٠١١، جرائم الهوية٢٠١٢، اتفاق عام٢٠١٤، عالمنا ٢٠١٤، ويبقى للباحث الدور في التنقيب حول حياة سبيفاك الأكاديمية وجميع أعمالها بالترتيب في كتاب قارئ سبيفاك للمحرر دونا لوندري إن كل هذه الدراسات النقدية ومقالات تؤسس للفكر السبيفاكي في إطار تجسيد مشروع تقصي واقع التابع والكفاح من أجل الاستقلال و من خلال تمرير أفكارها و اهتماماتها بالجوانب السياسية و الاجتماعية[٩٧].

٢-الفكر السبيفاكي و التفكيكية

عرفت الناقدة سبيفاك ثورةً معرفية وشكلاً من أشكال التمرد الخطابي المستبطن بأيديولوجيات غير معلنة، فهي ذلك الصوت المضاد الذي يسعى لاسترجاع مكانته الأصلية في عمق المجتمع وبلغة المستعمر واستندت فلسفتها في الحياة على التفكيكية كآلية و استراتيجية دفاعية في تفكيكها للأنساق المضمرة في الخطابات المابعدكولونيالية سواء الأدبية أو السياسية في المجتمعات الهندية أو الغربية.

كما أن كل من ادوارد سعيد و هومي بابا كان لهما الفضل في تبني فكر سبيفاك و وانتاج خطاب معرفي وفكري متصدي لأيديولوجية الاستعمارية الغربية وتشكيل خطاب مقاوم للهيمنة الغربية استطاع ادوارد سعيد أن يوجز لنا في دراسته الثقافة و المقاومة " الأسس الخطابية التي تقوم عليها الأيديولوجية الكولونيالية وراح يفسرُ أن المشهد

[٩٧] ياسين كريم: آليات نقد الخطاب الاستعماري عند الناقدة غياتري سبيفاك،أطروحة دكتوراه،جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢ ، ٢٠٢٠/٢٠١٩،

الكولونيالي و المنجز ينبثقان من استراتيجيات تصنيفية صارمة في مصادرة كلام الأنديجان(الأهالي)"[٩٨]

وهذه الاستراتيجيات الكولونيالية تفكك البنية الفكرية و الاجتماعية و الثقافية ،كما تعمل على الغرس الثقافي واعادة تصنيف وتمثيل للفكر وهذه تفقدُ المجتمعات انسانيتها و تاريخها وتصبحُ دولاً مسيرة من قبل أنظمة معرفية و تكنولوجية وماتحدث فيه الناقد و الفيلسوف عبد الوهاب المسيري في مشروعه النقدي الإستناري أين وضح "أن المشروع التحديثي الذي تنادي به الإستنارة المظلمة ويقصد هنا الدول الغربية هو مشروع تفكيكي يسعى إلى تفكيك الإنسان ورده إلى ما دونه وإلغاءه تماماً كمقولة متنقلة مركزية في النظام الطبيعي متجاوز لهُ"[٩٩] وهذه الأخيرة تفسرها سبيفاك في تبنها لمنهج التفكيك في مقاربتها للخطابات برؤية معرفية عكس ما يتبناه بعض المفكرين عن التفكيك وتقول " التفكيك ليس مجرد هدم هو بناء أيضاً ، إنهُ نقد تقاربي وليس نقداً افتراقياً، فأنت في الحقيقة تتحدث من الداخل هذا هو التفكيك، وقد قال أستاذي بول دومان مرةً لناقد عظيم آخر هو فردريك جيمسون" يافريد لا يمكنك تفكيك إلا من تحب" لأنك تنقدُ من الداخل بحب حقيقي"[١٠٠] تقدم سبيفاك قراءة نقدية في المقدمة في علم النحو de la Grammatologie وترجمتها إلى Of grammatology وتغوص في عمق الفكر الدريدي وتستنطق النص ببراعة وتشير من خلال المقدمة (مدخل إلى الجراماتولوجيا) إلى ترابط بين أفكار دريدا واستناده بالتيارات الفكرية الفلسفية التي تؤسس لوعي وجودي وكان لكل من هيجل ،نيتشه، جاك لكان ،هوسل هايدجر فرويد الأثر في ذلك تقول سبيفاك "إن التفكيك حركة تفكك نفسها إلى الأبد، حركة يسكنها الاختلاف المرجئ فلا نص مفكك أو مفكك تماماً وعلاوة على ذلك يحشدُ الناقدُ مؤقتاً مصادر النقد الميتافيزيقي وتقوم بما يظهر الفعل على أنهُ فعل

[٩٨]: وحيد بوعزيز : جدل الثقافة ، مرجع سابق،ص20

[٩٩]: علد الوهاب المسيري : دراسات معرفية في الحداثة الغربية ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط1، 2006، ص45.

[١٠٠]:حوارات مترجمة حوار ستيف بولسون مع غياتري سبيفاك: النقد التقاربي ،تر:محمد صلاح، مركز نماءص،04.

تفكيكي"[١٠١]،من خلال هذه النظرة التفكيكية التي تتبناها الناقدة هي العلاقة بين الثقافة المترجمة و ما تحاول أن ترسله في قناة مشفرة مشروطة بالتجربة المابعد استعمارية في حوارها مع سجال الحضارات ،فالترجمة سبيل في اختيار النص الذي يتلاءم مع ميولاتها الشخصية في اختزالها للفكر الغربي و كشفها الإدراكي بحيثيات الاستشراق المفكك فالغرب يسعى إلى التقرب من الشرق بكل الوسائل فكان مقال سبيفاك المشهور هل يستطيع التابع أن يتكلم Can the Sublterm Speak؟وضحت من خلاله كل أشكال الهيمنة و القضايا التي تركز عليها من جانب جدلية الهامش و المركز كما أنها تمثل صوت النضال النسوي المنادي بحقوق المرأة و حقوق المهمشين في المجتمع كما تظهر وسائل الأنظمة الغربية في إعادة إنتاج قوة العمل وإعادة إنتاج مهاراتها والقدرة على التلاعب بالأيديولوجيا الحاكمة بشكل صحيح للفاعلين من خلال الاستغلال[١٠٢] ، من خلال فكر سبيفاك صوت التابعSubaltern نطرح السؤال من هو التابع الذي تتحدث عنه سبيفاك؟

ثم تجيبُ عن تساؤلها من خلال اهتمامها بمواضيع المهمش "فالتابع Subaltern في فكر سبيفاك هو الفرد الذي يعيش ضمن مجموعة مهمشة غير قادرة على التعبير عن حاجاتها ورؤيتها ولا حتى كتابة تاريخها الخاص"[١٠٣] ،وهذا هو الواقع الذي يعيشه الفرد في الهند المستعمرة وعلى حد قول ماكس " إن الهند هي الضحية المخلوقة من أجل أن تُسلب و تُنهب؟ تاريخها كله هو تاريخ الغزوات المتتالية ،هو في الحقيقة تاريخ الغزاة المتتابعين الذين أسسوا إمبراطورياتهم على الأساس السلبي لذلك المجتمع الذي لا يقاوم و لا يتغير؟"[١٠٤]المجتمع الهندي الذي لم يرى النور إلا بعد ما

[١٠١]:غياتري سبيفاك وكريستوف نورس: صور دريدا (ثلاث مقالات عن التفكيك)،مر: ماهر شفيق،تر:حسام نايل، المشروع القومي للترجمة،2002،ص:109.

[١٠٢]: gayatri chkravorty spivak: can the sublterm Speak ?p ٦٨.

[١٠٣]: ياسين كريم: آليات نقد الخطاب الاستعماري عند الناقدة غياتري سبيفاك ، مرجع سابق،218.

[١٠٤]: المرجع نفسهُ ص:237.

تتابعت المستعمرات في خذلانه ولكن أيقظت الفرد في المجتمع من صفعة التاريخ الذي لا يرحم فحولت المكان الأصل إلى مؤسسة استعمارية تنهب الثورات و تؤسس لحضارة بريطانية فالمبتغى الأرض وتخليص الانسان من عاداته الوثنية حيث أن المجتمع الهندي تميز بمظاهر سلبية حولته إلى وسيلة و ألغت دور الانسانية في قيام المبادئ الاجتماعية فحينما يصف ماكس هذه النظرة بايديولوجية فهو بدوره " يرى المجتمع الهندي من الداخل لأنه لا يرى أي انجازات حضارية بل يجدُ حضارة قيدت الذهن البشري داخل أضيق نطاق ،محولة إياه إلى اداة طيعة للخرافات و جاعلة منه عبيداً ، وجعلت من القتل ذاته طقساً دينياً لدى الهندوس مجتمع موبوء بالطبقية و العبودية"[١٠٥] ، فهو يرى أن الاستعمار لديه الدور الايجابي في صحوة المجتمع الهندي فبقدر ما كان سلبيا في استحواذ الارض ونهب الثروات وبقدر ما كان في الجانب الايجابي ايجابياً في انقاذ الشعب من غباءه الموروث وايقاظه من غفلته فبفضل اللغة الانجليزية مثلا استطاعت سبيفاك أن تنجح و أن تثبت صوتها عالمياً ولولا (التضحية الايديولوجيةIdeological Victimage)في تنشئتها لما عُرفت الأن كصوتاً نضالياً باللغة الكولونيالية.

٣-الصوت النسوي وصراع الأيديولوجيا:

يحاول ادوارد سعيد الناقد الفلسطيني توضيح معالم الاستعمار الجديد فيقول: "إن الامبريالية كمفهوم لم يعد مفهوما سياسويا عاديا، بل أنه بات متضمن في العولمة"[١٠٦] ، أي أن العولمة أصبحت تمارس نوعا من الامبريالية المباشرة من خلال الوسائل التكنولوجية والرسائل المشفرة، التي تستهدف الأسرة أو الفرد بدون أي هجوم أو تهديم.

---

[١٠٥]: المرجع نفسهُ،ص:240.

[١٠٦]- حفناوي بعلي: مسارات النقد وصادرات ما بعد الحداثة، أمانة عمان، ط1، عمان، 2007، ص: 294.

وهذا ما يعمل عليه في تحقيق الصراع بين الذكر والأنثى داخل المجتمع ويعلن مركزية الأنثى من خلال كسرها للمألوف عن طريق "إعادة تعريفها بحيث لا يمكن أن تتحقق هويتها إلا خارج إطار الأسرة"[١٠٧]، وهذا هو الهدف المزعوم تحقيقه فغياتري سبيفاك تمثل النموذج الأنثوي الذي حقق النجاح بلغة المستعمر و خارج الإطار الأسري و الحدودي فالأساليب تعددت وتنوعت في العصر الحديث، وأصبحت العولمة سلاحا تكنولوجيا ضد العالم في دائرة الصراع والتمزق التي يجد |"المجتمع والفرد نفسه أمام فكرة الاستهلاك والسوق وأمام غطرسة تقنية تبيح لنفسها السطو والفتك والغزو"[١٠٨]، لأنها تسعى في جوهرها إلى حوصلة الإنسان وكما يقول عبد الوهاب المسيري "يتحول العالم إلى سوق واحد متجانس يخضع لقوانين العرض والطلب المادية"[١٠٩]، وهذه الفكرة تقوض الإنسانية الجمعاء وتفرض الواحدية الامبريالية في المجتمع.

ادوارد سعيد وفي كتابه الثقافة و المقاومة يحاول الإجابة عن كل ما قدمهُ حول المشروع الغربي و خطورة المؤسسة الاستشراقية وتجاوزها لمساءلة الأيديولوجيات موضحاً أنه يجبُ " أن نجد طريقة يصبح دور العقل و الثقافة و الوعي الأخلاقي دوراً حاسماً لابد من طريقة للتعامل مع الآخر"[١١٠]أي أن التغيير لن يكون مادياً أو مباشراً وإنما عبر خلق قنوات فكرية كانت أو ثقافية تنشرُ الوعي المابعد كولونيالي الذي يتشكل بدوره في تعاملات اقتصادية و مناهج تربوية وأخرى اجتماعية؟

١٠٧- عبد الوهاب المسيري: قضية المرأة بين التحرير و التمركز حول الأنثى،شركة نهضة مصر ،ط٢،٢٠١٠، ص: ٣٧.،

١٠٨- حسن الخاقاني:تذويب الإنسان، دراسات فكرية، جامعة الكوفة، ط١، بيروت ٢٠١٨، ص:٩٩.

١٠٩ المرجع السابق: ٣٧.

١١٠ ادوارد سعيد: الثقافة و المقاومة ،تر: علاء الدين أبو زيد ، دار الآداب ، ط1،مصر ،2018، ص33،١١٠

فلماذا كل الأصوات المابعد الكولونيالية بفضح الصورة الغربية عن الهند؟ ولماذا تبنت سبيفاك حماية المهميشين ونقل خطاباتهم عبر ترجمتها لقصص مشهورة تندد بوضعة المرأة في المجتمع الهندي؟

يرى بعض الباحثين ومنهم الباحثة صاحبة كتاب موقع الترجمة ١٩٩٢ تيغاسويني نيرينغانا يوضحون فكرة" إعادة الترجمة للنصوص الأساسية التي ساهمت في خلق هند مشوهة بسبب نية النقل من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف ، تدعوا بدورها إلى إعادة كتابة تاريخ الهند وإعادة ترجمة النصوص الهندية انطلاقا من نظرة محلية تنزع إلى ما يسميه أصحاب الدراسات الثقافية بترييف الغرب كما ترمي إلى محاولة فهم ما بعد كولونيالية في ثقافة تمتازُ بالكريلة la creolisation و الهجنة و التفاوض "[١١١] ، بعد ما ركزت الكتابات الغربية على تهميش الذات (المشرقي) ومناهضة الخطاب وتكسير الوعي الفردي من خلال هدم ثقافته و تشويه تاريخه وتحويله إلى وسيلة مسيرة ترعى مصالح الغرب أي هامش بدون دور داخل المؤسسة الاجتماعية.

كان الدور في ذلك للدراسات المابعد كولونيالية أن تثبت العكس وتعزز الرؤية بتصحيح مسار ذلك وهو محاولة تفكيك كل البنيات الثقافية الاستعمارية واسترجاع الأصل الغائب و كشف كل التلاعبات التي يسعى لها الغرب من خلال المنظومات الفكرية و الثقافية وراء أنساق مضمرة فرضت الهيمنة داخل المجتمع ولكن كانت بديلا لذلك وراء ثنائيات متعارضة فأصبح المهمش مركزاً و الغائبُ حاضراً ،وشكلت بذلك ثورة معرفية بأسلحة ثقافية تعمل على تفكيك آليات الخطابات المابعد الكولونيالية وكشف صور الهيمنة و القمع والتسلط وهذا ما وضحتهُ الناقدة سبيفاك في جل ترجماتها الأدبية و قراءتها النقدية ونصوصها التي تدرس من خلالها وقائع الدولة الأم وواقع التهميش في المجتمع "ومنها عل سبيل المثال المرضعات Breast Giverوهي قصة قصيرة للكاتبة البنغالية مها سوتيا دوفي ، حيث تم توظيف البطل الأنثوي

[١١١]:مجموعة من الأكاديمين : العين الثالثة(تطبيقات في النقد الثقافي ومابعد الكولونيالي)، مرجع سابق،ص:131.

جاشودا وهي امرأة من التابعات مستأجرة من قبل عائلة براهيمية ثرية كأم محترفة يروي القصة التعفن البشع اللاحق بجسد جاشودا بعد أن تقوم بإرضاع العديد من أفراد الطبقات العالية أطفال براهميين"[١١٢]، من خلال القصة تعمل الناقدة على تعرية النسق الأنثوي وتحرير الصوت النسوي المقموع في عمق المجتمع و دور المرأة المرهون بالجسد الذي شكلتهُ الثقافة الغربية.

لقد شكلت النزعة الأنثوية شكلا من أشكال الحركة النسوية، ومواجهة الأخر المذكر " فدور المرأة كأم ليس امرأ مهما ومؤسسة الأسرة تعد عبئا لا يطاق"[١١٣]، وهذا ما هدفت إليه ما بعد الحداثة التي أهملت دور الأسرة وحالت تفكيك الروابط بين الجنسين والعمل على أن "الأنثى كيان منفصل عن الذكر، متمركزة حول ذاتها، بل وفي حالة صراع كوني تاريخي"[١١٤]، فهذه الذات تقوم على مبادئ أساسية أهمها الحرية الفردية، النابعة من الواحدية الامبريالية والمساواة والعدالة بين الجنسين، في حين أنها تشكل تعارضا مع الطبيعة البشرية، في تمركزها حول ذاتها ومحاولة تساويها مع الذكر لأن الطبيعة البيولوجيا عكس ذلك ولهذا وجدت نقدا ومعارضة لهذه النزعة، يقول المسيري: "هي حركة تنطلق من مفهوم الفرد المطلق، وهي برنامج يطالب بتفسير اللغة، وإعادة دراسة التاريخ، مؤكدة الجانب الصراعي بين الرجال والنساء"[١١٥]، وهذا ما تدعو إليه حركة التابع الهندية إعادة قراءة النصوص التاريخية كما يؤكد المسيري على أنها حركة استخدمت الأسرة كوحدة تحليلية بدلا من الفرد، لأنها تهدف إلى خلخلة المجتمع وتفكيكه وهذا ما تسمو له ما بعد الحداثة،مفسرا ذلك الناقد طه عبد الرحمان: "الأسرة قلصت دور الفرد في بنائها وتقلصت إجابته ايزاء

[١١٢] :ياسين كريم: آليات نقد الخطاب الاستعماري عند الناقدة غياتري سبيفاك ، مرجع سابق ص:55.

[١١٣] - عبد الوهاب المسيري: قضية المرأة، مرجع سابق، ص: 20.

[١١٤] - مثنى أمين الكردستاني: حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر ،تق: محمد عمارة ،دار القلم ، الكويت ، ط١ ،ص: ٥١.

[١١٥] - ممدوح الشيخ: من المادية إلى الإنسانية الإسلامية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص: ٢٧٥.

أهله مع اندفاعه في الأهواء التي يحسبها حقوقا وانغماسه في المتع التي يحسبها طيبات، حتى خرج إلى الوجود ما أصبح يسمى (الأسرة الجديدة)"[١١٦].

إن تأثير الخطابات الفكرانية الكبرى تدعو إلى هدم الأسرة في الأذهان يتصدرها الخطاب الماركسي، الارتودكسي والخطاب النسواني الانجلوسكسوني فهم يرون في الزواج استلابا وفي الأسرة بنية يسترق فيها الرجل المرأة، وحتى يكون صراع طبيعي، اصطبغ صبغة في نطاق الزواج ثانيا.

ومن خلال ذلك كانت المرأة سبيلا لتنفيذ مشروع المابعد الحداثي باعتبارها أساس المجتمع وقاعدة الأسرة فغرس فيها روح الفردانية أو الذاتية، وسعت بذلك نحو تحقيق ذاتها من خلال إبداعاتها وكتاباتها كون "عملية الدخول في الذات نفسها وتصبح جوهرا، ووحدة الوجود والهوية غبر التغيير حسب الماركسين"[١١٧]، لهذا نجدُ كل الخطابات المابعد كولونيالية تصطبغُ بحلة الدفاع حقوق المرأة ولكن في جوهرها هي وسائل غير مباشرة بصوت التابع القابع في عمق المجتمع ولا يسعى إلى تحريرها من ظلم الأبوية بقدر ما يسعى إلى تحررها و فسادها في المجتمع وبذلك خلق صراعات جديدة داخل الأسرة الجديدة بمنظور معاصر يسعى إلى خلخلة موازين القوى في المجتمعات الشرقية.

الخاتمة

وفي ختام ورقتنا البحثية استطعنا أن نستنتج أن التابع لم يتحرر من قيود الاستعمار التي عبثت بالعقل في المجتمع الهندي حيث صورت غياتري سبيفاك صور الطبقات المهمشة من خلال تسليطها الضوء على الصوت النسوي المقموع في ظل القهر الاجتماعي فالدراسات المابعد كولونيالية استطاعت وبجهود الباحثين

[١١٦] - طه عبد الرحمان: روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٦، ص: ٧٥.
[١١٧] - اريك فروم: مفهوم الإنسان عند ماركس، دار الحصاد، سوريا، ط1، 1998، ص: 50.

إعادة انتاج رؤية معرفية تفكيكة تسعى إلى تشريح بنية المجتمع و الفرد في المجتمع ونلخص ذلك فيما يلي :

- كشفت لنا الدراسات المابعد كولونيالية علاقة التأثر بالمستعمر و التبعية التي لم يتخلص منها إلى يومنا هذا، فكل أشكال الهيمنة أصبحت تتشكلُ تحت رداء العولمة وتتضمن لمفاهيم استعارية تختزلُ خبث الأنظمة الغربية و مناهجها في النيل على عقل الفرد في العالم الثالث.
- عرفت الناقدة سبيفاك ثورةً معرفية وشكلاً من أشكال التمرد الخطابي المستبطن بأيديولوجيات غير معلنة، فهي ذلك الصوت المضاد الذي يسعى لاسترجاع مكانته الأصلية في عمق المجتمع وبلغة المستعمر واستندت فلسفتها في الحياة على التفكيكية كآلية و استراتيجية دفاعية في تفكيكها للأنساق المضمرة في الخطابات المابعدكولونيالية سواء الأدبية أو السياسية في المجتمعات الهندية أو الغربية. وكانت ترجمتهالمقدمة دريدا منعرجاًهاماً في إجابتها عن تساؤلات عديدة وصولاً إلى مقالها الشهير هل يستطيع التابع أن يتكلم؟.
- الدور السيادي لدراساتغايتري سبيفاكأن تثبت العكس وتعزز الرؤية بتصحيح مسار ذلك محاولة تفكيك كل البنيات الثقافية الاستعمارية واسترجاع الأصل الغائب و كشف كل التلاعبات التي يسعى لها الغرب من خلال المنظومات الفكرية و الثقافية وراء أنساق مضمرة فرضت الهيمنة داخل المجتمع ولكن كانت بديلا لذلك وراء ثنائيات متعارضة فأصبح المهمش مركزاً و الغائبُ حاضراً

المصادرو المراجع

- ✓ ادوارد سعيد: الثقافة و المقاومة ،تر: علاء الدين أبوزيد ، دارالآداب ، ط١،مصر
- ✓ اريك فروم: مفهوم الإنسان عند ماركس، دار الحصاد، سوريا، ط١، ١٩٩٨.

- ✓ حسن الخاقاني:تذويب الإنسان، دراسات فكرية، جامعة الكوفة، ط١، بيروت ٢٠١٨.
- ✓ حفناوي بعلي: مسارات النقد وصادرات ما بعد الحداثة، أمانة عمان، ط١، عمان، ٢٠٠٧.،
- ✓ حوارات مترجمة حوارستيف بولسون مع غياتري سبيفاك: النقد التقاربي ،تر:محمد صلاح، مركزنماء.
- ✓ طه عبد الرحمان: روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٦، .
- ✓ عبد الوهاب المسيري : دراسات معرفية في الحداثة الغربية ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط١،٢٠٠٦، ص٤٥.
- ✓ _قضية المرأة بين التحريرو التمركزحول الأنثى،شركة نهضة مصر،ط٢، ٢٠١٠.
- ✓ غياتري سبيفاك وكريستوف نورس: صور دريدا (ثلاث مقالات عن التفكيك)،مر: ماهرشفيق،تر:حسام نايل، المشروع القومي للترجمة،٢٠٠٢.
- ✓ مئى أمين الكردستاني: حركات تحريرالمرأة من المساواة إلى الجندر،تق: محمد عمارة ،دارالقلم ، الكويت ، ط١ .
- ✓ مجموعة من الأكاديمين : العين الثالثة(تطبيقات في النقد الثقافي ومابعد كولونيالي)،إع: حياة أم السعد، تق: وحيد بن بوعزيز،دارميم ، ط١، الجزائر
- ✓ ممدوح الشيخ: من المادية إلى الإنسانية الإسلامية، مركزالحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.
- ✓ ينظر: ياسين كريم: آليات نقد الخطاب الاستعماري عند الناقدة غياتري سبيفاك،أطروحة دكتوراه،جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢ ، ٢٠١٩/٢٠٢٠،
- ✓ :وحيد بوعزيز:جدل الثقافة(مقالات في الآخرية والكولونيالية و الديكولونيالية)، دار ميم،ط١، الجزائر،٢٠١٨.
- ✓ **gayatri chkravorty spivak**: can the sublterm Speak.

الهندي في روايات آرافينا آديغا
رواية النمر الأبيض أنموذجاً

سلمى جلاب، باحثة الدكتوراه
جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، الجزائر

ملخص البحث

يُعد الأدب مُعادلاً موضوعياً للواقع يعيد إنتاجه أو يحاكيه بواسطة لغة تُضمر دلالات ثقافية يتميز بها مجتمع ما عن غيره، وكانت الرواية الديوان الذي يحكي واقع الإنسان ويعيد إنتاجه بصورة جديدة ومتخيلة، ليأتي البحث في الحقائق ، وانطلاقا من اللغة الوسيط، الذي يقود أسرار وخبايا النص، ويساعد على كشف التناقضات والصراعات المضمرة داخل أنساق المجتمع، وهو ما دفعنا للولوج إلى عالم الرواية باعتبارها تمثلا للواقع، من خلال مدونة "النمر الأبيض" لصحابها (أرافيند آديغا) نقارب فيها الواقع الهندي باعتباره نصا له أنساقه الخاصة, وتعد رواية النمر الأبيض رواية ثقافية تعرض مختلف جوانب المجتمع الهندي، ترسم خارطة تحتملها الذاكرة من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، مفصلا فيها الجوانب السياسية والعقدية والاجتماعية، وكل ما تراه عيناه من تناقضات، بوساطة سرد البطل لقصة حياته، ابتداء من قريته هند الظلام الغارقة في الفقر والتخلف، وصولا إلى هند النور بأنوارها التي لا تخفت ليل نهار، موضحا تقسيم هذا المجتمع من خلال طوائفه وطبقاته الاجتماعية والثقافية مستخدما لغة سهلة قريبة من اللغة اليومية التي أثرت كثيرا من الواقعية على الرواية، لكنها تضمر واقعا آخر تطمح الدراسة لتعريته، وهي تجيب عن الأسئلة التالية: هل يمكن للنقد الثقافي الكشف عن النسق الثقافي المضمر دون أن يسيء للنص؟ ثم كيف يفعل ذلك؟ هل يمكن لنص كالرواية أن يقدم شيئا ويضمر

آخر؟ كيف يقدم الراوي الواقع الهندي بمستوياته المختلفة؟ هل طموح الرواية هو محاكاة الواقع؟ هل الراوي فعلا كان محايد وهو يصور واقع الهند أم انه كان محكوما بأيديولوجية الكاتب؟.

المقدمة

النقد الثقافي كما يقول الغذامي :"يُمثل لغة المرحلة وخطاب الجيل" يتطلب وعياً معرفياً دقيقاً, وذلك من خلال تتبع وتحليل الممارسات والسلوكيات المُضمرة والصريحة التي تجري في الحياة اليومية داخل طبقات المجتمع, ويتميز النقد الثقافي باتساع المجال وتنوعه بحيث يغطي العالم بأسره، كما تعتبر المعالجة الشاملة للأنساق الثقافية أحد أهم خصائصه المميزة, مما سهل الوصول إلى مجتمع يُعتبر من أهم المجتمعات التي تضرب جذورها في عمق التاريخ، تعود إلى حوالي سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد، ألا وهي الحضارة "الهندية" وما تحتويه من زخم معرفي وفكري وثقافي، الذي ولدته الأنساق الثقافية المتضادة داخل المجتمع الهندي، هذا ما تخيل عليه مدونة "النمر الأبيض" للروائي "آرافيندا آديغا"، الذي يفتح مغاليق هذا المجتمع، الصارخ بالظلم والجور واللاعدالة، التي يعانيها المجتمع الهندي خصوصا من الاستبداد والفروقات الطبقية، وهنا يتدخل النقد الثقافي خاصة والدراسات الثقافية عامة، في الكشف عن هذه المضمرات الكامنة خلف العبارات.

لقد أصبح النص في مجال الدراسات الثقافة مثل وعاء حامل لما ينصَّبُ فيه من أنظمة ثقافية، ولما كانت الثقافة هي مدار بحثه، فإن مصطلح الثقافة المستخدم في تعبيراتها "ليس جماليا أو إنسي النزعة، بل سياسي، فالثقافة لا ينظر إليها باعتبارها المبادئ الجمالية للشكل والجمال، التي توجد في الفن العظيم، أو باعتبارها صوت الروح الإنسانية التي تتجاوز حدود الزمان، والأمة لتخاطب إنسانا عالمي متخيلا ... الثقافة إذن ليست المنتجات الجمالية للروح الإنسانية وهي تقوم بدور الحائط في مواجهة طوفان المادية الصناعية الرخيصة وابتذالها، لكنها طريقة للحياة في مجتمع

صناعي، تغطي كل معاني التجربة الاجتماعية، إن الدراسات الثقافية تهتم بتوليد المعاني ونشرها في المجتمعات الصناعية"[١١٨].

إن الثقافة بمفهومها السياسي هو ما تبحث عنه هذه الدراسة، وليس المفهوم الجمالي أو الإنساني ما يساعدها على تحقيق النتائج المرجوة, ومن هنا نفهم أن الدراسات الثقافية تُعالج "قضايا مُلحة في فضاءات ثقافية مختلفة، كالعلاقة بين الثقافة والتحيزات، كما كرَّست إستراتجياتها للكشف عن التواطؤ الإيديولوجي بين مختلف فضاءات الثقافة، وحشدت الوعي بالعلاقة بين المؤسسة والثقافة"[١١٩], هكذا بدأت ملامح النقد الثقافي تتحدد ويظهر إنتاجه للمعاني المُضمرة التي هي وظيفته الأساسية.

إن مُمارسة النقد الثقافي حسب (نادر ناظم) "معناها أن تقاوم براءة النصوص والخطابات والممارسات والأشياء وأن تنزع من وجهها الجميل البراق الذي يأخذ الأبصار والأسماع والألباب ،لنقع على حقيقة النسق وأفاعيله" لذلك فالنقد الثقافي يتجاوز الدراسة الجمالية للجمل داخل النصوص، ويسعى الحقيقة الفعلية التي يبُثها الكاتب بين ثنايا نصه والتي لا يستطيع القارئ البسيط التنبه لها أي البحث عن مقصدية الكاتب ودراسة الأنساق الثقافية الكامنة والصريحة التي وظفها فيه.

للهند والاجتماعي الثقافي السياق : تزخرُ الهند بتاريخٍ حافلٍ، فهو جامعٌ لثقافات مُتعددة لمجموعة من الشعوب المختلفة لقرون عدة، حيث يتمتع المجتمع الهندي بلغات وثقافات تُشكل مُختلف الطبقات، كما تعتبر الهند ثاني أكبر دولة في العالم من حيث التعداد السكاني، في حين أنها الأولى من حيث العراقة وعدد اللغات، ومرت الهند بعدة صراعات عرقية، داخلية وحركات تهدف للاستقلال الذاتي, "فمنذ استقلال الهند تنبأ الكثير من الدارسين بتفتت هذه الدولة وذلك نظرا للتركيبة العجيبة لمجتمعها،

[١١٨] عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه, عالم المعرفة, الكويت, دط, ٢٠٠٣, ص, ٢٥٨.

١١٩ حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن, الدار العربية للعلوم, لبنان, ط١, ٢٠٠٧, ص, ٣٧.

لكنها تمكنت من البقاء كدولة مُوحدة، رغم تعدد الهويات والقوميات، كما تعرف بثرواتها التجارية والثقافية في مجالات عدة"[١٢٠], تستعمل الهند اللغة الرسمية وهي اللغة الهندية والإنجليزية في المراسيم والمناسبات الرسمية، ورغم الرواسب التي أفرزها التاريخ عبر العصور، فقد أدَّت تلك الحضارات في أوج صراعاتها في الهند إلى تجانس أكبر مع الحياة الثقافية بمختلف نشاطاتها، "وتواصلت مع مختلف الحضارات كالحضارة الصينية وحضارة شعوب آسيا الوسطى، ورغم التداخل والتعدد حافظت على ذاتها"[١٢١].

وللحديث عن الهند وثقافتها بقديمها وجديدها لابد من الحديث عن الأباطرة وهيمنتهم على حضارتها وثقافتها، وخاصة تلك التي في شمال الهند التي كانت أعظمها, وفي هذا المنحنى يحاول (جواهرلال نهرو) إبراز تلك الصورة في كتاب اكتشاف الهند « قائلا إن الاندماج والتزواج الحضاري الأول قد حدث بين الآريين القادمين وسكان وادي الهند، وقد اتسم الاندماج بعناصر مميزة استمدت أصولها من الثقافتين وفي العصور اللاحقة، ولعل أبرز الرموز في التراث الهندي الكتب المقدسة فقد منحت البعد الاجتماعي والثقافي تلك الوحدة، فقد ورث المجتمع الهندي الأصالة كما أنه حافظ على الكثير من الصروح الثقافية وذلك من خلال تعزيز مجمع يتماشىالإنسان فيه مع عالم اليوم المتحضر بغية الوصول إلى وحدة ثقافية.

العلاقات الاجتماعية ونسق القيم

يعد العمل الروائي إبداعاً تخييلياً، لا يقتصر على النقل الواقعي التسجيلي، بل ينزع إلى تقديم رؤية للعالم، وهو دأب رواية " البحر الأبيض " لأرافيندا أديغا " التي تقدم واقعا مريرا، تكشفُ عن دراسة المجتمع الهندي من كاتب ولد في أوروبا وعاش فيها،فهي ليست رواية عادية كتبت، فلافنتازيا ولا لغة شعرية، ولاعباراتٍ منمقة، ولأنها

[١٢٠] أندريه إيمار وجانيين أوبوايه: تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة, تر: فريد داغر وفؤاد أبو ريحان, دار عويدات, لبنان, دط, ٢٠٠٣, ص, ٥٦٨.

[١٢١] المرجع السابق, ص, ٥٧٠.

بلسان راوٍ لم يتعلم إلا بقدر قليل, فقد كان مناسبا أن تكتب كذلك فكانت الدراسة محاولة "استثمار الدال / المدلول (لإحضار

المدلول / الغائب (أن تتجاوز المقول بحثا عن المسكوتِ عنه لتكتمل الرؤية النقدية باستحضارها قطبي الإشارة اللذين عبرت عنهما اللسانيات الحديثة + (الدال المدلول) وعبر عنهما عبد القاهر الجرجاني - (المعنى/معنى المعنى)"؛ أي البحث عن النص الغائب,وتتشكل الرواية وفق لغتين رئيستين:لغة السرد الفصيحة الأقرب للوصول إلى المتلقي، وهي لغة وصفية جمالية، حيث يبدعُ المؤلف في توصيف الأمكنة والأحداث والعلاقات والتقسيمات، ومن ثم الحكي بأسلوب ممتع ومشوق واستخدام أسلوبِ السخرية اللاَّذع في توصيف الشخصيات.

ولغة الحوار حيث أن الرواية عبارة عن مجموعة رسائل إلكترونية بين الراوي ورئيس الوزراء الصيني،وعموما تتسم الرواية بالبساطة والتهكم، تدفعُ للسخرية والتأمل في أسلوب تعبيرها وبنيتها وتقاليدها بسبب طبيعة العلاقة بين المستويين الذاتي والثقافي، كما أنها تخضع لأنساق ثقافية عامة.

أولا: نسق الغني و الفقير

يتشكلُ كلُ مجتمعٍ من فئات مُختلفة ومُتفاوتة في مستواها المعيشي والاقتصادي، حيث تُساهم هذه الفئات في تميز المجتمعات, وفي تشكيل هرم طبقي بنيوي، والمجتمع الهندي واحد من هذه المجتمعات له تركيبة طبقية موغلة في القدم "فتاريخ الهند الطويل والباهر يثقل كاهلها الآن ،مما دفع المؤرخين إلى افتراض أن التركية الاجتماعية التقليدية للهند بما تحويه من تقسيم طبقي صارم، تعكس بصمة تاريخ تكوينها، ورغم أن الكثير من تاريخ الهند المبكر يتسم بالغموض وهذا ما يعكس نظام الطبقات والعلاقات الاجتماعية المبكرة من المنتصرين والمهزومين وأيا ما كان السبب فإن الهند تشكيلة فريدة من الثقافات والعرقيات واللغات والديانات"[١٢٢].

[١٢٢] جنري دساكس: نهاية الفقرة الاحتمالات الاقتصادية فيعصرنا الحاضر, تر: أحمد أمين الحمل, الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العامة, مصر, ط١, ٢٠٠٧, ص, ٢٠٥.

وقد عمل النظام الطبقي الاجتماعي بصرامة، إذ يقوم تدرجه الهرمي بدور هام، فمثلا "من المحضور على الهنود من الطبقة العليا حتى أن يمشوا في ظل هنود من طبقة أقل من المنبوذين"[١٢٣] وتشير القراءة لنص الرواية إلى ثنائيات ضدية مُتناغمة تكشف عن الصراع الإنساني الذي تعبر عنه لغة النص فيتمثل في طرفي طبقتي "الأغنياء والفقراء ", ولم تعبر هذه البنية في الأعمال الأدبية الهندية خاصة السردية عن مواد عرضت بطريقة مباشرة أو اشتغلت من وراء اللاوعي،مضمرة لأنساق ثقافية في اللغة التي تبدو غير معنية بها، تطفو إلى السطح بمجرد ممارسة الحفر والتنقيب عنهما،إذ تنطوي الرواية على صورة الصراع بين الأغنياء والفقراء؛ صراع لا يصل حد الصِدام الحقيقي، فبداية يُقدم الراوي صورة مجازية للهند بأنها "هندان" تمثل دولتان في دولة واحدة "هند النور وهند الظلام، إن المحيط يجلب الضوء لبلادي كل مكان على خارطة الهند بالقرب من المحيط يكون مزدهرا،لكن النهر يجلبُ الظلام للهند - النهر الأسود - "[١٢٤]، قُسِّمت الهند إلى دولتان فالأغنياء لهم النور وإطلالة المحيط في هند النور، في حين تطل هند الظلام على النهر، فحتى المياه في دولة الظلم والقهر الطبقي مُقسمة إلى قسمين مياه المحيط المتميز بالاتساع والصفاء، فهو مكان مُنفتح يواجه النور والازدهار تحتكره طبقة الأغنياء أما هند الظلام فموقعها محاذٍ للنهر المتميز بضيق المساحة ومحدودية المكان وقذارته، وهنا يتكشف النسق المضمر لندرس تواطو السلطة والمال حيث يتحالف رجال السياسة والنفوذ مع رجال الأعمال، يختارون جنوب الهند المطل على المحيط، يتخذون لأنفسهم أماكن تتوفر على كل أشكال الرفاهية،ويستأثرون بثروات البلاد، بينما يتوارى الغلابى من أغلبية الشعب في الشمال بعيدا عن النور نور الحضارة، يقتلهم المرض والجوع والجهل، يتحولون عبيدا في مخدمة سادة الجنوب، هكذا الهند التي تُخفيها اللغة، وتكتفي بالإشارة إليها فقط في ثنائية" النور والظلام"،

١٢٣جنري دساكس: المرجع السابق. الصفحة نفسها.

١٢٤آرافيندا آديغا: النمر الأبيض, تر: طيبية صادق, المجلس الأعلي للثقافة والفنون والآداب, الكويت, ط١, ٢٠١١, ص, ٢٨.

هذا ما يبرز بداية صراعٍ ضمني وخفي بين طبقتين طبقة الفقراء ضد طبقة الأغنياء، وإن كان صراعا لا يتجاوز أحاديث سائقي هؤلاء الأغنياء، فحتى التعليم الرسمي في المدارس البسيطة يحرم الأطفال منها، يقول الراوي: "أؤكد لك أنه ما من تلميذ يتذكر المعلومات مثل الذي حرم من الدراسة"[١٢٥]، يقول أشوك رئيس بالرام في العمل:"أنه من المحتمل أن يكون لديه فقط ... سنتان أو ثلاث سنوات في التعليم؟ إنه يعرف الكتابة لكنه لا يستوعب ما يقرأه "[١٢٦]، في المقابل يُزاول أولاد الأغنياء تعليمهم في المدارس الخاصة في ولاية "باتنا " في بعثات دراسية وفي مؤسسات تتمتع بالرفاهية، لهم زي مدرسي خاص ومدرسين متخصصين مع منح وتحفيزات كما يقر بذلك الراوي حينما جاء المفتش في زيارة لمدرستهم التي كانت نسيا منسيا " سوف أكتب إلى جاتنا لكي يمنحوك بعثة دراسية، أنت بحاجة للذهاب إلى مدرسة حقيقية، في مكان بعيد عن هنا، أنت بحاجة إلى زي مدرس حقيقي وتعليم حقيقي"[١٢٧].

ثانيا: ثنائية السادة والخدم

شكلَّت بنية المجتمع الهندي المتكونة من طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء، انقساما ضمنيا آخر تتحسسه من خلال سرد الراوي هو "السادة" و" الخدم" ، الأغنياء أرباب العمل ومُلاَّك الأراضي، الطبقة المسيرة لشؤون البلاد, على حساب طبقة الخدم التي ينتمي إليها الكاتب الذي يصفهم بقوله"أُنظر إلى الرجال الذين يعملون في دكاكين الشاي-رجال- أنا أقول رجال- والأفضل أن تقول عناكب بشرية تزحف بين الطاولات وتحتها، وبأيديهم خرق المسح، أناس محطمون في زى مهلهل، تعلوهم الوساخة، بوجوه غير حليقة في الثلاثينات أو الأربعينيات أو الخمسينيات من أعمارهم، ولكن مازالوا "صبيان"». تكررت لازمة"رجال" ثلاث مرات في السطر ذاته، فقد قال أنظر إلى الرجال ثم جملة اعتراضية-رجال- ثم أكد على قوله وصحح الخطأ الذي ظن أنه ارتكبه فقال:

[١٢٥] المصدر السابق, ص, ٢٣.

[١٢٦] المصدر السابق, ص, ٢٢.

[١٢٧] آرافيندا آديغا: النمر الأبيض, ص, ٥٠.

"الأفضل أن نقول عناكب بشرية"؛ و«العنكبوت هو حشرة تنسج من لعابها خيوطا تتخذها بيتا لنفسها أو مصائد تصيد بها بعض الحشرات"[١٢٨]، فضَّل قول عناكب بشرية مُستخدماً صيغة التفضيل "أفضل" حتى يجعلَ اللقب بمثابة وسام أو رُتبة عمل عند الفقير الخادم، فلفظةُ العنكبوت تُوَّلد ثلاث دلالات:

الدلالة الأولى: أن العنكبوت يَتميزُ بالوهن والضعف فكان هذا القول دليلاً على أن التصّغير والتقليل، فأطلق على الخدم اسم العنكبوت لهزالة البنية الجسمية التي أصبحوا يتميزون بها عن الأغنياء، كما قال الراوي: "في الثلاثينيات أوالأربعينيات أو الخمسينيات من أعمارهم ولكنهم مازالوا صبيان"، هذا هو المعنى المطمور العميق، وذلك هو المغزى الأبدي الأعمق وهنا تظهر بنية التحريض والتثوير من طرف بالرام فتصبح المعادلة لبنية تطلعية إستشرافية تقدمها بنية قهرية قمعية من طرف سلطة السادة"[١٢٩].

الدلالة الثانية: أن العنكبوت لقذارته ووساخته وقلة نظافته يُشبه الفقير الخادم فأزيائهم مُهلهلة وتعلوهم الوساخة بوجوه غير حليقة، لكن نجد أن بالرام هنا يتحدث بعد عملية التحول، بعد أن فاق غناه وتجاوز غنى أسياده السابقين "اللقلق النمس، السيد آشوك" فهو بهذا الوصف أو أوصاف أخرى يكون في موضع استهزاء وسخرية لا شيء إلا أنه نسى ما كان عليه.

الدلالة الثالثة: في مفهومنا "للعنكبوت" نجد ينسج خيوطه ليصطاد بها بعض الحشرات، كذلك بالرام كان عمله الأول في (محل الشاي)، بمثابة خبرة جد التي كانت مسؤولة عنها.

ثالثا: نسق المرأة و الرجل

[١٢٨] مجموعة مؤلفين: قاموس الكافي, عربي عربي, شركة المستقبل الرقمي, لبنان, ط٥, ٢٠١١, ص, ٣٠١.

[١٢٩] ينظر بسام قطوس: إستراتيجيات القراءة_التأصيل والإجراء النقدي, دار الكندي للنشر, الأردن, دط, ١٩٩٧, ص, ٤٥.

تُعتبرُ الهند بلداً ذو حضارةٍ عريقة، تَتصفُ بطابع العلم والتمَّدن والثقَّافة منذُ القدم،ومع ذلك تُعاملُ المرأة مُعاملة قاسية، لا يقدرون دورها في المجتمع, وعُوملت كأداة طيّعة في يد الرجل الذي مثَّل قدرها المحتُوم ويقرر مصيرها، وهكذا "عانت المرأة الهندية ولازالت تُعاني منالتهميش والاحتقار داخل مجتمعها, حتى بعد نمو وتطور أفكار العالم الهندي، بالرغم من الواجبات الأسرية والتربوية الإنتاجية المهمة،وهذا الوضع الدُّوني والنظرة المُتحيزة ضِّد المرأة سواءً داخل الأسرة أو في مُجتمعٍ له مُسوغات ثقافية موروثة وخلفيات ظلَّت راسخة في الذِّهن "فكان الجنس الذكري لا ينظر لها نظرة مليئة بالاحترام والتقدير، بل نظرة احتقار وازدراء ولا يعتبرها مساوية له في الواجبات والحقوق وغالبا ما يشكك في قدراتها وإمكاناتها المبدعة,ليس لها الحق بالمشاركة في اتخاذِ القرارات التي تتعلق بمستقبل العائلة والأطفال والخلافة، ولا يسمح مجتمع ذكوري بامتياز ، ولأننا أمام ظاهرة في ظاهرها سلبية وتعكس نوعا من التأزم المحتوم لإندثار القيم, فالمجتمع الهندي الضغوطات باتجاه "التراجع أو بإتجاه السكون، والمحافظة على الأثر البالغ في تجميد التقدم الذي تطمح إليه كل ذات إنسانية"[١٣٠],

فلا وظيفة للمرأة سوى إنجاب الأطفال وتربيتهم لقد «أصبحت مشاكل نساء الهند أكثر نفسية واجتماعية وحتى الآن يعترف بشرعية مجتمع أبوي يتولى أموره الكبار من أعضاء الأسرة ولكن نساء الهند المتطورة يفضلن أن يخطين خطوة نساء الغرب بحيث يكن أحرارا ومستقلات بأنفسهن في حين تعبأ النساء في الأرياف حتى الآن، كما أنهن لا يجدن أغذية تامة فلا يمتنعن عن عدد الأولاد بل يُجبرن على تربيتهم، وطبعا فإن المعلومات الاجتماعية الأساسية تجاه النساء لم تتغير حتى الآن. والمرأة كما صوَّرها (أديغا) في هذا النص تحمل صفات السلبية قدمها في صورة مخلوق محتجب،

[١٣٠] سليمان حسين: مضمرات النص والخطاب في عالم جبرا إبراهيم جبرا, منشورات اتحاد الكتاب العرب, سوريا, دط, ١٩٩٩, ص, ٢٠٨.

كما عبر عن رفضه ورفض المجتمع لها، وقد صرح بموقفه ذاك، من خلال ما عبرت عنه صورة المرأة التي أدرجها,

الخاتمة

وهكذا نصل إلى النتائج التي بحملها النقد الثقافي باعتباره فعالية معرفية لها وظيفة متداخلة تقوم على إلغاء الحدود بين مختلف المحالات حتى يتقرب من فعل الثقافة لتناوله الأنساق الثقافية بالدراسة والتحليل.صوَّر الروائي نماذج ثقافية مختلفة ابنة الواقع الهندي المعاش، الذي يُضمر اهتراء الذَّات وتمزق البنية الاجتماعية.ظهرت سلطة الغني السيد القاهر للفقير الخادم، سلطة ملؤها الظلم والعنف والاضطهاد، أدت إلىتقويض القيم الإنسانية، محولة الخدم إلى عبيد وخدم مطعين. جاءت المرأة في الرواية وسيلة لكشف الظلم الذي يعيشه الهندي عموما، والمرأة خصوصا، ما يوحي بالقهر والاستغلال الذي يتعرض له بفعل الحاجة الاقتصادية.

المصادر المراجع

- ✓ آرافيندا آديغا: النمر الأبيض, تر: طيبية صادق, المجلس الأعلي للثقافة, الكويت, , ص, ٢٨.
- ✓ أندريه إيماروجانيين أوبوايه: تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة, تر: فريد داغروفؤاد أبو ريحان, دار عويدات, لبنان, دط, ٢٠٠٣, ص, ٥٦٨.
- ✓ بسام قطوس: إستراتيجيات القراءة_التأصيل والإجراء النقدي, دار الكندي الأردن, دط, ص, ٤٥.
- ✓ جنري دساكس: نهاية الفقرة الاحتمالات الاقتصادية فيعصرنا الحاضر, تر: أحمد أمين الحمل, الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العامة, مصر, ط١, ٢٠٠٧, ص, ٢٠٥.
- ✓ حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن, الدار العربية للعلوم, لبنان, ط١, ٢٠٠٧, ص, ٣٧
- ✓ سليمان حسين: مضمرات النص والخطاب في عالم جبرا إبراهيم جبرا, منشورات اتحاد الكتاب العرب, سوريا, دط, ١٩٩٩, ص, ٢٠٨.
- ✓ عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه, عالم المعرفة, الكويت, دط, ٢٠٠٣, ص, ٢٥٨.
- ✓ مجموعة مؤلفين: قاموس الكافي, عربي, شركة المستقبل الرقمي, لبنان, ط٥, ٢٠١١, ص, ٣٠١.

تصوير الهند وثقافتها
في كتابة نوال السعداوي

مبشر عبد القادر
باحث الدكتوراه ، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية -حيدرآباد- الهند

ملخص البحث

بين العرب والهند علاقة وطيدة منذ زمان كما نعرف جميعا، وصور وشخص عدد كبير من الكتاب وطن الهند في كتاباتهم الروائية أو في السيرة والرحلة، فمما يجدر بالذكر في أيامنا هذه كتابة نوال سعداوي عن رحلتها إلى الهند. الكاتبة والروائية نوال سعداوي طبيبة أمراض صدرية، وطبيبة أمراض نفسية من مواليد مصر،توفيت في ٢١ مارس ٢٠٢١ ، العالم الأدبي العربي والعالم النسائي أظهرت حزنها الشديد في فراق كاتبة مشهورة من أرض مصر وكانت أيضا تدافع بالقلم والجسم عن حقوق الإنسان عامة وحقوق المرأة خاصة حيث قامت كعلم النسائيات في زمانها.

كانت تنفق أوقاتها مع مناصب الصحة في الكتابة الأدبية والرحلة العالمية وزارت كثيرا من الدول العالمي فمن أهم الرحلات رحلتها إلى الهند كما أشارت في كتابها المشهور " رحلاتي في العالم" حيث قالت في بداية فصل رحلة الهند "رحلتي إلى الهند لم تكن كأية رحلة إلى أي بلد. كانت أشبه ما تكون برحلة الحياة كلها منذ الولادة حتى الموت، كالدائرة تبدأ وتنتهي إلى النقطة ذاتها..." كانت تسكن في شوارع الهند وأحياءها كي تفهم ثقافة الهند وحضارتها. يريد الباحث في هذه الورقة أن يشير الضوء إلى مناظرها وأفكارها وآراءها التي عبرت عن رحلتها إلى الهند، وأظن أن هذا البحث يفيد للفهم عن صورة الهند في كتابة الكاتبة التي عاشت في زماننا ورحلت بعد أن أبقت تركة قيمة للقراء ومحبي الأدب.

الدكتورة نوال السعداوي

نوال السعداوي هي الكاتبة المشهورة التي توفيت قبل أشهر في هذه السنة يعني سنة ٢٠٢١م، وهي طبيبة أمراض صدرية وطبيبة أمراض نفسية، بل كانت شهرته في العالم العربي خاصة ككاتبة وروائية مصرية مدافعة عن حقوق الإنسان بشكل عام وحقوق المرأة بشكل خاص.كتبت العديد من الكتب عن المرأة في الإسلام، أُشتهرت بمحاربتها لظاهرة ختان الذكور والإناث.وقضت هذه الكاتبة الطبيبة في حياتها العديد من المناصب مثل منصب المدير العام لإدارة التثقيف الصحي في وزارة الصحة في القاهرة، الأمين العام لنقابة الأطباء بالقاهرة، غير عملها كطبيبة في المستشفى الجامعي. كما نالت عضوية المجلس الأعلى للفنون والعلوم الاجتماعية بالقاهرة. وأسست جمعية التربية الصحية وجميعة للكاتبات المصريات. وعملت فترة رئيسة تحرير مجلة الصحة بالقاهرة، ومحررة في مجلة الجمعية الطبية

ولدت في أسرة تقليدية في ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٣١ بكفر طحلة لمحافظة القليوبية في مصر،هي الطفلة الثانية من بين تسعة أطفال.ختنتفيالسادسة من عمرها. أصرّ والدها على تعليم جميع أولاده. كان والدها مسؤولاً حكومياً في وزارة التربية والتعليم، وكان من الذين ثاروا ضد الاحتلال البريطاني لمصر والسودان كما شارك في ثورة ١٩١٩م، وكعقاب له تم نقله لقرية صغيرة في الدلتا وحرمانه من الترقية لمدة ١٠ سنوات. استمدت منه احترام الذات ووجوب التعبير عن الرأي بحرية ودون قيود مهما كانت النتائج، كما شجعها على دراسة اللغات. وقد انتقل أبويها في صغر سنها حيث تركاها لتحمل العبء الكبير من الحياة.

منذ طفولتها المبكرة كانت نابهة ومتفوقة، فبدأت تتشكل عقليتها الرافضة للتقاليد والعادات الاجتماعية المنحازة للذكر على حساب الأنثى.تخرجت السعداوي في كلية الطب جامعة القاهرة عام ١٩٥٥، تخصصت في مجال الأمراض الصدرية وعملت

طبيبة امتياز بالقصر العيني، تزوجت في نفس العام من أحمد حلمي زميل دراستها في الكلية، وكانت هي زيجتها الأولى لكن لم يستمر الزواج سوى عامين.

أثناء عملها كطبيبة في مسقط رأسها، لاحظت الصعوبات والتمييز ضد المرأة الريفية، وكنتيجة لمحاولتها للدفاع عن إحدى مريضاتها من التعرض للعنف الأسري، تم نقلها مرة أخرى إلى القاهرة، لتصبح في نهاية المطاف المدير المسئول عن الصحة العامة في وزارة الصحة.جعلت نوال من موضوع مناهضة التمييز ضد المرأة، والإنسان بشكل عام، قضيتها الأولى فعارضت عدة أمور على رأسها ختان الإناث وتعدد الزوجات والتمييز ضد المرأة، في عام ١٩٧٢ نشرت كتاب بعنوان المرأة والجنس، مواجهة بذلك جميع أنواع العنف التي تتعرض لها المرأة كالختان والطقوس الوحشية التي تقام في المجتمع الريفي، للتأكد من عذرية الفتاة، والذي تشير في مقدمته إلى كواليس تأليفها للكتاب حين يتشكك أب في عذريته ابنته[١٣١].ومنع تداول الكتاب لسنوات داخل مصر، في حين كان يتم طبع الكتاب في لبنان وقراءته بل وتدريسه في دولة مثل تونس، كما كتبت كتابا آخرا في هذا الشأن وهو كتاب "الرجل والجنس".

تعدّ نوال السعداوي من الشخصيات المثيرة للجدل والناقدة للحكومة المصرية، ففي عام ١٩٨١ ساهمت نوال في تأسيس مجلة نسوية تسمى "المواجهة". وفي ٦ سبتمبر ١٩٨١، حُكم عليها بالسجن في عهد الرئيس محمد أنور السادات، أُطلق سراحها في نفس العام بعد شهر واحد من اغتيال الرئيس .ومن أشهر أقوالها "لقد أصبح الخطر جزء من حياتي منذ أن رفعت القلم وكتبت. لا يوجد ما هو أخطر من الحقيقة في عالم مملوء بالكذب. عنادها أغضب منها الرئيس الأسبق السادات الذي شملها في حملة الاعتقالات الشهيرة قبيل رحيله فاعتقلت نوال السعداوي في سجن النساء، في سبتمبر ١٩٨١، ضمن مجموعة من الكاتبات وسجينات الرأيوكتبت بعد خروجها عن هذه

[١٣١]) الوطن بوابة إلكترونية شاملة - https://www.elwatannews.com/news/details/5387255

الفترة كتابها الشهير "مذكرات في سجن النساء" عام ١٩٨٣ وفي عام ١٩٨٨ سافرت خارج مصر، وعملت بالتدريس في بعض الجامعات بالولايات المتحدة.

شغلت العديد من المراكز المرموقة في الحياة الأكاديمية سواء في جامعة القاهرة داخل مصر أو في هارفرد، جامعة ييل، جامعة كولومبيا، جامعة السربون، جامعة جورج تاون، جامعة ولاية فلوريدا، أو جامعة كاليفورنيا في خارج مصر، ورجعت نوال إلى مصر في عام ١٩٩٦، لتستكمل قضيتها[١٣٢].

الكتابات المهمة لنوال السعداوي

بدأت نوال الكتابة مبكرا، أنفقت هذه المجدة الماهرة أوقاتها الثمينة للتأليف والمحادثات الأدبية، كتبت أكثرَ من خمسين عملامتنوعا بين الرواية والقصة والمسرحية والسيرة الذاتية، وعزفت بقلمها على الثالوث المقدس (الدين والجنس والسياسة) لتقوضه؛ فهي تدعو لأن تتحرر المرأة من قيد عبودية الرجل محلِقة في أفق أرحب من المساواة ذاتها؛ فالمرأة حين ارتدَتِ الحجابَ تدينا استتر عقلها قبل شعرها، واعتلاها الرجلُ باسم الجنس. وعلى أعتاب السياسة فقدت كل شيء وقضت حياتها مدافعة عن المرأة؛ فسلبت حريتها، وعزلت من وظيفتها، وأدرج اسمها في قائمة الاغتيالات، ولم يكن أمامَها إلا أن تبحث عن الحرية والأمان في مكان آخَر، ولكن أينما ذهبت فقضية المرأة هي شاغلها الأكبر، فظلت تكتب عنها وإليها. في عام ١٩٧٢، نشرت أول أعمالها غير القصصية بعنوان المرأة والجنس مثيرة بذلك عداء كلا السلطات السياسية والدينية. هذا الكتاب كان من أسباب فصلها من وزارة الصحة، ومن أعمالها أيضا:

مذكرات طبيبة، الأنثى هي الأصل، مذكراتي في سجن النساء، كانت هي الأضعف (رواية)، الرجل والجنس،المرأة والجنس، امرأة عند نقطة الصفر (رواية)،

[١٣٢]) المرجع السابق

المرأة والصراع النفسي، معركة جديدة في قضية المرأة.، تعلمت الحب (رواية)، جنات وإبليس (رواية)، أوراق حياتي، الرواية (رواية)، الصورة الممزقة (رواية)، قضايا المرأة المصرية السياسية والجنسية، وزينة (رواية)

هناك كتب أخرى من نوال سعداوي، لم أضف جميع الكتب[١٣٣]، معظم كتاباتها تعالج قضية المرأة والقضايا الاجتماعية، مؤلفاتها وآراءها صنعت حراكا فكريا كبيرا.حياة السعداوي حافلة بالكثير في مجال الدفاع عن حقوق الإنسان وحقوق المرأة على وجه الخصوص، وبتحدي كثير من التابوات والعادات الاجتماعية والتي تحد من حرية المرأة في العالم العربي، فضلا عن نتاجها الفكري والأدبي.

معاصروها قالوا لها "أنت امرأة متوحشة وخطيرة"، فكتبت قائلة "أنا أقول الحقيقة. والحقيقة متوحشة وخطيرة[١٣٤]."

أشرف راضي[١٣٥] أوضح حالة الجدل التي أحدثها السعداوي عبر مسيرتها الفكرة، إذ يرى "أن منهجها قائم على فكرة الاصطدام الشديد بالمجتمع، ليس على مستوى حقوق المرأة، لكن على مستوى العقيدة والأفكار"[١٣٦].

ويرى أن السعداوي قدمت أطروحات جذرية في قضية المرأة، بدءا من كتاب "الأنثى هي الأصل" مرورا ب"المرأة والجنس" وصولا لمسرحية "الإله يقدم استقالته في مؤتمر القمة"، ويصف الكاتب المصري هذه الأعمال بأنها تمثل جزء من إدراكها لأهمية قضية المرأة والانقلاب الذي حدث ضدها، وهو ما شكل في النهاية مشروع السعداوي الفكري.

---

[١٣٣]) للحصول على جميع المؤلفات :https://ar.wikipedia.org/wiki/

[١٣٤]) https://www.bbc.com/arabic/middleeast-55962346

[١٣٥]) هو كاتب مصري

[١٣٦]) النخبة(جريدة) مارس ٢٠٢١، ٢٣، https://www.nokhbahnews.com/?p=87248

وأعلنت السعداوي غير مرة رفضها للحجاب باعتباره "رمزا سياسيا خطيرا لعبودية المرأة"، وبنفس المنطق لم ترتض أيضا "تعرية الجسد"باعتبار "التغطية أو التعرية" هي عملية تسليع لجسد المرأة، وهنا يوضح راضي أن الكاتبة الراحلة كانت ضد ثقافة اجتماعية كاملة تنظر للمرأة على أنها أداة للمتعة[١٣٧].وهي تزوجت ثلاث مرات، بل لم يطل إلا الزواج الثالث إلى مدة أكثر من أربعة عقود .

رحلة نوال السعداوي إلى الهند

الرحلات تعتبر نافذة للإنسان على العالم، ويساعد الرحلات للاطلاع على ثقافات وحضارات الدول التي يزورها وأيضا السفر يفيد للمسافر أن يفهم الأمور أكثر مما يفهم من قراءة الكتب، وأحيانا سفر واحد يكون سببا لأكثر كتاب واحد. الرحلات في الأدب العربي كثيرة فمنذ القدم كان العرب يحب الترحال والتجول في بقاع الأرض راوين ما شاهدوه وما رأوه وما واجهوا من التجارب المختلفة خلال الرحلة

الكاتبة الناشطة النسوية نوال سعداوي كانت تزور البلاد واحد تلو الآخر حيث تفهم الثقافة والحضارة.تكتب جميع ما رأى وتجرب خلال رحلتها إلى العالم في كتابها المشهور "رحلاتي في العالم" ففي الفصل السابع من هذا الكتاب أضافت رحلتها إلى الهند تحت عنوان "رحلة الهند".أحست نوال في بداية رحلتها إلى الهند بأن هذه الرحلة تختلف تماما عن الرحلات الأخرى التي قامت بها إلى دول العالم المختلفة. فكأنها رحلة الحياة كلها منذ الولادة حتى الموت، كالدائرة تبدأ وتنتهي إلى النقطة ذاتها. ثم قالت:

"قد يدهش الكثيرون ممن يهوون السفر والرحلات لماذا شعرت نحو الهند بالذات مثل هذا الشعور، والعالم فيه من البلاد والأمكنة التي ينبهر لها السياح؟ لكن السياحة في رأيي ليست ركوب طائرات وزيارة متاحف والنوم والأكل في الفنادق

[١٣٧] نفس المرجع

الفاخرة، السياحة عندي هي التجول على الأقدام في الشوارع والحواري المتربة، واكتشاف الإنسان في أي مكان، وبالذات تلك الأمكنة التي يهرب منها السياح، أو يضعون مناديلهم فوق أنوفهم حين يمرون عليها بالصدفة."[١٣٨]

ونرى في نفس الكتاب وهي تقول أيضاً: "ربما هي أصعب رحلة قمت بها في حياتي رغم أنني زرت معظم بلاد العالم ومشيت في أوعر الطرق. لكن صعوبة اكتشاف الهند تشبه إلى حدٍّ كبير صعوبة اكتشاف النفس، رغم أن النفس ملتصقة بالإنسان منا، لكن كم من زمن وجهد حتى يعرف الواحد منا نفسه. وهذه هي الهند أيضًا، بقدر ما تعرف نفسك تعرفها، وبقدر ما عندك في نفسك بقدر ما تعطيك الهند من نفسها، ولعل هذا هو السبب في أن بعض الناس لا يرون في الهند إلا التراب والفقر، والبعض الآخر يستطيع أن يخترق السطح ويصل إلى قلب الإنسان الهندي"[١٣٩]. كانت هذه الرحلة في سنة ١٩٧٥م.

الهند وثقافتها في كتابة نوال السعداوي

حاولت نوال أن تصور الهند وثقافتها بأحسن الأسلوب وأفضل التعبير في كتابها "رحلاتي في العالم"، استعملت معظم لحظاتها التي كانت في الهند للفهم والمعرفة عنها وعن ثقافتها ومع كل هذا كانت تقارن الأمور والأشياء بما أحست وتجربت في مصر وفي دول الأخرى.

كان زوجها يعمل في الهند، نزلت في نيودلهي- عاصمة الهند- ضيفة على زوجها في شقته الصغيرة البسيطة في حي "ديفنسكولوني"، كانت هذه الفرصة فرصة مفتوحة لزيارة الهند حتى في جوانب أحياءها المختلفة.من الصعب أن تعرف البلد من عاصمته؛ فعواصم البلاد في معظم الأحيان ليست إلا مدنًا كبيرة متشابهة، تسكنها السفارات ودواوين الحكومة، شوارعها فسيحة نظيفة، تزداد مساحة ونظافة باقترابك من بيوت

[١٣٨] رحلاتي في العالم ص: ١٨٩

[١٣٩] المصدر نفسه ص ١٩٠

الحكام أو مكاتبهم أو حيث ينشط مندوبوهم أو ممثلوهم أو ما شابه ذلك. والعاصمة نيودلهي لا تختلف عن أية عاصمة في ذلك. وكم تندهش لبعض البيوت الفاخرة ذات الطراز الحديث المحوطة بالحدائق اليانعة، وتلك الشوارع الفسيحة الجميلة التي تقودك إلى الأحياء الراقية حيث يعيش أثرياء الهنود والأجانب والسياح.

يصف الكاتبة نوال في كتابها أحداث عديدة فأضيف بعضها كما يلي:"ولكن سرعان ما تدخل إلى "دلهي" القديمة كما يسمونها، وتضيق الشوارع وتزدحم بالأجسام والأنفاس، ولا تكاد تعرف الرصيف من الشارع، ولا تكاد تفصل بين تلك المركبات التي تجري فوق الأرض، مركبات تعرف أنها سيارة أو موتوسيكل أو عجلة، ومركبات لا تعرف ما إذا كانت سيارة أو موتوسيكلًا أو عجلة أو مزيجًا من كل هذا، في الهند تستطيع أن ترى بعينيك جميع أنواع المركبات منذ اكتشاف العجلة وابتداءً من الفيل أو الجمل أو البقرة أو الخنزير. كل أنواع الحيوانات هنا تجر أية عربة في أية شارع، وكل أنواع العجل منذ تطور من عجلة تحركها قدما الإنسان، إلى عجلة يحركها موتور، إلى موتوسيكل، ثم إلى سيارة، كل ذلك تراه في الشارع الواحد يجري ويتسابق، ويمكنك أن تميز الطبقات وأنت سائر في الشارع؛ الذين يركبون السيارات هم طبقة الحكام والأثرياء من الهنود والأجانب وذوي المهن المربحة العالية. الذين يركبون الموتوسيكلات هم طبقة صغار التجار وصغار الموظفين. الذين يركبون العجلات هم أبناء الطبقة الفقيرة والطبقة العاملة. أما أدنى طبقة في الهند فهم الذين لا يركبون شيئًا وإنما هم الذين يجرُّون العجلات (كما يجرها البقر أو الحمير). ومن المناظر المألوفة في الهند هي أن ترى ذلك الرجل النحيف الهزيل الذي يلهث ويتصبب العرق من وجهه وجسده وهو يجر على عجلته ثلاثة أو أربعة من الأشخاص. هذه العجلة التي يجرها الإنسان اسمها "الريكشا" وهي منتشرة في الهند، وكم ترى أحيانًا ذلك السائح الأبيض السمين وإلى جواره زوجته السمينة يجلسان في سعادة يتفرجان، بينما راح الرجل الهزيل الأسمر يجرهما فوق عجلته وهو يلهث"[١٤٠].

[١٤٠] المصدر نفسه

شعرت الكاتبة بالأمن والسلام في الهند، وألجات السبب في ذلك إلى مشاهدتها العصافيرتشدو في كل مكان والأبقار ترعى في الشوارع دون أن يتعرض لها أحد، زارت الكاتبة تاج محل،بل لم يعجبها حيث تقول في كتابها: وإن التاج محل أجمل بناء في العالم بني بسواعد آلاف الهنود الجوعى لمدة عشرين عامًا. ويقولون إن الإمبراطور المغولي قطع ذراعَي المهندس الذي بناه حتى لا يبني واحدًا مثله لأي إمبراطور آخر..سافرت الكاتبة إلى جنوب الهند أيضا وأعجبها زراعة الشاي وقضى في المزارع ساعات حتى فهمت كيفية زراعة الشاي وقطفه وجمعه في المصانع للبناء الشاي.[١٤١]

وتحدثت في كتابها عن زيارته في مدن جيبور، أله باد، غجرات وفي كل هذه المدن رأت الحياة الريفية، عدد كبير من الفقراء يعملون في ليل نهار في الحقول والمصانع لكسب العيش، فتذكر قول المشهور من مهاتما غانتي "الهند تسكن في الأرياف" فهذا صحيح ليست الهند ثقافيا وأدبيا كما نرى في العاصمة، بل الهند حاملة الضعفاء الفقراء يجهدون ليل نهار.

فالهند مليئة بالتناقضات شأنها شأن أي مجتمع ينمو من التخلف إلى التقدم، ويلتقط القيم الجديدة على حين تظل القيم القديمة موجودة وسائدة، إن بعض الناس في الهند لا زالوا يقدسون التقاليد الإقطاعية القائمة على التفرقة بين الطبقات وسيادة الرجل على المرأة داخل البيت وخارجه، البعض الآخر لا زال مجتمعا أمويا تسود فيه النساء وترث البنات الأرض ولا يرث الأولاد الذكور، البعض الآخر وبالذات في نيودلهي ومدن الشمال قد تأثر إلى حدٍّ كبير بالثقافة الغربية الإنجليزية، فترى البنات قد خلعن الساري وارتدين الميني جيب أو البنطلون الضيق، والصبيان قد أطالوا شعورهم، والرجال قد رشقوا البايب في زاوية الفم ومزجوا اللغة الهندية باللغة الإنجليزية. وفي ظل هذه الثقافات المتباينة تجد قيمًا أخلاقية متباينة تبدأ من أقصى

[١٤١] المصدر نفسه ٢٠٩

التزمت وفرض الحجاب على النساء والعذرية على البنات إلى أقصى التحرر وسيادة المرأة وحريتها في اختيار زوجها، بل أزواجها، حيث تتزوج المرأة بعدد من الرجال، وتنسب إليها أطفالها.

وأيضا تجد هذه الاختلافات الشاسعة بين الأديان والعقائد في الهند، بعضهم يؤمن بإله واحد مكانه السماء، وبعضهم يؤمن بعدد لا حصر له من الآلهة ويقولون إن الله داخل كل إنسان، وبعدد الملايين من البشر توجد الملايين من الآلهة، بعضهم ينكر وجود الإله لا في السماء ولا في الأرض ويقولون إن الدين هو الحياة وهو الاستمتاع بالحياة.

كانت تحب التجول في الأحياء الشعبية، وأعشقت السير في حواريها والتفرج على الدكاكين الصغيرة وزحام الناس والأصوات والروائح القوية المنبعثة من كل مكان. ولكنها حين تسكن تفضل في حي هادئ بعيد عن الأصوات والزحام.، لكي أن تفهم حقيقة الثقافات والعادات[١٤٢]

المصادروالمراجع

- ✓ نوال سعداوي، رحلاتي إلى العالم، مكتبة مدبولي، ميدان طلعة حرب، القاهرة
- ✓ دي اسكالر (Journal) يناير – يونيو١٦ ، عدد ٢٠،ص ١٤٣-١٥١، المقالة للدكتورز هيفاء شاكري " الدكتور نوال سعداوي ورحلتها إلى الهند".
- ✓ https://ar.wikipedia.org/wiki
- ✓ https://www.bbc.com/arabic/middleeast-55962346
- ✓ الوطن بوابة إلكترونية شاملة
- ✓ https://www.elwatannews.com/news/details/5387255 -
- ✓ https://www.nokhbahnews.com/?p=87248

[١٤٢] المصدر نفسه

ثقافة الهند فى مرآة "تاريخ الإسلام في الهند"للشيخ عبد المنعم النمر

أبو شيماء سعيد الهدوي (الباحث)/ د.جابر كي تي (الأستاذ المساعد)

قسم اللغة العربية وآدابها،كلية تونجان الحكومية، ترور، كيرلا

المدخل

الأدب العربي ثري بإبداعات رائعة تتناول ثقافة الهند وحضارتها العريقة على اختلاف ألوانها وأشكالها من الفنون والآداب والمعالم والمآثر التاريخية،وذلك بصفة كون بلاد الهند مهدا لكثير من الديانات والحضارات ومسرح العجائب والغرائب كما تلمح انعكاساتها من كتاب الهند للبيروني وعجائب الهند المنسوب إلى بزرك بن شهريار، علاوة على ما سجله الرحالة والبحارة العرب من أمثال ابن بطوطة والمسعودي وغيرهم كثير.

وأما في العصرالحديث فبمجرد إلقاء نظرة عابرة عبر المكتبة العربية الضخمة يمكن القول بأن بلاد الهند قد اجتذبت عديدا من أعلام الفكروالأدبوالسياسة بما فيهم الرحالة،الصحفيون،القادة والساسةالعرب،ويأتي في طليعتهم الأديب اللبناني وديع البستاني الذي قام بترجمة الملاحم الهندية الكبرى منرامايانا ومهابهارتا،الأمير يوسف الكمال المصري صاحب رحلة سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير، الشاعر صلاح عبد الصبور ،والسفير إيهاب شريف حيث قدم دراسة مستفيضة قيمة بعدسة نفسه تغطى أكثرمن 500 صفحة تحت عنوان الهند أسرار ومفاتيح، نتيجة انبهاره بعجائب الهند وغرائبها خلال عمله سفيرا في ربوعالهند.[١٤٣] ويجدرهنا بالذكر ما خلفه الكاتب المصري ثروت عكاشة من أثر ضخم في جانب الدراسات الهندية في صورة كتاب

[١٤٣] الهند أسرار ومفاتيح . د. إيهاب الشريف .

موسوعي شامل بعنوان "الفن الهندي" وأعمال سعيد الطريحيإلى جانب مسجلات الرحالة المبدعين من أمثال حسين الفوزي ،حسين هيكل، الصحافي حسنين هيكل،يوسف إدريس،أنيس منصور،نوال سعداوي،فتح الله أنطاكي،[١٤٤]الكاتبة أمينةسعيد،الروائي المصري د. محمد المخزنجي،أشرف أبواليزيد و الصحفي المهدي مبارك[١٤٥]، ناصر العبودي وعلي الطنطاوي . يتناول هذا المقال بالبحث عن الثقافة الهندية وشتى ملامحها في ضوء كتاب تاريخ الإسلام في الهند للدكتورعبد المنعم النمر مع إلقاء الضوء إلى انطباعاته الشخصية ومشاهداته خلال رحلاته في ربوع الهند وما عاشها من التجارب أيام مكثه في الهند بشكل مبعوث من الأزهر خلال الفترة ١٩٥٦-١٩٥٨ .

عبد المنعم النمر١٩١٣-١٩٩١

هو واحد من أبرز علماء الأزهر وأحد الوزراء الراحلين الذين تركوا بصمة واضحة في تاريخ الفكر والدعوة والوعي الاسلامي إلى جانب ما أثرى الأدب العربي باعتباره كاتبا صحفيا ورئيسا لتحريرعدة مجلات إسلامية. ولد في قرية الخرزانى مركز دسوق عام 1913م. تخرج فى كلية أصول الدين سنة 1939 ثم حصل على العالمية وعين مدرساً بكلية اللغة العربية وحصل على الدكتوراة عام 1972م. عين وزيرا للأوقاف سنة 1979م. تدرج الشيخ النمر فى عديد المناصب العلمية والدينية حيث تولى التدريس فى المعاهد الأزهرية وكليات جامعة الأزهر، كما درس فى الهند والكويت والإمارات وأصبح وكيلاً للأزهر ووزيراً للأوقاف. وانتدب للإشراف على دورات تدريبية لإعداد الأئمة والوعاظ والدعاة فى دول الخليج وكلف بإصدار مجلة الوعي الإسلامي الكويتية ومنار الإسلام بدولة الإمارات فجعل منهما منبراً للفكر الإسلامي والصحافة الدينية المتطورة فى إخراجها والدسمة فى مضمونها.

[١٤٤] الهند كما رأيتها . فتح الله أنطاكي .

[١٤٥] مهدي مبارك ،كاتب صحفي من مصر،مساعد رئيس تحرير صحيفة "الدستور" المصريَّة. فاز بجائزة ابن بطوطة لأدب الرحلات، فرع الرحلة المعاصرة عام 2019، وله مؤلفان: "مرح الآلهة 40 يومًا في الهند"و "قرش حشيش" - مجموعة قصصية.

وكانت للشيخ عبد المنعم النمر على أعمدة الجرائد المصرية وبالأخص جريدة الأهرام مقالات يكتبها بشكل منتظم، إلى جانب ما حصل فضيلته علي عدة أوسمة منها: وسام الجمهورية ووسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى وجائزة الدولة التقديرية. كتب حول الثقافة والتاريخ في الإسلام، ودافع عن أصالة الثقافة الإسلامية في مقابل الغزو الفكري الغربي، وله عدة مؤلفات منها :مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند، وهى رسالته للدكتوراه تحت إشراف الدكتور فوزي صالح عباس سنة1972.ومن أبرزها على سبيل المثال لا الحصر الإسلام والشيوعية، بين السنة والتشريع ، من هدي الرسول ،حضارتنا وحضارتهم ،إسلام لا شيوعية ،مشاكلنا فى ضوء الإسلام،الإسلام والغرب وجها لوجه، بدء الشهور القمرية بين السنة والاجتهاد ،الاجتهاد بين الماضى والحاضر .. ضروراته ومظاهره الآن، الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغزاء على مر القرون، الإسلام والغرب ، الشيعة.. المهدي ..الدروز..تاريخ ووثائق ، الماركسية بين النظرية والتطبيق ، الدين والحياة ، كفاح المسلمين فى تحرير الهند . توفي الأستاذ النمر عام1991.[١٤٦]

اهتمامه بالدراسات الهندية

باعتباركونه واحدا من أبرز علماء الازهر والأوقاف والدعاة حيث آثر ألا يكتفي بالمرحلة الجامعية الأولى بل بذل كل ما في وسعه في مواصلة مسيرته العلمية حتى ينال الدكتوراه بجدارة في التاريخ الإسلامي، كان شغوفا بالحضارة الإسلامية وآثارها الرائعة في الهند حيث استرعى انتباهه تاريخ الإسلام في الهند وبشكل ملحوظ لما أتيح له التجول في أرجاء الهند حين أرسل مبعوثا إلى الهندمن قبل الأزهر والمؤتمر الإسلامي،فسافر للتدريس في جامعة دار العلوم بديوبند كأول مبعوث مصري للهند يرافقه الشيخ عبد العال العقباوي. واستثمر تلك الرحلة الدعوية في دراسة علماء الهند من المفسرين

[١٤٦] د. محمد الجوادي، العلامة عبد المنعم النمر الثمرة الناضجة للاتزان الأزهري النشط . مقالة،مدونات، 2020-8-23

والمحدثين متأثرا بمسيرة الزعيم مولانا أبو الكلام آزاد وحياته النضالية. ومن المعلوم أن للهند سيرة وعلاقة طيبة بالاسلام فأراد الدكتور النمر ان يعقد علاقة وصلة علمية بين الأزهر وعلماء الهند من خلال طبع كثير من المصنفات العلمية من الطرفين[١٤٧].

وكان له عناية ملحوظة بعرض تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند عبر القرون دراسة وتحليلا مما شجعه على التأليف في هذا الإطار كتبا جادة مثل كفاح المسلمين في تحرير الهندعام 1964 محتويا على تأريخ الحقبة التي رزحت الهند فيها تحت وطأة الاستعمارالإنجليزي والجهود التي بذلها المسلمون في سبيل تحرير البلاد ، كما أخرج كتابا شاملا في جزءين عن المصلح الديني والزعيم السياسي مولانا أبو الكلام آزاد وكانموضوع رسالة الدكتوراه للنمر،إضافة إلى كتاب تاريخ الإسلام في الهند الذي يعتبر موسوعة عربية عن تاريخ المسلمين الهنود ومن أبرز ما كتب عن تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند على يد عالم عربي أجنبي .

تاريخ الإسلام في الهند

وهذا الكتاب يأتي ضمن الدراسات التاريخية المستفيضةعن الهند ومسلميها ومسيرة الحكم الإسلامي عبر القرون، قام بها صاحبها متنقلا في ربوع الهند أكثر من سنتين، متضمنا وصف مشاهدات وتجارب المؤلف أيام إقامته في البلد إلى جانب ما سجل في ثناياه من أخبار وأحداث رحلته في أرجاء الهند.

وأما قصة هذا الكتاب فقد سافر الأستاذ عبد المنعم النمر الى الهند في يناير 1956 مبعوثاً من الأزهر والمؤتمر الاسلامي، وأقام أكثر من سنتين وثلاثة شهور متنقلا بين ربوع الهند دارساً لأحوالها وآثارها وتاريخها القريب والبعيد، ثم عاد وأخرج كتابه الضخم تاريخ الاسلام في الهند، مشتملا على معلومات وحقائق وافية عن الحضارة الاسلامية المزدهرة وعن الحكم الإسلامي الذي استمر يحكم الهند ثمانية قرون ونصف قرن حتى سنة 1857 م . والكتاب من هذه الناحية يسد فراغاً كبيراً في المكتبة

[١٤٧] في ذكرى رحيله عبد المنعم النمر الوزير الثائر. تحقيق- خالد المطعني . مقالة، الأهرام، يونيو -1 -2013.

العربية،والتاريخ الاسلامي في شبه القارة الهندية . وفي معرض ذكر الحقائق والمعارف التاريخية ووصف المعالم والآثاروقيامه بزيارة المعابد والضرائح ومراكز العلوم والجامعات الهندية يسجل ما عاينه من المشاهد وعايشه من الأحداث والوقائع ولاقاه من التجارب مع إبداء انطباعاته وملاحظاته اللافتة .

ويجدر ههنا بالذكر ما لاحظه الشيخ النمر في معرض بيان تجارة الهند ومنتجاتها الرزاعية والصناعية من صادرات الهند من ارتباط التجارة وعوامل النزاع الناتجة منها بالاستعمار وبواعثه : ولعل مما اشتهرت به الهند من قديم خيراتها الوفيرة التي كانت تصدر إلى البلاد الغربية أعنى التي تقع في الجهة الغربية منها سواء أكانت البلاد العربية أم الإفريقية أم الأوربية وكانت هذه الشهرة مما أسال لعاب الأوربيين وجعلهم يتسابقون إلى الهند ، وكانت تجارتها التي تذهب إلى أوروبا مارة بالبلاد العربية ومصر من مصادر ثروة هذه البلاد بما يجبى عليها من ضرائب، ثم كانت هذه التجارة من عوامل النزاع بين أوروبا وبين البلاد العربية ولا سيا مصر ثم بين الدول الأوروبية نفسها مثل جنوا والبندقية ومثل أسبانيا والبرتغال وهولندا وانجلترا وفرنسا في استعمار الهند . وكانت صادرات الهند والرغبة في الاستفادة منها سبباً في اكتشاف رأس الرجاء الصالح بل سببا في اكتشاف الدنيا الجديدة أي الأميركتين حينما حاول كولمبس أن يصل إلى الهند عن طريق الاتجاه إلى الغرب بدلا من الشرق . ولمعان اسم الهند وتجارتها في أوروبا في ذلك الوقت هو الذي سبب كل هذا النشاط،وهو الذي جعلهم يسمون الجزر التي وصل إليها المكتشفون الأوربيون في أمريكا باسم جزر الهند الغربية لأنهم ظنوا حينما وصلوا إليها أنها هي الهند. ثم يلفت النظر إلى الباعث الجذري الذي أدى الانجليز الى استعمار مصر حيث كان استعمار الهند مدعاة لأن يؤمن الإنجليز طرقهم إليها فعمدوا إلى استعمارمصرومداخل البحر الأحمر في عدن والشواطىء الشرقية لأفريقية ثم الشواطىء الجنوبية لجزيرة العرب.[١٤٨]

[١٤٨] د،عبد المنعم النمر. تاريخ الإسلام في الهند. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع. بيروت، ص 35

التنوع الثقافي بين الديانات

بصفة كونه شغوفا بالبحث والدراسة لم يأل جهدا في الاستفادة وجمع المعلومات وإجراء الحوار والمقابلات مع المثقفين وأعلام الهند .وكان حريصا على الحضور في الحفلات والمؤتمرات الثقافية كما هو الملحوظ من ثنايا صفحات عمله الضخم .وعلى سبيل المثال يعبر عن اعتزازه عند ذكر مكانة اللغة الأوردية بالمشاركة في عدة حفلات بمناسبة تأميم قناة السويس وكان أكثرها من الهندوس فوجد الأوردية هي لغة الشعر والخطابة والحوار .كما تمكن له الحضور في اجتماع المجلس النيابي لحكومة بيهار فلاحظ أن النواب حين يخطبون يختار كل واحد اللغة التي يريدها ، فسمع الأوردية والانجليزية والهندية في جلسة واحدة.

نظام الطبقات ومعاناة المنبوذين

وفي فصل فكرة الطبقات يسهبالنمر في حديثه عن نظام الطبقات السائد في الحياة الاجتماعية الهندية وكيفية تشكل الطوائف المنبوذين المعروفين بشودرا ومعاناتهم من إخوتهم الهندوسيين . ويحكي من تجاربه مظهرا دهشته ما لاقاه من خادم بيته لما أعطاه كوب الماء حين طلب، امتنع عن لمسها وابتعد عنه وأشار ليصب المؤلف الماء في يده وهو يشرب . وتكررنفس الحادثة مرة أخرى حين جاءت خادمة من طبقة شودرا الى بيته فذهبت بنته الصغيرة بالكوب وناولتها إياها ولكنها امتنعت وأشارت لصب الماء في كفها وأثناء الصب فزعت المنبوذة وارتعدت وابتعدت .

ويذكرالشيخ النمر بهذه المناسبة البعثة الأزهرية التي أوفدها الأزهر سنة 1936 إلى الهند لتبحث في شأن المنبوذين بمناسبة ما أشيع من عزمهم على تغيير دينهم ، وكانت البعثة برئاسة المرحوم الشيخ إبراهيم الجبالي وعضوية المرحومين الشيخ عبد الوهاب النجار والشيخ محمد أحمد العدوى وسكرتيرية المرحوم الأستاذ حبيب أحمد . وقد مكثت البعثة في الهند عدة شهور تتصل بالمهتمين بالشؤون الإسلامية وتبحث

معهم في إمكانيات العمل الذي يستطيع الأزهر أن يقدمه لهذه الطائفة ترغيباً لها في الإسلام .

ولكن هذه البعثة لم تخرج بنتيجة عملية ملحوظة، وليس من المعقول أن مصر تستطيع أن تؤثر في هذا العدد الضخم وتجذبه للإسلام في حين كون مسلمي الهند الذين يجاملون معهم ليل نهار،عاملا منفرا من الإسلام بمعاملاتهم السيئة للمنبوذين اللهم إلا بعض من الجالية المسلمة . ثم يتحدث عن أمبيدكار رئيس المنبوذين وميوله الذهنيةواتجاهه أخيرا نحو البوذية مع عرض تقرير البعثة بشيء من التفصيل[١٤٩] .

البوذية ونالندا

وقد قام النمر بزيارة منطقة نالندا قريبا من بتنا في بيهار للتعرف على البوذية وتعاليمها ومعالم ثقافتها العريقة ،ويقف منبهرا أمام هذه المشاهد والآثار التاريخية . يقول : تجد البوذية من حكومة الهند عناية خاصة من جهة الأبحاث، ففي منطقة نالندا قريباً من بتنا في بيهار أقامت معهداً للبحوث في الثقافة والتعاليم البوذية بجانب الجامعة القديمة التي اكتشفوا مبانيها والتي ترجع إلى مئات من السنين قبل الميلاد ، وقد حظي بزيارة هذه المنطقة بصحبة أحد وزراء بيهار (شاه محمد عزيز منعمي) وبعض علمائها، وقضواوقتاً قصيراً في المعهد متعرفين على مهمته ومطلعين على بعض الكتب النادرة المستقدمة من جميع أنحاء العالم للبحث عن البوذية وآدابها وتعاليمها ، وكان بعض هذه الكتب قد كتب على خوص النخيل المعروف في الهند باسم التار ويمتاز بأنه عريض وأملس. ولاحظوا بالمعهد طلاباً من جميع الأمم الشرقية التي تعنى بالبوذية وسجل كلمة إعجاب بالروح التي أملت قيام هذا المعهد، ودفع هؤلاء الشبان إلى التخصص والتفرغ لما يعنى به من الدراسات القديمة.[١٥٠]

[١٤٩] نفس المصدر ،ص 57.

[١٥٠] نفس المصدر، ص 85.

الخاتمة

وفي الختام،يمكن القول بأن الأستاذ النمرقد حقق أمل الأزهر والمؤتمر الإسلامي في سد فراغ هائل في تاريخ الهند الإسلامي حيث أخرج الكتاب مرجعا وافيا للباحثين ولكل من يهمه الاطلاع على تاريخ الحكم الإسلامي في الهند ،جامعا فيه الطرائف والغرائب من المعلومات والصور مع مزيج من تجاربه الذاتية والانطباعات والملاحظات.

وتبين لنا من خلال عرض مثل هذه النصوص لأعلام الفكروالدعوة،أنها تربط كجسر تواصل بين الحضارات والثقافات المتعددة الأشكال والألوان كما تساعد لتوطيد العلاقات بين الشعوب والدول في مجال تبادل الفنون والآداب وترجمة الوعي والطموحات وتعكيس الآمال والآلام، إضافة إلى ما تكسوالهند وآدابها من حلل المجد والاعتزاز وتكسبها من مكانة ملحوظة في ساحة الثقافة العربية ،إلى جانب ما ساعدت تلك العوامل في جذب الرحالة الأجانب إلى بلاد الهند للاطلاع على شتى ملامح الحضارة وأبعاد التاريخ المتنوعة.

المصادروالمراجع

- ✓ -.تاريخ الإسلام في الهند عبد المنعم النمر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت.
- ✓ -أبو الكلام آزاد عبد المنعم النمر ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. ١٩٧٢.
- ✓ -كفاح المسلمين في تحرير الهند د. عبد المنعم النمر ، مكتبة الأسرة.
- ✓ جنوبا وشرقا رحلات ورؤى د .محمد المخزنجي ،دار الشروق ، القاهرة.
- ✓ سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير الأمير يوسف كمال، ارتياد الآفاق، أبو ظبي ٢٠٠٤.
- ✓ -الفن الهندي د. ثروت عكاشة، دار الشروق،٢٠٠٥.
- ✓ -الهند أسرار ومفاتيح د. إيهاب الشريف ،المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ،نيودلهي .

المرأة الهندية
في السرد العربي المعاصر

محمد مدثر عالم، باحث الدكتوراه
جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية ، حيدراباد، حرم لكناؤ

ملخص البحث

لقد حظيت المرأة الهندية باهتمام كبير من أدباء العرب، ولا سيما وجدت ذكرا ملحوظا في كتبهم الرحلة قديما وحديثا، فدونوا في كتاباتهم العادات والتقاليد والطقوس المتباينة الهندوسية، ومن ثمة أتوا ضمنها بذكر المرأة الهندية، فوقفوا عند تصوير وضع المرأة وقفة طويلة.

وفيما يخص المرأة الهندية في السرد العربي المعاصر أننا نجد أن الأدباء المعاصرين على التباين في تسليط الضوء على صورة المرأة الهندية، فتتفاوت مخاطرهم وانطباعاتهم عنها بين نقد حاد متشائم و تأمل إيجابي متفائل، وذلك بما يلاحظون من تقاليد غريبة في بعض الطبقات الهندية تمارسها الفئة النسوية وتخضع لها، فتبدو مظلومة، مهضومة الحقوق، وبما يشاهدون من عظمتها ومكانتها الرفيعة في بعض الطبقات، فتبدو حرية، مستحقة الحقوق، تشارك في المجال السياسي والاجتماعى والديني وتشغل مناصب هامة في الحكومة والقطاعات الخاصة. يهدف هذا المقال إلى إبراز وضع المرأة الهندية، ويسلط الضوء على صورها المختلفة، كما يحاول أن يستكشف عن مكانتها المتباينة في الطبقات الهندية من خلال تحليل نصوص تحتوي عليها كتب الرحلات المعاصرة.

المقدمة

قد استلفتت المرأة الهندية انتباهات كثير من رحالة العرب إلى الهند، وجاءت انطباعاتهم عن الهندية متفاوتة ما بين السلبية والإيجابية، وذلك وفقا لطبيعة التكوين الاجتماعي والثقافي لمجتمع ما، فالهند بلاد ديمقراطي يحتضن الأديان المختلفة، وتتشعب فيه طبقات عديدة بعادات وتقاليد متناقضة، فوضع امرأة هندية في طبقة قد يكون مخلتفا عمايكون في غيرها من طبقات أخرى، وقد يكون هذا الاختلاف يشتمل على عادات وتقاليد ممارسة في منطقة بينما قد تكون منبوذة ومشنوعة في منطقة أخرى، وتشهد على ما سبق ملاحظات نقدية دونتها الكاتبة المصرية الشهيرة المثيرة الجدل نوال السعداوي في كتابها "رحلاتي في العالم".

قامت نوال السعداوي بزيارة الهند في أواخر القرن العشرين، ونزلت ضيفة على زوجها الذي كان يعمل في الهند منذ عامين، ويسكن في حي ديفنس كالوني في دلهي الجديدة، فتنقلت السعداوي بين الولايات المختلفة الهندية، وزارت المعابد والمصانع والمزارع العديدة، ولقيت شخصيات نسائية بارزة من الكاتبات والشاعرات وحتى رئيسة الوزراء للهند آنذاك "اندرا غاندي"

فمن بين ملاحظاتها النقدية المدونة في كتابها ملاحظة عن عادات متناقضة تمارس في بعض مناطق وطبقات هندية مختلفة، وهي كما يلى: "ولازال مفهوم الشرف في كثير مناطق الهند قاصرا على الحفاظ على الأعضاء الجنسية وبالذات عند البنات والنساء، ولكن هناك مناطق تفرض العذرية على الذكور أيضا، ويحرم على الشاب أن يمارس الجنس قبل الزواج، وفي بعض المناطق يتزوج الرجل امرأة واحدة، أما المرأة فلها عدد من الأزواج[١٥١]"

وفي الفقرة التالية من نفس الصفحة، تستبين السعداوي تناقضات حول عادة الزواج الهندي بين الطبقات المختلفة، قائلة:

[١٥١] السعداوي، نوال، رحلاتى في العالم، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي، الطبعة الأولى، 2017م، ص154.

"وقد وجدت أن اختلاف أنظمة الزواج أبوية كانت أموية، تعدد زوجات أو تعد أزواج، كل ذلك يرتبط بالنظام الاجتماعي والاقتصادي لهذه المنطقة أكثر مما يرتبط بالنظام الديني أو الأخلاقي. في بعض مناطق الجنوب أسرا أموية ومسلمة في الوقت نفسه، ووجدت أن المسلمين والمسلمات في بعض المناطق الهندية يحرمون على الرجال تعدد الزوجات؛ لأنه يضر المنطقة اقتصاديا، وهكذا[١٥٢]"

المرأة الهندية بصورها المختلفة في المجتمع الهندي

(أ) المرأة الضحية للتقاليد

إن وضع الهندية لايختلف كثيرا عن الأوضاع التي مرت ولاتزال تمر بها الفئة النسوية في كثير من بلدان العالم، وربما وضعها أسوأ بكثير في تلك البلدان مما هو في الهند. فإن المتمعن في القضايا الاجتماعية الهندية ولاسيما القضايا المنوطة بالمرأة الهندية يجد أن التمييز بين الأولاد الذكور والأنثى متجذز في بعض الطبقات الهندية، وفي بعض الأحيان يصل هذا التفريق بين الجنسين إلى الإجهاض القسري و قتل الأجنة في أرحام الأمهات عند اكتشاف الأمر، لو خرجت الوليدة بإذن الله إلى النور فإن الوجوه تصبح مسودة، ويغامر أسرتها الحزن والألم، وتسود الظلمة على أبويها، وعلى من له صلة بهما.(يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ[١٥٣]) (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ[١٥٤])

فليس من الغريب أن نرى المرأة في المجتمع الهندي قد تحرم من مرافق الحياة الأساسية، ويسلب منها حق التعليم، وتختطف منها فرصة الوظيفة، وينهب منها اختيار الزواج، فهي مطاوعة منقادة وليس لها إرادة، ولارغبة، ومن المستغرب - بل من المستحيل- أن تتمرد المرأة ضد التقاليد البالية المفروضة عليها منذ ولادتها. إلا أن ما

[١٥٢] المصدر نفسه، ص154.

[١٥٣] القرآن الكريم، سورة النحل (٥٩)

[١٥٤] سورة النحل (58)

سبق من وضع المرأة في بعض الطبقات الهندية قد يتناقض ما يكون من وضعها في طبقات أخرى.

"إن بعض الناس في الهند لا زالوا يقدسون التقاليد الإقطاعية القائمة على التفرقة بين الطبقات وسيادة الرجل على المرأة داخل البيت وخارجه، البعض الآخر لا زال مجتمعا أمويا تسود فيه النساء وترث البنات الأرض ولايرث الأولاد الذكور،...وفي ظل هذه الثقافات المتباينة تجد قيما أخلاقية متباينة تبدأ من أقصى التزمت وفرض الحجاب على النساء والعذرية على البنات إلى أقصى التحرر وسيادة المرأة وحريتها في اختيار زوجها بل أزواجها، حيث تتزوج المرأة بعدد من الرجال، وتنسب إليها أطفالها[١٥٥]".

تدقق الكاتبة السعداوي النظر في العادات والتقاليد الهندية الغريبة، وبكونها امرأة وكاتبة شهيرة برفع قضايا المرأة في أي مجتمع كان، لها رغبة زائدة في سبر أغوار القضايا عن المرأة الهندية، فتأتي بملاحظاتها النقدية عنها بكل صدق وأمانة وجرأة صريحة، فبمنظار الناقدة الجريئة المدققة تحاول تدوين ملاحظاتها عن عادة الزواج الهندي الغريبة التي لا تتألف منها، فتقول:

"والمرأة في الهند هي التي تدفع المهر لزوجها، ويزيد مهر العريس بارتفاع طبقته وبارتفاع منصبه وتعليمه. وهذا بقايا النظام الأموي الذي كان سائدا في الهند، وكانت المرأة لها السيادة داخل البيت وخارجه.... وبعد أن ثار الرجل على المرأة وانتشرت الأبوية المرأة سيادتها لم يتغير نظام دفع المهر كثيرا، وظلت المرأة هي التي تدفع المهر لزوجها[١٥٦]".

إن المتمعن في التاريخ الاجتماعي للهند ليجد أن الهندية تفانت في خدمة وطنها و مجتمعها وعاشت إرضاء لزوجها، وقامت بتضحيات كثيرة في خدمة أسرتها، وقدمت كل

[١٥٥] السعداوي، نوال، رحلاتي في العالم، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، ص١٣٧.

[١٥٦] السعداوي، نوال، رحلاتي في العالم، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، ص١٥٣

حياتها مع شبابها وجمالها قربانا لرعاية أولادها وزوجها، وعلى رغم كل ذلك، لم تنل منها أجرا ولا شكورا، بل لقيت اللعنة والطعنة وقابلت بالنكران والجحود في كل مكان، فالهنديون على اختلاف ألسنتهم، وأديانهم، وعقائدهم، وعاداتهم وتقاليدهم، يتفقون معا على وحدة اظطهاد المرأة، ويصطفون صفا واحدا في حطهم من شأن المرأة، ويتخبطون على طريق واحد في معاملتهم لها معاملة المواشي.

وعلى منوال نوال السعداوي، أتت الكاتبة المصرية المناضلة الكبيرة في سبيل حرية المرأة أمينة سعيد باستعراضها لوضع المرأة في كل طائف من طوائف الهند، ودونت ماسمعت عنه و ما شاهدته في الهند من تقاليد وعادات هندية في كتاب "مشاهدات في الهند"، وذلك عندما زارت الهند قبل استقلالها سنة ١٩٤٦م، وكانت باكستان وبنغلاديش قد تشكلان جزءا من بلاد الهند، فتقول:

"والديانة الهندوسية لا تعترف بمكانة النساء، ولا تقر لهن في المجتمع مقاما جليلا، وتعتبر الرجل إله المرأة الذي حق عليها عبادته، واحتمال قسوته دون شكوى أو تذمر، فهي ظله، ولا يصح للظل أن يسمو إلى مكانة الأصل. ومن أجل ذلك كانت الزوجة الهندوسية في الماضى تحرق يوم وفاة زوجها وتدفن معه؛ فتقبل على المحرقة التي اجتمع حولها الأقارب والأصدقاء، وتقتحم نيرانها باسمة، وذلك دليل الرضا والقبول، فإن تراجعت حل العار بأسرتها، فتنبذها لتعيش ما تبقى لها من الحياة طريدة وشريدة[١٥٧]".

ولاتقف أمينة سعيد في استعراضها لحالة المرأة الهندية عند العادة الغريبة المفزعة المستهجنة حول الزواج الهندي، بل تستعرض وضع تعليم الهندية، فتقول ناقدة:

[١٥٧] سعيد، أمينة، مشاهدات في الهند، دارالمعارف للطباعة والنشر، مصر، ص 69. لاتوجد معلومات أخرى

"ومن أجل ذلك تقبل الهندوسيات على التعليم بشغف، فتكون الأمية بينهن أقل منها في المسلمات، ولكن نسبة التعليم مازالت ضئيلة، والمثقفات قليلات، وأكثر النساء يذقن .....من جراء هذا الغبن الاجتماعي الصارخ؛ مما يدفع أرامل كثيرات الى الانتحار بالسم أو النار، فآلام الموت تهون أمام ما ينتظرهن في الحياة[١٥٨]".

تعرف أمينة سعيد بكاتبة داعية لتحرير المرأة، ومساواتها بالرجال، وتمثل نصوص كتبها منبرا استطاعت المرأة التعبير عن نفسها، والجهر بالمظالم والغبن في حقوقها، وذلك طبيعي بصفتها امرأة تدقق النظر في قضايا المرأة في أي مجتمع ما، فلم يكن من الإمكان أن تعدل النظر عن النقد للحجاب أو البردا ترتديه المسلمات الهندية.

"ويقف الحجاب أو ((البرادا)) عقبة كئودا في طريق تقدم الهندية المسلمة، وهو حجاب عجيب، يلتف حول الجسد، ويغطيه من قمة الرأس إلى أخمص القدمين، وأما العينين فتحتان صغيرتان، تغطيها طبقة من النسيج الشفاف، لايكاد البصر يتبين خلالهما شيئا. وبعض النساء لايكتفين بهذا الحجاب فإذا ركبن عربة غطين مقدمها بقطعة كبيرة من النسيج الثقيل حتى لاتقع أبصار المتطفلين على حجاب من يجلسن في الداخل[١٥٩]".

يبدو أن الكاتبة التي تؤمن بتحرر المرأة عن القيود لا تعرف موقف الإسلام عن الحجاب كما حقه أو تعرفه لكنها تتجاهل، وتفشل في إقناع فكرتها بأن الحجاب لن يحول دون تقدم الهندية المسلمة، فترى أمينة سعيد أن الحجاب لم يوجبه الإسلام، وهو مما فرضه المسلمون عليها. وما هي الا أوهام أمينة وغيرها من داعية حرية المرأة. "فلعل الكاتبة المصرية التي تؤمن بالتحرر عن القيود لا تعرف الإسلام حقا فالحجاب في أي صورة كان مما أصره الإسلام على أتباعه والحق أن هذا ليس بدعة أحدثها الإسلام بل مما عرفه العرب منذ جاهليتهم وقد كان عاما لدى نساء أشرافهم[١٦٠].

[١٥٨] المصدر نفسه، ص٧١.

[١٥٩] المصدر نفسه، ص٧٥

[١٦٠] الأعظمي، أورنك زيب، مشاهدات في الهند دراسة نقدية، مقال نشرته شبكة الألوكة، ص ١٩. لاتوجد معلومات أخرى

(ب) المرأة الكادحة

لقد مرت أكثر من سبعين سنة على استقلال الهند، لكنها مازالت ولاتزال تعاني من الفقر والبؤس، ولايزال عدد المتسولين والشحاذين يزداد يوما فيوما، والناس يموتون جوعى، والفلاحون المتخلفون عن سداد الديون يفضلون الانتحار على مواجهة الإجراءات المصرفية، ووفقا لخبر نشر في صحيفة دي اكنامكس تائمس في أواخر العام الماضي ٢٠٢٠م أن الهند تحتل المركز الرابع والتسعون في مؤشر الجوع العالمي من بين دول العالم[١٦١] فلم تغير وضع الهند الاقتصادي كثيرا مما كانت عليه منذ قامت نوال السعداوي بزيارة الهند، التي سجلت ملاحظاتها عن فقر الهند، وأتت بذكر المرأة الكادحة بقدر من التفصيل، فهي تكتب عن القرويات الفلاحات، والعاملات في المزارع والمصانع والمكاتب ليحصلن على ما يسد الرمقس:

"المرأة العاملات بأجر في الهند تمثل ١٩% من قوة العمل (ضعف الرقم في مصر) وهي تعمل في كل مكان، تعمل في الحقل وتعمل في المصنع وتعلم في المكتب.... النساء العاملات يمثلن ٤٥% من جملة عدد النساء في الهند، من هؤلاء ٧٧% يعملن بالزراعة فقط، والمرأة التي تعمل بالزراعة هى تلك المرأة الكادحة التي تشقى طول النهار في الحقل ثم تعود إلى بيتها تطبخ وتغسل وتنظف.....الخ[١٦٢]"

(ج) المرأة الكاتبة:

وبمثل أعجبت السعداوي بشجاعة إنديرا غاندي وقوتها في حسم الأمور أعجبت بشجاعة الأديبات الهندية وجرأتها، اللائي ينقدن الأحزاب السياسية وحكومة إندرا غاندي، والتقاليد الغريبة والخزعبلات الباطلة الهندية.

فأولاهن الكاتبة "ساهجال" وهي تنقد حكومة إندرا غاندي وسياستها بغير خوف ولا حرج، وتكتب ضد سياساتها كما تكتب روايات وقصص، وعلى رغم كل ذلك لم يكدر صفاء الصداقة بينها وبين إندراغاندي.

---

[١٦١] The Economic Times: India ranks at 94 in Global Hunger Index, Oct 17, 2020, 02:53 PM IST.

[١٦٢] السعداوي، نوال، رحلاتي في العالم، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي، الطبعة الأولى، 2017م، ص154

"احدى الكاتبات واسمها "ساهجال" كتبت تنقد الحكومة وتنقد سياسة إندرا غاندي....وساهجال تكتب في السياسة وتكتب أيضا روايات وقصص، في روايتها الأخيرة بعنوان ((هذا الظل)) تكشف حياة المرأة المطلقة في الهند، وتنقد كثيرا من التقاليد التي تحيط بالمرأة الهندية[١٦٣].

وأما الكاتبة الثانية التي لقيتها السعداوي في زيارتها للهند فهي كاملاداس، وهي كاتبة جريئة، تعبر عن نفسها بصدق وأمانة كما تعبر عن الآخرين. تقول عنها السعداوي:

"إحدى الكاتبات في الهند اسمها ((كاملا داس)) تمسك القلم كأنه مشرط في يد جراح، تشق اللحم وتكشف النخاع، تكتب عن حياتها بالشجاعة نفسها التي تكتب بها عن الآخرين، آخر كتاباتها هي مذكرات حياتها. تقول عن نفسها إنها لا تملك الا الصدق[١٦٤]".

"أمريتا بريتام" الروائية والشاعرة هي الأخرى التي تأثرت السعداوي بأدبها، فهي تكتب بكل شجاعة وبغير خوف عن الموضوعات الحساسة.

"إن الروائية والشاعرة ((أمريتا بريتام)) إحدى هؤلاء اللائي نقدت بشعرها ونثرها كل ما هو مزيف في السياسة أو الحكم أو الدين أو الجنس.....وأهدتني روايتها الأربعين بعنوان ((ذلك الرجل)).....التي تكشف كثيرا من الزيف في موضوع الدين[١٦٥]".

تعليقات جميلة عن المرأة الهندية:

[١٦٣] السعداوي، نوال، رحلاتي في العالم، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي، الطبعة الأولى، 2017م، ص148

[١٦٤] المصدر نفسه، الصفحة التالية

[١٦٥] المصدر نفسه، الصفحة التالية

- المرأة المتعلمة الواعية بواجبها الكامل نحو بلادها: المرأة المتعلمة هناك تقوم بواجبها الكامل نحو بلادها، وتسهم في بناء صرحها، وتأخذ بيد المجتمع لتعينه على السير قدما[١٦٦].
- إقبال المرأة الهندية على التعليم: تقبل الهندوسيات على التعليم بشغف.....ولكن نسبة التعليم ضئيلة[١٦٧]
- مشاركة المرأة المسلمة الهندية في السياسة: ومما يدعو إلى السرور خروج الطبقة المتنورة على ((البردا))..... فبرز منهن سيدات لعبن أدوارا مجيدة في الجهاد السياسي والاجتماعي، ومن بين هؤلاء ((بيجم شاهنواز)).....وهناك أيضا ((بيجام جناح))[١٦٨].
- تحجب الهندوسيات بالبردا: ولقد لاحظت أن بض القرويات الهندوسيات يتحجبن بالبردا أيضا.....فلما سألت عن السبب قيل لي إنهن اقتبسنه من المسلمات.
- تمتع الهندية بحق التصويت والانتخاب: ومن دواعي السرور أن الهندية تمارس هذا الحق بشجاعة واستقلال في الرأي، غير متأثرة بعوامل داخلية أو خارجية[١٦٩]
- المرأة لها السيادة: في بعض المناطق في جنوب الهند لايزال ينسب الأطفال إلى أمهاتهم، وترث البنات الأرض من الأم[١٧٠].
- ارتداء الهنديات للساري أو الصاري: إن المرأة تلبس الساري وهو قطعة من الحرير تلتف حول الساقين، وترتمي على الكتف[١٧١].

---

[١٦٦] سعيد، أمينة، مشاهدات في الهند، دارالمعارف للطباعة والنشر، مصر، ص 67. لاتوجد معلومات أخرى

[١٦٧] المصدر نفسه، الصفحة التالية

[١٦٨] المصدر نفسه، ص75

[١٦٩] المصدر نفسه، الصفحة التالية

[١٧٠] السعداوي، نوال، رحلاتي في العالم، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، ص١٥٣

[١٧١] أنيس، منصور، حول العالم في 200 يوم، الطبعة الطبعة السادسة، 2007م، دارالشرق، القاهرة، ص133.

- مركز المرأة في آسيا: .....فهي هنا في الهند رئيسة أعظم حزب.....وهي وزيرة ونائبة، مستشارة، قاضية، وهي وكيلة البلمان، ورئيسة مئآت من الهيئآت الرسمية[١٧٢]
- حياء الهندية: .....والنساء الهنديات سواء كن من المتعلمات أو الجاهلات تذبن حياء وخجلا اذا ما جلسن مع أي رجل غريب عن العائلة[١٧٣].
- وغيرها من تعليقات جميلة صادقة عن المرأة الهندية.

الخاتمة

من إحدى صفات الهند البارزة هي التناقض في العادات والتقاليد، والتباين في الألسنة والأديان والمعتقدات، وبذلك تعرف الهند ببلاد الوحدة في التنوع، فالملاحظات النقدية والتعليقات الجميلة عن الهند عامة و عن المرأة الهندية خاصة التي سجلتها أقلام رحالة الهند من أمثال نوال السعداوي، وأمينة سعيد، وأنيس منصور، ومحمد ناصر العبودي وغيرهم قائمة على الصواب والخطأ، فنجد مثلا نوال السعداوي وأمينة سعيد أنهما سعيدتان بوضع إمرأة تنال حظا وافرا من التقدير والاحترام في بعض الطبقات، فتأتيان بتعليقات جميلة عن الهند وتغدقان عليها الثناء، كما نجد أنهما حزينتان لأزمة إمرأة في حياتها اليومية، فتمطران بوابل النقد الحاد على الهند. فإن التفاوت في التقاليد والطقوس .

المصادروالمراجع

- ✓ **القرآن الكريم،**
- ✓ **السعداوي، نوال، رحلاتى في العالم، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م**

[١٧٢] المصدر نفسه، الصفحة التالية

[١٧٣] انطاكي، فتح الله، الهند كما رأيتها، الطبعة الأولي، القاهرة، ص٢٢

✓ سعيد، أمينة، مشاهدات في الهند، دارالمعارف للطباعة والنشر، مصر، ص ٦٩. لاتوجد معلومات أخرى.

✓ الأعظمي، أورنك زيب، مشاهدات في الهند دراسة نقدية، مقال نشرته شبكة الألوكة، ص ١٩. لاتوجد معلومات أخرى.

✓ https://dawa.center/file/3990

✓ (6) The Economic Times: India ranks at 94 in Global Hunger Index, Oct 17 2020, 02:53 PM IST.

✓ https://economictimes.indiatimes.com/news/politics-and-

✓ أنيس، منصور، حول العالم في ٢٠٠ يوم، الطبعة الطبعة السادسة، ٢٠٠٧م، دارالشرق، القاهرة، ص١٣٣.

✓ انطاكي، فتح الله، النهد كما رأيتها، الطبعة الأولي، القاهرة، ص٢٢.

تصوير الهند وثقافتها
في كتابات أحمد أمين

محمد يوسف مير. باحث الدكتوراه
قسم اللغة العربيّة، بالجامعة المليّة الإسلاميّة، نيودهلي

ملخص البحث

إنّ بلاد الهند غنيّة بتراثها وثقافتها منذ زمن قديم، فأصبحت بذلك من عوامل حاسمة للتأثير في ثقافات الشعوب الأخرى وحضاراتهم قديما وحديثا، وهكذا تأثر العرب بثقافتها تأثرا شديدا. إنّ العلاقات بين شبه القارة الهندية والجزيرة العربية عريقة في القدم. لو درسنا تاريخ العلاقات بينهما لوجدنا أن الهند كانت تسدّ منذ زمن قديم معظم احتياجات الناس في الجزيرة العربية مثل المواد الغذائيّة ومواد الرخاء والمعيشة النعيمة كالحرير والمجوهرات.

تأثر العرب بالحضارة الهنديّة حيث تاجروا معها، ومن خلال التجارة جاءت الثقافة. فأصبحت الثقافة الهنديّة مختلطة اختلاطا وثيقا بالثقافة العربية الإسلاميّة في تجلياتها الأوردوية التي كانت لغة البلاط والمفكرين والأدباء المثقفين زهاء أكثر من أربعة قرون. من المفيد ما يذكر هنا أن العرب أخذوا أفكار الهنود في الأدب والبلاغة واستعاروا آرائهم الكثيرة وصاغوها في القالب العربي ووصفوا الهند على وجه المنشود. نجد الكثير من الكتاب الذين وصفو الهند وثقافتها في كتبهم التي تلقيت بحفاوة بالغة في أوساط علمية، ومنهم البيروني وابن بطوطة وغيرهما من الرحالة. علاوة على ذلك تداولت أقلام الأدباء المعاصرين أيضا الهند وثقافتها في كتبهم القيّمة على وجه التفصيل، ومنهم مؤرخ الفكر الإسلامي – الأستاذ أحمد أمين.

اهتمّ أحمد أمين بتسليط الضوء الكاشف على بدء علاقات العرب بالهند وما استفاد العرب من الثقافة الهنديّة بأسلوبه الرشيق المتألق في كتاباته العديدة. عندما

يهتمّ القارئ بدارسة نفس الموضوع في كتابات أحمد أمين فيجدها من المصادر المهمّة في الموضوع المذكور لأنها تحيط بجميع جوانبه التي لا نجد معظمها مذكورة في الكتب الأخرى على الوجه المطلوب. فانطلاقا من هذا سيجري البحث في هذا المقال، بشكل وصفي، في تصوير الهند في كتابات أحمد أمين مع التركيز الخاص على ما كتب المؤلف في الثقافة الهندية.

كلمات مفتاحيّة: الهند، أحمد أمين، جزيرة العرب، علاقة، الثقافة الهنديّة

المقدمة

هذه حقيقة لا تنكر أن الهند غنية بتراثها العلمي وثقافتها التاريخية منذ زمن قديم، وصارت من عناصر حاسمة للتأثير في ثقافات الشعوب الأخرى وحضارتهم قديما وحديثا على حد سواء ومنها الثقافة العربية التي تاثّر شعبها بتراث هندي تأثرا شديدا. والعلاقات بين شبه القارة الهندية والجزيرة العربية عريقة في القدم. عندما نحاول البحث عن جذور تاريخ العلاقات بين الهند والعرب ننتهي إلى أن الهند كانت لها دورا رياديا في قضاء حاجات الناس في الجزيرة العربية مثل المواد الغذائية ومواد الرخاء والمعيشة النعيمة كالحرير والمجوهرات. هناك الكثير من الوسائل والطرق التي اتصلت بواسطها العرب بالهند واستفادوا منها ومن ثقافتها استفادة كثيرة، وفي مقدمتها التجارة والديانة. وهذا بدوره نتج عن الاختلاط الوثيق بين الثقافة الهندية والثقافة العربية الإسلامية في تجلياتها الأردوية التي كانت لغة البلاط والمفكرين والأدباء والمثقفين زهاء أكثر من أربعة قرون. من المفيد بالذكرأن هذا الاختلاط لم يتقيد في التجارة والدين بل أخذ العرب أفكار الهنود في الأدب والبلاغة، واستعاروا آرائهم الكثيرة، وصاغوها في القالب العربي، ووصفوا الهند على الوجه المنشود. وكذلك نجد عددا لافتا للنظر من الكتاب الذين وصفوا الهند وثقافتها في كتبهم المؤقرة التي تلقيت بحفاوة بالغة في أوساط علميّة، وفي طليعتهم البيروني وابن بطوطة وغيرهما من الرحالة. علاوة على ذلك، تداولت أقلام الأدباء المحدثين أيضا الهند وثقافتها في كتبهم العبقرية إجمالا

وتفصيلا، ومنهم مؤرخ الفكر الإسلامي – الأستاذ أحمد أمين. اهتم الأستاذ بتسليط الضوء الكاشف على نشأة الأواصر الأولي بين العرب والهند وما استفاد العرب من الثقافة الهندية بأسلوبه الرشيق المتألق في كتاباته العديدة. عندما يهتم القارئ بدراسة نفس الموضوع المهم في كتابات أحمد أمين، يجدها من المصادر المهمّة فيس الموضوع المذكور لأنها تحيط بجميع جوانبه التي لا نجد معظمها مذكورة في الكتب الأخرى على الوجه المطلوب. فانطلاقا من هذا سيجري البحث في هذا المقال بشكل وصفي في تصوير الهند في كتابات أحمد أمين مع التركيز الخاص على ما كتب المؤلف في الثقافة الهندية. وقبل الخوض في صلب الموضوع لا معدى لنا عن معرفة النبذة عن حياة أحمد أمين.

نبذة عن حياة أحمد أمين

ولد الأستاذ أحمد أمين في مصر في الساعة الخامسة صباحا سنة ١٨٨٦م، كما ذكره في سيرته الذاتية "حياتي". تلقّى تعليمه الابتدائي في بيته الذي كانت بيئته متميزا بالبساطة والنظافة كما كانت تسودها السلطة الدينية لأنّ أباه كان عالما عبقريا في عصره. يعلّق أحمد أمين على ما استفاد في بيته استفادة علمية حيث يقول: "كان هذا البيت أهم مدرسة تكونت فيها عناصر جسمي وخلقي وروحي".[١٧٤]

بعد أن جاوز أحمد أمين مرحلة الطفولة وبعد أن بلغ أشدّه، ألحقه أبوه بالمدارس العلميّة حيث اشتغل في إرواء غليله العلمي، ومنها مدرسة الأزهر. ومن الأهم ما يذكر في هذا المقام هو أن الأستاذ أحمد أمين اغتنم فرصا غاليةفي مدرسة الأزهر من أجل الاستفادة من العلماء العباقر وفي طليعتهم الشيخ محمد عبده الذي تأثر بآرائه الإصلاحية ولو أنه حضر دروسه لمدة قصيرة.[١٧٥] وبعد فراغه من التعليم تلقّى عدة المناصب في المدارس المختلفة حيث درّس الأدب واللغة العربية، والأخص بالذكر منها

[١٧٤] حياتي، ص٢٥.

[١٧٥] المصدر السابق، ص٤٨-٥٧.

اشتغاله مدرسا في الجامعة المصرية حيث درس الأدب العربي والنقد الأدبي لزمن.[١٧٦] علاوة على ذلك، تولّى الإشراف على لجنة التأليف والترجمة والنشر مدة أربعين سنة منذ أنشائها حتى رحيله من الدار الفانية.[١٧٧]

وقد ترك الأستاذ أحمد أمين تراثا علميا ضخما وراءه، ومنها كتبه في تاريخ الفكرالإسلامي أي فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام ويوم الإسلام، ولعلي لا أخطئ حينما أقول إنه لم يسبقه مثيل في هذا المضمار طوال العصور التاريخية. ومن مؤلفاته الأخرى إلى والدي، والنقد الأدبي، وفيض الخاطر في عشرة أجزاء، وهارون الرشيد، والمهدي والمهدوية، وكتاب الأخلاق، وزعماء الإصلاح في العصر الحديث، وحياتي وغيرها. وكذلك كتب بعض الكتب بالاشتراك مع الآخرين وفي مقدمتها "قصة الأدب في العالم" في ثلاثة أجزاء.

العلاقات التاريخية بين الهند والعرب

تختلف الآراء بين العلماء والمؤرخين بخصوص التاريخ الأصيل للعلاقات بين الهند والعرب، وقد أوردوا شتّى الروايات والأحاديث في بيان فضيلة الهند وعلاقاتها الجذرية مع العرب. فبعضهم يرون أن هذه العلاقات ترجع إلى الغزاة المسلمين الذين شنّوا حربا على الهند وسيطروا عليها بفضل قوتهم وطاقتهم، وأخضعوا أهالي الهند لسلطانهم، وبينما ينقل الآخرون عن العرب حيث يزعمون أن علاقتهم بالهند لم تبدأ منذ سنوات عديدة، بل جذورها الأصيلة ترجع إلى البداية وهي منذ نشأتها وطن أبوي لهم.[١٧٨]

وكلّما نقلّب صفحات كتب التاريخ فتنتهي بنا الدراسة إلى أن العلاقات بين العرب والهند قد نشأت بواسطة ثلاث وسائل، وهي الروابط التجارية والعلمية

[١٧٦] أعلام القرن العشرين في العالمين العربي والإسلامي للدكتور فؤاد صالح السيد، ص٤٩-٥٠.

[١٧٧] حياتي، ص١٨٦.

[١٧٨] عرب وبند تعلقات، ص١ـ

والدينية. في الحقيقة كانت الروابط التجارية أكثر وثيقة من الروابط الأخرى، وهذه هي التجارة التي مهّدت السبل فيما بعد لمهمات أخرى خاصة للثقافة والديانة.وليس مجالا للشك فيكون العرب مشغولين في التجارة منذ أن شهدت الدنيا هذه الصناعة. ومن المزعوم أن السفن البحرية كانت تحمل السلع التجارية من الشاطئ الهندي إلى مرافئ اليمن، ومن هنا كانت تنقل إلى البلاد الأخرى من الشام ومصر، ومن هنا كانت تبعث إلى البلاد الأوروبية، كما يشير سيد سليمان إلى معلومة مهمّة حيث يقول إن القافلة التي أوصلت سيدنا يوسف عليه السلام إلى مصر وباعته هناك قد مرت بنفس الطريق التجاري[١٧٩]. فيمكننا القول إن التجارة لعبت دورا بارزا في توطيد العلاقات بين العرب والهند، والتي بدورها فتحت فيما بعد أبوابا للدعاة المسلمين والعلماء الذين زاروا الهند ونشروا الإسلام وتبادلوا الثقافة، حيث تأثرت اللغة العربية باللغات الهندية والعكس.

وكذلك يليق بالذكر أن العرب أعاروا اهتمامهم لترجمة كتب العلوم والفلسفة الهندية أيضا. وقد زار عدد كبير من علماء الهند والفلاسفة بغداد في العهد العباسي حيث أدلوا دلوهم بين دلاء المساهمين في حركة ترجمة، ونقلوا شتّى الكتب المتعلقة بموضوعات مختلفةمنها العلوم والفنون والحكمة والطب إلى اللغة العربية، كما توجّه العلماء العرب إلى الهند من أجل الاستفادة العلميّة بتعلّم مختلف العلوم منها الرياضيات وعلم الفلك والفلسفة وغيرها[١٨٠]. وهذا الموضوع حقا شيّق للغاية ولذلك تداولته أقلام الكتاب شرقا وغرباوشغل أقلام العلماء من العرب والمستشرقين، واهتم الكتاب العرب بهذا الموضوع اهتماما بالغا حيث قاموا بتسليط الضوء على تصوير الثقافة الهنديّة في مؤلفاتهم العبقريّة، ومنهم الأستاذ أحمد أمين.

أحمد أمين والثقافات العالمية

[١٧٩] المصدر السابق ص٢٧-٣٠

[١٨٠] www.nidaulhind.com/2016/11/Pdf.81.html

حينما وقع الاختيار على الأستاذ أحمد أمين للإشراف على لجنة التأليف والترجمة والنشر، انتهز فرصة سانحة لتناول الثقافات العالمية بما ينبغي من البحث والدراسة، واقتحم هذا الخضم الواسع العميق حيث لمّ الدرر واللآلي العلمية النادرة ورتبها في عقد فريد. ولعلّي لا أبالغ حينما أقول إنه أظهر اهتمامه البالغ بالنسبة لهذا الموضوع المهم الشيّق إلى حد أنه لم يسبقه مثيل في هذا المضمار عبر العصور التاريخية. من الجدير بالذكر في هذا المقام أن الأستاذ أحمد أمين تناول هذا الموضوع في مؤلفاته في بعض الأحيان كما عالجها في مقالاته القيمة أحيانا أخرى. أما المؤلفات التي خصّها للحديث فيه تشمل مؤلفته العبقرية "قصة الأدب في العالم" في ثلاثة أجزاء، وكتبه في تاريخ الفكر الإسلامي أي فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام.

أما كتابه "قصة الأدب في العالم" فقد صنّفه بالاشتراك مع زكي نجيب محمود، وتناول فيه الثقافات العالمية وعرض صورة الأدب فيه في عصوره المختلفة قديمه ووسيطه وحديثه في الشرق والغرب مع نماذج من كل أدب. وكذلك تناول الثقافات المتباينة لمختلف العصور ومنها الثقافة الفارسية والثقافة اليونانية والرومانية، والثقافة العربية والثقافات الدينية وغيرها في مؤلفاته الأخرى. وكذلك نلاحظ اهتمامه تجاه هذا الموضوع في مقالاته المختلفة التي كتبها ونشرها في شتى المجلات العربية الغراء. وإلى جوار هذه الموضوعات المختلفة، تناول الأستاذ أحمد أمين الثقافة الهندية مع ذكر العلاقات المعرقة في القدم بين الهند والعرب. نظرا إلى أهمية الموضوع البالغ، سنخصص حديثنا هنا في الثقافة الهندية مع ذكر الشخصيات البارزة العباقرة الهندية التي تناولها أحمد أمين بثناء العاطر.

تصوير الثقافة الهندية في كتابات أحمد أمين

وقد عرض المؤرخون والعلماء آراء كثيرة مختلفة في بداية العلاقات بين الهند والعرب كما أسلفنا ذكرها وهي تختلف وتتباين فيما بينها. أما الأستاذ أحمد أمين فهو يذهب إلى الرأي أن العرب عرف الهند قديما في جاهليتهم ووطّدوا علاقاتهم عن طريق

اتصالهم بالهنود تجاريا، لأنّ العرب كانوا مولعين بالعود الطيب المجلوب من الهند، كما كانوا مشغوفين بالسيوف الهنديّة التي كانت مصنوعة من حديد الهند. ويشير الأستاذ إلى حد تأثر العرب بكلمة "الهند" أنهم اشتقوا كلمات كثيرة منها، فعلى سبيل المثال قالوا: "هنّد السيف" أي شحذه، وكذلك كانوا يسمّون نسائهم بهذا الإسم.[١٨١]

وأما بالنسبة لفتوحات المسلمين وغزواتهم فيرى أحمد أمين أن المسلمين فكّروا في الهند بعد أن نصبوا رايات الإسلام على أرض فارس والعراق، ويذهب في هذا الصدد إلى ما كتبه البلاذري الذي يقول: "أنه لما ولي عثمان بن عفان، وولي عبد الله بن عامر بن كريز العراق كتب إليه يأمره أن يوجّه إلى ثغر الهند من يعلم علمه وينصرف إليه بخبره، فوجه حكيم بن جبلة العبديّ، فلما رجع أوفده إلى عثمان فسأله عن حال البلاد فقال: يا أمير المؤمنين! قد عرفتها وتنحّرتها. قال: فصفها لي. قال: ماؤها وشل، وثمرها دقل، ولصّها بطل. إن قل الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا. فقال له عثمان: أخابر أم ساجع؟ قال: بل خابر، فلم يغزها أحدا".[١٨٢] وهذا وفق لآراء أحمد أمين بداية معرفة المسليمن بالهند، والتي تلتها غزوات كثيرة حتى قام الحجاج بإرسال محمد بن قاسم الثقفي إلى الهند غازيا في عهد الوليد، وانتصر بفتح جزء عظيم من أرض الهند، وهو المسمى بالسند سنة 91هـ. ولم يتوقف المسلمون عند هذا الحد بل استمرت الغزوات حتى فتحت الأقاليم الأخرى بما فيها حيدرآباد وملتان. يليق بالذكر هنا أن محمد بن قاسم لم يتجاوز العشرين من عمره آنذاك. وبعد ذلك توسعت الفتوحات في المناطق الشمالية وفتح "كابل" و"كشمير"، فتوطدت العلاقات التجارية بين السند والمملكة الإسلامية آنذاك، والسلع المتداولة في والتي كانت كثيرا ما ترسل إلى البلاد العربية تتضمن العود والسكر والغاب الهندي.[١٨٣]

وبعد أن قام المسلمون بغزوات كثيرة وفتحوا جزء كبيرا من أرض الهند، تفتحت السبل لتبادل الثقافة بين الهند والعرب، ونشأت عملية التأثر والتأثير بينهما في

[١٨١] ضحى الإسلام، ج1، ص180.

[١٨٢] البلاذري، ص438، نقلا عن ضحى الإسلام لأحمد أمين، ص180.

[١٨٣] ضحى الإسلام، ص١٨١.

شتى العلوم والفنون. أما الأستاذ أحمد أمين فقد تناول هذا الموضوع بقدر من التفصيل مع تركيز عنايته على ما استفاد العرب من الهنود والعكس. أما أهم الجوانب لهذا التبادل الثقافي التي عالجها أحمد أمين في كتاباته فهي مذكورة فيما يلي:

الهنود في مجال الأدب

قبل الحديث عن إسهامات الهنود في مجال الأدب في ضوء آراء أحمد أمين، نشعر بأمس الحاجة إلى الإشارة الخاطفة إلى الحقيقة أن الحروب التي دارت بين الغزاة الآريين وأهل البلاد الأصليين في التاريخ لعبت دورا رياديا في توفير المادة التي تناولها الهنود في فنونهم الأدبية المختلفة، ومهّدت السبل فيما بعد لبروز شتى فنون الأدب إلى حيز الوجود، وأصبحت مصدرا لحظ كبير من الأساطير والأغاني والترانيم والدعوات، والتي أخذت تتجمع على مر العصور وكر الدهور، واكتسبت قداسة في أعين الهندوس حتى تألّف من نفس المصدر "الفيدا" الذي يعتبر الكتاب المقدّس عند الهندوس. وأدلّ دليل وأصدق برهان على اعتبار الحروب من أسباب رئيسية لظهور فنون الأدب هو الحروب التي نشبت بين قبيلتين "بانجالا" و"بهاراتا" اللتان غلبتا على غيرهما من القبائل واستمرت لزمن طويل، أصبحت فيما بعد موضوع ملحمة شعرية طويلة يختلط فيها التاريخ بالأساطير، واشتهرت هذه القصة باسم "مهابهاراتا".[١٨٤] وكذلك ظهرت شتى الفنون الأدبية من نفس المصادر من الأساطير إلى حيز الوجود، ومنها القصص الشعرية حيث يقول أحمد أمين إن "أجمل القصص الشعرية التي وردت في "ماها بهاراتا" قصة "نالا" و"دامایاتي" وهي ضرب من شعر الرعاة، ويشبهها بعض النقاد "بأناشيد الرعاة" للشاعر الروماني "فرجيل".[١٨٥] وكذلك يشير في موضع آخر إلى أن هذه الملحمة تتكون من منتجات عدة شعراء، ويقول في صخامتها "أنها لو وضعت الإلياذة والأوديسية والإنياذة والفردوس المفقود إلى جانبها لما بلغت من الطول ما بلغته قصيدة

[١٨٤] قصة الادب في العالم، ج1، ص41-40

[١٨٥] المصدر السابق، ص45.

ماها بهاراتا،"[١٨٦] ولكنه في ذات الوقت ينقل رأيا آخر حيث يرى أن الشعب لا يوافق هذا الرأي ويذهبون إلى أن هذه الملحمة الوطنية لشاعر واحد، وينسب إلى "قياسا".[١٨٧]

ولا يفوتني أن أذكر هنا أن هذه الكتب التاريخية توفر معلومات قيمة طريفة بخصوص تقاليد الهنود وأساليب حياتهم الرائجة في سالف الدهر، ومنها ما تتعلق بالزواج والقران، والملوك، والعادات الاجتماعية وغيرها من الأمور التي كان يهتم بها الهنود في زمن غابر.

علاوة على ذلك، كان للهنود اهتمام خاص بالشعر، وكانوا مولعين بالنظم والشعر كما وضعوا بحورا وأوزانا للشعر. وقد نقل أحمد أمين عن البيروني الذي تناول قضية الأوزان والبحور بما ينبغي من البحث والدراسة، واهتم بتسليط الضوء الكاشف عليها في كتابه، ويقول في هذا الصدد: "ومن الممكن أن يكون الخليل بن أحمد سمع أن للهند موازين في الأشعار، كما ظن به بعض الناس."[١٨٨]

يليق بالذكر هنا أن الكثير من التراث الأدبي الهندي قد ترجمت إلى العربية وليس مجالا للشك في أن الأدب العربي قد استفاد من الآداب الهندية في مختلف الأمور، والأخص بالذكر منها كما ألقى أحمد أمين ضوءا عليها مذكورة فيما يلي:

أولا كان العرب مشغوفين بالقصص الهنديّة كما من المعروف أنّ أصل قصة "كليلة ودمنة" هندي، ونقل الأصل الهندي إلى الفارسي، ومن الفارسي قد ترجمت القصة إلى اللغة العربية مع إضافات إلى الأصل الهندي. وكذلك نلاحظ أن الأستاذ أحمد أمين أشار إلى كتاب الفهرست حيث عدد صاحبه كتبا كثيرة للهند في شتى الموضوعات بما فيها الخرافات والأسمار والأحاديث منها "كليلة ودمنة" و"السندباد الكبير" و"السندباد الصغير"، وكتاب "هابل في الحكمة"، وكتاب "الهند في قصة هبوط آدم"، وكتاب "دبك الهند في الرجل والمرأة"، وكتاب "حدود منطق الهند"، وكتاب "ملك

[١٨٦] المصدر السابق، ص٤٨

[١٨٧] المصدر السابق نفسه.

[١٨٨] البيروني، ص71، نقلا عن المصدر السابق.

الهند القتال والسبّاح"، وكتاب "شاناق في التدبير"، وكتاب "بيدبا في الحكمة". فذكر مثل هذه الكتب الكثيرة ينمّ عن تأثر الأدب العربي بالآدب الهندي واستفادته من القصص الهندي بنقلها إلى اللغة العربية. وكذلك تداولت أقلام المؤرخين والباحثين بخصوص بحثهم في أصل كتاب "ألف ليلة وليلة" حيث انتهى بهم المطاف إلى أن هناك قصصا لا شك في كونها هندية الأصل.[١٨٩]

ثانيا يشير أحمد أمين إلى جانب آخر من ناحية استفادة الأدب العربي من الهند، وهو أن الكثير من الألفاظ الهندية قد عرّبت، وتمّ هذه عملية التعريب إذ كان هناك العلاقات التجارية بين العرب والهند حيث كان العرب ينقلون السلع الهندية المختلفة، ويحملونها إلى بلدانهم مع أسمائهم، وقد أشار السيوطي - على حد تعبير أحمد أمين – إلى مختلف الكلمات الهندية المعرّبة، والتي ورد ذكر بعضها في القرآن الكريم نحو زنجبيل وكافور. والألفاظ الهندية الآخرى التي وردت في اللغة العربية هي الآبنوس والببغاء والخيزران والفلفل والأهليلج وإلى غير ما هنالك من أسماء النباتات والحيوانات الهنديّة.[١٩٠]

ثالثا لا يفوتني أن أذكر أن النوع من الأدب الهندي الذي استفاد منه الأدب العربي استفادة كثيرة هو الحِكم لأنه يتفق والذوق العربي بكلام أحمد أمين كما يعلّق عليها قائلا: "فهو أشبه شيء بالأمثال العربية، والجمل القصيرة ذوات المعاني الغزيرة التي أولع بها العرب."[١٩١]

فيمكننا القول إن العلاقات التجارية بين العرب والهند قد تركت آرثاها الملحوظة على الأدب العربي ونقل الكثير من الألفاظ الهندية إلى العربية بعد تعريبها واستعملت في نفس المعاني التي كانت متداولة بين الهنود.

---

[١٨٩] ضحى الإسلام، ص١٩٤.

[١٩٠] المصدر السابق نفسه.

[١٩١] المصدر السابق نفسه.

في الرياضيات والفلكيات والطب

بالإضافة إلى الأدب كان للهنود اهتمام كبير بالرياضيات والفلكيات، واستفاد العرب منهم قبل أن أصبحوا على وشيج الاتصال باليونان. وقد نقل المؤرخون عدة الروايات دليلا على استفاد العرب من الهنود في هذا المضمار، ولكن الأستاذ أحمد أمين نقل بعض المعلومات عن الأستاذ نللينو الذي أورد بعض الأشياء في هذ الصدد في كتابه "علم الفلك"، حيث ذهب إلى رأي أن وفدا من الهند أقبل على أبي جعفر المنصور سنة 154هـ، وكان في هذا الوفد رجلا ماهرا في علم الفلك، فطلب منه أبو جعفر أن يملي البعض من علمه هذا ويترجمه إلى اللغة العربية، ففعل ما أمروتم استخراج منه الكتاب الذي اتخذه العرب فيما بعد أصلا في حساب حركات الكواكب، أو ما كان متعلقا به من الأعمال. يليق بالذكر أن الرجلين الذين تلمذا على هذا الماهر الهندي هما إبراهيم بن حبيب الفزاري ويعقوب بن طارق.[١٩٢]

علاوة على ذلك، يشير أحمد أمين إلى الكتب المتعلقة بنفس الموضوع التي ترجمت إلى العربية واستفاد منها العرب وخاصة الملسمون منهم، ومنها كتاب السند هند، وكتاب "الأركند" وكتاب "الأرجبهر" وغيرها. فهذه النماذج التاريخية تدلّ على درجة استفادة العرب من الهند كما صارح به الأستاذ "نللينو" بعد بحثه العميق قائلا: "كفت هذه الملاحظات دليلا على شدة تأثير كتب الهند في أوائل نمو الفلك عند العرب وسنرى فيما بعد...أن العرب أخذوا طرقا مهمة كثيرة النفع مجهولة لليونان في حل جملة من المسائل الفلكية المتعلقة بعلم حساب المثلّثات الكروية".[١٩٣]

ولم تتقيّد عمليّة التأثر هذه في الفلكيات بل تجاوزت إلى الرياضيات حيث أخذ العرب بعض المصطلحات الرياضية من الهنود مثل كلمة "الجيب" في حساب المثلثات، كما استفادوا منهم بقبول كثير من نظريات الهند الرائجة آنذاك في الحساب والهندسة.

---

[١٩٢] المصدر السابق، ص١٩٠.

[١٩٣] علم الفلك للبيروني، ص١٨٠.

وكذلك لم يتخلّف العرب في مجال الطب واستفادوا في هذا الصدد من الهنود كما يشهد التاريخ بأن الأطباء الهنود كانوا يشتغلون الطب في بغداد واشتهر فيها الطب الهندي بجانب الطب اليوناني. واشتهر بعض الأطباء الهنود في العرب لخبرتهم البالغة في مجالهم المعني والأخص بالذكر منهم "صالح ابن بهلة الهندي" الذي ذاع صيته بين العرب في عهد الرشيد. وكذلك أشار الجاحظ – على حد تعبير أحمد أمين – إلى بعض الأطباء الهنود الذين تلألأ نجم صيتهم في آفاق العرب ومنهم "منكة" و"بازيكر" و"قلبرقل" و"سندباد".[١٩٤]

في الفلسفة الهندية

سأكون مقصّرا في تناول الموضوع إن لم أشر إلى الجانب المهمّ الذي عالجه الأستاذ أحمد أمين بشيء من الإسهاب أعني الفلسفة الهندية. وليس مجالا للشك في أن الهنود كانوا يختصّون بفلسفتهمالخاصة مثل اليونان، وقد اهتم المؤرخون بتسليط الضوء على مدى تأثّر إحداهما بالأخرى والعكس. يرى الأستاذ أحمد أمين أن للفلسفة بعض الميزات والخصائص والأوصاف التي تميزه عن الفلسفة اليونانية، وعلى سبيل المثال كانت الفلسفة الهندية وثيقة الصلة بالدين وكانت مصطبعة بصبغة شعرية وليس بصبغة علمية. وكذلك من أهم الفوارق بين الفلسفة الهندية والفلسفة اليونانية هي أن الفلسفة الهندية تنوي خدمة الإنسان وبينما الفلسفة اليونانية تركز عنايته على فكرة المعرفة للمعرفة. كما الحافز الرئيسي في الفلسفة الهندية هو خلاص الإنسان من آلام الدنيا ومتاعبه، ولكن في الفلسفة اليونانية يتمركز الباعث الأول في الفلسفة العجب يعني عجب من مظاهر العالم، فنوى أن يتعرفها فتفلسف.[١٩٥]

في الديانة ونظرية التناسخ

[١٩٤] البيان والتبيين، ج1، ص78، نقلا عن ضحى الإسلام، ج1، ص191.

[١٩٥] ضحى الإسلام، ص١٨٤-١٨٥.

أما بالنسبة إلى الديانة فلم يسهب أحمد أمين فيها بل اقتصر على نقل ما أورده البيروني في كتابه "تحقيق ما للهند من مقوله، مقبولة في العقل أو مرذولة" الذي يحوي بين دفتيه معلومات غزيرة بشأن عقائد الهنود وعلومهم وآدابهم وأحوالهم الاجتماعية. وأما بالنسبة اعتقادهم في الله، فقد فرّقهم بين خاصتهم وعامتهم، حيث يرى في عقيدة الخاصة أنها تشابه عقيدة المسلمين. وينقل عن كتاب البيروني المذكور أعلاه حيث يقول: "واعتقاد الهند في الله سبحانه وتعالى أنه الواحد الأزلي من غير ابتداء ولا انتهاء، المختار في فعله، القادر الحكيم المحيي المدبّر المبقي، الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد، لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء".[١٩٦] يليق بالذكر أن أحمد أمين يقول في البيروني أنه لم يكتف بذكر العقائد بل اعتمد في الاستدلال عليها بإيراد النصوص المقتبسة من كتبهم القديمة. أما اعتقاد الهنود في العامة فلم يأت بأي حقائق متبلورة لوجود الإبهام والغموض فيها، ولذلك تختلف الأقاويل عنهم بين المؤرخين.

يلقي أحمد أمين ضوءا على وجود تناسخ الأروح بين الهنود حيث يرى أن لها أثر كبير في المسلمين. وليس من الممكن – على حد تعبير أحمد أمين – معرفة مبدأ ظهورها في الهند على وجه التحديد. أما فحوى هذه العقيدة فهو أن الأرواح لا تموت ولا تفنى كما يظن بعض الناس، بل هو مجرد الإنتقال من صورة إلى أخرى مثل استبدال البدن لباسا آخر إذا بلي. ومن نظريات هذه العقيدة أن النفس تتطلب الكمال وتشتاق إلى إحاطة بكل شيء علما، ولكن الأعمار تكون قصيرة لا يمكن تحقيق غايتها في وقت قصير، فلا بد لها من الانتقال إلى بدن آخر بغية الاستفادة من تجارب جديدة، والأرواح الباقية لا تشعر بطمأنينة في الأبدان البالية، فهي تنتقل من الأرذل إلى الأفضل حتى تبلغ كمالها وتتحد بالله.[١٩٧]

يرى أحمد أمين في عقيدة التناسخ أنها قد لعبت دورا بارزا في الفلسفة اليونانية، وفي الديانة المانوية، وفي المذاهب الإسلامية، وفي التصوف، وفي النصرانية.[١٩٨] من الجدير بالذكر أن أحمد أمين لم يكتف بتناول الثقافة الهندية في كتابتها بل أبدى اهتمامه البالغ

[١٩٦] تحقيق ما للهند من مقولة للبيروني، نقلا عن ضحى الإسلام، ص186.

[١٩٧] قصة الأدب في العالم، ج1، ص63.

[١٩٨] ضحى الإسلام، ص187.

بتناول شخصيات هنديّة في بعض مقالاته التي دوّنها ونشرها في شتّى المجلات الغراء، والقضية التي يشتدّ فيها التركيز في تلك المقالات هي إبراز أهم جوانب الشخصيات الهنديّة التي تركت آثارا ملحوظة خلدت شهرتها في جميع أنحاء العالم، والأخص بذكر منها السيد أحمد خان ومهاتما غاندي. سأتناول كليهما بمنتهى الإيجاز فيما يلي مع منزلتهم السامقة عند العرب.

الخاتمة

قد أعار الأستاذ أجمد أمين اهتمامه البالغ إلى الثقافة العالميّة مع ذكر نماذجها المختلفة. وقد عقد فصولا مطوّلا في مختلف كتاباته للبحث في الثقافة الهنديّة، وأشاد بذكرها مع تناول بعض الشخصيات الهنديّة، وأثنى عليهم شديد الثناء. في ضوء ما تقدم، يمكننا القول إن كل من يقصد تناول الثقافة الهندية بما ينبغي من البحث والدراسة لا بد له من مراجعة كتب أحمد أمين في هذه الصدد ومقالاته التي كتبها ونشرها في شتى المجلات العربية الغراء. ولا شك في كون مؤلفاته المذكورة مرجعا أساسيا في هذا الموضوع المهمّ الذي تناوله من جميع أقطاره.

المصادر والمراجع

- ✓ **أحمد أمين: حياتي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.**
- ✓ **أحمد أمين: إلى ولدي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.**
- ✓ **أحمد أمين: النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.**
- ✓ **أحمد أمين: فيض الخاطر (الجزء الخامس)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،**
- ✓ **أحمد أمين: فيض الخاطر (الجزء الثامن)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،**
- ✓ **أحمد أمين: كتاب الأخلاق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١١م.**
- ✓ **أحمد أمين: ضحى الإسلام (الجزء الأول)، مكتبة إحسان، لكهنو، ٢٠١٨م.**
- ✓ **السيد، الدكتور فؤاد صالح: موسوعة أعلام القرن العشرين، مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت، ٢٠١٣م.**
- ✓ **سيد سليمان ندوى: عرب وہند تعلقات، مشعل بكس، لاہور، ٢٠٠٤م**
- ✓ **www.nidaulhind.com/2016/11/Pdf.81.html**

أهمية كتاب "سبحة المرجان في آثار هندوستان" في جمع النصوص الأدبية حول الهند

محمد رياض. في. في، باحث دكتوراه
قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت، كيرالا، الهند

ملخص البحث

كتاب سبحة المرجان في آثار هندوستان صفحات مجهولة من تاريخ الثقافة العربية في الهند، وتجربة رائدة في الموازنات الشعرية والمفارقات البلاغية بين الأدبين العربي والفارسي. يعالج القسم الأول في كتاب سبحة المرجان في آثار هندوستان للأديب الهندي غلام علي آزاد البلكرامي الملقّب بحسّان الهند عما جاء من ذكر الهند في التفسير والحديث والقسم الثاني تراجم العلماء في الهند وأدبائها وشعرائها الذين ولدوا فيها أو خارجها وسافروا إليها من البلاد البعيدة واختاروا أرض الهند للتوطن. وفي ختام الفصل كتب البلكرامي: "لا يخفى أن بني آدم كلُّهم هنديون لكون أبيهم آدم عليه السلام هنديا وهو سكن إلى آخر العمر بالهند وجاء الأولاد بعد ما بلغوا حد الكثرة انتشروا من الهند إلى الأقاليم السبعة"[١٩٩] . يبحث الباحث في هذا الدراسة عن كتاب سبحة المرجان وصاحبها غلام آزاد البلكرامي ويعتقد أن هذه الدراسة تساعد في كشف صورة الهند في هذا الكتاب. ويتطلّع الباحث إلى مصداقية الآثار الواردة في الكتاب كما أنه يحلّل بين الروايات والأخبار المذكورة فيها .

المقدّمة

يُعْتَبَرُ العلامة السيّد «غلام علي آزاد البلكرامي» من أبرز وأعظم الكتّاب والشعراء العربية الذين نبغوا في شبه القارة الهندية. كان شاعرا كبيرا و كاتبا بارزا. لديه ممارسة تامة في علوم اللغة والعروض. فبقيت آثاره الأدبية ومؤلفاته القيمة في

[١٩٩] البلكرامي غلام علي آزاد، سبحة المرجان في آثار هندوستان، ص:14

مجالات شتى من العلوم والفنون تراثا للباحثين والطلاب. وكان له باع قوي في بيان الغرائب والشوارد والأمثال والحكم التي توجد في مؤلفاته في كثير من الأحيان، فأصبح من أعلام الأدب العربي لا في الهند بل في العالم أجمع.

تبحث هذه الدراسة عن أهمية كتاب سبحة المرجان في آثار هندوستان للبلكرامي في العلاقات العربية الهندية وجمع النصوص المتعلقة بالهند في الأخبار والتفاسير وأقوال الصحابة والتابعين وأشعار الجاهليين والمتقدمين. تشتمل هذه الدراسة على ثلاثة فصول. الأول عن البلكرامي وكتابه سبحة المرجان، والفصل الثاني في المقارنة بين الأدبين العربي والهندي في كتاب سبحة المرجان والفصل الثالث في الروايات عن الهند في سبحة المرجان. ويعتقد الباحث أن هذا الكتاب أكبر دليل في توطيد العلاقات بين اللغتين العربية والهندية.

الفصل الأوّل: نبذة عن المؤلف والكتاب

المبحث الأول: غلام علي آزاد البلكرامي

ولد العلَّامة السيد غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلغرامي رحمه الله بقرية بلغرام (Balgram) بولاية أترابراديش الشماليةبالهند عام ١١١٦هـ، في الخامس والعشرين من شهر صفر يوم الأحد، الموافق ٢٩/ ٠٧/ ١٧٠٤م، وكان رحمه الله حسينيًّا نسبًا؛ لأنه ينتهي إلى الحسين بن علي ﷺ[٢٠٠].

وتلقَّى الشاعر رحمه الله الفنونَ العلمية من أمجد العلماء؛ حيث أخذ اللغةَ والحديث، والسِّير والمنطق، وإجازة سند الحديث المسلسل بالأوليَّة عن جدِّه لأمِّه السيد عبدالجليل البلغرامي، وأخذ العروض والقافية ونواحي الشِّعر من خاله محيي الدين بن عبدالجليل البلغرامي، والسيد طفيل محمد الأترولي، والشيخ لطف الله

[٢٠٠] الحسني: عبد الحيّ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر.ج 6 ص 398

الحسيني رحمهم الله.توفي البلكرامي في سنة مائتين وألف ببلدة أورنك آباد ودفن هناك. رحمه الله رحمة واسعة[٢٠١].

مؤلفاته

وإذا استعرضنا ما تركه آزاد من المؤلَّفات، وجدناه بارعًا في كلِّ ما يتحلَّى به المرء من علمٍ وفن، فقد كان شاعرًا عظيمًا، كما كان عالمًا متضلعًا في الفنون الإسلاميَّة الرائجة في زمانه. كتب السير والتراجم:ألَّف في السير والتراجم كتاب يد بيضاء وخزانة عامرة، وروضة الأولياء، ومآثر الكرام، وخلد الشاعر البلغرامي رحمه الله كتابه الشهير في هذا المجال، وهو سبحة المرجان في آثار هندوستان؛ وهذا الكتاب الأخير يَحتوي على أحوال أشهَر العلماء والأدباء في الهند منذ بدايةِ الإسلام إلى عصره؛ بل إن كتابيه: مآثر الكرام، وسبحة المرجان، يستحقَّان أن يُسمَّيَا بموسوعتي طبقات العلماء في الهند.

المدائح النبوية

أصبح البلكرامي أيقونة المدح النبوي في الهند، ويمكن لنا بعد دراسة بعض قصائده المدحيَّة أن نتعرَّف على مدى ما بلغه من رِفعة وعلوٍّ في ابتكار المعاني البديعة في مَدح النَّبي ﷺ.لُقِّب بحسَّان الهند، نسبة مباركة إلى حسَّان بن ثابت الأنصاري ﷺ، شاعر الرسول ﷺ.يقول البلكرامي في مقدمة مجموعته الشعرية (السبعة السيارة): إنّي نظمتُ سبعة دواوين في اللسان العربي، وسمَّيتُها بالسبعة السيارة، أكثرها في التغزل، وتوَّجتُ رأس كل ديوان بمَدح النَّبي ﷺ تيمنًا[٢٠٢].

من مؤلفاته الشعرية: "السبعة السيارة" التي هي مجموعة دواوينه السبعة الأولى و"دواوين آزاد" التي هي مجموعة دواوين للشاعر التي رتَّبها بين سنة ١١٩٨هـ- و١١٩٩هـ و "أوج الصبا في مدح المصطفى" و"القصيدة الهمزية" التي نظمها الشاعر في المدينة المنورة سنة ١١٥١هـ و"ديوانان لآزاد"؛ هذان الديوانان بعثَهما آزاد إلى المدينة المنورة،

[٢٠١] نفس المصدر، ج 6 ص 399

[٢٠٢] البلكرامي، السبعة السيارة، ص: 108

وأنشدَت أشعارهما أمام الروضة الشريفة، وكلاهما يَشتملان على ثلاثة آلاف بيت، وأرسلها الشاعر إلى المدينة كي تُقرأ عند الروضة الخضراء و"مرآة الجمال" التي يصِف فيها الشاعر الأعضاءَ الإنسانية وحسنها وجمالها من الرَّأس إلى القدم، وخص وصف كل واحد منها ببيتَين، وصف خمسين عضوًا، واحدًا تلو الآخر في ١٠٥ أبيات و"مظهر البركات" ينظم فيها الشعراء الحكايات والواقعات.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب سبحة المرجان في آثار هندوستان

سبحة المرجان في آثار هندوستان: من الآثار المهمة لآزاد ترجم فيه لعلماء الهند الناطقين بالعربية، ألفه سنة ١١٧٧هـ / ١٧٩٣ م ويحتوي على أربعة فصول: الفصل الأول: ما جاء في ذكر الهند في التفسير والحديث.الفصل الثاني: في ذكر العلماء في الهند. الفصل الثالث: في محسنات الكلام وبتناول البلاغة في الأدبين السنسكريتي والعربي.الفصل الرابع: في المعشوقات والعشاق وهو مخصص لموضوع الحب كما ورد ذكره تفصيلية في الكتب الهندية والعربية في الأدب التقليدي، وقد يعرف هذا الفصل بأسرار النسوان وهو فن من فنون الهند عربه آزاد وأضاف إليه مسحة جميلة من روحه العربية أثبت فيه فنا خاصا من البديع اخترعه آزاد وسماه أبو قلمون.

طبع الكتاب على الحجر في بومباي سنة ١٣٠٢ وكان السبب في طبعه كما يقول مصححه أمين بن حسن الحلواني في خاتمة هذه الطبعة، هو المولوي السيد محمود بن احمد النقشبندي المجددي بن السيد مهدي باد شاه الملقب بآتش صاحب القبة على باب كابل.. الخ الذي استوزر لثلاثة من ملوك الدولة الآصفية في حيدر آباد الدكن، والطبع باهتمام ميرزا محمد الشيرازي وخط ميرزا حسين الشيرازي وحصل الفراغ في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥م). وطبع ثانية بتحقيق د. محمد فضل الرحمن الندوي السيواني ونشرته جامعة على كره الإسلامية سنة ١٩٧٩ في مجلدين.

ويذكر البلكرامي هدفه وغرضه من هذا الكتاب النبيل في الديباحة:

"**الأول** . أن أجمع ما جاء من ذكر الهند في التفسير والحديث

.والثاني - أن أترجم علماء الهند ، وأخدم غصونا من شجر الرند، لكن لا مطلقا بل الذين لهم خيرات جاريات، وباقيات صالحات من التصانيف الرائقة والأشعار الفائقة. وأخص منهم من وصلت آثاره إلينا وعادت بركاته علينا. والذين مضوا وما تركوا آثارة وقضوا وما أورثوا تجينا ولا نضارة، أو تركوا لكن ما ظفرنا برشحات أقلامهم، ولا تعطر دماغنا بنوافح آرامهم، فاللسان في الصمت عن ذكرهم معذور، واليراع في الكف عن وصفهم مجبور[٢٠٣] .

والثالث: إني رأيت العرب العرباء والأدباء المؤيدين من السماء أنهم جعلوا علم البديع فنونا، ونسجوا على منوالهم أبا قلمونا، وأخرجوا من أردان الأفلام أزهار الفراديس، وأبرزوا عن جيوب المحابر أجنحة الطواويس. والهنود الذين هم عبدة الأوثان والعريقون في الهند من بدو العالم إلى الآن، أيضا دونوا علم البديع في لسانهم، وصاغوا حلية من إبريز بيانهم، فعطروا المحافل بعرف الصنادل، وأرجوا المجامع بأرج المنادل. فأحببت أن أنقل بعض بديعهم إلى لسان العرب العرباء وأضيف صوت الكوكلاء إلى سجع الورقاء.[٢٠٤]

والرابع: إني رأيت الأهاند" لهم فن عجيب الأسلوب، أخذ بمجامع القلوب، سموه باسم معناه أسرار النسوان. وهو روض أريض ترتع فيه أوانس الغزلان، فوددت أن أخلع عليه خلعة التعريب، وأهدي إلى أدباء العرب نوعا جديدا من النسيب.[٢٠٥]"

الفصل الثاني: المقارنة بين الأدبين العربي والهندي في كتاب سبحة المرجان

يقول الباحث زبيد أحمد: لم يكن للشعر الهندى ولا السنسكريتي أي تأثير على الشعر العري قبل آزاد، وإنما آزاد هو الذي أضاف إلى العربية بشعره محاكات هندية وسنسكرية وعبّر في أشعاره عن بعض البدائع الهندية العربية"[٢٠٦]

---

[٢٠٣] البلكرامي غلام علي آزاد، سبحة المرجان في آثار هندوستان، ص:15

[٢٠٤] البلكرامي ، سبحة المرجان، ص:15

[٢٠٥] نفس المصدر

[٢٠٦] الدكتور زبيد أحمد، الآداب العربية في شبه القارة الهندية، ص:251

يقول عنه الأمير صديق حسن خان القنوجي: وله في التغزل طور خاص قلما يوجد في كلام غيره، يعرفه أصحاب الفنّ. ولعلّ ذلك مردّه إلى البيئة الهندية وما كانت تمده من صور الخيال والإلهام. ثم إنه كان مقتدرا على أدبه الوطني الهندي مثل اقتداره على الأدب العربي، واستطاع بذوقه ووجدانه أن يمزج بين الأدبين فيقدّم نموذجا جميلا لمزيج أدبي لطيف. إنه نقل الخيال الشعري الهندي إلى العربية، وتبلغ هذه الصنائع الأدبية إلى ثلاثة وعشرين صنعة كما قابل بحور الشعر الهندي وقوافيه ببحور الشعر العربي وقوافيه. يقول: "إن معظم بحور الشعر الهندي تختلف عن الشعر العربي والفارسي"[٢٠٧]، ولكن البحر المتقارب والبحر السريع يوجدان في الشعر الهندي أيضا، وقد أشار إلى فرق كبير بين البحرين، فرأى أن الشعر الهندي يحتوي على بحور تتخلل قافيتها في وسط المصراع لا في نهايته ورغم ذلك فإنها مما يستحسن في الشعر.نجد في شعره مئات من الأبيات التي يتجلى فيها الخيال الهندي الخاص وتشبيهات الأدب الهندي واستعاراتها.

وقد أتت اعتراضات من جانب النقاد على خلاف منهج البلكرامي وطريقته في النظم وخاصة في تلك المنظومات التي أدخل فيها تعبيرات هندية، يقول زبيد أحمد: "أن ذلك كان عيبا باديا في شعره وظهر ذلك خاصة في قصيدته لامية الهند، إنها لا تمثل ذوق الشعر العربي الخالص، وإن لامية القاضي عبد المقتدر، رغم عجميته أحسن منها بكثير في انسجام الكلمات مع المعاني والبداهة"[٢٠٨]. وإلى هذه الناحية أيضا أشار الباحث شبلي النعماني، واعتبر غلبة العجمية في شعره عيبا في مكانته العلمية واطلاعه الواسع على لغة العرب. وقد ألف محمد باقر آكاه كتاب "أربعمائة اعتراض على كلام آزاد". وردّ البلكرامي نفسه على كثير من هذه الاعتراضات والانتقادات. وكان للدافع الشخصي

[٢٠٧] البلكرامي ، سبحة المرجان، ص:16

[٢٠٨] الدكتور زبيد أحمد، الآداب العربية في شبه القارة الهندية ؛ ص:253

نصيب في هذه الانتقادات. رغم هذه الانتقادات، يبقى شخصيته وشاعريته متميزة بين شعراء الهند.

الفصل الثالث: الروايات عن الهند في سبحة المرجان

ذكر غلام علي آزاد في الفصل الأول الأحاديث وهكذا من التفاسير التي جاءت في ذكر فضيلة الهند، كنزول آدم عليه السلام في الهند، ومكوثه فيها إلى الزمن الطويل وأداء الحج من الهند إلى مكة وكثيرا من الواقعات التي تذكر في فضيلة آدم عليه السلام والهند، كما ذكر النكات المهمة في هذا الفصل كما يلي:

"والجبل الذي أهبط فيه آدم عليه السلام من الجنة يسمى راهون "يقع في جزيرة من جزائر الهند بسرنديب وعليه أثر قدمه عليه السلام موجود وكان ينبثق من المكان نور لماع تخطف البصر وطول قدميه في الصخرة سبعون شبرا، وعلى الجبل ضوء كالبرق الخاطف ويمطر كل اليوم فيغسل قدمه، وإنّ آدم خطَا من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة وهي مسيرة يومين"[٢٠٩].

وكما ذكر العلامة كتابا كتبه آدم عليه السلام بيده، وبعد زمن طويل حصل عليه الخضر عليه السلام، والكتاب ذكر فيه سبب هبوطه من الجنة إلى أرض الهند وحكاية عدوه إبليس الذي كان سبب إنزاله من الجنة إلى سطح الأرض، فبكى آدم عليه السلام عند خروجه من الجنة مئتى سنة إنابة وتوبة إلى الله ويقال بسبب دموعه نبتت تسع مئة شجرة حتى قبّل الله توبته وغفرت ذنوبه وكشفت غمومه وهمومه فبكى سنة للتشكر فنبت من دموعه رياحين من ذلك الجبل وعطر خاص يحمل إلى اليوم إلى الآفاق.

و ذكر غلام علي بحُبّ آدم عليه السلام بأرض الهند أنّه حجّ عليه السلام من أرض الهند إلى مكة المكرمة أربعين حجة ويرجع إليها كل مرة وأخذ الهند للتوطن راضيا

[٢٠٩] البلكرامي ، سبحة المرجان، ص:17

مرضيا، قد كان يسكن مع حوّا عليها السلام في ذلك الجبل الذي نزل عليه من السماء وبنى لنفسه بيتا في الهند آخذاً بالحكمة التي وهبها الله له على السماء، وأكرم الله تعالى آدم على أرض الهند بالنعم المختلفة، وأعطاه من السباع والبهائم والطيور والحبوب والبذور والفواكه وأمطر المطر وأنبت النبات وسخر له الدواب منها للأكل ومنها الركوب ومنها للحمل عليه وذكر أيضاً أن آدم خلق من طين الهند ودُفن بعد الوفاة في القبر بالهند الذي نزل عليه من السماء، وإنّ حوّا عليها السلام ماتت بعد سنة فدفنها إبنه شيث عليه السلام مع آدم عليه السلام بجنبه، والجبل الذي أرسلت عليه سفينة نوح هو الجبل البوذي، كان في الهند.

وفي ختام الفصل كتب غلام علي: "لا يخفى أن بني آدم كلُّهم هنديون لكون أبيهم آدم عليه السلام هنديا وهو سكن إلى آخر العمر بالهند وجاء الأولاد بعد ما بلغوا حد الكثرة انتشروا من الهند إلى الأقاليم السبعة. وعلى قواعد المنطق من إلقاء النور المحمدي في صلب آدم عليه السلام وتقرير القياس هكذا نور محمد حلّ بآدم وآدم بالهند، ينتج نور محمد حل بالهند"[٢١٠].

فالخلاصة أن في هذا الفصل حاول العلامة بجميع جهده أن يثبت فضيلة أرض الهند و أهلها على العالم وأثبت بأن الهند تفتخر بسبب مهبط آدم عليه السلام وبسبب أرض الأنبياء وخصها الله تعالى أرض الهند بالفيوض العميمة بحيث جميع أنواع الأشجار والنباتات والحيوانات والطيور والحبوب والفواكه نزلت أولا على أرض الهند ثم انتشرت من هنا إلى العالم وكذا الهند هى مملوءة من جميع أنواع المسك والطيب والمعادن والجواهر والفضة والذهب والعود والقرنفل وكذا يقال بعض أنهار الهند تجري من أنهار الجنة،

ولكن هذه الحقيقة أيضاً قد ذكرالمؤلف جميع الأحاديث وأقوال التفاسير بدون تحقيق كامل،لأن المصادر والمراجع التي عليها اعتمد المؤلف كانت ضعيفة عند

[٢١٠] البلكرامي ، سبحة المرجان، ص:14

الدارسين والمحدثين. فنستطيع أن نقول فقط أن هذا الفصل يدل على حُبّه القوي وحنينه الشديد بأرض الهند.

الخاتمة

إن كتاب سبحة المرجان ساهمت بقدر أكبر في توطيد العلاقات الأدبية بين العربية والهندية، فجمع فيه المصنف تراجم العلماء الهنود الذين لهم مساهمة في اللغة العربية. وقارن فيه بين الفنون الأدبية والبلاغية والعروضية في اللغتين العربية والسنسكريتية. ثم قام بجمع النصوص الواردة حول الهند أو ما يتعلق بها في القرآن الكريم والأحاديث النبوية والآثار والأخبار. وعامله الأساسي حُبّه القوي وحنينه الشديد بأرض الهند واللغة العربية الذي تسبب في إعراضه عن صحة بعض الروايات ونسبتها إلى المصادر الأصلية.

المصادروالمراجع

- ✓ البلكرامي، غلام علي آزاد، سبحة المرجان في آثارهندوستان، بيروت لبنان، ٢٠١٥
- ✓ العاكوب، عيسى علي، إضافات هندية إلى بلاغة العرب: كتاب "سبحة المرجان في آثار هندوستان" نموذجا، مجلة التراث العربي، أبريل ٢٠٠٨
- ✓ محمد عادل حسن، غلام علي آزاد البلغرامي وكتابه سبحة المرجان في آثار هندوستان، مجلة أقلام الهند، السنة الثالثة، العدد الثالث(يوليو-سبتمبر) ٢٠١٨
- ✓ أحمد، آفتاب العلاقات الثقافية بين الهند والعالم العربي، مجلة العربي ، العدد ٦٢٦ -
- ✓ محمد إجتباء الندوي، التفاعل الثقافي بين الهند والعرب، الصحوة الإسلامية الصادرة من حيدرآباد عدد يوليو٢٠٠٧
- ✓ محمد علي الوافي كرواتل، حسان الهند السيد غلام علي آزاد البلغرامي رحمه الله
- ✓ محمد نجم الحق الندوي، سبحة المرجان في آثار هندوستان: دراسة تحليلية، مجلة ثقافة الهند، المجلد ٦٢، العدد٣، ٢٠١١
- ✓ د . ان . عبد الجبار، تاريخ التبادل الثقافي والحضاري بين الهند والعرب، مجلة اللغة، الكتاب السادس، العدد الأول، يونيو ٢٠٢١
- ✓ السيوطي، عبد الرحمن، الدرالمنثور، مطبعة النور، بيروت ٢٠١٢

المهاتما الغاندى
و الطاغور العظيم
وفلسفتهما فى الأدب العربى

المهاتما الغاندي
رجل الإنسانية

إسماعيل سالم العجمى
باحث الدكتوراه،جامعة الجنان، لبنان

ملخص البحث

يتناول الباحث صاحب مقولة: "لا أحب كلمة التسامح، ولكن لا أجد كلمة أفضل منها"وهو الزعيم الهندي مهاتما غاندي (1869-1948م)، المعروف برجل الإنسانية على المستوى العالمي، وصاحب الدور الأبرز في استقلال الهند عن بريطانيا وذلك من خلال أفكاره ونضاله ضد الاستعباد والظلم والوقوف مع المهمشين والفقراء ومع قضايا المرأة...الخ،اتصف رجل الإنسانية بالعديد من الصفاتلأنه عاش ومات في سبيل مجموعة من القيم الإنسانية الراقية والأفكار النبيلة التي نادى العالم لتطبيقها بين البشر، كالعدل والحرية والتسامح والسلام والتعاون والحب وإقامة الحق بين الناس.

الكلمات المفتاحية: مهاتما غاندي. وأفكاره عن الإنسانية والسلام،غاندي في الأدب العربي

حياة مهاتما غاندي

من يريد معرفة حياة البطل السياسي البارز والزعيم الروحي للهند خلال حركة استقلال الهند، سيجد العديد من المصادر والمراجع التي تناولت حياته تمهيدا للحديث عن أي موضوع يتعلق بغاندي ومنها على سبيل المثال لا الحصر:كتاب "مهاتما غاندي سيرته كما كتبها نفسه": ترجمة إسماعيل مظهر، طبع مطبعة عيسى البابي الجلبي وشركاه بمصر. كتاب "روح عظيم.. المهاتما غاندى" عباس محمود العقاد. كتاب "غاندي رسالة اللاعنف والتسامح" للمؤلفرامي عطا صديق.

نلاحظ أن من يقرأ حياة غاندي "يجد في هزائمه وانتصاراته، ذلك الإلهام الذي يجده في الكتب المقدسة أو في الأساطير التي أنشأها عظماء الأدباء لكي يرسموا فيها الصور الرائعةِ للمثل العليا للإنسانية."([٢١١]). لم يكن غاندي زعيما في أحد القصور مترفعا و مترفا في عيشه، بل كان زعيما قمة في التواضع و حكيما ، كان جل اهتمامه العيش بكرامة و تسامح مع الآخرين، فاستحق لقب المهاتما (أي الروح العظيمة أو الروح السامية)، وهو جدير بهذا اللقب لما اتصف به من أخلاق رفيعة وإنسانية عظيمة فكان لشخصيته الأثر الواضح على الشعب الهندي بل وعلى شعوب العالم الأخرى.

تحدث إيهاب القسطاوي عن سيرة المهاتما غاندي في الذكرى المائة والخمسون لميلاده "ولد موهانداسكرمشاند غاندي (١٨٦٩ – ١٩٤٨) فى مدينة بوربندر الواقعة على ساحل ولاية غوجارات في عائلة عريقة لها باع طويل في العمل السياسي، حيث شغل جده ومن بعده والده منصب رئيس وزراء إمارة بوربندر، مما كان له الأثر العظيم في تشكيل وعيه السياسي في سن مُبكّرة.

تلقى المهاتما "غاندي" تعليمه الأول في الهند ثم ذهب إلى بريطانيا عام ١٨٨٢ حيث تلقى تعليمه الجامعي، وعاد إلى بلاده عام ١٨٩٠ بعد حصوله على الإجازة الجامعية في القانون التي توهِّله لممارسة مهنة المحاماة، إلا أنه كان على موعد مع مصاعب عديدة في انتظاره، وكان أشدها عليه وأعظمها رحيل والدته، ولم يدم الوقت طويلا ليكتشف أن امتهان مهنة المحاماة ليست هي السبيل لتحقيق أحلامه بعد أن رافقه الإخفاق تلو الإخفاق في تلك الفترة، مما جعله يترك مدينة بومباي ويتوجّه إلى مدينة راجكوت ليعمل كاتب عرائض و يعاني أشد المعاناة من صلف سلطة الاحتلال البريطاني آنذاك، وفى تلك الأثناء تلقى عرضا من مؤسسة هندية في ناتال بجنوب إفريقيا للتعاقد معه لمدة عام، فلم يتردد كثيرا في قبول العرض .

٢١١- سلامة موسى، 2012، غاندي والحركة الهنديّة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة: القاهرة، ص42.

وانتقل المهاتما "غاندي" مع زوجته وأبنائه الأربعة إلى جنوب إفريقيا عام ١٨٩٣، واستقروا في مقاطعة ناتال، إحدى أصغر المقاطعات في جنوب أفريقيا والواقعة على الساحل الشرقي بمحاذاة المحيط الهندي الدافئ، مقيماً في أهم مدنها دوربان، لتبدأ مرحلة جديدة من حياة المهاتما غاندي، وهي مرحلة كفاحه السلمي في مواجهة تحديات سياسة التفرقة العنصرية وهي السياسة التي أرسى قواعدها وبشر بها الاستعمار الأوروبي بعد تصريحات سيسل رودس ونادى دانيال فرانسوا مالان "١٨٧٥-١٩٥٤" و ابتكر لها كلمة " أبارتيد" و تعني الفصل أو التفرقة، حيث انخرط المهاتما غاندي في نضال عمال الزراعة الهنود والبوير العاملين في مزارع قصب السكر، وفي تلك الفترة اتخذ المهاتما غاندي من الفقر والتقشف رداءا له يقيه من صخب الأثرياء الذي يطغى على صراخ الفقراء، واكتسب المهارات والقدرات لمواجهة حالات الطوارئ المختلفة ليكون قادراً على إسعاف الفقراء، وجهز منزله ليكون مقرا دائما للاجتماعات، وقبلة للمضطَهَدين، ومن ثم بدأ في تحرير آلاف من العرائض وتوجيهها إلى السلطة البيضاء في جنوب إفريقيا، وقام بتنظيم "المؤتمر الهندي" في الناتال، وأسس صحيفة الرأي الهندي التي صدرت باللغة الإنجليزية وبثلاث لغات هندية أخرى، وساهم في إقامة مستعمرة "فينيكس" الزراعية مع أصدقائه الذين شاركوه أفكاره بأهمية الابتعاد عن صخب المدن وتلوثها، وعن طمع وكراهية وحقد البشر في المدن، فانسحب الهنود من المدن الرئيسية، مما أصاب الأعمال الصناعية بالشلل التدريجي، الأمر الذي أدى لاعتقاله لمرات متتالية.

وفي العام ١٩١٥ عاد المهاتما "غاندي" الي وطنه الهند، ليخوض بعدها رحلة طويلة من النضال ضد الظلم الاجتماعي والفقر وتهميش المرأة وبناء وئام وطني، ووضع حد للاضطهاد من جهة و الاستعمار البريطاني من جهة أخرى، ليظفر في النهاية بالتفاف أكثر من٣٥٠ مليوناً من مواطنيه خلفة، وفى عام ١٩٣٢ قرر المهاتما غاندي البدء بالصيام حتى الموت، احتجاجاً على مشروع قانون كان يكرس للتمييز في

الانتخابات مما دفع اللورد تشلمز فورد على القول : "إن هذه الأعمال صبيانية وفي منتهى الحماقة"، ولم يمض وقت طويل إلا وقد تم التفاوض والتوصل إلى "اتفاقية بونا" التي قضت بإلغاء نظام التمييز الانتخابي، ومن جديد ينتصر المهاتما "غاندي" في معركته.

وقد عمل المهاتما "غاندي" جاهداً على التصدي لسياسة سلطة الاحتلال البريطاني التي كانت تحصر استخراج الملح بالسلطات البريطانية مما أوقع هذه السلطات في مأزق، فقاد مسيرة شعبية مسافتها ٤٠٠ كيلومتر توجه بها إلى البحر لاستخراج الملح من هناك، وفي عام ١٩٣١ أنهى هذا العصيان بعد توصل الطرفين إلى حل وسط ووقعت معاهدة "غاندي – إيروين".

وفي عام ١٩٤٠ أطلق المهاتما"غاندي" حملة عصيان مدني جديدة احتجاجاً على إعلان بريطانيا الهند دولة محاربة لجيوش المحور دون أن تنال استقلالها واستمر هذا العصيان حتى عام ١٩٤١ كانت بريطانيا خلالها مشغولة بالحرب العالمية الثانية ويهمها استتباب أوضاع الهند حتى تكون لها عوناً في المجهود الحربي، وإزاء الخطر الياباني المحدق، حاولت السلطات البريطانية المصالحة مع الحركة الاستقلالية الهندية فأرسلت في عام ١٩٤٢ بعثة عرفت باسم "بعثة كريبس" ولكنها فشلت في مسعاها، وعلى إثر ذلك قبل غاندي في عام ١٩٤٣، ولأول مرة، فكرة دخول الهند في حرب شاملة ضد دول المحور على أمل نيل استقلالها بعد ذلك، وخاطب الإنجليز بجملته الشهيرة "اتركوا الهند وأنتم أسياد"، لكن هذا الخطاب لم يعجب السلطات البريطانية فشنت حملة اعتقالات ومارست ألوانا من القمع العنيف كان غاندي نفسه من ضحاياه حيث ظل معتقلاً خلف قضبان السجن ولم يفرج عنه إلا في عام ١٩٤٤.

ومع اقتراب انتزاع الهند لاستقلالها من الاستعمار البريطاني بانتهاء عام ١٩٤٤، تعالت الأصوات الداعمة لتقسيم الهند لدولتين، فسارع المهاتما غاندي إلى محمد علي جناح في محاولات مستميتة منه لإقناعة بالعدول عن توجهاته لكنه فشل فيذلك فشلا

ذريعا، وما إن أعلن تقسيم الهند حتى سادت الاضطرابات الدينية طول الهند وعرضها، وبلغت من العنف حداً تجاوز كل التوقعات فسقط في كلكتا وحدها على سبيل المثال ما يزيد عن خمسة آلاف قتيل، وقد تألم غاندي لهذه الأحداث واعتبرها كارثة وطنية.

بقيت الروح العظيمة تحلق في سماء الإنسانيّة مردّدة : "ليس كل سقوط نهاية، فسقوط المطر أجمل بداية"، حتى ظن من اغتاله من الهنادك المتطرفين بثلاثة طلقات نارية غادرة استقرت في صدره حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، معمدا مبادئه بدمائه، أنه هزمه، لكن هيهات! فدائماً تسقُطُ الأجسادُ، ولا تسقط الفِكرة، كما قال غسان كنفاني، لقد خلد المهاتما غاندي باغتياله القيم والمبادئ الإنسانيّة جمعاء، وكانت آخر كلمات نطق بها المهاتما غاندي قبل اغتياله في ٣٠ يناير عام ١٩٤٨:" سيتجاهلونك ثم يحاربونك ثم يحاولون قتلك ثم يفاوضونك ثم يتراجعون، وفي النهاية ستنتصر"، وبالفعل قد انتصرت مبادئ المهاتما غاندي وألهمت العديد من حركات التحرر الوطني ومقاومة الاحتلال في جميع أنحاء العالم.

أقوال غاندي

يعتبر غاندي زعيم سياسي وروحي ذو شخصية بارزة في الهند، ولقد كان مؤسس المقاومة السلمية وكان معروفا باتباعه سياسة اللاعنف، وهي فلسفة تجمع بين اللاعنف والحقيقة في المبادئ السياسية والاقتصادية، وقد كان رائدًا لمقاومة العصيان المدني ضد الاستبداد، والتي عملت على استقلال الهند، قام الباحث عطا رامي بجمع أهم أقوال المهاتما غاندي في مبحث بعنوان "أقوال مأثورة" في كتابه "غاندي رسالة اللاعنف والتسامح" و من أهم الأقوال المأثورة عن غاندي([٢١٢]):

أقوال غاندي عن الإنسانية

[٢١٢]-رامي عطا صديق، 2014، غاندي رسالة اللاعنف والتسامح، تقديم: فايز فرح، جداول للنشر والترجمة والتوزيع: بيروت، الطبعة الأولى. ص101-91.

- يجب أن لا تفقدوا الأمل في الإنسانية، إن الإنسانية محيط، وإذا كانت بضع قطرات من المحيط قذرة فلا يصبح المحيط بأكمله قذراً.
- يصبح الإنسان عظيماً تماماً بالقدر الذي يعمل فيه من أجل رعاية أخيه الإنسان.
- إن أية جريمة أو إصابة؛ بغَضّ النظر عن القضية، ارتكبت أو سُبِّبَت لشخص آخر هي جريمة ضد الإنسانية. يميل الناس إلى نسيان واجباتهم وتذكر حقوقهم.
- ليس من الحكمة أن يكون الإنسان متأكداً من حكمته، إنه أمر صحي أن يتم تذكيره بأنّ الأقوى يمكن أن يضعف، والأكثر حكمة يمكن أن يخطئ.

أقوال غاندي عن السلام

- ما يسلب بالعنف لا يحتفظ به إلا بالعنف.
- إن النصر الناتج عن العنف مساو للهزيمة، إذ أنه سريع الانقضاء.
- أينما يتواجد الحب، تتواجد الحياة.
- إننا سوف نكسب معركتنا لا بمقدار ما نقتل من خصومنا، ولكن بمقدار ما نقتل في نفوسنا الرغبة في القتل.
- الاختلاف في الرأي ينبغي ألا يؤدي إلى العداء، وإلا لكنت أنا وزوجتي من ألد الأعداء.

الغاندي في الأدب العربي

أ) غاندي في كتاب " روح عظيم.. المهاتما غاندى " لعباس محمود العقاد

كان عبّاس محمود العقّاد أيضا ممّن تأثّر بغاندي كثيرا، ويبحث العقاد عن الهند وعن غاندي في كتابهعنوانه "روح عظيم.. المهاتما غاندى"([٢١٣])بدأه بقصيدة اشتباكية يقول فيها:

زاهد الهند نعى الدنيا وصام أنا أنعاها، ولكن لا أصوم
طامع الغرب رعى الدنيا وهام أنا أرعاها، ولكن لا أهيم
بين هذين لنا حد قوام وليلم من كل حزب من يلوم.

"هذه الأبيات الشعرية التي كتبها وأوردها فى مستهل الكتاب، تعنى أن هناك وجهة نظر خاصة جدا يتبناها، وبالفعل أمتعنا العقاد فى كتابه الفريد، وقلّب وجوه غاندى على أكثر من احتمال، ولذلك كان لا بد أن يعطى مقدمة نظرية -كعادته-في تفسير الآفاق الإنسانية الرحبة التي لا بد أن تتوفر فى الزعماء عموما، بل إنها حق وليست واجبا، وعلى اشتراك الكثيرين قديما وحديثا فى هذه الآفاق الإنسانية، إلا أن كل عظيم يستطيع أن يقدم أشكالا مختلفة لهذه العظمة، وكان غاندى جديرًا بذلك بشكل مذهل"([٢١٤]).

و يرى العقاد أن سكان الهند ليسوا أبناء قوميّة واحدة حيث ليس لديهم أيّ عنصر قوميّ يجمعهم فلا عقيدة واحدة تجمعهم ولا سمات جغرافية واحدة ولا لغة واحدةو يرى العقاد أن توحيد هكذا دولة هو أمر شاق و صعب للغاية ولكنّ الذي جمعهمويجمعهم جميعا هو شعور آخر يتعلقبالحاسّة الدّينيّة أو الرّوحانيّة أو الأخلاقيّة ولا دخل فيها لقوّة سياسيّة مثلما يوجد في الأمم الأخرى. و هذا الشعور قد شغل الشعب الهندي و جعله متحدا ضد الاحتلال البريطاني بعيدين عن التعصب و التحيز لقومية معينة.

ب) غاندي في كتاب "غاندي والحركة الهنديّة" لسلامه موسى

٢١٣- عباس محمود العقاد، ١٩٩٩،روح عظيم.. المهاتما غاندى، شركة فن الطباعة: القاهرة.

٢١٤- شعبان يوسف، مقال: شوقي يكتب شعرا في غاندي.. والعقاد يروي كفاحه في كتاب، الموقع الالكتروني للمقال: https://www.tahrirnews.com/Story/138971/، التحرير جديد: ١٧/ يناير/٢٠١٥.

كتب عديد من الكتّاب عن غاندي وأفكاره ونظريّاته في المقاومة ضدّ الاستعمارات الإنجليزية، ومن أشهر هؤلاء الكتّاب سلامة موسى المفكّر المصري الّذي ألّف كتابًا باسم "غاندي والحركة الهنديّة"([٢١٥])، أثنى سلامة موسى في هذا الكتاب على فلسفاته التي أطَّرت المقاومات اللاعنفيّة والعصيان المدني وعدم الطاعة والتعاون.يتحدث سلامة موسى في كتابه عن أهمّيّة فهم تجارب الأمم الأخرى في الطرق والوسائل إلى الاستقلال من الاستعمار، وفي هذا الصدد يقول سلامة موسى حين حصر نظريات غاندي أن هناك أمرين اعتمدهما هذا الزعيم الروحي و هما ([٢١٦])

١- دعوة غاندي إلى الاستقلال النفسي والاعتماد على القوّة الروحيّة.

٢- دعوة غاندي إلى الاستقلال الاقتصادي باجتناب المنتجات الخارجيّة الأجنبيّة الواردة واستخدام المنتجات الدّاخليّة الهنديّة بدلا عنها.

يقول سلامة موسى بعدما قام بتحليل هذين المبدأين، الأول هو روح الهند روح النسك، ولا يكاد يراه الانسان في أيّ بلدان أخرى. وفي رأيه النسك أمر سلبيّ للحياة، فالنسك يقتضي الزهد في الحياة و البعد عن الترف و الرفاهية،وهذا لا يتوافق مع مزاج أغلب العرب الذينتعجبهم أمتعة الدّنيا و لهذا السبب يرى سلامة موسى أن هذا الأمر غير محبذ بين المصريين . أما بالنسبة للأمر الثاني و هو الاستقلال الاقتصادي فيعتبر موسى أنه الوسيلة التي يجب على المصريين أن يتخذوها و يعملوا بها كما فعل غاندي، لأن غاندي كان يحث الهنود على استخدام الملابس الهنديّة بدلا من الملابس الأجنبيّة المستوردة. فيوجد في نفوس النّاس الكرامة والاعتماد على ذواتهم والاستغناء عن بضاعة المستعمر و مقاطعة كل اقتصاد يعين المستعمر. أدّى هذا القانون لاعتماد الهنود على أنفسهم في الملبس والمأكل وغيره. فلا تصل نقودهم إلى الجيب الأجنبي، وفي العالم ليس هناك شيئ لهدم الاستعمار مثل الصناعة الوطنيّة وهذا ماعكف عليه

[٢١٥] - سلامة موسى، 2012، غاندي والحركة الهنديّة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة: القاهرة.

[٢١٦] - سلامة موسى، 2012، غاندي والحركة الهنديّة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة: القاهرة، ص51-49.

غاندي حيث شجع الهنود على الحفاظ على هويتهم والاعتماد على أنفسهم كي يكون الأجنبي غريبا في بلادهم. ج)غاندي في شعر شوقي

كان أمير الشعراء أحمد شوقي واحدا ممّن تأثّر بغاندي،ويظهرهذا في قصيدته "بني مصر"، أنشد شوقي هذه القصيدة عندما نزل غاندي في مصر وهو كان في طريقه إلى لندن للمشاركة في مؤتمر المائدة المستدير الثانية عام 1931م، وأراد غاندي أن يناقش مع إخوانه من مصر لأنهم كانوا أيضا تحت الاستعمار البريطانيّ مثل الهنود، واجتمع في بور سعيد بعض كبار شخصيّات من حزب الوفد ورأس لهم مصطفى باشا النحاس. ولقوا غاندي على ظهر السفينة التي كان يسافر فيها.

وفي هذه القصيدة يبدأ شوقي بدعوة الأمة المصريّة لترحيب غاندي بالورود لأنه يعدّ غاندي زعيما للمصريّين أيضا في مطالبة الاستقلال من قبضة البريطانيّين لأن الأوضاع السياسية والاجتماعية متشابهة بين الهند ومصر، وهو يقول:

بَني مِصرَ اِرفَعوا الغاروَحَيّوا بَطَلَ الهِندِ
وَأَدّوا واجِباً وَاِقضواحُقوقَ العَلَمِ الفَردِ
أَخوكُم في المقاساةِوَعَركِ المَوقِفِ النَكدِ
وَفي التَضحِيَةِ الكُبرىوَفي المَطلَبِ وَالجُهدِ
وَفي الجُرحِ وَفي الدَمعِوَفي النَفيِ مِنَ المَهدِ

كما أشاد الشاعر أحمد شوقي في القصيدة بمنهجية " مسيرة الملح" التي سلكها مهاتما غاندي للإضراب والاحتجاج ضد المستعمرين البريطانيين حيث كتب شوقي:

وَمَن صَدَّ عَنِ المِلحِوَلَم يُقبِل عَلى الشُهدِ
وَمَن تركَبُ ساقَيهِمِنَ الهِندِ إِلى السِندِ
سَلامٌ كُلَّما صَلَّيتَ عُرياناً وَفي اللِبدِ
وَفي زاوِيَةِ السِجنِوَفي سِلسِلَةِ القَيدِ

المصادروالمراجع

- ✓ رامي عطا صديق، ٢٠١٤، غاندي رسالة اللاعنف والتسامح، تقديم: فايزفرح، جداول للنشروالترجمة والتوزيع: بيروت، الطبعة الأولى.
- ✓ سلامة موسى، ٢٠١٢، غاندي والحركة الهنديّة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة:القاهرة.
- ✓ عباس محمود العقاد، روح عظيم.. المهاتما غاندى، شركة فن الطباعة: القاهرة.
- ✓ شعبان يوسف: شوقي يكتب شعرا في غاندي. https://www.tahrirnews.com/،
- ✓ إيهاب القسطاوى، مهاتما غاندي: الداعية إلى السلام والتسامح والتفاهم واللاعنف، مجلة الالكترونية محكمة: أقلام الهند، العدد الرابع: أكتوبر-ديسمبر/ ٢٠١٩م. الرابط الالكتروني للمقال:http://www.aqlamalhind.com/?p=1618

تصور الغاندي
في قصيدة "بني مصر" لأمير الشعراء

محمد أزهر سي. أتش
الأستاذ المساعد، كلية أنوار الإسلام العربية ، كنيل، كيرلا

المقدمة

غاندي ذلك الزعيم الهندي الفقير، قد شغل الدنيا بحياته المتواضعة وبأفكاره المستنيرة وبكفاحه ونضاله لأجل شعبه وخدمته للإنسانية, وقد تأثر به جميع الشعوب الشرقية والغربية وخصوصا بفلسفاته وأفكاره، وأثرت في حركات الإستقلال في الوطن العربي, وخاصة فكرته "اللاعنف"[٢١٧]. يعتبر أحد الشخصيات البارزة، التي تركت بصمات في تاريخ الإنسانية، نجح في أن يجمع شتات شعبه وبني قومه، ويحشدهم لرفض الاستعمار والاحتلال البريطاني، ودخل في كفاح سلمي طويل انتهى بتحرر بلاده من العبودية وانطلقت إلى فضاء الحرية لكي تسطر أروع النجاحات على المستوى الاقتصادي والتأثير في المجتمع الدولي،والتي لا يزال كل مواطن هندي يشعر بالفخر والاعتزاز أنه ينتمي إلى بلد شخص هو من أوائل من نادوا بالحرية والاستقلال. وتبرز عظمة شخصية غاندي بمثوله أمام الإنسانية كلها قاهرا للتعصب، ومعاديا للظلم، وعدوا للعنف، حيث أنه صاحب نظرية المقاومة السلبية، وهو المعلم الذي تستقى منه كل الفلسفات السلمية، ولو تأملنا مسيرة حياته منذ مولده حتى اغتياله فسوف ندرك كم كان فريدا في نوعه، وحيدا في بابه لا نكاد نجد له نموذجًا مثيلًا في

[٢١٧] هو ممارسة شخصية لا يؤذي الفرد فيها ذاته والآخرين تحت أي ظرف. وينبع ذلك من الاعتقاد بأن إيذاء الناس أو الحيوانات أو البيئة لا لزوم له لتحقيق النتيجة المرغوبة حمل ماهافيرا من الديانة الجانية

التاريخ الحديث، ولو تأملنا أيضا مسيرته المضيئة من الهند إلى جنوب إفريقيا ثم العودة إلى بلاده ليحمل شعلة النضال ومصباح الضياء للأمة الهندية بل وللإنسانية كلها فسوف نكتشف أنه كان روحًا أكثر منه جسدا.

بدأ حياته النضالية في سن مبكر بحثا[٢١٨] عن المساواة والاستقلال والمساواة والعدالة والاحترام المتبادل، عندما كان يمارس مهنة المحاماة في جنوب إفريقيا إبان النظام العنصري البريطاني هناك، وكانت الحكومة البريطانية قد أصدرت قانونا عنصريا ضد الآسيويين في جنوب إفريقيا عام ١٩١٧. مثل غاندي حالة فريدة من الزهد والورع، في نموذج مماثل للمتصوفة رابعة العدوية ومن قبلها نبي البشرية سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ولكن على الطريقة الهندوسية، فمن ينظر إلى حياته يجدها كانت شديدة التقشف، حيث كان يعيش شبه عاري إلا من إزار يستر عورته وماعز يشرب من لبنها، كي يضرب مثالًا رفيعًا للبعد عن مباهج الحياة ومظاهر المدنية حتى إنه كان يغزل ثوبه ويقتصد في طعامه ويبدو قديسًا جديدًا في عالم لم يعد فيه مكان للأنبياء، فلقد كان عازفًا عن المتعة، متعلقًا بدرجة عالية من التصوف المطلق. لقد ارتبط غاندي بقضايا الكفاح الوطني العادل في كل أنحاء العالم وناصر المصريين ضد الاحتلال البريطاني، وعندما عبرت البارجة التي يستقلها قناة السويس في طريقه إلى لندن ليحضر مؤتمر المائدة المستديرة فإن أحمد شوقي أمير الشعراء تطلع إليه قائلًا:

"سلام عليك يا غاندي وهذا زهرا من عندي"[٢١٩]

وكانت مصر تناضل من أجل الاستقلال بقيادة سعد زغلول ورفاقه وغاندي يدعمهم عن بعد ويتعاطف معهم بلا مواربة أو تردد فلقد كان الرجل بحق نصير الضعفاء وأيقونة العظماء ودرة الزمان والمكان. ولا ينسى الهنود، وكل عشاق التحرر في العالم مشهد اغتيال المهاتما غاندي في عام ١٩٤٨م، عن عمر يناهز ٧٨ عاما وقضى يومه

[٢١٨] ويكبيديا

[٢١٩] محمد صبري,الشوقيات المجهولة,الطبعة الأولى/مطبعة دار الكتب القاهرة١٩٨١_١٩٩٢

الأخير وسط تلاميذه، قبل أن يحين وقت صلاته وقام غاندي وبدأ السير إلى بيته، وكان يحيط به حشد كبير، وإذ بشاب هندوسي متعصب، يطلق النيران عليه وأصابه بثلاث رصاصات مما أودت بحياته، انتقاما منه مما أسماه انحيازا للمسلمين.

أحمد شوقي :شاعر الوطنية الأكبر

ولِد أحمد شوقي في ١٦ أكتوبر سنة ١٨٧٠م وتعلم في المدارس النظامية، ودخل مدرسة الإدارة (الحقوق)، في أوائل عهد الاحتلال، وفي سنة ١٨٧٧ سافر إلى فرنسا لدارسة الحقوق والأدب، وأتم دراسته سنة ١٨٩٣. أدرك شوقي الاحتلال الإنجليزي وهو شابٌّ مُهذب مُثقف، وعرف كيف عصف الاحتلال باستقلال البلاد، وإذ كانت عبقريته الشعرية قد خُلقَت ووُلدَت معه ولازمته منذ صِباه، فقد اقترنت بشعوره الوطني الذي تولَّد في نفسه بالفطرة[٢٢٠]،وزاده توهُّجا ورسوخا رؤيته الاحتلال الأجنبي يجثم على صدر البلاد، فامتزجت شاعريته بوطنيته، وكان لمصر وآلامها صدًى بعيد وأثر عميق في شعره، وظل حبه للوطن يُوجِّهه في قصائده ويُلهِمه التغريد له والحنو عليه.

التحق منذ عودته إلى مصر بديوان المعية الخديوية، وعلَت مكانته لدى الخديو عباس الثاني حتى سُمِّي شاعر الأمير،[٢٢١] لكن روحه الوطنية لم تتأثر كثيرًا من صلته بالقصر، هذا إلى أن الخديو عباس كان في أول عهده بالعرش يُناوئ الاحتلال، والاحتلال يُناوئه، حتى إذا جنح لمهادنة الاستعمار، لم يكن لهذا التحول أثر كبير في شعر شوقي، اللهم إلا هدأة وقتية في الحرب المشبوبة بين الأمة والاحتلال، على أن تأصُّل روح الوطنية في نفسه جعله لا يُجاري الخديو عباس في انصرافه عن الحركة الوطنية، ثم في تنكُّره لها؛ فبقي شعره ينهل من منبع الوطنية الصافي. انفصل عن

[٢٢٠] حنا الفاخوري,تاريخ الأدب العربي الأدب الحديث,دار الجليل بيروت- لبنان,المطبعة الأولى١٩٨٤,(رقم صفحة ٤٤٩)

[٢٢١] أحمد حسن الزيات,تاريخ الأدب العربي,المطبعة "فيصل"ترورنغادي,٢٠٠٨,(رقم صفحة٣٤٩-٣٧٢)

منصبه في القصر بعد خلع الخديو عباس عن العرش في ديسمبر سنة ١٩١٤ وتحرَّر من المنصب الحكومي؛ فزادته الحرية قوة وإنتاجًا، وتحليقًا في سماء الشعر والفن والخيال، واستُهدف لاضطهاد السلطة العسكرية البريطانية؛ إذ قرَّرَت نفيه وتركت له اختيار البلد الذي يُنفى إليه، فاختار إسبانيا[٢٢٢] "الأندلس" وبقي على عهده للوطن، ثم عاد من منفاه في فبراير سنة ١٩٢٠، والبلاد في غليان الثورة[٢٢٣]، فاستقبلت مصر شاعرها المُلهَم استقبالًا حافلًا رائعًا. لشوقي الريادة في النهضة الأدبية والفنية والسياسية والاجتماعية والمسرحية التي مرت بها مصر، أما في مجال الشعر فهذا التجديد واضح في معظم قصائده التي قالها، ومن يراجع ذلك في ديوانه الشوقيات لا يفوته تلمس بروز هذه النهضة؛ فهذا الديوان الذي يقع في أربعة أجزاء يشتمل على منظوماته الشعرية في القرن التاسع عشر وفي مقدمته سيرة لحياة الشاعر وهذه القصائد التي احتواها الديوان تشتمل على المديح والرثاء، والأناشيد والحكايات والوطنية والدين والحكمة والتعليم والسياسة والمسرح والوصف والمدح والاجتماع وأغراض عامة.

لقد كان الشاعر يملك نصيباً كبيراً من الثقافتين العربية والغربية، كما أفادته سفراته إلى مدن الشرق والغرب. يتميز أسلوبه بالاعتناء بالإطار وبعض الصور وأفكاره التي يتناولها ويستوحيها من الأحداث السياسية والاجتماعية، وأهم ما جاء في المراثي وعرف عنه المغالاة في تصوير الفواجع مع قلة عاطفة وقلة حزن، كما عرف أسلوبه بتقليد الشعراء القدامى من العرب وخصوصاً في الغزل، كما ضمن الفخر والخمرة والوصف، وهو يملك خيالاً خصباً وروعة ابتكار ودقة في الطرح وبلاغة في الإيجاز وقوة إحساس

[٢٢٢] إقليمٌ وحضارةٌ إسلاميَّة قروسطيَّة قامت في أوروبَّا الغربيَّة وتحديدًا في شبه الجزيرة الأيبيريَّة، على الأراضي التي تُشكِّلُ اليوم إسبانيا والبرتغال

[٢٢٣] ثورة 1919 كانت سلسلة من الاحتجاجات الشعبية على السياسة البريطانية في مصر عقب الحرب العالمية الأولى، بقيادة الوفد المصري الذي كان يرأسه سعد زغلول ومجموعة كبيرة من السياسين المصريين، كنتيجة لتذمّر الشعب المصري من الاحتلال الإنجليزي وتغلغله في شؤون الدولة بالإضافة إلى إلغاء الدستور وفرض الحماية وإعلان الأحكام العرفية وطغيان المصالح الأجنبية على الاقتصاد.

وصدقا في العاطفة وعمقا في المشاعر. منح شوقي موهبة شعرية فذة، وبديهة سيالة، لا يجد عناء في نظم القصيدة، فدائما كانت المعاني تنثال عليه انثيالا وكأنها المطر الهطول، يغمغم بالشعر ماشيا أو جالسا بين أصحابه، حاضرا بينهم بشخصه غائبا عنهم بفكره؛ ولهذا كان من أخصب شعراء العربية؛ إذ بلغ نتاجه الشعري ما يتجاوز ثلاثة وعشرين ألفا وخمسمائة بيت، ولعل هذا الرقم لم يبلغه شاعر عربي قديم أو حديث[٢٢٤]. كان ذا حس لغوي مرهف وفطرة موسيقية بارعة في اختيار الألفاظ التي تتألف مع بعضها لتحدث النغم الذي يثير الطرب ويجذب الأسماع، فجاء شعره لحنًا صافيًا ونغمًا رائعًا لم تعرفه العربية إلا لقلة قليلة من فحول الشعراء.و إلى جانب ثقافته العربية كان متقنًا للفرنسية التي مكنته من الاطلاع على آدابها والنهل من فنونها والتأثر بشعرائها، وهذا ما ظهر في بعض نتاجه وما استحدثه في العربية من كتابة المسرحية الشعرية لأول مرة. اشتهر شعر أحمد شوقي كشاعرٍ يكتب من الوجدان في كثير من المواضيع؛ فقد نظم في مديح النبي محمصلى الله عليه وسلم،[٢٢٥] ونظم في السياسة ما كان سبباً لنفيه إلى الأندلس بإسبانيا وحب مصر، كما نظم في مشاكل عصره مثل مشاكل الطلاب، والجامعات، كما نظم شوقيات للأطفال وقصصا شعرية، ونظم في المديح وفي التاريخ. بمعنى أنه كان ينظم مما يجول في خاطره، تارة الرثاء وتارة الغزل وابتكر الشعر التمثيلي أو المسرحي في الأدب العربي .تأثر شوقي بكتاب الأدب الفرنسي ولا سيما موليير وراسين. ويمتاز شعر شوقي بقوة البيان، وروعة الموسيقى الشعرية، وسعة الأفق، والتعمق في استيعاب الحوادث التاريخية، قديمها وحديثها، ولقد جارى فحول الشعراء المُتقدِّمين، وبزَّهم في كثير من قصائده، وجدَّد بعض التجديد في الشعر العربي بما اقتبسه عن شعراء الغرب، وعن الثقافة الأوروبية، وسار في التجديد شوطًا بعيدًا وخاصة بعد عودته من المنفى؛ إذ وضع عدة مسرحيات

[٢٢٤] أحمد حسن الزيات,تاريخ الأدب العربي,المطبعة "فيصل"تورونغادي,٢٠٠٨,(رقم صفحة٣٤٩-٣٧٢)

[٢٢٥] الهمزية النبوية,ولدى الهدى والكائنات.....

شعرية بلغت مبلغًا عظيمًا من الفن والموسيقى والجمال، كمصرع كليوباترا، ومجنون ليلى، وعنترة، وغيرهما، وظل يُنتِج ويشدو ويُبدِع، إلى أن تُوفي في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢.

في قصائد شوقي يسطع نور الوطنية، ويتأجج لهيبها، وهو أغزر الشعراء مادة وأوسعهم إنتاجًا من هذه الناحية، ولقد ظل يستلهم روح الوطنية طول حياته، شابًّا وكهلًا وشيخًا، بل إن شعره الوطني في شيخوخته كان أقوى منه في شبابه، وقد يكون مرجع ذلك إلى تجرُّده من الاتصال بالقصر بعد خلع الخديو عباس حلمي، كما أسلفنا، ثم إلى نفيه من مصر في أوائل الحرب العالمية الأولى، فأثار البعد عن الوطن شاعريته، وجاد بأبدع قصائده في الحنين إلى مصر وحبه لها والهيام بها إلى درجة التقديس، ومرجع ذلك أيضًا إلى تأصُّل عبقرية الشعر في نفسه، فلم تُضعِفها السن، ولم ينَل منها الزمن، وظلت قوية تتدفق حيوية ونشاطًا.والوطنية في شعر شوقي هي فيض الفطرة والإلهام،وليست من صنع الظروف أو التكلف؛ولذلك جاءت قوية جارفة،عميقة رائعة.

تصوير غاندي في الأدبي العربي عامة

نرى إلياس قنصل عندما يتحدث عن ثورة السوريين ضد البطش الفرنسي وعن نضال الفلسطينيين لأرضهم المحتلّة يحكي عن كفاح الهند وزعيمها غاندي:

"وما غاندي الضعيف سوى نبي : شبيه الأنبياء المرسلينا"[٢٢٦]

وكان غاندي محط أنظار العرب في نضالهم المرير ضد الإستعمار الأجنبي ونراه يقدّسه الشاعر القروي رشيد سليم الخوري بقوله:

"من شط بحر الغانج زار غضنفر : أشجى لسجعي من هديل حمام
صوت يردده مسيح الهند في : دلهي لتسمع يا مسيح الشام"[٢٢٧]

وكان ميخائيل نعيمة رائد أدباء المهجر يدرك أهمية غاندي ورسالته المتجلية باللاعنف. ولما مات غاندي رثاه معظم شعراء العرب بألحان شجية ومنهم عباس محمود

[٢٢٦] الأستاد إلياس قنصل,ديوان قنصل,/ دار العلم للملايين، بيروت,١٩٧٥

[٢٢٧] رشيد سليم الخوري,ديوان القرويات,الأعاصير- (مختارات من الشعر الوطني), بيروت,/١٩٥٢

العقاد والشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري وإلياس فرحات وبيرم التونسي شفيق حنا ومحمود خليفة غانم وجميلة العلاييلي وخليل جرجس وغيرهم.

يقول محمد مهدي الجواهري وهو يرثى غاندي:

"سيدي أنت أيها الحق والعزة : الفخر والندى والعلاء

ذريت في الهواء ملكا مشاعا : يتساوى فيها الثرى والفضاء"[٢٢٨]

ويقول عباس محمود العقاد في شعره لرثاء غاندي بعنوان زاهد الهند:

"زاهد الهند نعى الدنيا وصام : أنا أنعاها ولكن لا أصوم

طامع الغرب رعى الدنيا وهام : أنا أرعاها ولكن لاأهيم"[٢٢٩]

كتب عديد من الكتّاب المصريّين عن غاندي وأفكاره و نظريّاته في المقاومة ضدّ الاستعمارات الانجليزية. ومن أشهر هؤلاء الكتّاب سلامة موسى المفكّر المصري الّذي ألّف كتاب باسم "غاندي والحركة الهنديّة"[٢٣٠] أثنى سلامة موسى في هذا الكتاب على فلسفاته ما يشمل فيها المقاومات اللاعنفيّة والعصيان المدني و عدم الطاعةوالتعاون. يقول سلامة موسى في كتابه "غاندي والحركة الهندية" عن أهمّيّة فهم تجارب الأمم الأخرى في الطرق والوسائل إلى الاستقلال من الاستعمار. و في هذا الصدد يقول سلامة موسى أن هناك أمرين أن غاندي دعا إلى الاستقلال النفسي والاعتماد على القوّة الروحيّة. إن غاندي دعا إلى الاستقلال الاقتصادي باجتناب المنتجات الخارجيّة الأجنبيّة الواردة واستخدام المنتجات الدّاخليّةا. يقول سلامة موسى بعدما قام بتحليل هذين المبدأين، الأول هو روح الهند روح النسك، و لا يكاد يراه الانسان في أيّ بلدان أخرى. وفي رأيه النسك أمر سلبيّ للحياة. ولا يوافق مع مزاج المصريّين. يعجبهم أمتعة الدّنيا وبهذه الأسباب وهو لا يحثهم على اتّخاذ هذا الطريق في سبيل مقاومة الاستعمار.

---

[٢٢٨] محمد مهدي الجواهيري, ديوان الجواهري,ألقيت في إحتفال الصلاة التكارية اللذي أقامته السفارة الهندية في بغداد لغاندي مساء يوم٣٠ كانون الثاني١٩٤٠.نشرت في جريدة "الرأي العام"العدد٣٥٢ ١شباط١٩٤٠.

[٢٢٩] عباس محمود العقاد,روح عظيم المهاتما غاندي,الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة١٩٨٤

[٢٣٠] سلامة موسى, غاندي والحركة الهندية, مطبعة المجلّة الجديدة ١٩٣٤

ويعبّر موسى عن الثاني هو من مكافحة الاستعمار الّتي يجب على المصريّين أن يتّخذوها من غاندي و يعملوا به، لأن غاندي يحظ الهنود على استخدام الملابس الهنديّة بدلا من الملابس الأجنبيّة المستوردة. فيوجد في نفوس النّاس الجرء على الحياة بلا خوف للإقدام والإقبال في الحياة. وأدّى هذا القانون لاعتماد الهنود على أنفسهم لكلّ شيء حتّى الطعام الذي يزرعونه في أرضهم. فلا تصل نقودهم إلى الجيب الأجنبي. وفي العالم ليس هناك شيئ لهدم الاستعمار مثل الصناعة الوطنيّة وعلّم غاندي الهنود فهم الأجنبي غريبا في بلادهم. وجعل غاندي المغزل رمزا لهذه المكافحة ويقول موسى للمصريّين أن يتّخذوا النّول رمزا للمكافحة الاقتصادية حيث لا يستطيعون الانتفاع بالغزل اليدوي والنّول المصري يمكنه المنافسة في السوق التجاري أمام النول الأوربي وينصح المصريّين لتعميم النول بين القرويّين الفلّاحين والمدنيّين رجالهم و نسائهم.

كان عباس محمود العقّاد ايضا ممّن تأثّر بغاندي كثيرا. ويبحث العقاد عن الهند وعن غاندي في كتابه "روح عظيم" وينظر إلى الهند من قبل غاندي حيث يقول[٢٣١] عندما يبحث عن تاريخ الهند أنّ سكّان الهند ليسوا أبناء قوميّة واحدة حيث ليس لديهم أيّ عنصر قوميّ يجمعهم و ليس لديهم لغة وعقيدة ودولة التي تجمعهم جميعا. و لذا ليس لهم أيّ من حاسّة الوطنيّة أو القوميّة واحدة طوال تاريخهم القديم. ولكنّ الذي يجمعهم جميعا هو شعور آخر يعني الحاسّة الدّينيّة أو الرّوحانيّة أو الأخلاقيّة و لا دخل فيها لقوّة سياسيّة مثلما يوجد في الأمم الأخرى.

ويفسر العقّاد فهمه في هذا الموضوع مشيرا إلى غاندي حيث "يقارن بين السوراج والأهمسا أو ضبط النفس ومقاومة العنف بالحسنى". و بهذا يقدّم غاندي الأهمسا على السوراج لأن الأهمسا[٢٣٢] هي أن يحكم الإنسان على نفسه والسوراج هي أن يحكم الإنسان بلاده أو الخلاص من الحكومة الأجنبيّة. وبالجملة أنّ الهنود كما فهم

[٢٣١] عباس محمود العقاد,روح عظيم المهاتما غاندي,الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة١٩٨٤, (رقم صفحة١٨)

[٢٣٢] حب السلامة من طريق المسالمة كانت أسهل مذهب من مذاهب الحياة يدعى إليه ويستجاب.لأن حب السلامة غريزة في جميع الأحياء.

العقّاد لهم الحاسّة الرّوحيّة الّتي تخالف الحاسّة الوطنيّة أوالقوميّة اللّتين عرّفهما الغرب, بالجملة أن أدباء العصر الحديث مثل أحمد شوقي وعباس محمود العقاد وسلامة موسى هم ممن تأثّروا بحياة مهاتما غاندي وفلسفاته وصوّروا عنه في كتاباتهم ودعوا العرب عموما والمصريّين على وجه الخصوص لاتباع غاندي وأفكاره.

ويأتى الكتاب الثالث "المهاتما غاندى.. حياته وجهاده" للشاب اليافع والوطنى، والذى يتفجر نشاطا وحماسا المحامى فتحى رضوان، ابن الثالثة والعشرين من العمر، وأصدر هذا المجلد الكبير فى مايو ١٩٣٤م، وتناول سيرة الزعيم من زوايا شاب طموح، يعلّق آمال وطنه كلها على وحدة الشرق فى مواجهة عصابة الغرب، وكان الكتاب ضمن حملته هذه التى يرى أنها الخلاص الأمثل للبلاد، أن يتوحد الشرق عموما بثقافاته المتعددة، وسياساته المختلفة، وبعقائده ودياناته المتعددة، والذين يقرؤون تاريخ فتحى رضوان، سيدركون أن وحدة الشرق هى الركيزة الأساسية التى انبنى عليها نضاله لأكثر من خمسين عاما.وفى بداية الكتاب راح رضوان يوجّه رسالة إلى الزعيم، ويذكر فضله عليه، رغم أنهما لم يلتقيا، ولم يتعارفا بأى شكل من الأشكال، ولكن -كما يرصد رضوان- المهاتما انتشله من حيرة مؤكدة فى الحياة والمصير والإنسانى عموما، وذلك عندما قرأ سيرته ذات يوم، وفعلت هذه السيرة فعلها الجبار فى تغيير مسار حياة فتحى رضوان، وما هذا الكتاب الذى يرصد ويناقش ويتأمل حياة القديس، إلا ردّ الجميل لهذا الزعيم العظيم، ولا تحتمل السطور القليلة، عرض هذا الكتاب المهم، ولكننى أردت الإشارة إليه فقط .

هكذا شغل غاندي أدباء العرب كما شغل غيرهم من الشعوب حيث أصبح موضوعا لإبداعهم. وقد قام محمد سامي عاشور بترجمة السيرة الذاتية لغاندي باسم "في سبيل الحق" كما ترجمه منير البعلبكي بعنوان "قصة تجاربي مع الحقيقة" وللأستاذ عباس محمود العقاد كتاب عن حياة غاندي ورسالته باسم "روح عظيم المهاتما غاندي" وصدر عن المجلس الهندي للروابط الثقافية بدلهي كتاب مصوّرا عن حياة

غاندي, يحتوى على صور نادرة لغاندي في مختلف فترات حياته, وللكاتب العربي الشهير سلامة موسى كتاب "غاندي والحركة الهندية" كما أصدر الأستاذ فؤاد محمد شبل عن حياة غاندي باسم "غاندي قديس السياسة" ومن المؤلفات العربية في حياة غاندي ورسالته "المهاتما غاندي وجهاده" لفتحي رضوان كما صدر في اللغة العربية عن حياة غاندي ورسالته أكثر من ثلاثين كتابا ما بين تأليف وترجمة.

تصور الغاندي : في قصيدة بني مصر لأمير الشعراء

كان أمير الشعراء أحمد شوقي واحدا ممّن تأثّر بغاندي.و يظهر هذا في قصيدته "بني مصر" حيث يثني غاندي على شخصيّته ونظره. أنشد شوقي هذه القصيدة عندما نزل غاندي في مصر وهو كان في طريقه إلى لندن للمشاركة في مؤتمر المائدة المستدير الثانية عام١٩٣١م.وأراد غاندي أن يناقش مع إخوانه من مصر لأنهم كانوا أيضا تحت الاستعمار البريطاني مثل الهنود، واجتمع في بور سعيد بعض كبار شخصيّات من حزب الوفد ورأس لهم مصطفى باشا النحاس.و لقوا غاندي على ظهر السفينة التي كان يسافر فيها.وخلد كره في قصيدة رائعة في ٤٠ بيتا مطلعها[٢٣٣] .

"بني مصر، ارفعوا الغار : وحيوا بطل الهند

وأدوا واجباً، واقضوا : حقوق العلم الفرد"

يدعو الشاعر بني وطنه أن يستقبلو بطل الهند وهو أخوهم في مأساتهم ومعاناتهم وتضحياتهم في سبيل حرية الوطن معاناة حياة المنفي وإزالة حياته التشريدية من مسقط رأسه حينما شرده البريطانيون من مصرإلي إسبانيا وأيضا في طلب رحلة الحق بمواجهة الأظتهاد والأغتصاب من الماكرين المستبدين. وفي هذه القصيدة يبدأ شوقي بدعوة الأمة المصريّة لترحيب غاندي بالورود لأنه يعدّ غاندي زعيما للمصريّين أيضا في

[٢٣٣] محمد صبري,الشوقيات المجهولة,الطبعة الأولى/مطبعة دار الكتب القاهرة١٩٨١_١٩٩٢

مطالبة الاستقلال من قبضة البريطانيّين لأن الأوضاع السياسية والاجتماعية متشابهة بين الهند ويقول:

"أخوكم في المقاساة : وعرك الموقف النكد
وفي التضحية الكبرى : وفي المطلب، والجهد
وفي الجرح، وفي الدمع :وفي النفي من المهد
وفي الرحلة للحق : وفي مرحلة الوفد[٢٣٤]

ويبدو شوقي محبته لغاندي في اتخاذ الوحدة الوطنية بين الهندوس والمسلمين. وكان البريطانيون يفرقون بين الهندوس والمسلمين لنيل فائدتهم السياسية، وكانوا يستخدمون هذه السياسة الفاحشة لفشل الحركات الاستقلالية ضدّهم. وأثنى الشاعر أحمد شوقي على مساهمات غاندي في هذا الصدد و شبّه بنبيّ مرة وبالمهديّ و"كنفيوشس" مرة أخرى,ويصف رأيته القيمة نحو الأمور الأصلاحية واللأخوية في لباس الزاهد كرسولا إلي كافة الإنسان ويمثله مجمع الكرم ومنبع وجود المحبة ومشرف المجد.أن الروح الأعظم نادي الشرق الأوسط بالصبر و"للاعنف ومن المتوقع "لبيك يا غاندي...أنت منقد سلاحنا وستورنا..و نرى هذا في قوله:

" نبي مثل كونفشيوس، : أو من ذلك العهد
قريب القول والفعل : من المنتظر المهدي
عن الحق وفي الزهد : شيبه الرسل في الذود
لقد علم بالحق : تمثال من المجد
وبالصبر، وبالقصد : ونادى المشرق الأقصى"

في أبياته التالية يقرأ الشاعر أحمد شوقي السلام على غاندي حيث يناديه بالأوصاف الحميدة التي اشتهر غاندي بها بين الأ مم . واستخدم الشاعر عدّة ألقاب في قصيدته

[٢٣٤] www.hindawi.org(حزيران ٢٠٢١/٧.)

مثل "حالب الشاة"[٢٣٥] مشيرا إلى أن غاندي كان يشرب لبن الشاة حالبا بنفسه واستخدم أيضا "غازل البرد" مشيرا إلى أنه يغزل ثيابه بالمغزل بنفسه. وكلّ هذه تشير إلى أن نظرية غاندي عن الحياة هي أن السبيل الوحيد إلى السعادة هو الزهد ويلفت أمير الشعراء أحمد شوقي في هذه الأبيات أنظار القراء إلى نفس النظريّة وهو يقدّم إلى غاندي باقة الترحيب يمدح غاندي ويثنيه بالثناء العاطر بقوله:

" سلام النيل يا غندي : وهذا الزهر من عندي
سلام حالب الشاة : سلام غزل البرد"

ويشير شوقي في قصيدته إلى واقعيّة "مسيرة الملح" التي هي واحدة من الطرق ابتكرها وطبّقها غاندي للإضراب والاحتجاجات ضدّ الاستعمار البريطاني على أساس فلسفته المشهورة "اللاعنف والعصيان المدني" و يشير أيضا إلى مشي غاندي إلى داندي واعتقاله تبعا لها، يعرف مسيرة الملح بأسماء عصيان الملح ومسيرة داندي و عصيان داندي أيضا. و كان غاندي قائد هذه المسيرة و رافق معه ٨٠ شخص. و وكانوا يمشون ١٠ أميال في يوم واحد بقدم عاري وبدؤوا هذا العصيان المدني من منطقة سابارماتي أشرم إلى قرية داندي واستمر العصيان تقريبا لمدّة عام واحد وسجن كثير من المشاركين في هذه المسيرة مع غاندي. يشيد شوقي :

"ومن صد عن الملح : ولم يقبل على الشهد
ومن تركب ساقيه : من الهند إلى السند
سلام كلما صليت : عرياناً، وفي اللبد
وفي زاوية السجن : وفي سلسلة القيد"

تسبّبت هذه الحركة لانتشار المقاومات والمكافحات إلى جميع أنحاء الهند وصار البريطانيون مجبرين على دعوة رأساء الهند الى مؤتمر المائدة المستديرة ويقول الشاعر

[٢٣٥] www.tahrirnews.com

أحمد شوقي في قصيدته معبرا عن هذاواستخدم الشاعر أحمد شوقي كلمة "النِدِّ لِلنِدِّ" مشيرا إلى أنّ مؤتمر المائدة المستديرة تعقد مع المساواة بين جميع من يشارك فيها وينصح الشاعر أحمد شوقي رئيس الهند غاندي بأن يحذر خيانات البريطانيين خاصة " للورود كرومر" في المؤتمر لأن المصريّين لديهم خبرات كثيرة في هذا الأمر، حيث يقول:

"ولاحظ ورق السير : وما في ورق "اللورد"
وكن أبرع من يلعب : بالشطرنج والنرد
ولاقي العبقريين : لقاء الند للند"

الخلاصة : يصور شاعرنا الجليل شخصية الغاندي ونظرياته الإنسانية والتسامح الديني والأخوية بين المسلمين والهندوس وكفاحه ضد البريطانيين بمناسبة المقاومات الإستقلالية للشعب الهندي

المصادروالمراجع

- ✓ الفاخوري حنا: تاريخ الأدب العربي الأدب الحديث,دار الجليل بيروت- لبنان, ١٩٨١
- ✓ العقاد محمود عباس:روح عظيم المهاتما غاندي,الناشر مؤسسة هنداوي ١٩٨٤
- ✓ سلامة موسى : غاندي والحركة الهندية, مطبعة المجلّة الجديدة ١٩٣٤
- ✓ محمد صبري: الشوقيات المجهولة. الطبعة الأولى/مطبعة دار الكتب القاهرة١٩٨١_١٩٩٢
- ✓ أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي, المطبعة "فيصل"تورونغادي,٢٠٠٨
- ✓ رشيد سليم الخوري ديوان القرويات, بيروت,/١٩٥٢

محمد مهدي الجواهيري :ديوان الجواهري, جريدة "الرأي العام"العدد٣٥٢ ويكبيديا https://www.allugah.com ، https://www.allugah.com

المهاتما غاندي
بين الإنسانية والقومية

شامة درويش
جامعة باجي مختار عنابة/الجزائر

ملخص البحث

يعرض لنا العظماء ألوانا من القدرة وأنماطا من الفطرة الإنسانية تخوّل لهم البقاء، فلكلّ إنسان في التاريخ وجهة معينة نستطيع أن نتبيّنها، وطالما تأرجح الإنسان بين الحرية والعبودية، كما تخلّلت الجماعات الإنسانية نوبات اتّصال وانفصال، وهكذا كان حال الهند؛ إذ لم تكن أبدا تطالب بمطلب واحد أو تدين بدين واحد، أو تشترك في مكسب واحد، فهي في فترة ما لم تكن وطنا واحدا، لكنّها اشتركت في استعمار واحد، وطالبت بالخلاص، ليس لأنها تملك قومية واحدة، بل لأنّها تحركت بدافع روحانيّ محض. لأنّه من منظور غاندي، قد يحكم الإنسان بلده ولا يستطيع حكم ذاته، التي قد تطغى عليها الشهوات .من خلال هذه المبادئ الإنسانية غاص العقّاد في كتابه "روح عظيم، المهاتما غاندي" وحاور الجوانب الخفية من خلال مقولات غاندي ومواقفه، فالهند اجتمعت فيها مظاهر لم تجتمع في إقليم آخر، فكانت الروحانية هي سمة الهند الكبرى، وهذا ما يفسر غوامضها وغوامض الهند الكبرى وأبطالها الذين رسخوا في الإنسانية ومنهم طاغور شاعر الهند، وغاندي موضوع كتاب "روح عظيم". خاصة و أنّ العقاد تناول شخصيات إسلامية، في سلسلة العبقريات عرض فيها سِيَر شخصيات إسلامية مؤثّرة. في هذه الورقة تقديم للكتاب، والجوانب الهامّة التي ركّز عليها عبّاس محمود العقاد لإبراز إنسانية غاندي، وإلى أي مدى شمل الكتاب فلسفة الرجل؟ ومدى تأثيره في العالم كافة وفي الوطن العربي خاصة.وهذا ما يضعنا أمام السؤال الآتي: ما هي جوانب الاختلاف بين الهنديّ في إيمانه بمعنى الوطن ومعنى الدين،

وفي مخالفته بالغاية القصوى من الحياة الوطنية؟ وما الجديد الذي أضافه الكتاب إلى مسار المهاتما غاندي؟

الكلمات المفتاحيّة: الروحانية/ المهاتما غاندي/ الإنسانية/ روح عظيم/ القومية.

المقدّمة

تقدم لنا السير عددا من المعطيات الهامة عن شخصية من الشخصيات الفعالة في التاريخ وفي مجال من المجالات الحيوية. وهي بذلك صورة من أوضح الصور التي تقدم عن شعب ما أو عن ثقافة من الثقافات أو حضارة من الحضارات؛ لذلك كانت وما تزال كتابة شاملة للتاريخ والثقافة والحضارة والفكر، بل هي كتابة في الاجتماع والسياسة والنفس الإنسانية.وممارسة كتابة السير - سواء أكانت ذاتية أم غيرية- تختلف من كاتب إلى آخر؛ ذلك أن كل كاتب سيرة يركز على جوانب قد لا يلتفت إليها غيره أو قد يمر عليها مرورا خفيفا كونها بالنسبة إليه أمورا ثانوية. ومن الشخصيات التي تناولت الأقلام سيرتها المهاتما غاندي الشخصية الهندية الشهيرة التي كان لها تأثيرها الشامل في الهند وكثير من الأمم التي اقتربت منها بصلة من الصلات في حالات الحرب والسلم والتعارف والتعاون.

ويعد كتاب عباس محمود العقاد عملا سيريا مركزا في إشاراته إلى العظمة والتفرد والعبقرية،إنه كتابه الذي أفرده للحديث عن شخصية عالمية، يتعلق الأمر بالمهاتما غاندي الذي اهتم ببيان ملامح شخصيته من حيث النشأة والأسرة والتكون والسيرة الفكرية والسياسية والآثار التي انفرد بها. ويركز المقال على نقطتين اثنتين في شخصية المهاتما غاندي هما: البعد القومي والبعد الإنساني، فكيف نظر العقاد إلى المهاتما غاندي وكيف حدد سمة كل بعد من البعدين القومي والإنساني، ويمكننا أن نقف في هذا المقال كذلك على علاقة شخصية المهاتما غاندي بثقافة قومه المتشعبة والعلاقة بالأقطار الشرقية ككل، مع محاولة تحديد نقط التماس التي للمهاتما مع الأبعاد العربية الإسلامية

١. فن السيرة

السيرة فن عامر بالحياة والقوة والحضارة وتيارات الفكر والجوانب النفسية؛ كونه صورةً للتجربة الحيّة متّصلة اتّصالا وثيقًا بالفهم النفسيّ والاجتماعيّ لدى الشخصيات الهامّة في التراث العربي، وكثيرا ما تمّ التساؤل عن العلاقة بين السيرة والتاريخ غير أن Collinwood ينكر تلك العلاقة كون كلّ عالم ذا خصائص معينة أما توينبي Toynbee فلا ينكر وقوع شيء من التشابك بينهما. ([٢٣٦])ومن الضروري هنا الإشارة إلى تأثير الحياة السياسية والدينية في طبيعة كتابة السيرة التي هيمنت عليها الدعايتان؛ السياسية والدينية، غير أنّها بفضل عناية الكتّاب الأنجليز في القرن الثامن عشر، تحوّلت إلى عمل فنيّ متميّز خاصة على يد كل من د.جونسون Johnson ورفيقه بوزول Boswell.([٢٣٧])،ومن الواضح أنّ هذا الفن قد تأثّر بتطوّر الحياة السياسيّة ومنجزاتها الفنية والديمقراطية؛ إذ إنّ الفن ينتشر ويزدهر في جوّ الحرية.

يمكن إجمال القول في الموضوع "إن السيرة فنّ لا بمقدار صلتها بالخيال وإنّما لأنّها تقوم على خطة أو رسم أو بناء وعلى ذلك فهي ليست من الأدب المستمدّ من الخيال بل هي أدب تفسيريّ وهذا النوع من الأدب كالأدب الذي يخلق خلقا من حيث إنّ صاحبه معنيّ بغاية محدودة، تهديه في اختياره وترتيبه للحقائق وهو كالروائي والقاصّ أيضا يحاول أن يكشف عن الصراع بين بطل سيرته والطبيعة وصراع مع الناس الآخرين، مع نفسه وهو يحاول أن ينقل إلى القرّاء حقيقة ذات قبول عام، ولكنّه لا يستطيع أن يحكم خياله في أجزائها وبدلا من أن يقف موقف الخلّاق تراه يقف موقف المستكشف المفسر "([٢٣٨])، غير أنّ ما ينبغي تأكيده هنا هو أنّ كاتب السيرة لا يكتفي بالتفسير بل يتجاوزه إلى غاية أعمق وأشمل؛ هي التحليل الذي يفرض عليه الاستعانة بمعارف المتنوّعة في كلّ من الفلسفة والتاريخ والأدب وغيرها، ليغوص في المنابع التي نهل

[٢٣٦] - إحسان عبّاس، فن السيرة، دار صادر بيروت، دار الشروق عمّان، ط١، ١٩٩٦، ص ص٥-١١

[٢٣٧] - المرجع نفسه، ص ٣٧

[٢٣٨] - المرجع السابق، ص ص ٨٤-٨٥

منها المكتوب عنه؛ ذلك أنّ معرفة هذه الينابيع والمؤثّرات الأصلية يساعدنا كثيرا في الاقتراب بشكل سليم من الذات التي نريد الكتابة في سيرتها. وفضلا عن هذا فإنّ السيرة في بعدها الفنيّ تتطلّب صوغًا للرّؤى،فالأفكار قوّة بيانية جمالية تستطيع تحويل الكتابة في أبعادها المنطقية الدقيقة وما احتوته من استكشافات جليّة مقنعة، إلى أداء فنيّ ممتع يجتذب القارئ ويقدم له ما يطلبه من أيّ عمل أدبي جدير بالقراءة المتأنيّة العميقة.

٢. لمحة عامة عن شخصية غاندي:

اكتسبت شخصية غاندي شهرةً وطنيّة وعالميّة بفلسفتها ومواقفها الوطنيّة والإنسانيّة؛ إنّه محنداس كرمشند غاندي الزعيم الوطني والقائد الروحي والمصلح الاجتماعي، وصاحب الأسلوب السياسي النشط الفعال، أما لقب مهاتما فمعناه الروح العظيمة؛ لقب استحقه بفضل ما تركه من بصمة في الأحداث التي طورت الهند في تاريخها الحديث، غير أنّه لم يكن مجرّد شخصية وطنيّة بل استطاع أن يصبح شخصية عظيمة ببعد عالمي وحضور إنسانيّ.([٢٣٩])

ومن الواضح أنّ شهرته الوطنيّة والعالميّة كانت نتيجةً لطبيعة الرجل التي تكوّنت داخل إطار ثقافي شرقي معروف بتعدّد دياناته وفلسفاتِه وفي حيّز جغرافيّ غنيّ بالأحداث السياسية والثقافية.ولقد أَحَسّ السياسيون البريطانيون بكثير من العار بسبب الهزيمة التي ألحقت بهم بزعامة غاندي، فانتقموا من بلاد الهند شرّ انتقام: فتّتوا وحدة بلاده، وغذوا المنطقة بعدد من الصراعات الدينية والطائفية.

٣. غاندي في كتاب العقاد

سلط العقاد الضوء على شخصية المهاتما غاندي. ولعلّ أهم سمة فكرية يمكننا الوقوف عندها هي التركيز على العبقرية في شخصية"غاندي"، وهذا يعني التركيز على

[٢٣٩] - René HABACHI, Joel KKERMAREC ' GANDI MOHANNDAS KARAMCHAND 1869-1948(universalis.fr en ligne - consulté le 14 juillet 2021

جوانب تميز بها الرجل فجعلت منه استثناءً إنسانيّا بلغ مرتبة ساميةً قد تصل إلى درجة الإدهاش، وهذا ما يمكن أن نصل إليه حين التعرّف عليه.وتناولُ المهاتما غاندي من البيئة الشرقية هو تناولٌ لشخصية تجذّر محيطها الشرقيّ إبداع عريق نابع من تصورات فلسفيّة كثيرة، وقد تكفي قراءة هذا الجزء من ملحمة غلغامش للتعرّف على الثّراء الفنيّ الثقافيّ الفلسفيّ الذي نهلت منه كلّ الثقافات الشرقية:

إلى أين تسعى يا جلجامش/ إن الحياة التي تبغي لن تجد
حينما خلقت الآلهة البشر ، قدرت الموت على البشرية
واستأثرت هي بالحياة/ أما أنت يا جلجامش فاجعل كرشك مليئة
وكن فرحا مبتهجا ليل نهار/ واجعل ثيابك نظيفة زاهية
واغسل رأسك واستحم في الماء ودلّل الطفل الذي يمسك بيدك
وأفرِح الزوجة التي بين أحضانك/ وهذا هو نصيب البشر([٢٤٠])

فهذه الصراعات التي تثيرها الملحمة القديمة في البلاد المشرقية تعكس الهمّ الوجودي الذي خيّم على الذات في الثقافة حينها،ممّا فجّر عددا من التساؤلات الفلسفيّة التي غذّت الثقافة الإنسانية ككلّ، كما غذّت بلاد الهند، لكنّ غاندي كان بشرا سويّا، واكتفى بردائه الأبيض، ومارس إنسانيته قبل التنظير لها.

٤. غاندي في الوعي الغربي

ينظر الفكر الغربي إلى غاندي على أنّه نسخة فريدة من نوعها من صور الشرق الكبير وروحانيته التي صاغها بأكثر من بعد جديد وقد تكون أبرزها هي ضرورة الاستماع إلى صوت الذات الداخلي. ([٢٤١])، وهذا الاندهاش أمام شخصه أمر طبيعيّ؛ لأنّه استطاع بسياسة المقاومة السلبية أن يهزم أعظم امبراطوريّة استعمارية بسطت نفوذها وأحكمت سيطرتها على عدد من الشعوب حتى قيل عنها الأمبراطورية التي لا

[٢٤٠] - طه باقر، ملحمة جلجامش أوديسة العراق الخالدة، وزارة الإعلام بغداد، ١٩٧٥، ص٧٩

[٢٤١] - Voir: Robert Deliège, Gandi , sa vie et sa pensé, un modele pour le XXle siecle, les savoirs mieux

تغيب عنها الشمس. ويُعرف مبدأ AHISMA (اللّاعنف la non violence) بأنه العنصر الجوهريّ في فكر غاندي المتصل اتّصالا واضحًا بالجوانب الدينية لكنّ الدين والفلسفة عنده يتحوّلان إلى مشروع مجتمعيّ إنسانيّ، يقوده مبدأ اللّاعنف لتصبح السياسة نفسها عملا مؤسّسا على الأخلاق، حيث الله هو جوهر التفكير ومنطلق للصفاء الإنسانيّ، وبذلك يصبح عمل الإنسان عملا إلهيًّا في الوقت نفسه. ([٢٤٢])وهنا يمكننا ملاحظة هذا التماهي الذي تضيفه الرؤية الفلسفية الدينية عند غاندي بين الإنسان والإله. ومن الواضح أن هذا التماهي هو في جانبه العملي ضامن لاستمرار التحدي والإصرار على الانتصار.ويشار إلى أن هذه الفكرة الشاملة عند غاندي قد تأسست من نحلة أو مذهب الجينية نسبة إلى Jain أو Jaina([٢٤٣]) وفقا لتعليمات الماهافيرا Mahavira المتصلة باللاعنف و"العشوبية"، كما أن هذا المبدأ متصل بمبدأ الحب الذي تحدث عنه تولستوي الذي قال بأن مواجهة الظالم يمكن أن تتم بالمحبة وأن المحبة هي التي تزيل الحجاب الذي يحجب الله عن الإنسان، ([٢٤٤])

غير أن المبدأ قد انتشر في اللغات الأوروبية بفضل غاندي الذي آمن بالفكرة وعاشها وجسدها بسلوكه مؤكدا وأن ها المبدأ لا يمكن أن يطبق بشكل مثاليّ لكنه متأكد من شيء آخر هو أن الفضل سيكون له في التقليل من عدد الأعداء على الأقل. وغير بعيد عن هذا المبدإ إشارته إلى أن تحمل الألم ضروري في المقاومة باللاعنف. وليس هذا التوجه فلسفة مطلقة إنما هي كذلك خطة عمل سياسية واجتماعية كما أنها غاية ووسيلة في الوقت نفسه.ولقد تولدت عن هذه الفلسفة عدة طرق نضالية منها التمرد على النظام بعدم دفع الضريبة ومنها كذلك (الصوم) الإضراب عن الطعام. ([٢٤٥])

---

[٢٤٢] Idem Septentrion

[٢٤٣] - تطلق الجاينية على حركة من التدرج في الصفاء الإنساني لمحاولة بلوغ النقاء الكلي أو الكمال الأمثل. ينظر:
Nalini Balbir, A propos du rapport à la raison dans la tradition jaina, ThéoRemes (en ligne) 11 2017, consulté le 18 juillet 2021

[٢٤٤] Voir: Robert DELIEGE, Gandi , sa vie et sa pensé, un modèle pour le XXIe siècle

[٢٤٥] Idem,

ولقد احتك غاندي ببعض المفكرين الغربيين وتأثر بهم في بداية الأمر، لكنه بدأ يتخلص من ذلك التأثير شيئا فشيئا، حين عاد إلى الهند وتكونت عنده فكرة سلبية عن الغرب وثقافته وحضارته فصار يمثل بالنسبة إليه مصدر الشر المطلق، كما جعله النظر إلى الغرب بهذا الشكل شديد التعلق بالقيم التي وجدها في أمته وحضارته، وبذلك صارت دعوة غاندي إلى مقاومة الغرب مضاعفة لا تقتصر على الجانب السياسي بل تتجاوزه إلى الجانب الثقافي والحضاري أيضا.([٢٤٦])، وهكذا فقد انتقل غاندي من التلميذ المعجب بأفكار الغرب وإنجازاته إلى النظرة المتحفظة من كل بضائع الغرب المادية والفكرية، فأنشأ مشروعا معاديا لكل ما كانت الثقافة الغربية تروج لها واصفة دورها في العالم بأنه دور تحضير الأمم والشعوب والرقي بها في هذا العالم الذي رأت نفسها سيدة له.

بيان العقاد الشعري

لم ينس العقاد ملكته الشعرية وهو يتناول شخصية المهاتما غاندي، وها هو يفتتح كتابه في السيرة عنه ببيان موقفه العام مما يدور من أفكار في العالم، وهو يوضح وسطيّته بين ما يطرحه غاندي وما تطرحه الحضارة الغربية: ففي هذه الأبيات المنظومة بشكل مباشر يقول عن نفسه بأنه ينتمي إلى أمة لها ثقافتها الوسطية وروحانيتها المعتدلة، ويقول عن أمته الإسلامية بأنها ليست غارقة في جهة من الجهتين؛ فلا هي روحانية منكرة للجانب المادي في الإنسان والحياة ولا هي مادية متحكمة في الروح الإنسانية، إنما هي درجة وسطى بين الدرجتين. هذا ما يفهم من قوله:

زاهد الهند نعى الدنيا وصام أنا أنعاها، ولكن لا أصوم–

طامع الغرب رعى الدنيا وهام أنا أرعاها، ولكن لا أهيم .([٢٤٧])

[٢٤٦] Idem

[٢٤٧] - عباس محمود العقاد، المهاتما غانندي روح عظيم، دار هنداوي ٢٠١٣، صفحة غير مرقمة

فقد عبر عن ميل غاندي وأتباعه إلى الزهد في دنيا المادة المليئة بالشرور، وأشار إلى اكتفاء ذلك الرجل بالعناية الكلية بالجانب الروحي المحض، ثم بيّن أنّه لا يصادق على هذا المذهب في ما يعتقده ويراه، كما بيّن أن للجانب الماديّ حظّا من عنايته تحقيقا للتوازن بين المادة والروح. وانتقل في البيت الثاني إلى طبيعة الغرب المناقضة لطبيعة غاندي ونحلته، ذلك أن الحياة الغربية بحسب العقاد غارقة في الماديات منغمسة في المادة إلى درجة الهيام وهو ما ينفي أن يكون قد ارتبط به؛ فهو حتى وإن اهتم بالحياة المادية غير أنه لا يهيم بها إلى تلك الدرجة ولا يجعلها مبعدة لقلبه وروحه عن حياة القيم والمبادئ. كما قدم المبدأ العامّ الذي يقوم عليه الدين وهو الخوف، ثم يبرز أنّ الدين عنده لا ينطلق من هذا الشعور السلبي، ويؤكد علاقة المحبة التي تجمع بين الله وعبده، والسؤال المطروح هنا: لماذا أكّد الكاتب كل هذه الجوانب الروحيّة المعتدلة الموفقة بين روحانية الشرق التي عبّر عنها غاندي في فلسفته، وبين مادية الغرب التي عارضها غاندي كما عارضها غيره من المفكّرين حين رأوا في مادية الغرب خطرا على البشرية برمتها.

٥.المهاتما غاندي صور ومواقف

يعرض العقاد مجموعة من الصور لذات غاندي وهو يتحدّث عن إنجازات الإنسانية، فيضع غاندي على القمّة، غاندي الذي لقبه الشاعر الهندي طاغور بـ "المهاتما" طاغور الكاتب الأديب الموسيقي المسرحي الذي عاش بين ١٨٦١-١٩٤١، ونال جائزة نوبل للآداب عام عام١٩١٣ ([٢٤٨])، ولقد كان للعقاد رأي هامّ في هذا العلَم العالمي قوله: وليس أجدر من عظمة «غاندي» بالمقابلة بينها وبين غيرها من ضروب العظمة الإنسانية؛ لأنك تقابله بألف عظيم من الأقدمين والمحدثين، كلهم يخالفه في كثير أو قليل أو يناقضه في كل صفة من الصفات، وهو بعد ذلك عظيم، وكلهم بعد

[٢٤٨] Idem

ذلك عظماء .والإنسانية العظيمة تطويهم في رحابهم أجمعين" فلا عجب بعد ذلك في أنّه يلقب بـ"الروح العظيم".

ويبرز العقاد معنى هذا اللقب الذي وضعه للمهاتما غاندي فيقول إنّ معناه هو أنّ غاندي يمثل الروح الهندية وكل سماتها النفسية، وأضاف له لقبا ثانيا هو "نبي الهند" ([٢٤٩]) رغم ما بين سكان العالم الهندي من اختلافات في الأعراق والديانات والقوميات، ولعلنا نستطيع استجلاء أهمية غاندي في توحيد الهند حين نعلم أن بلاد الهند عاشت حتى القرن الثامن عشر بلغة أخرى هي اللغة الفارسية([٢٥٠])، وهذا يعني أن تحقيق الرابط القومي كان أمرا صعبا للغاية.

ويقدم العقاد في كتابه ما ليس يطلب تحقيقه من أي مترجم، فقد ترجم شيئا من شعر الهند إلى العربية موزونا مقفى، ولا يخفى ما في هذه الطريقة من خطر على دقة النقل وأمانته. يقول في أبيات مما كانت الصبية الهندية تقوله مزدرية ذاتها الخانعة، مكبرة الذات الأنجليزية المستعمرة الغاصبة: انظر إلى ابن انجلترا منتصًرا مظفًرا يسطو على الهندي يشكو القصرا ــ ولأكله اللحوم طال واستطال وازدرى([٢٥١])

ويتضح من سيرة غاندي أنه إنساني النزعة وهذا ما يمكننا اكتشافه في ما عايشه من أحداث في جنوب إفريقيا، ويختتم العقاد سيرة غاندي بالإنجازات التي حققها بفضل فلسفته الجديدة التي تقوم على الثبات والإصرار.

٦.عقيدة غاندي

يرى الكاتب أن عقيدة غاندي هي (الجينية) وهي نحلة من نحل الهنود لا يتجاوز أتباعها المليون والنصف لكن اللافت في هذه النحلة هو بُعْدَاها الثوري والشعبي العريقان، فقد تولّدت عن مكافحة الهنود للاعتداء الآري، ويمكن تلخيص هذه

[٢٤٩] عباس محمود العقاد، المهاتما غانندي روح عظيم، دار هنداوي ٢٠١٣، ص ص ١٠ - ١٦

[٢٥٠] سمير عبد الحميد إبراهيم، من الأدب الهندي الحديث والمعاصر: الأم والنصيب وقصص أخرى، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ٢٠٠١، ص٩

[٢٥١] -والمرجع نفسه، ص٢٢

العقيدة في الروح الإنسانية والسلام ونبذ القتل، والقوة الروحية والتغلب على شهوات النفس، أمّا صلاته فمنطلقها هو الإيمان بوحدة الوجود وغايتها التغلب على الذات والتواصل الحاصل مع عناصر الطبيعة، ويعدّ مبدأ "الأهمسا" خطّا مقدسا لا بدّ منه وهو قائم على نبذ الجبن والكراهية والكبرياء، وقائم على اللّاخوف واللّاعنف، وكلّهذا يؤكّد أنّ الأخلاق عنده تنحصر في التغلب على الغريزة وهذا عنصر أساس في عقيدة المهاتما غاندي.

ولقد فتح غاندي بفضل مفهوم اللاعنف بابا واسعا للنقاش؛ فإذا كان مفهوم العنف في حد ذاته غامضا فمن الطبيعي أن يكون اللاعنف غامضا أيضا فضلا عن مفاهيم أخرى تقترب منه أو تتقاطع معه كالصراع والعدوانية والكفاح والقوة والإكراه، غير أن هذه الأمور ليست مجرد مفاهيم مطلقة بل هي حقائق نعايشها ونتلمسها ونتلمس آثارها في حياتنا اليومية.([٢٥٢])ويربط العقّاد هذه المبادئ التي تشكّل اتّجاه المهاتما غاندي بمجموعة من المبادئ الواردة في القرآن الكريم فيستشهد بمجموعة من الآيات الكريمة هي:

- وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [٢٥٣]
- فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ[٢٥٤]
- وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى[٢٥٥]

وهي دالة جميعا على قيم إنسانية سامية حثت عليها فلسفة غاندي.

---

[٢٥٢] ٢٥٢ -Jean-Marie Muller, Signification de la non-violence, [article], Raison présente, Année 1980 54 pp. 19-36
(Fait partie d'un numéro thématique : Violences et non-violence)

[٢٥٣] سورة البقرة : ١٩٠

[٢٥٤] سورة البقرة : ١٩٤

[٢٥٥] سورة المائدة :٢ .

ومن القيم التي يركز عليها الإسلام تحقيق العدل وتجاوزه إلى الإحسان الذي هو سمة خلقية إنسانية. ومن هذه القيم التي تتغلب بها الفضيلة على أنانية الذّات؛ التصدق، قال تعالى في الحثّ على بذل الصدقات: فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ (المائدة ٤٥)، وإذا كان المال قوة مادية يتنازل عنها القادر للمستضعف، فكذلك قوة العفو التي هي لحظة تُسام عند صاحب الحق: وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيم(التغابن١٤) كذلك يقول الله تعالى وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (النور ٢٢).

وبذلك فإنّ العقاد قد أشار إلى الوحدة الروحية المشرقيّة التي لها صلة قوية بالمبادئ الفلسفية المعروفة في التصوف خاصّة. ويمكن إجمال هذه المبادئ في التسامح وحبّ الخير وعدم العدوان، وبعد أن كانت الهند شعوبا وقبائل متفرقة استطاع غاندي بفلسفته الروحانية السلمية الخلقية أن يصبح أبرز عامل موحد لها، وأقوى عامل من عوامل التحرّر السياسيّ العامّ، ممّا جعل قومه ينظرون إليه نظرة إكبار هي أقرب إلى القداسة.

ولعلّ التحدّي الكبير الذي واجهه في مجتمعه الهندي هو موقف التراث الهندي الروحي من المرأة وتبعيتها للرجل حتى إنّها كانت تدفن حيّة مع زوجها إذا ما توفي، غير أنه أنكر مثل هذه المفاهيم مما أثار عليه كثيرا من حنق المحافظين، وبذلك يكون غاندي قد ركّز على تحرير المرأة كونها جوهر عملية التغيير، غير أنه كان يؤصل للتغيير من داخل التراث الروحي الهندي العريق.ويختم الكاتب مؤلَّفه عن غاندي بمعرفة مفاتيح شخصيته التي رآها بأبعاد عصرية هامة، تؤمن بالعلم كما تؤمن بقوة الروح وتستعين بعدد من الأدوات التكنولوجية في عمله وتعلمه.

ومن الطبيعي أن تؤثر شخصية قوية تمتلك كل هذه الإمكانيات الفلسفية والروحية والسياسية في جيل كامل أو ربّما في أكثر من جيل، وفي هذه النقطة يمكننا

تذكر مقولة طوكفيل (tocqueville[٢٥٦])فإن كل جيل هو شعب آخر، وهذا يعني في ما يتعلق بغاندي فإن الأجيال التي تلته كانت أميل إلى البراغماتية،لأنّها لم تعايش ما عاناه غاندي من ويلات جراء الاستعمار البريطاني.([٢٥٧]) وهذا يعني أنّ غاندي ونظرياته صارت جزءا من التراث الهندي المحترم الذي ساهم بشكل عميق في تكوين الذات الهندية الحديثة.

٧.البعد الصوفي في رؤية المهاتما غاندي

لم يذكر العقاد لقاء فلسفة غاندي بالتصوف الذي هو ركن أساس في البناء الثقافي الروحي المشرقي ككل، لكننا يمكن أن نفهم ذلك ضمنيا في الطرح العام الذي قدمه، غير أن إبراهيمالفقي يذكر هذا الجانب ذكرا صريحا فيقول: "إنّ زهد غاندي وحياته شديدة التقشف. كان يعيش شبه عارٍ إلاّ من إزار يستر عورته، وماعز يشرب من لبنها. يضرب مثالًا رفيعًا للبعد عن مباهج الحياة ومظاهر المدنية حتّى إنه كان يغزل ثوبه ويقتصد في طعامه ويبدو قديسًا جديدًا في عالم لم يعد فيه مكان للأنبياء، لقد كان عازفًا عن المتعة، متعلقًا بدرجة عالية من التصوّف المطلق الذي يجعله أقرب إلى الملائكة منه إلى البشر"([٢٥٨])، ثم يربط هذا الالتزام الذاتي الذي عاش به في حياته بالتزام اجتماعي عام واضح للعيان فيقول: "لقد دافع غاندي عن أولئك الذين لا ينتمون إلى ديانته، ولكنهم ينتمون إلى إنسانيته، وقد قتله متعصّب هندوسيّ ظنه محابيًا للمسلمين ومتعاطفًا معهم بينما كان غاندي جزءًا لا يتجزّأ من منظومة كاملة لا تعرف التعصّب، ولا تؤمن بالعنف، ولا تسعى إلى هدف خاصّ؛ إذ إنّ سموّ نفسه ونبل نزعته جعلاه دائمًا فوق كلّ الاعتبارات البشرية العاديّة.

---

[٢٥٦] - Charles Alexis Clerel DE TOCQUEVILLE مؤرخ وسياسي فرنسي عاش بين عامي ١٨٠٥-١٨٥٩ هو من منظري الديمقراطية في فرنسا. كان شديد التأثر بمونتيسكيو وروسو، من مؤلفاته في الديمقراطية الأميريكية ، والنظام القديم والثورة... ينظر: Petit Robert 2, dictionnaire Français des noms propres,1974, p.1782

[٢٥٧] - sem-linkNarendra Singh, La politique étrangère de l'Inde sous Rajiv Gandhi [article] Politique étrangère Année 1987 52-4 pp. 919-934

[٢٥٨] - مصطفى الفقي، مئوية غاندي، الأهرام، عدد 2 أكتوبر 1969، ينظر على النات، اطلع عليه بتاريخ 17 جويلية 2021

ومن الطبيعي بالنظر إلى طبيعة الموقع الجغرافي أن تتشابه الثقافة الهندية مع عدد من ثقافات المجتمعات المشرقية وتصوراتها في كثير من المجالات؛ منها على سبيل المثال تشابه الأمور التعبدية بين الهند والعراق ففي المجتمعين كانت تعبد أم الآلهة، كما كانت السلطة السياسية تعزز مكانها بالسلطة الدينية، وحتى في طبيعة العمران فقد تشابهت الجهتان العراقية والهندية في نظام القلاع والحصون . ([٢٥٩])

ومع هذه الفلسفة التي كان يعيش بها شخصيا في حياته اليومية ويجسّدها في سلوكه فقد كان يضع للهند نظاما روحيا يصبّ في توحيد المشاعر ويسمو بها إلى الشعور الوطني الموحّد، وفي ذلك يقول الكاتب: "لقد سعى غاندي إلى تكريس مبدأ المواطنة مبكرًا قبل أن تفطن إليه كتابات المحدثين في عصرنا الحالي، وبشر مبكرًا أيضًا بدرجة عليا من التسامح التي تفتقدها الإنسانية ويحتاجها العالم في وقتنا الراهن، إننا نتذكر (مسيرة الملح) عندما وضع أمام شعبه نماذج للكفاح تتمثل في أحداث رمزية تقترب بهم من تحقيق أهدافهم وفقًا لمبدأ اللّاعنف ومفهوم المساواة بين الجميع .

أمّا عن تحوّل غاندي إلى رمز وطنيّ أوّلا ثم إلى رمز عالمي إنساني من رموز التحرّر فيقول بشأنه:لقد ارتبط غاندي بقضايا الكفاح الوطنيّ العادل في كل أنحاء العالم وناصر المصريين ضدّ الاحتلال البريطاني، وعندما عبرت البارجة التي يستقلّها قناة السويس في طريقه إلى لندن ليحضر مؤتمر المائدة المستديرة فإنّ أحمد شوقي ... تطلّع إليه قائلًا :سلامُ النّيلِ يا غاندِي// وهذا الزّهر منْ عِنْدِي. وكانت مصر تناضل من أجل الاستقلال بقيادة سعد زغلول ورفاقه وغاندي يدعمهم عن بعد ويتعاطف معهم بلا موارية أو تردد فلقد كان الرجل بحق نصير الضعفاء وأيقونة العظماء ودرة الزمان والمكان.([٢٦٠])ويصل الكاتب إلى نقطة حساسة متصلة بتحديات الإنسان العربيّ فيقول:"وهكذا يتبين لنا بأن غاندي يقدم للقارئ العربي المسلم رسالة هامة جدا هي أن

[٢٥٩] - محمد إسماعيل الندوي، الهند القديمة حضاراتها وديانتها، دار الشعب القاهرة، ١٩٧٠، ص ص٥١-٥٣

[٢٦٠] - المرجع نفسه

يعود إلى تراثه وحياته الروحية العريقة ليستمد منها أسس معرفة الحياة وتحدي صعابها بالتركيز على طاقاته الداخلية خاصة"([٢٦١])، وهذا يعني أن الجوانب الثقافية التي أثارها غاندي ليست غريبة عن روح الشرق ككل كما أنها يمكن أن تقدم للقارئ العربي اليوم كثيرا من المعطيات التي تساعده على فهم مساراته التاريخية وعلاقاته بالشرق والغرب، بل وتوجهه إلى مراجعة تراثه لتستخلص منه ما يمكن أن يساهم في حل بعض مشكلاته.

وعلاقة الهند بالتصوف بدأت تتشكل في وقت مبكر، أي منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري، لذا عرفت بلاد الهند مجموعة من المتصوفة لعل أشهرهم:علي بن عثمان الهجريوي (ت٤٦٥هـ) الذي دفن في مدينة لاهور، وكان فقيها عالما زاهدا، وخواجة معين الدين الششتي بن غياث الدين(ت ٦٢٨ هـ) الذي قدم بلاد الهند من باكستان فأسلم على يديه آلاف الهندوس، وقطب الدين بختار كاكي: استقر في دلهي وتوفي هناك وكان له صيت ذائع، وفؤاد الدين كنج شكر وهو من مواليد مدينة لاهور عام ٥٦٩هـ ، وغير هولاء كثير([٢٦٢])،مما يبرز أنّ المفاهيم الصوفية كانت جزءا من ثقافة الهند فلا غرابة إذن في أن يتماس فكر غاندي وفلسفته مع بعض المفاهيم الصوفية الإسلامية.

الخاتمة

التفت عباس محمود العقاد إلى شخصية غاندي، واهتم بتتبع مراحل تطور شخصية غاندي، منطلقا بدءا من العنوان من شدة إعجاب بالرجل، فقد آثر أن يذكره بلقبه وهو المهاتما شارحا معنى هذا اللقب.ولقد ربط العقاد في سرده لسيرة غاندي شخصية غاندي ذاته بالجوانب الوطنية التي عرفتها بلاده الهند وعرض فلسفة

[٢٦١] - المرجع نفسه.

[٢٦٢] - ينظر: أحمد جان، تاريخ التصوف الإصلاحي في شبه القارة الهندية، ونماذج من المصلحين من المتصوفة، مجلة الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد، على النات اطلع عليه بتاريخ ١٦ جويلية ٢٠٢١

غاندي ونضاله السياسي ونزعته السلمية الهادئة في النضال الذي أثمر تحرير بلاده من الهيمنة البريطانية، وعلى عادة العقاد ففقد ركز على الأبعاد التي تبرز عبقرية الرجل سواء في ما تعلق بفلسفته أو نضاله أو رؤاه السياسية أو سلوكه الذي كان ترجمة عملية لفلسفته، وانطلاقا من ذلك أمكننا رؤية غاندي في أبعاد هامة هي البعد الفلسفي الجديد الذي تفاعل مع القضية السياسية والبعد الوطني الذي حقق وحدة الروح الهندية بعد أن كانت متشتتة، والبعد الإنسانيّ العام الذي تحول من خلاله غاندي إلى شخصية إنسانية عالمية معروفة في تاريخ البشرية ككل.

المراجع العربية

- ✓ إحسان عبّاس، فن السيرة، دارصادربيروت، دارالشروق عمّان، ط١، ١٩٩٦
- ✓ أحمد جان، تاريخ التصوف الإصلاحي في شبه القارة الهندية.... مجلة الجامعة الإسلامية العالمية بإسلان أباد،على النات اطلع عليه ١٦ جويلية ٢٠٢١
- ✓ سمير عبد الحميد إبراهيم، من الأدب الهندي الحديث والمعاصر: الأم والنصيب وقصص أخرى، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ٢٠٠١
- ✓ طه باقر، ملحمة جلجامش أوديسة العراق الخالدة، وزارة الإعلام بغداد، ١٩٧٥
- ✓ عباس محمود العقاد، المهاتما غانندي روح عظيم، دارهنداوي ٢٠١٣
- ✓ محمد إسماعيل الندوي، الهند القديمة حضاراتها وديانتها،دار الشعب القاهرة، ١٩٧٠
- ✓ مصطفى الفقي، مئوية غاندي، الأهرام، عدد ٢ أكتوبر ١٩٦٩، ينظر على النات، -
- ✓ Nalini BALBIR, A propos du rapport à la raison dans la tradition jaina, ThéoRemes (en ligne) 11 2017, consulté le 18 juillet 2021
- ✓ , Signification de la non-violence, [article], Raison Jean-Marie Muller présente, Année 1980 54 pp. 19-36 (Fait partie d'un numéro thématique : Violences et non-violence)
- ✓ - Robert DELIEGE, Gandi , sa vie et sa pensé, un modele pour le XXle siecle,
- ✓ ١١ . René HABACHI, Joel KERMAREC ' GANDI MOHANNDAS KARAMCHAND 1869-1948(universalis.fr en ligne consulté le 14 juillet

أساليب السرد لعباس محمود عقاد عن شخصية مهاتما غاندي

سهيل أ،م طالب ماجستير في الفلسفة M.PHIL
قسم اللغة العربية بجامعة كيرالا

ملخص البحث

مهاتما غاندي هو أحد من "أعظم عبقريّة سياسيّة عرفتها حضارتنا " مثل ما قال ألبرت أينشتين. و حياة هذا الزعيم و أفكاره و فلسفاته مشهورة جدّا في كلّ أنحاء العالم. و لقد تأثّر الكثير من كبار قادة العالم و زعمائها به و بفلسفاته. و منهم ألبرت أينشتين، و مارتين لوثار كنج، ونيلسون مانديلا، وياسر عرفات وغيرهم. و تأثّر به أيضا كثير من الكتّاب والأدباء من أماكن شتّى بما فيهم الأدباء العرب طبعا.من أهم أمثالها كتاب "روح عظيم" لعباس محمود عقاد وقصيدة "بني مصر" لأحمد شوقي وكتاب سلامة موسى "غاندي والحركة الهندية".

هذا التقديم سوف يكون نتيجة محاولتي عن الكتاب المشهور "روح عظيم" لكاتب المصري المشهور عباس محمود عقاد المتوفى سنة ١٩٦٤، وأساليب السرد المميزة التي تقدم الكاتب من مقدمة الكتاب إلى نهايتها، حيث يصف العقاد «المهاتما غاندي» بقديس القرن العشرين. فيقول: "إن ذلك الرجل المسالم البسيط استطاع أن يجمع الهند على كلمة واحدة رغم تعدد ثقافاتها واختلاف ملل أبنائها، بشكل يجعلها أقرب لكونها دول مختلفة لا دولة واحدة، فكانت مهمة توحيدها ضربًا من الخيال. ومن خلال سياسة المقاومة السلمية (الأهمسا) التي دعا إليها غاندي واستمدها من التعاليم الدينية المتسامحة التي كانت بالهند، استطاع أن يجبر الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس أن تترك مستعمراتها الثرية الشاسعة بالهند دون عنف". هكذا يتحدث العقاد في هذا الكتاب عن سيرة المهاتما غاندى ويسرد لنا أفكاره ويحدثنا عن إيمانه ويفصل لنا

منهجه في الحياة وفي المقاومة وكيف اتخذ لنفسه أسلوبًا سلميًا ليقاوم به المحتلين، ومما تميز به الكتاب الترتيب المنطقي والتسلسلي للموضوعات.

المقدمة

يُعَدُّ المهاتما غاندي من أوائل الداعمين للثقافة التي تنبذ العنف، كما أنّه يُعَدُّ من أوائل المُشجّعين، والمُؤيّدين للمُقاومة، ولكن بشكل سلميّ، بالإضافة إلى أنّه عُرِف بمُناصرة المنبوذين في دولته، وكان من الأشخاص الذين بذلوا جهدهم كلّه؛ في سبيل حماية وطنهم بشكل سلميّ، ومقاومة الاحتلال البريطانيّ. "أعظم عبقريّة سياسيّة عرفتها حضارتنا " هكذا يصف آلبرت أنستين عن شخصيته إلى العالم، و لقد تأثّر الكثير من كبار قادة العالم و زعمائها به و بفلسفاته. و منهم ألبرت أينشتين، و مارتين لوثار كنج، ونيلسون مانديلا، وياسر عرفات وغيرهم. و تأثّر به أيضا كثير من الكتّاب والأدباء من أماكن شتّى بما فيهم الأدباء العرب طبعا،

كان أمير الشعراء أحمد شوقي واحدا ممّن تأثّر بغاندي. و يظهر هذا في قصيدته "بني مصر" حيث يثني غاندي على شخصيّته ونظره. أنشد شوقي هذه القصيدة عندما نزل غاندي في مصر وهو كان في طريقه إلى لندن للمشاركة في مؤتمر المائدة المستدير الثانية عام ١٩٣١م. وأراد غاندي أن يناقش مع إخوانه من مصر لأنهم كانوا أيضا تحت الاستعمار البريطانيّ مثل الهنود ، واجتمع في بور سعيد بعض كبار شخصيّات من حزب الوفد ورأس لهم مصطفى باشا النحاس. و لقوا غاندي على ظهر السفينة التي كان يسافر فيها.

وفي هذه القصيدة يبدأ شوقي بدعوة الأمة المصريّة لترحيب غاندي بالورود لأنه يعدّ غاندي زعيما للمصريّين أيضا في مطالبة الاستقلال من قبضة البريطانيّين لأن الأوضاع السياسية والاجتماعية متشابهة بين الهند ومصر. وهو يقول:

أَخوكُم في المقاساةِ وَعَركِ المَوقِفِ النَكدِ
وَفي التَضحِيَةِ الكُبرى وَفي المَطلَبِ وَالجُهدِ

وَفي الجُرحِ وَفي الدَمعِ وَفي النَفيِ مِنَ المَهدِ
وَفي الرِحلَةِ لِلحَقِّ وَفي مَرحَلَةِ الوَفدِ[٢٦٣]

كتب عديد من الكتّاب المصريّين عن غاندي وأفكاره و نظريّاته في المقاومة ضدّ الاستعمارات الانجليزية. ومن أشهر هؤلاء الكتّاب سلامة موسى المفكّر المصري الّذي ألّف كتاب باسم "غاندي والحركة الهنديّة". أثنى سلامة موسى في هذا الكتاب على فلسفاته ما يشمل فيها المقاومات اللاعنفيّة والعصيان المدني و عدم الطاعة والتعاون. يقول سلامة موسى في كتابه "غاندي والحركة الهندية" عن أهمّيّة فهم تجارب الأمم الأخرى في الطرق والوسائل إلى الاستقلال من الاستعمار. و في هذا الصدد يقول سلامة موسى أن هناك أمرين عندما حصر نظريّات غاندي.

١. أن غاندي دعا إلى الاستقلال النفسي والاعتماد على القوّة الروحيّة[٢٦٤]

٢. إن غاندي دعا إلى الاستقلال الاقتصادي باجتناب المنتجات الخارجيّة الأجنبيّة الواردة واستخدام المنتجات الدّاخليّة الهنديّة بدلا عنها.

هكذا كثيرا من كتاب العرب الحديث اهتموا عن هذه الشخصية اهتماما كبيرا من ناحية رسالة عن حياته وفلسفته وعن مقاومة حياته ضد الاحتلال،

الكاتب عباس محمود عقاد

أديب وكاتب وسياسي ومفكر مصري، عرف بالموسوعية ثقافة وتأليفا رغم أنه لم يتجاوز في التعليم النظامي مرحلة الابتدائية. كان أحد مؤسسي "مدرسة الديوان" التي سعت لتجديد الشعر العربي، وخاض معارك أدبية وفكرية مع خصومه[٢٦٥] وسجن لمواقفه السياسية. تجاوزت كتبه المائة وترجم بعضها إلى لغات أجنبي، ولد عباس محمود إبراهيم مصطفى العقاد يوم ٢٨ يونيو/حزيران ١٨٨٩ في مدينة أسوان جنوبي مصر لأسرة متدينة أصلها من دمياط. كان أجداده يمتهنون صنعة الحرير فاكتسبوا

[٢٦٣] أحمد شوقي، قصيدة بني مصر
[٢٦٤] سلامة موسى، غاندي والحركة الهندية
[٢٦٥] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي

لقب "العقاد"، لكن والده كان موظفا بسيطا في إدارة المحفوظات. لم يتزوج العقاد قط، وكان محبا للموسيقى. حفظ القرآن الكريم بالكُتاب وأكمل الابتدائية ١٩٠٣ بأسوان، ثم انقطعت دراسته النظامية لانعدام المدارس الحديثة بمنطقته وعجز أسرته عن تعليمه في القاهرة، لكنه استطاع إتقان الإنجليزية بتعامله مع السياح الزائرين لمدينته وألمّ بالفرنسية والألمانية، وهو ما أتاح له الاطلاع على الثقافة الغربية، وحصل لاحقا على خبرة بالكهرباء بمدرسة الصنائع والفنون

التجربة الأدبية

اكتسب العقاد بجهده الذاتي ثقافة موسوعية، فتعمق بمطالعاته في شتى المعارف الإنسانية وتناول بقلمه السيال شُعبها المختلفة، مدافعا عن وطنه ودينه، كما دعا للحرية والديمقراطية مهاجما الماركسية والنازية. أسس بالتعاون مع إبراهيم المازني "مدرسة الديوان"[٢٦٦] التي دعت لتجديد الشعر العربي، ونظم صالونا أدبيا في بيته يجتمع فيه -صباح الجمعة- الأدباء والمفكرون.

خاض مساجلات أدبية وسياسية كثيرة كان أشهرها مع مصطفى الرافعي وطه حسين وزكي مبارك، وأصدر مع المازني كتابا ينتقد أحمد شوقي. اقتحم العقاد حلبة السياسة متقلبا في ولاءاتها المتناقضة، فانضم بعد ثورة ١٩١٩ إلى حزب "الوفد" وأصبح كاتبه الشارح لمواقفه السياسية والمنافح عنها، ثم تمرد عليه ١٩٣٥ فهاجمه وانتقده بشدة. دخل معركة حامية مع الملك فؤاد وانتقده بحدة داخل البرلمان فحُوكم ١٩٣٠ بتهمة "عيب الذات الملكية" وسجن تسعة أشهر، لكنه أيد الملك فاروق بعد مغادرته "الوفد"[٢٦٧]

سلسلة عقاد المشهورة عن العبقريات

[٢٦٦] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص ١٣٧

[٢٦٧] شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي، ص 139

سلسلة العبقريات لعقاد ليست سردا للأحداث التاريخية أو لأحكام الاسلام إنما يمكن اعتبار مشروع العبقريات التي ألفها العقاد مشروعا شاملا يرصد كافة جوانب النبوغ الإنساني، ويسلط الضوء على كفاحهم وتحديهم لظروف بيئاتهم الصعبة. بداية من عبقرية النبي محمد وأبوبكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان و علي بن أبي طالب وهي اظهار العبقرية العربية التي انجبت هذه الشخصيات الفذة وبيان أن العبقرية ليست حكرا على أمة من الأمم كما يهاجم العقاد كل من يخطيء في هؤلاء الصحابة أو ينتقد تصرفاتهم بطريقة لا تليق بمقاماتهم . وتعد الكتاب روح عظيم مهاتما غاندي أيضا من تراجمه المشهورة التي ذاعت صيته من ناحية أساليب السردية والتاريخية.

أساليب السرد في كتاب روح عظيم

تقسيم الأبواب وتقديم الموضوع

ينقسم الكاتب هذا الكتاب الى ستة عشر أبواب عن شخصية غاندي منذ نشأته إلى الوفاة عبر مسيرته التاريخية والأحداث المشهورة التي تعد من مكونات شخصتيه الى العالم، وأنه يقتبس مقولات غاندي و مواقفه و خطبته دليلا لسرده الصادق حتى لا يمكن لقارئ أن يفهم عن الكاتب أنه غير هندي الجنسية خلال قرائة هذا الكتاب من أوله إلى الآخر. الكاتب يعالج كل القضايا المتعلقة عن شخصية غاندي عميقا وتثبت آرائه عنه بدون أن يتركها إلى الجدال. إضافة الى ذلك أن الكاتب لا يقدم الموضوع عن شخصيته بشكل سيرة ذاتية فحسب،بل انه يأخذ يفتح حياته أمام القراء بكل عاطفة أدبية مع نقطات مهمة تتميز غاندي من كبار قادة العالم و زعمائه.

عناصر في بناء شخصية غاندي

يكتب الكاتب عن فضائل شخصية غاندي من عدة وجوه، ومن أهمها التي يشيرها الكاتب هي نظرية "الاهمسا" التي قام فيها غاندي بالدعوة إلى السلام واجتناب المقاومة العنيفة، كانت أوروبة تضطرب بدعوة أخرى تناقضها تمام المناقضة، وهي دعوة القوة والقسوة، أو دين القوة كما سماه أتباعه ومروجوه. وكانت الدعوة إلى دين

القوة تنبعث من جانب الفلاسفة والمفكرين، كما تنبعث من جانب الساسة وقادة الجماهير.ةفانتشرت النازية والفاشية في أوروبة الوسطى وأوروبة الجنوبية، وقام لها أنصار في البلاد التي تزعزعت فيها مبادئ الديمقراطية، أو عجزت فيها الديمقراطية عن حل مشكلاتها وتعزيز الرجاء في تحقيق مثلها العليا. وكانت الشيوعية تحارب النازية والفاشية، ولكنها لا تخالفها في الإيمان بالقوة والاعتماد عليها وحدها في إتمام الانقلاب الذي يقضيعلى نظام رأس المال ويقيم النظام الشيوعي في مكانه.ويقول العقاد عنه" انتقل صدى الاهمساإلى أوروبة فوصل إليها في أوانه، ودان بها بعض كتابها على طريقة الغربيين في كل دعوة، وهي عرضها على العقل من جانب البحث والعلم، غير مكتفين بالبشارة الروحية أو المواعظ الدينية على طريقة دعاة « الاهمسا »من الهنود"[٢٦٨]

أما من ناحية عقيدته فيصف الكاتب على أن عقيدة غاندي هي أهم شيء في بناء شخصيته. حيث يصف الكاتب "وصلاة غاندي هي أهم شيء في بنيان عقيدته فنحن لهذا نقترب من فهمه كلما اقتربنا من فهم صلاته؛ لأن الصلاة عنده لا تنبعث عن طلب أو استغاثة أو ابتهال، ولكنها تنبعث إلى حس فوق الحس، وفوق التفكير، وفوق الطلب والابتهال"[٢٦٩]. قال في محاضرة له عن الصلاة: إن من يختبر سحر الصلاة قد يستغني عن الطعام أيامًا، ولا يستغني عن الصلاة لحظة واحدة، إذ لا سلام في داخل الضمير بغير صلاة.

مسيرته السياسية

يحاول الكاتب أن يخرج غاية غاندي في السياسة وكيفية معالجتها في مختلف مراحله الحياة، وقد أوضح غاندي أن اللاعنف لا يعتبر عجزا أو ضعفا، ذلك لأن "الامتناع عن المعاقبة لا يعتبر غفرانا إلا عندما تكون القدرة على المعاقبة قائمة فعليا"، وهي لا تعني كذلك عدم اللجوء إلى العنف مطلقا "إنني قد ألجأ إلى العنف ألف مرة إذا

[٢٦٨] عباس محمود عقاد، روح عظيم غاندي، ص ٦٢

[٢٦٩] عباس محمود عقاد، روح عظيم غاندي، ص 67

كان البديل إخصاء عرق بشري بأكمله". فالهدف من سياسة اللاعنف في رأي غاندي هي إبراز ظلم المحتل من جهة وتأليب الرأي العام على هذا الظلم من جهة ثانية تمهيدا للقضاء عليه كلية أو على الأقل حصره والحيلولة دون تفشيه. كانت "الاهمسا"هي رائد السياسيفي مقاومته، فلا عليه أن يحدث من جرائها ما عسى أن يحدث من شدة وضرر، فإنما الحرام هو إيقاع الضرر عمدًا وإيقاعه من طريق العنف والسورة الغضبية، فإذا جاء الضرر من غير هذه الطريق فلا جناح عليه ولا حيلة له في منعه؛ لأنه لا يستطيع أن يمنعه لو شاء.[٢٧٠]

حزنه على تقسيم الهند

بانتهاء عام ١٩٤٤ وبداية عام ١٩٤٥ اقتربت الهند من الاستقلال وتزايدت المخاوف من الدعوات الانفصالية الهادفة إلى تقسيمها إلى دولتين بين المسلمين والهندوس، وحاول غاندي إقناع محمد علي جناح الذي كان على رأس الداعين إلى هذا الانفصال بالعدول عن توجهاته لكنه فشل.

وتم ذلك بالفعل في ١٦ أغسطس/آب ١٩٤٧، وما إن أعلن تقسيم الهند حتى سادت الاضطرابات الدينية عموم الهند وبلغت من العنف حدا تجاوز كل التوقعات فسقط في كلكتا وحدها على سبيل المثال ما يزيد عن خمسة آلاف قتيل. وقد تألم غاندي لهذه الأحداث واعتبرها كارثة وطنية، كما زاد من ألمه تصاعد حدة التوتر بين الهند وباكستان بشأن كشمير وسقوط العديد من القتلى في الاشتباكات المسلحة التي نشبت بينهما عام ١٩٤٨/١٩٤٧وأخذ يدعو إلى إعادة الوحدة الوطنية بين الهنود والمسلمين طالبا بشكل خاص من الأكثرية الهندوسية احترام حقوق الأقلية المسلمة.

غاندي رمز الإنسانية الخالد

[٢٧٠] عباس محمود عقاد، روح عظيم غاندي، ص ٦٨

وليس أجدر من عظمة « غاندي » بالمقابلة بينها وبين غيرها من ضروب العظمة الإنسانية؛ لأنك تقابله بألف عظيم من الأقدمين والمحدثين، كلهم يخالفه في كثير أو قليل أو يناقضه في كل صفة من الصفات، وهو بعد ذلك عظيم، وكلهم بعد ذلك عظماء" [٢٧١] هكذا يصف العقاد بداية عن غاندي في هذا الكتاب تحت عنوان آفاق الانسانية، لأن الكاتب يركز كتابته من ناحية الإنسانية التي تتميز شخصية غاندي من وجوه العالم، لذلك أنه يبدأ ويختتم هذا الكتاب بعنوان الإنسانية. ويقول أيضا في مقدمة الكتاب:

زاهد الهند نعى الدنيا وصام أنا أنعاها، ولكن لا أصوم
طامع الغرب رعى الدنيا وهام أنا ارعاها،ولكن لا أهيم
بين هذين لنا حد قوام وليلم من كل حزب من يلوم [٢٧٢]

ويجلب الكاتب بعض آيات القرآنية في كتابه ويفضل مكانة الإنسانية ويروجها جميلا بالرغم أنه يقدم شخصية غاندي كشخصية مثالية في مجال انسانية . الكتاب يدور مهما عن شخصية غاندي الإنسانية ويثبت الكاتب في كل حين أنه هو الرجل الوحيد الذي تمكن انتشار سلامة العالم بمجرد جهوده وموقفه حتى أن شركائه أيضا يقوم ضد آرائه المستقيمة. السلامة والإنسانة هما مرآة شخصية غاندي التي لا يمكن لأحد أن يرفض هذا.

الخاتمة

يؤكد العقاد خلال كتابته على أن شخصية غاندي تفوق من كل زعماء العالم من ناحية تصرفاته مع الشعب وبمعالجته في القضايا السياسة والشخصية والانسانية،بحيث يقول في آخر عنوان الكتاب باسم "هذا هو الانسان" " وما أظن النبأ إذا قيل على إطلاقه محتاجًا إلى تفسير. فما كان للكرة الأرضية من شاغل غيره في زاوية

[٢٧١] عباس محمود عقاد، روح عظيم غاندي، ص 80
[٢٧٢] عباس محمود عقاد، روح عظيم غاندي، ص ٧

من أقصى زواياها. لقد أوشك أن يكون حادثًا من حوادث الكون بما رحب، بل كان حقًا حادثًا من حوادث الكون؛ لأنه على أوثق اتصال برسالة الروح. وجمت وطال بي الوجوم، بل ذهلت وطال بي الذهول؛ لأن الخبر إنما يمهد له خبر مثله؛ ولأن الحادث إنما يقاس على نظيره، ولا نعرف نظيرًا لمصرع غاندي في كل ما سمعنا به من أنباء العالم، وفي كل ما عرفناه من حوادث التاريخ".

المصادروالمراجع

- ✓ عقاد، عباس محمود، روح عظيم المهاتما غاندي، (القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر، ٢٠١٢)
- شوقي، أحمد، قصيدة بني مصر،ديوان الشعر
- ✓ https://www.aldiwan.net/poem8078.html
- ✓ ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، ط١٠، (القاهرة، دارالمعارف)
- ✓ فاخوري، حنا، تاريخ الأدب العربي، ط١، (بيروت،لبنان، دارالجيل، ١٩٨٦م)
- ✓ موسى، سلامة، غاندي والحركة الهندية، (القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر، ٢٠١١)

فلسفة "أَهِمْسَا" (اللاعنف الكامل) لدى المهاتما الغاندي

د. محمد قاسم العادل، رئيس قسم اللغة العربية
كلية ذاكر حسين دلهي، جامعة دلهي

ملخص البحث

"أَهِمْسَا" [AHIMSA- اللاعنف الكامل] و"الساتياغراها" [SATYAGRAHA- قوة الحق] هما مبدآن أساسيان لسياسة أبي الشعب الهندي، وهو موهانداس كارامشاند غاندي (٢ أكتوبر ١٨٦٩م-30يناير ١٩٤٨م) الملقب بـ"مهاتما" أي الروح العظيمة، هو صاحب شخصيةفذة صبورة، مثابرة، ذكية، أنارت طريق الحقيقة والحرية في أعين البشر. غاندي هو أحد كبار القادة السياسيين في العالم في القرن العشرين. إنه درس القانون في لندن ومارس المحاماة في الهند ثم في جنوب أفريقيا إحدى وعشرين سنة مدافعا عن حقوق العمال الهنود المتعرضين إلى كافة أشكال التمييز العنصري في ظل الاحتلال البريطاني. وبعد رجوعه إلى الهند في عام ١٩١٥م أصبح زعيم الحركة الوطنية الهندية خلال ستة أعوام. وصار رائداً لحركة "الساتياغراها" وهي مقاومة الاستبداد من خلال العصيان المدني الشامل، التي تأسست بقوة عقب "أَهِمْسَا" أو اللاعنف الكامل، والتي أدت إلى استقلال الهند وألهمت الكثير من حركات الحقوق المدنية والحرية في العالم كله. وقد وهب غاندي حياته لنشر سياسة "أَهِمْسَا"، واستمر على مدى أكثر من خمسين عاما يبشر بها، وفي سنوات حياته الأخيرة حزن لأعمال العنف التي شهدتها البلاد عقب الاستقلال، وتألم لانفصال باكستان، وأخذ يدعو إلى إعادة الوحدة الوطنية بين الهنود والمسلمين طالبا بشكل خاص من الأكثرية الهندوسية احترام حقوق الأقلية المسلمة. فهذا المقال سيتحدث عن فلسفة "أَهِمْسَا" أي اللاعنف الكامل لدى هذه الشخصية المذهلة النادرة إن شاء الله الموفق المستعان.

الكلمات المفتاحية: المهاتما، غاندي، أَهِمْسَا، اللاعنف، الساتياغراها.

موهانداس كارامشاند غاندي (٢ أكتوبر ١٨٦٩م- 30 يناير ١٩٤٨م) الملقب بـ "مهاتما" أي الروح العظيمة، هو أيقونة اللاعنف الكامل، والسلام والإنسانية، فحين يتغلب المرء على فرديته، وينكر ذاته، ويقهر أنانيته، وحين ينذر نفسه، ويرخص روحه، ويحتسب حياته في سبيل عقيدة يؤمن بها ومُثل يعتنقها، إذ ذاك يتسم بالسمة الإنسانية، ذاك ما كانه غاندي. هو لم يكن ينتمي إلى الهند وحدها، ولكنه تجسيد حي لما يضطرب في نفوس البشرية المعذبة من نزوع إلى التحرر والكرامة والسلام. لقد بلغ من إنسانية هذا الرجل أنه كان يبدو للكثيرين من طبيعة متميزة، وأنه يختلف عن سائر الناس، وكأنه واحد من أنبياء التوراة. وقد أشار ألبرت إينشتاين (Albert Einstein) إلى "أن الأجيال القادمة قد تجد من الصعب عليها أن تصدق أن رجلا كهذا كان إنسانا من لحم ودم، يسعى على الأرض".[٢٧٣] على أن غاندي في بساطته المتناهية لم يتعد أن يكون رجلا، كما نعتته إنديرا غاندي حين قالت عنه: "في رأيي أن غاندي لم يكن مجموعة من الآراء، والتعاليم الجافة، بل رجلا يشع حياة، رجلا يحرص على أن يذكرنا بأرفع المستويات التي يستطيع الإنسان لأن يبلغها".[٢٧٤]

اللاعنف ومفهومه لدى المهاتما

اللاعنف فلسفة، ونظرية قائمة، وأسلوب حياة، ووسيلة للنضال الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وقديم قدم التاريخ. قد نبذ الناس من أول يومهم العنف كوسيلة لحل النزاعات. إنهم اختاروا بدلاً من ذلك التفاوض والوساطة والمصالحة، ومقاومة العنف باللاعنف الكامل، واحترام سلامة البشرية كلها.

---

[٢٧٣] *"Generations to come will scarce believe that such a one as this ever in flesh and blood walked upon this earth."* (Albert Einstein said of Mahatma Gandhi)

[٢٧٤] مجلة ثقافة الهند: المجلد 43، العدد 1، العام 1992. غاندي في الأدب العربي الحديث، د. عمر الدقاق (جامعة حلب)، (نيودلهي- الهند: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية)، ص: 60

وقد عُرِّف اللاعنف في الموسوعة السياسية من قبل المهتمين بتعريفات عديدة، والأفضل منها بأنه "وسيلة من وسائل العمل السياسي والاجتماعي يحاول أن يجعل قوة الضعيف وملجأه الأخير مرتكزاً على إثارة الضمير والأخلاق لدى الخصم، أو على الأقل لدى الجمهور الذي يحيط به".[٢٧٥] ويرمي إلى ترجيح كفة الحق والعدالة. فهذه الوسيلة تستبعد القوة في الوصول إلى أهدافها، وتفتقد التعدي على حقوق الآخرين، وتقوم على أساس الاعتراف بالآخرين أيضا.

والدكتور مارتن لوثر كينغ (١٩٢٩-١٩٦٨م)، الزعيم الأمريكي العظيم المناضل في سبيل الحرية وحقوق الإنسان، الحائز على جائزة نوبل للسلام يرى أن "اللاعنف لا يعني تجنب العنف الجسدي مع الآخرين، بل أيضاً ... إنك لا ترفض إطلاق الرصاص على شخص آخر فقط، بل ترفض أن تكرهه أيضاً".[٢٧٦] وصاحبنا المهاتما غاندي يرى أنه "لا يمكن للاعنف أن يكون ثوباً نرتدي ونخلع كما نشاء. اللاعنف يسكن القلب، ويجب أن يكون جزءاً لا ينفصل عن كينونتنا".[٢٧٧]

وقد أخذ غاندي من أمه 'بُتْلِيْ بَأْيْ' وهي قديسة ذات العقيدة 'الجينية' ما كان أفعل في تاريخه وتاريخ الهند كلها من الصيام، وهو الإيمان بعقيدة 'الجينية' في 'الأهمسا' أو الكف عن العدوان. فهو يقول في سيرته الذاتية: "كان الورع هو أجلّ انطباع خلفته والدتي في ذاكرتي، فقد كانت على درجة كبيرة من التدين... وأذكر أن والدتي لم تترك صيام أيٍّ من الشهور الأربعة المقدسة (شاتورماس) قط...".[٢٧٨] ولا تفهم رسالة لغاندي في السياسة أو السلوك أو آداب الضمير، بمعزل عن هذه 'الأهمسا' التي

---

[٢٧٥] د. عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م)، ٣٨٥/٥.

[٢٧٦] "Martin Luther King, Jr. Quotes." BrainyQuote.com. BrainyMedia Inc, 2021. 11 July 2021. https://www.brainyquote.com/quotes/martin_luther_king_jr_133295

[٢٧٧] "Mahatma Gandhi Quotes." BrainyQuote.com. BrainyMedia Inc, 2021. 11 July 2021. https://www.brainyquote.com/quotes/mahatma_gandhi_164017

[٢٧٨] المرجع نفسه، ص: ٢٨

كان أصدق رسول لها منذ ارتفعت بها دعوة في البلاد الهندية؛ لأنه رضعها من ثدي أمه قبل أن يتعلمها من مرشد إلى أدب، أو مبشر بدين.[٢٧٩]

ويوفر لنا "اللاعنف" أدوات ووسائل إيجابية لوقف الحروب، ولمقاومة العنف، والنضال ضد الاضطهاد والتمييز العنصري والجنسي والاقتصادي، والسعي لتحقيق العدالة الاجتماعية والديمقراطية الحقيقية للناس في جميع أنحاء العالم. واللاعنف بمثابة الحجر الأساسي لمجتمع جديد متحرر من الاضطهاد وسفك الدماء، يستطيع فيه الأشخاص تحقيق إمكاناتهم الفردية على أكمل وجه.

ويرى غاندي أن مرتكبي العنف هم نتاج التفكك الاجتماعي، وأن العنف ليس ميلًا طبيعيًا للبشر. بل هو تجربة مكتسبة. والسلاح المثالي لمحاربة العنف هو اللاعنف. واللاعنف هو أعظم قوة تحت تصرف البشرية، وأقوى من أي سلاح الدمار الشامل. وإنه متفوق على القوة الغاشمة، كما هو قوة حية للسلطة. ولايقدر أحد قياس حدوده وأفقه. واللاعنف هو البحث عن الحقيقة. فالحقيقة هي الجانب الأساسي في فلسفته حول اللاعنف. وقد كانت حياته كلها "تجارب الحقيقة". وفي سعيه وراء الحقيقة، اكتشف غاندي اللاعنف الذي أوضحه في سيرته الذاتية "قصة تجاربي مع الحقيقة"، فهو يقول: "إن الأهيمسا هي أساس البحث عن الحقيقة. أُدرِكُ كل يوم أن البحث عن الحقيقة يكون عديم القيمة إذا لم يعتمد على الأهيمسا كأساس له".[٢٨٠]

ويُذكر أن غاندي في عام ١٩٠٤م أصدر في جوهانسبرج صحيفة أسبوعية أسماها (الرأي الهندي) (Indian Opinion)، وكان يحرر مقالاتها الافتتاحية، وعلى صفحات تلك المجلة شرح مبادئ الساتياغراها، أو الساتياجراها، حيث الحق والمحبة

[٢٧٩] العقاد، عباس محمود: روح عظيم المهاتما غاندي، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٣م)، ص: ٢٠

[٢٨٠] غاندي، مهنداس كارامشاند: السيرة الذاتية قصة تجاربي مع الحقيقة، ترجمة محمد إبراهيم السيد، مراجعة مجدي عبد الواحد عنبة، (القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م)، ص: ٣٠١.

والمقاومة بطريق اللاعنف، أو بتعبير غاندي نفسه "القوة المنبعثة من الحق ومن المحبة"، وهي كذلك تعني عنده "الحركة المنزهة عن كل عنف".[٢٨١]

وصرح غاندي بصفته رائدًا عالميًا في النظرية والممارسة اللاعنفية، أنه يمكن تطبيق اللاعنف عالميا. وقد تحدث عن هذه الفكرة في رسالته إلى دانيال أوليفر في حمانا-لبنان في عام ١٩٣٧م: "ليس لديّ رسالة أعطيها إلا أنه لايحصل "خلاص" (موكشا) لأي شعب أو جميع الشعوب على هذه الأرض إلا من خلال ممارسة الحقيقة واللاعنف في كل مسيرة الحياة دون أي استثناءات".[٢٨٢] وفي هذه العبارة يرى غاندي بأن "الخلاص" (موكشا) لايتحقق للشعوب المضطهدة خاصة إلا من خلال اللاعنف.

ومن خلال دراسة "قصة تجاربي مع الحقيقة" يبرز لفلسفته مبدآن أساسيان وهما: ساتياغراها (Satyagraha) وهي كلمة سنسكريتية تعني التمسك بالحق بقوة، وأهيمسا (Ahimsa) ومعناها اللاعنف الإيجابي، وهي الفضيلة المثلى. وعن ذلك يقول: "إن عدم العنف هو أعظم القوى في خدمة الجنس البشري، وإنه أقوى من أقوى سلاح التخريب، الذي ابتدعته عبقرية الإنسان".[٢٨٣] وكان غاندي يعتبر اللاعنف (Ahimsa) جزءا أساسيا من الساتياغراه، ويؤكد على ذلك كما صرح به في سيرته الذاتية في غضون حديثه عن عقد الاجتماع على شاطئ تشاوباتي- مومباي في عام ١٩٣٠م: "عُقد الاجتماع على شاطئ شاوباتي. وتحدثت بإسهاب عن واجبنا نحو اللاعنف وعن حدود الساتياجراها، وقلت: "إن الساتياجراها في جوهرها هي سلاح الصادقين. ونصير الساتياجراها يجب أن يلتزم باللاعنف، وإذا لم يلتزم الناس باللاعنف فكرا وقولا وفعلا، فلن أستطيع أن أقوم بساتياجراها جماعية".[٢٨٤]

---

[٢٨١] أنظر: صديق، رامي عطا: غاندي رسالة اللاعنف والتسامح (بيروت: جداول للنشر والترجمة والتوزيع ، ٢٠١٤م)، ص: ١٥

[٢٨٢] Brown, Judith M., *Mahatma Gandhi, The Essential Writings*, New York: Oxford University Press, 2008, p 20.

[٢٨٣] كريبالاني، كريشنا: كل الناس إخوة – حياة المهاتما غاندي وآراؤه كما رواها، مقدمة: سرفيالاني رادها كريشنان، ترجمة: يونس شاهين (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م)، الباب الرابع الأحمسا، ص: ١٥٤.

[٢٨٤] غاندي، مهنداس كارامشاند: السيرة الذاتية قصة تجاربي مع الحقيقة، ص: ٤٩٨.

وشن غاندي حملة واسعة عام ١٩١٩م ضد قانون رولات (Rowlatt Bills) الذي يقيد الحريات المدنية، ودعا الشعب إلى التظاهر السلمي وترك اللجوء إلى العنف. وإثر مجزرة مدينة أمريتسار، التي وقعت في ١٣ نيسان/أبريل ١٩١٩م، والتي أسفرت عن مقتل نحو ٤٠٠ شخص وجرح أكثر من ٢٠٠٠ من المدنيين الهنود، حيث أصدر أحد ضباط أوامره إلى رجاله بإطلاق النار على تجمع غير مسلح. فإن تلك المجزرة قد زادت من تصميم غاندي على مواجهة المحتلين بالمزيد من الوسائل السلمية اللاعنفية، فأعلن غاندي عام ١٩٢٠م اعتماد سياسة الساتياغراها (Satyagraha) وهي تعني سياسة اللاعنف في مقاومة الاحتلال، وحدد المهاتما غاندي معالم هذه السياسة في النقاط التالية:

- ترك التعاون مع سلطات الاحتلال في إدارتها واستغلالها للبلاد.
- رفض الألقاب والمناصب التي تخلعها بريطانيا على الهنود.
- مقاطعة شاملة للبضائع البريطانية.
- مقاطعة الخدمة العسكرية وترك دفع الضرائب ومقاطعة المحاكم البريطانية.[٢٨٥]

ويقدم لنا غاندي من خلال مبادئه، وسائل النضال للحقوق المدنية على مستوى العالم. ولمواجهة الدول الظالمة، ينصحنا بعدم التعاون معها في جميع المجالات من الإدارة والاقتصاد والسياسة وغيرها. ونتيجة لعدم التعاون سيقتل البعض الذين يظلون شهداء في الحركة، وسيسجن البعض الذين يصبحون أبطال ظهور الأمة الجديدة. والسجون تتحول إلى ساحة التدريب، والفصول الدراسية للقيادة الجديدة. ويزداد ضعف الظالم ما دام يظلم الضعفاء الأبرياء، كما تزداد قوة المظلوم ما دام يقاوم الظالم بروح اللاعنف، حتى يخسر الظالم المعركة ويستسلم.

[٢٨٥] المرجع نفسه، ص: 16-15

ويعتبر المهاتما غاندي نبي الهند، الذي يفهم وطنه كما يفهمه الشاعر الهندي السيد طاغور الحائز على جائزة نوبل، ويشعر به على هذا النحو من الشعور، فكان يقارن بين السواراج (الاستقلال) وبين الأهِمسا (اللاعنف/ضبط النفس)، فيقول: "إن الأهِمسا مقدمة على السواراج، لأنها هي الاستقلال الصحيح. ويريد بذلك أن غاية الاستقلال هي خلاص البلاد من الحكومة الأجنبية، ولكن الإنسان قد يحكم بلده ولا يحكم نفسه، ولا يفلت من طغيان شهواته وأهوائه، وإنما كان حكم النفس هو الاستقلال جد الاستقلال".[٢٨٦]

وكان غاندي داعية المساواة للنساء والزوجات خاصة. فهو يعتقد أن المساواة من متطلبات 'الأهِمسا' كما يصرح به ويقول: "وأدركت أن الزوجة ليست جارية لدى زوجها، بل رفيقته ومعينته، وشريكته في السراء والضراء، وتتمتع بنفس القدر من الحرية الذي يتمتع به الزوج في اختيار طريقة حياتها".[٢٨٧]

قد توفي المهاتما غاندي، ولكن فلسفته لا تزال حية. يذكرنا مبشر ومؤلف أمريكي إيلي ستانلي جونز (١٨٨٤-١٩٧٣) بأن "غاندي غير مقضي عليه. إنه قوة حية، بل هو أقوى في مماته منه في حياته".[٢٨٨] غاندي رجل عالمي لأنه كان للإنسانية كلها في أصالته وسلوكه وفي نضاله الفذ المتفرد، وكان في الوقت نفسه لشعبه ووطنه، كما كان للهندوس والمسلمين جميعا، وقد ذكر فنسنت شينان أحد كتاب سيرة غاندي: أن غاندي كان طوال حياته غريزة وفطرة وتعمدا صديقا للمسلمين. وقد قال مرة في جنوب أفريقيا قبل عودته إلى الهند بزمن طويل: "إن الاختبار النهائي لـ 'ساتيا غراه' -اللاعنف- سيكون من أجل وحدة الهندوسية- الإسلامية".[٢٨٩] ولما تم إعلان تقسيم شبه القارة الهندية إلى الدولتين في ١٦ أغسطس ١٩٤٧م، سادت الاضطرابات الدينية عموم الهند

---

[٢٨٦] العقاد، عباس محمود: روح عظيم المهاتما غاندي، ص: 16

[٢٨٧] غاندي، مهنداس كارامشاند: السيرة الذاتية قصة تجاربي مع الحقيقة، ص: ٤٧

[٢٨٨] S.E. JONES, Gandhi Portrayal of a Friend, Nashville: Abingdon Press, 1948, P-151

[٢٨٩] مجلة ثقافة الهند: المجلد ٤٣، العدد ١، العام ١٩٩٢. غاندي في الأدب العربي الحديث، د. عمر الدقاق (جامعة حلب)، ص: ٦١

وبلغت من العنف حدا تجاوز كل التوقعات فسقط في كلكتا وحدها على سبيل المثال ما يزيد عن خمسة آلاف قتيل. فقد تألم غاندي لهذه الأحداث واعتبرها كارثة وطنية، كما زاد من ألمه تصاعد حدة التوتر بين الهند وباكستان بشأن كشمير وسقوط العديد من القتلى في الاشتباكات المسلحة التي نشبت بينهما عام ١٩٤٨/١٩٤٧ وأخذ يدعو إلى إعادة الوحدة الوطنية بين الهنود والمسلمين طالبا بشكل خاص من الأكثرية الهندوسية احترام حقوق الأقلية المسلمة.

ولقد استخدم غاندي فلسفة اللاعنف للتغلب على النظام البريطاني القائم على الظلم والاستبداد والاستغلال في شبه القارة الهندية حتى نجح وفاز، ثم قدم للعالم خير نموذج لتطبيق هذه الفلسفة الهادفة إلى إعادة كرامة الإنسان. فنالت هذه الفلسفة قبولا حسنا لدى الشخصيات البارزة في مجال الحقوق المدنية والإنسانية. وإنهم قاموا بتطبيقها في حياتهم، وقد اعترفوا بثمراتها بكل صراحة وصدق بمناسبات مختلفة، من أمثال الدالاي لاما الرابع عشر، تينزين جياتسو (١٩٣٥م-....) وكوامي نكروما (١٩٠٩-١٩٧٢م) ونيلسون مانديلا (١٩١٨-٢٠١٣م) ومارتن لوثر كينغ جونيور (١٩٢٩-١٩٦٨م) وباراك حسين أوباما (١٩٦١-...) وغيرهم. إنهم آمنوا بفلسفة غاندي للسلام واللاعنف ونشروها على مستوى العالم، وهو لم يزل غاندي ولايزال مصدر إلهام وإرشاد للزعماء والقادة والعاملين لحقوق الإنسان والتعايش السلمي مع الاحترام المتبادل في أنحاء العالم كله.

الخلاصة

وخلاصة القول إن "اللاعنف" فلسفة، ونظرية قائمة، وأسلوب حياة، ووسيلة للنضال الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وقديمة قدم التاريخ. وأنجبت الهند في القرن العشرين قائدا سياسيا عظيما يعتبر أيقونةَ السلام والإنسانية، وداعيةَ المساواة للنساء والزوجات خاصة، والناسك المصلح الجاد المتمسك بمبادئه الخاصة القائمة على الشجاعة والحقيقة واللاعنف، ومصدر إلهام لكثير من قادة العالم، ومعروفا

بفلسفته الخاصة وهي فلسفة "أَهِيمْسَا" [AHIMSA- اللاعنف الكامل]، وهي الفضيلة المثلى. وعن هذه الفلسفة يقول غاندي: "إن عدم العنف هو أعظم القوى في خدمة الجنس البشري، وإنه أقوى من أقوى سلاح التخريب، الذي ابتدعته عبقرية الإنسان".[٢٩٠] وكان غاندي يعتبر اللاعنف (AHIMSA) جزءا أساسيا من "الساتياغراها" [SATYAGRAHA- قوة الحق]. وحركة "الساتياغراها" هي مقاومة الاستبداد من خلال العصيان المدني الشامل. وقد أعرب غاندي عن مكانة "اللاعنف" في "الساتياغراها" قائلا: "إن الساتياجراها في جوهرها هي سلاح الصادقين. ونصير الساتياجراها يجب أن يلتزم باللاعنف، وإذا لم يلتزم الناس باللاعنف فكرا وقولا وفعلا، فلن أستطيع أن أقوم بساتياجراها جماعية".[٢٩١] وقد أدت سياسة "اللاعنف" إلى استقلال الهند وألهمت الكثير من حركات الحقوق المدنية والحرية في العالم كله. ووهب غاندي حياته لنشر سياسة "أَهِمْسَا"، واستمر على مدى أكثر من خمسين عاما يبشر بها، وفي سنوات حياته الأخيرة حزن لأعمال العنف التي شهدتها البلاد عقب الاستقلال، وتألم لانفصال باكستان، وأخذ يدعو إلى إعادة الوحدة الوطنية بين الهنود والمسلمين طالبا بشكل خاص من الأكثرية الهندوسية احترام حقوق الأقلية المسلمة. وقد استنار منه كثير من قادة العالم مثل الدالاي لاما، وكوامي نكروما، ونيلسون مانديلا، ومارتن لوثر كينغ جونيور، وباراك حسين أوباما وغيرهم. وإليكم ما قاله عنه أمير الشعراء أحمد شوقي (١٨٧٠-١٩٣٢م) في قصيدته الدالية:

شبيه الرسل بالذود ... عن الحق، وفي الزهد
لقد علم بالحق ... وبالصبر وبالقصد
دعا الهندوس والإسلا ... م للألفة والود

المراجع والمصادر

[٢٩٠] كريبالاني، كريشنا: كل الناس إخوة – حياة المهاتما غاندي وآراؤه كما رواها، ص: ١٥٤.

[٢٩١] غاندي، مهنداس كارامشاند: السيرة الذاتية قصة تجاربي مع الحقيقة، ص: ٤٩٨.

- ✓ صديق، رامي عطا: غاندي رسالة اللاعنف والتسامح، جداول للنشر والترجمة والتوزيع (بيروت)، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
- ✓ العقاد، عباس محمود: روح عظيم المهاتما غاندي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة (القاهرة)، ٢٠١٣م. http://livre2.com/livre/A13/A013043.pdf
- ✓ غاندي، مهنداس كارامشاند: السيرة الذاتية قصة تجاربي مع الحقيقة، ترجمة محمد إبراهيم السيد، مراجعة مجدي عبد الواحد عنبة، كلمات عربية للترجمة والنشر (القاهرة)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م. https://www.kutub-pdf.net/downloading/qv26IY.html
- ✓ كريبالاني، كريشنا: كل الناس إخوة – حياة المهاتما غاندي وآراؤه كما رواها، مقدمة: سرفيالاني رادها كريشنان، ترجمة: يونس شاهين، دار الكتاب العربي (القاهرة)
- ✓ الكيالي، د. عبد الوهاب: الموسوعة السياسية، الجزء الخامس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- ✓ مجلة ثقافة الهند: المجلد ٤٣، العدد ١، العام ١٩٩٢. غاندي في الأدب العربي الحديث، د. عمر الدقاق، الصادرة من المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، الهند. https://www.nidaulhind.com/2017/04/pdf_28.html
- ✓ مجلة صوت الهند: العدد ٤٨٤ (سبتمبر- أكتوبر ٢٠١١) غاندي لأمير الشعراء أحمد شوقي، النسخة الإلكترونية، الصادرة من السفارة الهندية لدى القاهرة. https://issuu.com/sawtulhind/docs/issue_no_484
- ✓ Bondurant J. V. (1965) Conquest of Violence, The Gandhian Philosophy of Conflict. Los Angeles: University of California Press,
- ✓ Brown, Judith M. (2008) Mahatma Gandhi, The Essential Writings, New York: Oxford University Press, USA.
- ✓ Desai, Mahadev (1940) An Autobiography Or The Story of My Experiments With Truth. Ahmedabad: Navajivan Publishing House, India. https://www.mkgandhi.org/ebks/An-Autobiography.pdf

رمزية الطبيعة في الشعر الهندي
(هكذا غنى طاغور أنموذجا)

د.عبدالجليل منصوري
أستاذ متقاعد، جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر

المقدمة

من المؤرخين وكتاب السير من جعل كبار الأمم أربعا: العرب، والعجم[٢٩٢]، والروم، والهند، ثم زاوج بين أمة وأمة، فذكر أن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد[٢٩٣] هكذا استهل الشهرستاني كتابه (الملل والنحل) مشيرا إلى أن العرب والهند يجتمعان في أمور عديدة أهمها أمور العقائد التي تبنى عليها حياة الإنسان، ولم نجعل كلامه رأس هذه الورقة البحثية عبثا، وإنما الغرض بحث ما يتم به الترابط بين هاتين الأمتين ويستوثق، ولم يكن التشابه بينهم مقصورا على العقائد وحدها، بل إن بعض العرب يشبهون الهنود في خلقتهم، ومن ذلك ما قال النبي ﷺ لما وفد عليه بنو الحارث بن كعب يسأل خالدا _ﷺ_ :"من هؤلاء الذين كأنهم رجال الهند؟"[٢٩٤] هذا التشابه في الخَلْق والخُلُق كان له بالغ الأثر في تواؤم أعمالهم الأدبية بعد ذلك.

والجدير بنا في هذه الفاتحة ذكر ما كان بين العرب والهند قبل الإسلام، فإن العرب كانوا أهل تجارة ورحلة؛ ينتقلون من الشمال إلى الجنوب بين الشام واليمن، ومن الشرق إلى الغرب بين الهند ومصر والحبشة، ويدلك على أن العرب عرفوا الهند قديما قول امرئ القيس يصف عود بخور:

وبانًا وأُلْويًّا من الهند ذاكيا ورندا ولبنى والكِباء المقترا[٢٩٥]

---

[٢٩٢] لعل الشهرستاني قصد بالعجم الفرس.

[٢٩٣] الشهرستاني، الملل والنحل، تح عبدالعزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، مصر، د ط، د ت، 1/10.

[٢٩٤] ابن سعد الهاشمي، الطبقات الكبرى، تح محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1400هـ، 1/256.

[٢٩٥] امرؤ القيس الكندي، الديوان، تح عبدالرحمن المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ، 94.

وقول طرفة بن العبد يصف سيفا:

فآليت لا ينفك كشحي بطانةً لعضبٍ رقيق الشفرتين مهند

حسام إذا ما قمت منتصرا به كفى العودَ منه البدءُ ليس بمِعضَد

أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزُه قدي[٢٩٦]

وأبيات طرفة هذه دالة على أن العرب كانوا يفضلون السيوف الهندية لمضائها وجودة صناعتها. ويدلك كذلك على الهند كانت ذات أثر عند العرب تسميتهم البنات هندا، وهنود العرب كثيرات جدا لا يمكن حصرهن، وقد تغزل الشعراء ببعضهن، ومن ذلك قول الحطيئة:

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد[٢٩٧]

وأما وصول العرب إلى الهند بعد الإسلام، فقد كان في أيام الغزنويين، وعلى رأسهم سبكتكين وابنه محمود[٢٩٨]، وهما وإن كانا تركيين إلا أنهما أدخلا الإسلام والعربية إلى الهند، فانتشرا فيها، وأقبل أهلها على العربية يتكلمونها، وعلى الإسلام يدينون به، ومن ذلك العهد البعيد وأهل الهند يبذلون لهذا اللسان والدين أعمارهم، وأوقاتهم، وكل نفيس.

وأما هجرة الأعمال بين الحضارتين فقد كانت سابقة لالتقائهما، ولعل كتاب (كليلة ودمنة) الذي ترجمه ابن المقفع في مشرق الدولة العباسية أعظم دالّ على هجرة الأفكار تلك، وإقرارنا بوصول كتاب واحد من الهند إلى العرب لا ينفي شكنا في وصول كتب أخرى عبثت بها أيدي العفاء كما عبثت بجمهرة من الكتب التي ألّفها العرب أنفسهم.

---

[٢٩٦] طرفة بن العبد، الديوان، تح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1423هـ، 28.

[٢٩٧] التبريزي يحيى بن علي، شرح القصائد العشر، إدارة الطباعة المنيرية، دمشق، سوريا، د ط، د ت، 179.

ولم أعثر على هذا البيت في ديوان الحطيئة، ينظر: الحطيئة، الديوان، تح مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروتط1،

[٢٩٨] توفي سبكتكين سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وتوفي ولده محمود سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، ينظر: ابن خلدون عبدالرحمن، تاريخ ابن خلدون، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1432هـ، 1733-3/1718.

فإن قيل إن ابن المقفع قد ترجم هذا الكتاب من الفارسية إلى العربية، فنقول ليس القصد اللغة، وإنما الغاية أصل العمل، فكتاب (كليلة ودمنة) كتاب هندي بلا خلاف، قال أبو الريحان البيروني: "...ولهم فنون من العلم أخر كثيرة، وكتب لا تكاد تحصر، ولكني لم أحط بها علما، وبودي أن كنت أتمكن من ترجمة كتاب (بنج تَنْتْر) وهو المعروف عندنا بكتاب (كليلة ودمنة) فإنه تردد بين الفارسية والهندية، ثم العربية والفارسية، على ألسنة قوم لا يؤمن تغييرهم إياها؛ كعبد الله ابن المقفع في زيادته باب (برزويه) فيه قاصدا تشكيك ضَعْفى العقائد في الدين، وكسرهم للدعوة إلى مذهب المنانية، وإذا كان متهما في ما زاد، لم يخل عن مثله في ما نقل."[٢٩٩]

كما أن البيروني في كتابه التحقيق أشاد بالهند ورجالاتها وبما فيها من العلوم الجمة الغفيرة، ويهمني منها علم الشعر، فقد ذكر البيروني أن أكثر الهنود يُعنون بشعرهم، ويحفظون منظومهم ويحرصون على قراءته وإن لم يعرفوا معناه[٣٠٠]،

كما ذكر أن لهم كتبا في عروض شعرهم، وأن أول من وضع هذه الصناعة بَنْكَلُ، وجَلْتُو، ومن كتبهم المشهورة في هذا الباب كتاب كَايْستُو، وكتاب مِرْكَلَانْجَنُ.[٣٠١] فالهند إذن، أمة ثبتت أوتادها وضربت بعيدا في أطنابها في ساحة الشعر الإنساني، تنظمه، وتتذوقه، وتضع له القواعد والأسس كذلك.

١- الرمزية بين الأصالة والمعاصرة

الرمز لغة تصويت خفي باللسان كالهمس...وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين، والشفتين والفم، والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ، بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين[٣٠٢] ومن ذلك قول الشاعر:

رَمَزَتْ إلي مخافة من بعلها من غير أن تبدي هناك كلامها[٣٠٣]

---

[٢٩٩] البيروني أبو الريحان، تحقيق ما للهند من مقولة، قدم له علي صفا، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1403ه، 111.

[٣٠٠] المصدر نفسه، 96.

[٣٠١] المصدر نفسه.

[٣٠٢] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 2004، 6/222-223.

وقصد بالرمز هنا الإشارة التي تكون بأي شيء يفهمه المشار إليه، والتي ينتفي معها الكلام مع قدرة المشير عليه. وأما الاصطلاح، فلا بد من التمييز بين الرمز قديما، وبين الرمز حديثا؛ لأنه قد خرج من الدرس البلاغي إلى مذهب يتسع للفنون جميعا، كالشعر والنثر والرسم والمسرح...

1-2- الرمزعند القدماء

لم يأخذ الرمز بهذا الاسم حيزا من الاهتمامعنداللغويينالقدماء عدا أهل المعاجم، فقد جعلوه في مدوناتهم دالا على الإشارة والإيماء كما أسلفنا. أما الإشارة، فلها باب في البلاغة عظيم؛ إذ جعل القدماء الرمز كل إشارة إلى معنى، أو هو كل ما خالف التصريح، وعليه فإني أدرج تحت الرمز الكناية؛ لأنها عدول عن اللفظ الصريح إلى اللفظ المكنى به، وقد أشار العلوي اليمني إلى أن الكناية تركك اللفظ الموضوع للمعنى المراد في اللغة إلى لفظ آخر، فكثرة الرماد لم تضعها العرب للكرم، ولكنها دلت عليه إيماء.[٣٠٤] والاستعارة كذلك من باب الرمز لأنها عدول عن التصريح إلى التلميح، تقول: لقيت الأسد فعانقته، وأنت تقصد رجلا شجاعا.[٣٠٥]

أما التشبيه، فهو من صريح الكلام ولا يدخل في المجاز اللغوي؛ لأنه حقيقة محضة، إذ هو عقد محاكاة بين مشتركين في صفة، جاوز أحدهما الآخر في اتصافه بها، فجُعل مشبها به، إلا أن يكون التشبيه بليغا، فهذا مخالف للتشبيه العادي ومباين له، وهو مما يُدرج تحت الرمز كذلك؛ إذ فيه عدول عن المعنى الصريح الظاهر إلى معنى آخر وآلتك الألفاظ في ذلك، فقولنا: أنت أسد، إنما المعنى المراد الشجاعة لا الحيوان

[٣٠٣] السكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2014، 521.

[٣٠٤] يحي العلوي اليمني، الطراز، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1423ه، 1/186.

[٣٠٥] المصدر نفسه، 1/188.

المفترس. كما يُدرج تحت الرمز التلميح، وهذا أظهر وأوضح، والمقصود به في الشعر الإشارة إلى قصة أو شعر من غير ذكرهما.[٣٠٦]

ومن جميل التلميح في الشعر قول ابن المعتز:

أترى الجيرةَ الذين تداعوا عند سير الحبيب وقت الزوالِ

علموا أنني مقيم وقلبي راحل فيهم أمام الجِمال

مثل صاع العزيز في أرحل القوم ولايعلمون مافي الرحال[٣٠٧]

فقد أشار الشاعر إلى قصة يوسف عليه السلام وإخوته في البيت الأخير. فباب الرمز إذن باب واسع عند البلاغيين وإن لم يصرحوا بلفظه هذا في كتبهم، إذ كل ما ترك المتكلم فيه التصريح فهو رمز.

2-2- الرمزعند المحدثين

لقد اتسع هذا المصطلح عند المعاصرين حتى صار مذهبا ومدرسة تشمل كل ما له علاقة بالإبداع من شعر، أو نثر، أو رسم، أو فن... وقد ذكر يوسف عيد أن المدرسة الرمزية هي حركة أدبية ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا، وجعلت غايتها ومحور أعمالها الجماد، ومن أشهر روادها الشاعران الفرنسيان ستيفان مالارميه، وبول برنارد.[٣٠٨]

ولعل الصواب في اعتماد المدارس الأدبية أن يُقال إنهما مدرستان فقط: المدرسة الكلاسيكية، والمدرسة الحديثة، وما عدا ذلك إنما هي أفكار من حقها أن تُصفى وراء هاتين المدرستين لا أن تستقل بذاتها، كالرومنسية، والرمزية، والواقعية

---

[٣٠٦] الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، تح ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1423ه، 220.

[٣٠٧] عبد الرحيم العباسي، معاهد التنصيص، تح عبد المجيد آل عبد الله، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1432ه، 2/404. ولم أعثر على الأبيات في ديوانه، ينظر: ابن المعتز العباسي، الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1431ه.

[٣٠٨] يوسف عيد، المدارس الأدبية ومذاهبها القسم النظري، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1994، 170-169.

فتوظيف عناصر الطبيعة ليس حكرا على الحداثيين وحدهم، بل إن القدماء وظفوها كذلك وربما نجد بعض المتقدمين أكثر إيغالا في توظيفها كالأندلسيين، والشاميين، فلماذا يُقال إن الرومنسية مذهب حديث، وكل أركانها ومبادئها تجلت عند الأوائل في أعمالهم؟

وما ذكرناه عن الرومنسية ينجر إلى غيرها من الأفكار الأخرى، كالرمزية التي تهمنا في هذا البحث، فالتحقيق إذن في مسألة المذاهب والمدارس الأدبية أنهما مدرستان أو مذهبان لا غير؛ مذهب قديم ومذهب حديث، ولا تكون الرمزية مذهبا مستقلا، وإنما هي حاضرة قديما، كما هي ماثلة هنا حديثا، وليس هذا مبحث ورقتنا، ولو كان كذلك لبسطنا الحديث في هذه الإشكالية.

٢- مفردات الطبيعة ودلالاتها في شعر طاغور

١-٣- روبندرونات طاغور (1861-1941) من مواليد كالكوتا، شاعر، وفيلسوف، وروائي، ومسرحي، ورسام هندي، جمع الفن من أطرافه، حاصل علىجائزة نوبل للآداب، وترجمت أعماله إلى عديد اللغات الحية[٣٠٩]، واللغة العربية إحداهن، ونسعى إلى تفكيك بعض الرموز المودعة في مفردات الطبيعة الموظفة في شعر هذا الرجل من خلال ديوانه: هكذا غنى طاغور، وإنما عمدت إلى اختيار ألفاظ الطبيعة لأنها ألفاظ قارة ثابتة، لا تزحزحها الترجمة من لغة إلى أخرى عن معانيها العامة.

أما دراسة الألفاظ وموسيقى الشعر في ديوانه هذا فغير ممكنة، لأن الألفاظ مترجمة عن أصلها، وهذا ما يجعلها تبتعد عن دلالاتها التفصيلية، أما الدلالات المجملة فلا، وإذا تغير اللفظ تغيرت الموسيقى، وعليه فقد اخترنا رمزية الطبيعة لاستقرارها اللفظي، والمعنوي، والشعري كذلك.

٢-٣- رمزية الطبيعة

[٣٠٩] روبندرونات طاغور، هكذا غنى طاغور، ترجمت خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، دط، 1989، 12-9.

سأحاول في هذه المساحة الضيقة أن أجعل من شعر طاغور شعرا يرمز إلى المتلقي بأشياء غير معهودة عنده أثناء قراءته للأشعار، ولذلك سأقسم الرمزية أقساما لم يعهدها الباحثون في مجال المدارس الأدبية _وإن كنت قد أخرجت الرمزية منها_ بل إني أزعم أن هذا التقسيم للرمزية لم يعرفه أحد قبلي، هذا التقسيم سيجعل من قراءتنا للشعر تتسع أحيانا، وتضيق أحيانا أخرى، وربما نفت قراءة أختها لتزولا معا، فقد جعلت الرمزية خيالية، ووجدانية، ووهمية، وسنشير هنا إلى بعض الألفاظ ناظرين في رمزيتها الخيالية، ثم بعد ذلك في رمزياتها الأخرى التي قررناها في هذا البحث تباعا، لنرى كيف يرمز الشاعر من خلال الطبيعة إلى مكنونات وجدانه، وأغوار نفسه الحالمة بعيدا عن الدلالات المباشرة الصريحة.

١-٢-٣- السماء

يقول طاغور في قصيدة (جني الثمار)

إن حفيف الأوراق
سيتلوها علي بصوت عال
والجدول حين ينسابسيرددها في أغنية
ونجوم الثريا السبع
ستغنيها لي من السماء[٣١٠]

ويقول في قصيدة (رجال المجاذيف)

إن قيمة دماء الشهداء
ودموع الأمهات
ستضيع في تراب الأرض
إذا لم تمتلك السماء بثمنه[٣١١]

[٣١٠] المصدر السابق، 15.
[٣١١] المصدر نفسه، 137.

فالرمزية الخيالية للسماء في المقطع الأول تجعل القارئ يرى السماء كل شيء جميل يطرب صاحبه، ويطرب من معه بأشعاره وغنائه وبما يملكه من قدسية، وابتعاد بالذات لا بالروح، والسماء في المقطع الثاني يجعلك الخيال تراها شيئا ملقى في السوق، يعرضه البائع عليك وفي عينيه سذاجة تخفي وراءها مكرا ودهاء، كل هذا يجعلك تخرج من جيبك نقودا زرقاء لتدفع ثمن السماء، ثم تذهب بها لتضعها في ركن من أركان بيتك الضيق الكئيب.

أما الرمزية الوجدانية، فالسماء في المقطع الأول لها طعم شخص تحبه كالأم مثلا، أو الجدة التي تغني حفيدها ليلا أغنيات تجعله ينام بهدوء، وفي المقطع الثاني فالسماء عبد تدفع ثمنه، وتسوقه إلى بيتك لتعرض عليه أشغاله اليومية ثم تنصرف.

أما الرمزية الوهمية، فهذه تجعل القارئ يتناقض مع الشاعر من جهة، ويتناقض مع نفسه من جهة أخرى، فأوهام الشعراء والقراء تحكمها تجاربهم، فهناك من يتوهم السماء رحمة، وهناك خلاف ذلك.

أما سماء المقطع الأول، فيتوهم القارئ أنها مأوى الروح ومهبط الفؤاد، وأما سماء المقطع الثاني، فيتوهم القارئ أنها أعظم جزاء لدماء الشهداء ودموع الأمهات، فكأن السماء في وهم القارئ هي الجنة ذاتها، ولكل قارئ أن يتوهم جنته إنطلاقا من عقائده، وتجاربه...

٢-٢-٣- النور

يقول طاغور في قصيدة (و.و.بيرسون):

إنك تعير نور روحك
لأولئك المغمورين
ولا تبحث لا عن الحب
ولا عن الشهرة

ولكن الحب يطهرك.[٣١٢]

ويقول في قصيدة (إشباع):

والنور الهاطل من الشمس والنجوم
يشبع رغباته حين يبلغ حياتي
واللون يشبه النعاس.[٣١٣]

فالنور بعيدا عن الخيال هو ضد الظلمة، ولكن إذا سلطنا عليه الخيال كان في المقطع الأول دالا على العلم؛ لأن الشاعر نسبه إلى روح المخاطب، وليس للإنسان نور أعظم من العلم ينفع به المغمورين في لجج هذه الحياة. وأما النور في المقطع الثاني، فجعله الشاعر يهطل من الشمس والنجوم، وجعل له رغبات يسعى إلى إشباعها، ولا تشبع هذه الرغبات إلا إذا اتصلت بالشاعر، فالخيال يجعلنا كقراء نفكك رمز النور إلى الشعر وليس إلى سواه. وأما الوجدان والعاطفة، فقد اتفقت رمزية النور في المقطعين المختلفين، فكلاهما ينزع الشاعر إليهما ويميل، فالنور الأول والنور الثاني قد أفرط الشاعر في حبهما، وإن كنت أظن أن حبه للأول أشد من حبه للثاني.

٣-٢-٣- الليل:

يقول طاغور في قصيدة (هاربة)

و مازال ذلك السوار الصغير يرن
في اصطدامه بالجرة
وحين يتباعد فإن الخطوات
تحدث خشخشة هناك في الدرب
المغطى بالأوراق الجافة
والليل يزداد ظلمة.[٣١٤]

---

[٣١٢] المصدر السابق، 347.

[٣١٣] المصدر نفسه، 348.

ويقول في قصيدة (حرية):

التحرر من جذوع الكسل والخمول

التي تقيد بهانفسك إلى جنود الليل.[٣١٥]

فالليل في المقطع الأول إذا مكنا منه الخيال كان كل شيء يضيق بالإنسان في هذه الحياة. والليل في المقطع الثاني هو القيد بكل أنواعه؛ قيد الجهل، وقيد الأسر، وقيد الاحتلال، وقيد الخوف...وكل ما من شأنه أن يسلب الإنسان حريته المطلقة ويجعله يتخبط في ظلمات العبودية.

وأما رمزية الوجدان، فسننطلق من عاطفة الشاعر هنا؛ إذ قصيدة (هاربة) أراد بها الدنيا، وهو يرى الدنيا قيد كذلك لابد على الإنسان أن يسعى جاهدا إلى تحرير نفسه منها، ليس بالموت ولكن ببذل النفس في جعلها دنيا سعادة لا دنيا بؤس، وأن يمحو ظلامها ليوصل نورها إلى كل إنسان. وأما رمزية الوهم، فالليل في المقطع الأول يوهم بما يعيق الإنسان في طريقه إلى تغيير دنياه. وفي المقطع الثاني يوهم الليل بالقيد، كما يوهم المتلقي أنه في دار مغلقة كلما ما فيها قد توقف عن الحركة حتى حياته هو.

٣- الخاتمة

لا يمكن لباحث _أيا كان_ أن يحيط بما في الشعر الهندي من جمال، وبما له من دلالات، وأن يفكك رموزه في مصنف ضخم وقد مُدَّ له الوقت فكيف له ذلك وقد حاصرته المساحة وضايقه الزمن.

إن الشعر الهندي شعر قد تجاوز محيطه وتعداه من دائرة الوطنية إلى قطر الإنسانية الأكبر ليتسنى لكل إنسان أن يقرأه، ويحفظه، ويفسره كما تملي عليه تجاربه

---

[٣١٤] المصدر السابق، 225-224.

[٣١٥] المصدر السابق،355-354.

الخاصة غير مضطر أو محرج بما في أشعار الأمم من خصوصية لا تتيح لغير أصحابها التغني بها.

إن طاغور قد أبدع في جملة من نصوصه الشعرية، وقد بلغ الغاية في الإبداع إذ وضف الطبيعة كمتكلم فصيح يعبر بها عن أحاسيس الإنسان جملة لا عن أحاسيسه هو وحده.

إن رمزية الطبيعة لا يمكن الإحاطة بها بل هي تجعل القارئ يتأرجح بين المعاني التي يراها موافقة لأحاسيسه حينا، أو مخالفة لها أحيانا أخرى، فقد يرى في لفظة الأرض مرة أما له، ويرى فيها نفسها عدوا له مرة أخرى؛ لأن رمزية الطبيعة فضفاضة واسعة.

المصادروالمراجع

- ✓ امرؤ القيس الكندي، الديوان، تح عبدالرحمن المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٥هـ.
- ✓ البيروني أبو الريحان، تحقيق ما للهند من مقولة، قدم له علي صفا، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- ✓ التبريزي يحيى بن علي، شرح القصائد العشر، إدارة الطباعة المنيرية، دمشق، سوريا، د ط، د ت.
- ✓ الحطيئة،الديوان،تحمفيدمحمدقميحة،دارالكتبالعلمية،بيروت،لبنان،ط١، ١٤١٣هـ.
- ✓ الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، تح ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ✓ ابنخلدونعبدالرحمن،تاريخابنخلدون،دارابنحزم،بيروت،لبنان،ط١، ١٤٣٢هـ.
- ✓ روبندرونات طاغور، هكذا غنى طاغور، ترجمت خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، دط، ١٩٨٩.
- ✓ ابنسعدالهاشمي،الطبقاتالكبرى،تحمحمدعبدالقادرعطا،دارالكتبالعلمية،بيروت،لبنان، ط١، ١٤٠٠هـ.

- ✓ السكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠١٤.
- ✓ الشهرستاني، الملل والنحل، تح عبدالعزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، مصر، د ط، د ت.
- ✓ طرفة بن العبد، الديوان، تح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٣هـ.
- ✓ عبدالرحيم العباسي، معاهد التنصيص، تحعبدالمجيدآلعبدالله،عالم الكتب،بيروت،لبنان،ط١، ١٤٣٢هـ.
- ✓ ابنالمعتزالعباسي،الديوان،دارصادر،بيروت،لبنان،ط٢، ١٤٣١هـ.
- ✓ ابنمنظور،لسانالعرب،دارصادر،بيروت،لبنان،ط٣، ٢٠٠٤.
- ✓ يحي العلوي اليمني، الطراز، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ✓ يوسف عيد، المدارس الأدبية ومذاهبها القسم النظري، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، ١٩٩٤.

الحب والمرأة في شعر طاغور
كما يلمح فى الأدب العربي

د/ يوسف محمد الندوي
الأستاذ المساعد ،كلية العلوم والآداب لدارالأيتام المسلمين بويناد. الهند

ملخص البحث

إن المكتبة العربية الحديثة غنية بالعلوم والمعارف والآداب والفنون العالمية وهي تقبل من ثقافات مختلفة للأمم المتنوعة وآدابها و أضافتها إلى ثروتها القيمة، كما تعطي منها إلى علوم سائر الأمم وثقافاتها أيضا. وأبقت أبوابها مفتوحة لكل شعوب وأقوام ولجميع ثقافات وحضارات وآداب وفنون، ومن ثروة الأدب العربي الرشيقة ما نقل إليها من إبداعات العملاق الهندي الفريد رابندرنات طاغور .

رابندرانات طاغور شاعر بارع ومسرحي شهير وروائي مبدع، ولد في مدينة كلكتا سنة ١٨٦١، وسافر إلى انجلترا فى عمره السابع عشر ليدرس القانون، ولكنه لم يستكمل هذه الدراسة فعاد إلى بلاده فزاد اهتمامه بأحوال بلاده ومواطنيه فأنشأ مدرسة تعنى بالنواحي الروحية والإنسانية والقومية. فاز بجائزة نوبل للآداب سنة ١٩١٣ بعد أن تعددت مجالات إبداعه في مجال الشعرو والمسرح والرواية. قد تغلب فى شعره نزعة الحب والإيمان وتصوير بديع عن المرأة والطبيعة. تحاول هذه الورقة لإبراز فلسفة طاغور عن الحب والمرأة في ضوء كتاباته المترجمة إلى اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: شخصية طاغور ، فنونه، فلسفته فى الحب والمرأة

المقدمة

كان رابنترنات طاغور نجما متلألأ فى سماء الأدب والفن، وفاح صيته آفاق الشرق والغرب، وهو شاعر شهيرومسرحي بارع وروائي مبدع وعبر عنه مهاتما غاندي"إن رابنترنات طاغور منارة الهند" وفى الحقيقة إنه صار منارة للشرق كله، ولسان الإنسانية والمحبة والجمال. إنه سحر الغرب بقلمه وريشه، وانتشرت الترجمات لمؤلفاته القيمة في معظم أنحاء العالم ، وكان مثالا للبساطة والعمل، وقيل عنه إنه أكثر الشعراء صوفية وأكثر الصوفيين شاعرية.

كما كان هو معلماً روحياً ومجدداً أدبياً واجتماعياً، وفيلسوفاً وروائياً ومسرحياً ورساماً، وقبل ذلك كله شاعراً، كان ينهل من إرث روحي عريق في البنغال، ومن تجربة داخلية عميقة كانت ينبوعاً لا ينضب للإلهام والإبداع. كان والده من كبار روحاني البنغال، وكان يعيش في عزلة مستمرة لا يتركها إلا لضرورة الاستمرار وتجدد الحياة. فقد نشأ رابندرانات طاغور في طقوس طاهرة وفي أجواء روحية شفافة.

ولادته ونشأته

ولد طاغور في ٦ من مايو عام ١٨٦١م في البنغال بشرق الهند، في ما يعرف اليوم باسم بنغلاديش لأسرة هندية عريقة، وكان أصغر إخوانه السبعة، سماه والده اسم رابندار ومعناه الشمس تيمنًا بأنه سيشرق كالشمس، وكان والده أحد أعلام نحلة اليوبانيشاد الدينية التي تركت في الهند أثرًا صوفيًا بالغًا. لم ينتظم طاغور إلى أي مدرسة فتلقى معظم تعليمه في البيت على أيدي معلمين خصوصين، وتحت إشراف مباشر من أسرته، ودرس الآداب السنسكريتية والبنغالية والإنكليزية. وفي الثامنة من عمره نظم أول أشعاره، وبعضها باللغة المحكيّة وفقت له زيارتان قام بهما والده في الهمالايا عن آفاق جديدة وعن تجربة صوفية كان لها أثر كبير في حياته، فتولدت في نفسه حب الطبيعة وحب الإله.

عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره توفيت والدته فجاء أثر رحيل الأم قاسيًا على نفسه وكتب يرثيها فقال: "سأنظم بدموع آلامي عقودًا ومن الدر أزين بها عنقك يا أمي، وحزني سيبقى لي وحدي لقد انطفأ المصباح الذي كان ينير ظلماتي"، وفي العام التالي انتحرت شقيقته.حينما تزوج كتب عن زوجته: "لقد داعبت موسيقى الأشياء كلها أعضاءها لتمنحها إهاب الجمال، إنها زوجي. لقد أشعلت مصباحها في بيتي وأضاءت جنباته."ولكن سرعان ما رحلت السعادة عن بيته فقد رحلت زوجته وهي في ريعان شبابها، ولحق بها ابنه وابنته ووالده في فترات متتابعة مما خلف في نفسه جرحًا عميقًا . ولكن طاغور يكتب في ديوانه "الهلال" يقول: "إن عاصفة الموت التي اجتاحت داري أضحت لي نعمة ورحمة، فقد أشعرتني بنقصي وحفزتني على نشدان الكمال وألهمتني أن العالم لا يفتقد ما يضيع منه."كما قال في قصيدة له: "سأحطم الحجر وأنفذ خلال الصخور وأفيض على الأرض وأملأها نغما، سأنتقل من قمة إلى قمة، ومن تل إلى تل، وأغوص في واد وواد. وسأضحك بملء صدري وأجعل الزمن يسير في ركابي[٣١٦]."

قد تولد من قلم طاغور السيال اثنا عشر رواية وإحدى عشر مسرحية - شعرية وموسيقية - وثلاث مسرحيات راقصة، وأربع مسرحيات ساخرة، وعدد من مجلدات القصة القصيرة، وعدد من كتب الرحلات، ومقالات متعددة في الأدب واللغة والتاريخ والفلسفة والتربية، وأربع وأربعون ديوانا شعريا، كما كتب قصصا عديدة وأغاني كثيرة ورسم لوحة تشكيلية غزيرة.

وفي سنه الثلاث والستين كان طاغور مهتما بالفن التشكيلي، وخلال زيارته لليابان عام ١٩١٦م تأثر طاغور مباشرة بالفن الياباني، كما زار طاغور متاحف أوروبا وأمريكا في الفترة ما بين ١٩٢١- ١٩٣٩ واحتك بشكل مباشر بمختلف تيارات الفن المعاصر في الغرب واستجاب وتأثر بها، ورغم أن طاغور قدم معرضه الفني الشخصي

[٣١٦] ، سميرة سليمان ،طاغور.. قلب نابض لم يتوقف عن الحلم ، www.albawabhnews.com/2653576

الأول في باريس عام ١٩٣٠م ،إلا أن النقاد الفنيين يعتبرون عام ١٩٢٤ عام بزوغ نجم طاغور الرسام ومنح جائزة نوبل للأدب ١٩١٣ عن قصيدته "جيتنجالي"التي ترجمها إلى الإنجليزية ١٩١٢. وهو أول شاعر يحصل على جائزة نوبل من قارة آسيا.

ومن أهم مؤلفاته "البستاني"و "الهلال "، و "دورة الربيع "، ومن مسرحياته "مكتب البريد "و "شيترا"، ومن أشهر مؤلفاته الفلسفية "السادهانا"و "القومية"و "دين الإنسان"، ترجم كثير منها إلى العربية وخاصة بمناسبة العيد المئوي بمناسبة العيد المئوي الذي أقيم في نيودلهي ١٩٦١. وأهم ما ترجم له إلى العربية "البستاني"و "جني الثمار"و "البيت والعالم "و "جيتنجالي "و "رعاة الحب "و "الزنابق الحمر "و "سادهانا "و "شيترا "و "مكتب البريد "، و "الهلال".

قال الكاتب الفرنسي أندريه جيد "ليس في الشعر العالمي كله ما يداني طاغور عمقًا وروعة."بدأت حياة طاغور الأدبية بنشر بعض المقطوعات والأغاني الشعرية، تبعها نشر قصة "الزهرة البرية"، وتشتمل على ستة فصول كتبها سنة ١٨٧٩م، وظهرت له في صحيفة "اليهاراتي" من صحف الهند الأولى "قصة شاعر" وكانت أول عمل له يظهر في كتاب مطبوع وقد قام بطبعه أحد أصدقائه. كان قد منح تكريمًا من دول العالم، ففي الهند حاز الدكتوراه الفخرية، كما منحته الحكومة البريطانية لقب "سير" وهو اللقب الذي قام بإعادته للحكومة البريطانية عقب الأعمال القمعية التي قامت بها عام ١٩١٩ بإقليم البنجاب[٣١٧].

جامعة طاغور

في عام ١٩٠٩م أنشأ طاغور في إحدى ضواحي "كلكتا" مدرسة سماها "شانتينيكيتان" معناها مرفأ السلام سعى من خلالها إلى تطبيق نظرياته الجديدة في التربية والتعليم، وذلك الجمع بين التقاليد الهندية العريقة والغربية الحديثة، كما

[٣١٧] والمرجع نفسه

حرص فيها أن يتلقى الطلبة دروسهم إلى جانب التمتع بالطبيعة والمساهمة في المحافظة عليها والزيادة في تجميلها، وقد ألقى طاغور في هذه المدرسة محاضرات قيمة التي جمعها في كتابه الشهير "سادهانا." قد أصبحت هذه المؤسسة التعليمية عام ١٩٢١ جامعته عالمية باسم "فيسفابهاراتي" وهي التسمية التي استوحاها من أحد الأبيات الشعرية السانسيكريتية وتعني "المكان الذي يتحد فيه العالم[٣١٨]"

فلسفة طاغور

يقول الباحث عرفان أحمد في بحثه عن "فلسفة طاغور فى الحب والجمال" إن فلسفة طاغور كلها تدورحول الحب والجمال، الذان يعانقان الوجود كله، وجود العالم في الإنسان ووجود الإنسان في العالم، إذ يصبح الحب البشري معبرا عن الحب الإلهي. فالحب هو المعنى الأسمى لكل ما يحيط بنا، فإن كان نور الشمس يفتح باب الكون فإن نور الحب يفتح كنوز العالم ولذلك علينا أن نحب لكي نعمل وعلينا أن نعمل لكي نحب. فالإيمان بالحب لا يزعزع الانسان ما قد يجلبه الحب من جراح وآلام، لأن الحب هو بداية المعرفة، كما أن النار هي بداية النور.. وحب طاغور يتجه إلى الإنسان والحيوان والنبات والطبيعة والحياة والموت وكل الاشياء المتعلقة بالجمال، جوهرالحب البراءة والبساطة اللتان تجعلان الطيور وأوراق الشجر قريبتين من قلبه قربهما من قلوب الأطفال. وهو حب إلهي وإنساني معا، في حين يتجلي المستشرف الأعلى في الإنسان، فالإنسان يتحلي قداسته.. وهنا تحمل كلمة طاغور الأخيرة معنى الصوفي، إذ هو يقول: أبدأ رحلتي صفر اليدين، ولكن بقلب مفعم بالرجاء، فأنا على يقين أني سأحب الموت كما أحببت الحياة[٣١٩].

عاش طاغور كل حياته مؤمنا بالانسان والحب والجمال، وكرس كل جهده ونشاطه الفكري لخير الانسان وانتج فكره النير كل القيم من أجل الانسانية. وخير

[٣١٨] سميرة سليمان ،طاغور.. قلب نابض لم يتوقف عن الحلم ، www.albawabhnews.com/2653576

[٣١٩] عرفان أحمد ، طاغور وفلسفته في الحب والجمال، منبر حر للثقافة والفكر والأدب ، https://www.diwanalarab.com

دليل على ذلك ما نقرأه في رسالته الأخيرة حيث يقول فيها "مهما يكن من شيء فاني لن ارتكب الخطيئة الخطيرة: خطيئة فقدان الإيمان بالانسان او الإذعان للهزيمة التي حاقت بنا في الوقت الحاضر على اعتبارها نهائية وحاسمة، بل سأظل اتطلع بأمل الى تحول في مجرى التاريخ بعد ان تزول هذه الغمة الجاثمة، وتصفو السماء ثانية وتهدأ، وربما بزغ الفجر الجديد من افقنا هذا، افق الشرق، حيث تشرق الشمس. وعندئذ تهب روح الانسان التي تهزم لتقوده من جديد الى طريقه، طريق التقدم رغم كل العوائق، ليسترد تراثه الضائع[٣٢٠]."

الحب عند طاغور

ومؤلفات طاغور تشتمل علي تلك الشذور الراقية، والشذرات الصوفية العذبة، وكتاب اليراعات، يقول مترجم اليراعات الكاتب اليمنى رياض حمادي: هي مجموعة أمثال وحكم وأقوال مأثورة كتبت في الأصل على قطع من الحرير في الصين واليابان التي زارها طاغور وجمعها في مفكرته، ونشرت بالإنجليزية لأول مرة في عام ١٩٢٨. وتتسم "اليراعات" بقصرها فهي أقرب إلى بنية قصيدة الهايكو، وتحمل في مجملها صورا عن الحب والحياة والجمال والمقدس، ويبلغ عدد اليراعات ٢٥٥[٣٢١]:" وإليكم بعض الأمثلة التي تتميز بأسلوبها الجياشة ومعانيها الخلابة

- ❖ لن تجد قوة الله العظيمة في العاصفة، وإنما تجدها في النسيم الرقيق .
- ❖ تمر الأفكار بذهني كأسراب البط في السماء، إنني أسمع رفيف أجنحتها.
- ❖ العفة ثروة تأتي من وفرة الحب .
- ❖ الإنسان يضع المتاريس أمام نفسه .
- ❖ شكرا للأشواك علمتني الكثير .
- ❖ إننا نعيش في هذا العالم حين نحبه .

[٣٢٠] والمرجع نفسه

[٣٢١] ، خالد جودة احمد، ومضات ساحرة من أدب طاغور https://middle-east-online.com

❖ أيتها الأفكار الهلوع لا تخافي مني، إنني شاعر .
❖ يرحل الظلام صوب النور، ولكن العمى يرحل صوب الموت .
❖ إن الذي يبغي عمل الخير يطرق الباب، أما الذي يحب فيجد الباب مفتوحا.
❖ إن نور الشمس يفتح باب الكون كما أن نور الحب يفتح كنوز العالم[٣٢٢] .

يقول فى الحب: يجب أن تحب لكي تعمل ويجب أن تعمل لكي تحب. وبلغ من إيمانه بالحب أنه قال: "عليك أن تؤمن بالحب حتى لو جلب عليك الألم ." يهمس القوس للسهم قبل أن ينطلق: حريتك في يدي

❖ لا يمكن أبدا للزيف أن يتحول إلي حقيقة، ولو أدى به الأمر إلي الاستعانة بالقوة .
❖ إذا كنت تريق الدموع لفقد الشمس، فسوف تفقد النجوم كذلك .
❖ الراحة من العمل كالجفون للعيون .
❖ حين يغدو الإنسان حيوانا، يكون عندئذ أسوأ من الحيوان .
❖ أيها الجمال إنك تجد نفسك في الحب، لا في المرآة المداهنة .
❖ يتمني الطائر أن يكون سحابا، ويتمني السحاب أن يكون طائرا .
❖ لتكن الحياة جميلة كأزهار الصيف، والموت كأوراق الخريف.
❖ الحياة الروحية هي أساس الكمال الإنساني ومصدر الطمأنينة النفسية
❖ شمس تشرق دائما، فلماذا الحزن الذي يأتي مع الليل[٣٢٣]!

وقال في مناجاة رقيقة للخالق تعالى:

❖ هذه صلاتي إليك يا رباه،
❖ انزع هذا البخل من قلبي،
❖ واجتثه من جذوره،

[٣٢٢] والمرجع نفسه
[٣٢٣] والمرجع نفسه

- ❖ وامنحني القوة حتى أصبر على الأفراح والأتراح،
- ❖ امنحني القوة حتى أجعل حبي مقرونا بالتفاني،
- ❖ امنحني القوة حتى لا أحتقر الفقير أو أخضع للقوة الطاغية،
- ❖ امنحني القوة حتى أسمو بروحي فوق توافه الحياة،
- ❖ امنحني القوة حتى أهيم بحبك، وأبقي رهن مشيئتك[٣٢٤].

المرأة عند طاغور

- ❖ هي الوحي في فكر العقول تهفو..
- ❖ هي الزهر في روض الغرام تنمو..
- ❖ هي الطير في جو الهيام تعلو..
- ❖ هي النجم في لثام الحب تبدو..
- ❖ هي القمر في ظلام الليل تزهو..
- ❖ هي الشمس في فضاء الكون تسمو..
- ❖ هي السعادة في سماء الحب ترنو..
- ❖ هي الروح في أجواء العواطف تجثو..
- ❖ هي الجمال في معاني الحنان تشدو..
- ❖ هي الفتنة في ألوان الجاذبية تغدو..
- ❖ هي الحب في قضايا العشاق تشكو..
- ❖ هي قبلات في ليالي الربيع تحلو..

ذات مرة سئل عن رأيه في المرأة فقال:

أعتقد أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق المرأة إلا بعد أن جمع ما جمعه من الطبيعة فأخذ "

[٣٢٤] والمرجع نفسه

- من القمر... استدارته
- ومن النجوم... لمعانها
- ومن الشمس... وهجها
- ومن الغيوم... دموعها
- ومن الرياح... تقلبها
- ومن البحر... عمقه وغدره
- ومن النهر... هدوءه
- ومن العاصفة... عنفها
- ومن الأمواج... مدها وجزرها
- ومن الندى... رطوبته
- ومن النسيم... رقته ورخاءه
- ومن العشب... اهتزازه
- ومن الورق... خفته
- ومن الأغصان... تمايلها
- ومن الورد... لونه وعطره و.... شوكه
- ومن الجوهر... صلابته
- ومن الذهب... لمعانه
- ومن العسل... شهده وحلاوته
- ومن العلقم... مرارته
- ومن المها... عيونها
- ومن الأرنب... حياءه وخجله
- ومن الطاووس... خيلاءه وزهوه
- ومن الظبي... نظرته

- ومن الغزال... رشاقته
- ومن النمر... شراسته

وجمع الخالق كل هذه العناصر في بوتقة واحدة فخرجت المرأة وأهداها للرجل لتكون رفيقة دربه وشريكة حياته في أفراحه وأحزانه لكن الرجل عاد إلى ربه بعد فترة و شكره على هديته وقال له:

- ياربي إن المرأة كثيرة المطالب والمصاعب....
- ومرها أكثر من حلوها...
- فأبعدها عني
- فاستجاب الخالق له
- ولكن بعد أسبوع عاد الرجل ليناجي ربه قائلاً:
- رباه إن حياتي أصبحت موحشة... أشعر أنني في منفى
- رحماك ربي...
- أعد إلي المرأة لأنها
- نور حياتي... ومؤنسة وحشتي... وزهرة أيامي
- وأيقنت الآن أنا لولا المرأة لكانت الحياة صحراء مقفرة

فعلي الرجل ان يحافظ جيداً على هدية الخالق هذه إليه وأمانته التي استودعها عنده.

- ويحملها بحلوها ومرها... بوردها وشوكها
- فهو الصدر الحنون
- والأب المتفهم
- والأخ القريب
- وان يتأكد... إن فقد ها في يوم من الأيام فسيفقد معها السعادة[٣٢٥].

الخاتمة

[٣٢٥] https://www.diwanalarab.com

إن عالم طاغور الأدبي والفني يتسع باتساع معنى الإنسانية والحب ويتأنق بتأنق الطبيعة والجمال، هذه الورقة اطلاع بسيط إلى ابداعات ذلك الشاعر العملاقي وإلى حبوب الجوهرية من أفكارو وتصوراته، وحاولت أن تأتي بصور بديعة من أعماله الفنية، حتى يتطلع القارئ إلى أفكاره الحارة وعواطفه الجياشة وفلسفته الفريدة عن الحب والمرأة والجمال والطبيعة.

المصادروالمراجع

- ✓ روائع في المسرح والشعرلطاغور تعريب: بديع حقي ، الناشر: دارالمدى للثقافة والنشر، دمشق .بغداد .بيروت الطبعة: الثانية ٢٠١٠
- ✓ هكذا غنى طاغور لطاغور تعريب: خليفة محمد التليسي، الناشر: الدار العربية للكتاب، تونس .ليبيا الطبعة: ١٩٨٩
- ✓ ذكرياتي لطاغور تعريب: صلاح صلاح، الناشر: المجمع الثقافي، الإمارات ١٩٩٥
- ✓ قرابين الغناء "جيتا نجالى" لطاغور تعريب: ظبية خميس، الناشر: المركز القومي للترجمة، القاهرة الطبعة: الأولى ٢٠٠٨
- ✓ البستاني لطاغور تعريب: وديع البستاني ، الناشر: مؤسسة هنداوي، القاهرة https://www.diwanalarab.com
- ✓ عرفان أحمد ، طاغور وفلسفته في الحب والجمال، منبر حر للثقافة والفكر والأدب ، https://www.diwanalarab.com
- ✓ خالد جودة احمد، ومضات ساحرة من أدب طاغور https://middle-east-online.com
- ✓ سميرة سليمان ،طاغور.. قلب نابض لم يتوقف عن الحلم
- ✓ www.albawabhnews.com/2653576
- ✓ خالد جودة احمد، ومضات ساحرة من أدب طاغور https://middle-east-online.com

فلسفة رابنترناد طاغور
في التعليم والتربية

أجو شاهد أ، باحث كلية الجامعة، تروانانتابورم

ملخص البحث

تعد الفلسفية الطبيعية والفلسفية المثالية أهم الفلسفات التي نراه في المجال التربوي منذ الجيل الأقدم. إن الفلسفة الطبيعية تتركز على "الطبيعية" في التعليم ، أي يكون التعليم فعالية في توافق صارم مع الطبيعية يمنحه الحرية الكاملة للطفل في التعليم. وكما تركز على أهمية العناية بتربية الجسم. تعني للجسم والعقل عناية خاصة في هذا المنهج. أما الفلسفة المثالية تعتبر عالم المثل هو العالم الأصل بينما العالم المادى الذي يحتوي حقائق مطلقة. ويركز الفكر القيمي في هذه الفلسفة على أن القيم ذات وجود حقيقي في نفسها فهي أولية و خالدة فطرية. وضع هذا المنهج الدراسي "أفلاطون".

وضع "راينتراناد طاغور" (١٨٦١-١٩٤١) فلسفيات متعددة في مجال التربوية حسب المثل الإنسانية وقيمته مع نظريات "المثالية" و "الطبيعية" التى ينطوي لكل مستوى الحياة البشرية. كان لديه إيمان راسخ بفلسفة "الفيدا" ولإعطاء النوع الصحيح من الحرية للغرد" وكما لديه إيمان راسخ ل"الروح" و"الطبيعية" وتتركز كلهم مع مجال التربوية. تؤدي إن لكل العمل التي جرت في الطبيعية ، تبى خلالها المعرفية".

حياته ونشأته

روبنترناد طاغور (١٨٦١-٤١) هو أديب ومفكر وشاعر ومسرحي وصاحب نشيد الوطن للطنين الجمهورية الهند والبنغلاديش. وهو أعظم مفكر للقرن العشرين في مجال الفلسفة والتربية الحديثة. كان له أثر كبير لتقديم الثقافة الهندية إلى الغرب.

وينظر إليه عموما، وهو صاحب الإبداعات في مجال الدراسة. وُلد هذا الفيلسوف بأسرة متوسطة في منطقة البنغال. بعد انتهاء دراسته الإبتدائية من منزله القى إلى المعهد البنغال حيث تطورت له تطرا من الجامد والباهت السائد. كان أبوه "دبندرانادى تاغور" وهو زعيم الحركة "برهما سماج".

كان طاغور أجاد في اللغة السنسكريته والفلك والفلسفة والهندسة. ولما بلغ سابع عشرة من عمره أرسل أبوه إلى إنجلترا لتلقى الدراسة الرسمي ؛ ولكن لم يكمل دراسته هناك. وفي الجانب، كان اتجه إلى شفتة الأدبية متوفرة ، وتطورت نشطات الأدبية متعددة.[٣٢٦] ، أنشأ تحريبية في "شانتنكيتن" حيث مثل "أوبنشت" العليا للتعليم. ومن هذا الجانب شارك في المعركة القومية ضد البريطانييون مع مهاتماغاندي[٣٢٧].

حقق طاغور نجاحا مبكرا ككاتب في موطن البنغال قام بعض الأدباء يترجم بعض قصائده إلى اللغة الأوروبية حيث ذاع صيته في الآفاق. في الواقع اشتهرت شهرته ارتفاعا مشوقا حيث أصحه عبر القارات في الحضارة والصداقة. وقد أصبحت كتاباته ونظرياته الفلسفية الطبيعية كما تركزت حول الفلسفات "الويدا"(VEDA)، والروحية والطبيعية. ومن أشهر مؤلفاته "غيناتجلي" فقد ترجمت إلى كثير من اللغات العالمية، وهكذا من كتابه "مانس" ١٨٩٠م،[٣٢٨] "جن جن من" وفي عام ١٩١٤م، حاز جازة نوبيل بترجمة "غيتانجلي" إلى اللغة الإنجليزية". وفي سنة ١٩١٥م، منحه شهادة الدكتوراه من الحكومة الهند بسبب مشاركة وفعاله في مجزرة "جليان والا باغ"[٣٢٩]. أسس ويشو بهارتي في سنة ١٩٢١م، وتوفي ٧ آب ١٩٤١، وعمره نحو ٨٠ سنوات.

الفلسفية التربوية على أساس رابنترنات طاغور

---

[٣٢٦] NOBEL PRIZE LITERATURE.COM

[٣٢٧] موهنداس كرم جندر غاندي (1869-1948)م هو سياسي البارز والزعيم الحركة الوطن الهند.ويعده "أبو الوطن الهند".

[٣٢٨] Preserve. Araticles.com/notes on/ ravintranadh tagore

[٣٢٩] حدثت في منطقة أمرتسر شمال الهند في 13 نسيان 1919م، كانت ضربة الحرب الثقيلة والتجنيب الإجباري المفروض على الشعب الهندي (ويكيبديا موسوعة الحرة)

كان رابنتر نات طاغور هو فيلسوف شاعر ومسرحي ومعلم وكاتب المقالات ورساما ذاع صيته واستبد فلسفيته في الحياة على مبادئ الوطنية والطبيعية على الرغم من أنه كان فيلسوفا مثاليا الا أن أفكار المذهب الطبيعي وبراغمنتيا تنعكس أيضا في فلسفيا. قال "التعليم العالي، هو الذي يمنحنا معلومات ، فحسب بل يجعل فنا منحه مع كل الوجود، تركزت فلسفية تاغور على ويدا (Vedas)،والإنسانية (humanism)، والطبيعية (Naturalism)، والفردانية (Individualism).

ينظر طاغور بجهة الإسانية (humanist)[٣٣٠]، تتحدث فيه عن الإخوة البشرية والعبودية الروحية للكون. يهدف بالتعليم فيها على تطور جميع جوانب شخصية البشرية من الجسدية والفكرية والروحانية. هناك لاحظ أنه "ان الإله يعتمد على الإنسان باتقان الكون (Tapty& sadana)، قال طاغور" لدى إيمان كبيرا الإنسانية مثل "إن الشمس التي تمكن أن تكون غائمة ، ننطفئ أبداً ، اعترف أنه في هذا الوقت الذي اجتمعت فيه الجناس البشرية معا. كما لم تحدث م قبل عن تبدوا العناصر الأساسية السائدة.[٣٣١]

ينظر طاغور بجهة الفردانية (Individualist)،يحدث أنه إن لكل فرد له قدرة الفطرية الخاصة التي تجعله فريدا من خلال تعزيز المقدرات التي تمكن للمرء أن تحقق حالة الكمال. ولذلك على المعلم والمتعلم حق أن يجعل العلم وقائمته وطبيعته مناسبة للطلاب. أما من جهة المثالية (idealist)، فكرة تبسيطا وفسادها اعتقد أنه أن الرجل الذي يجب أن يترك للحقيقة المطلقة إلى تحررنا من دورة الولادة والموت. الفكرة المهمة من كل الفلسفة التي وضعت طاغور في مجال التربوية الحديثة ، هي من جهةالطبيعة.(naturalist) يقال "إن الطبيعة مدرّس حقيقي، ويبحث تدرس المواد من

[٣٣٠] "https://www.slideshare.net/kamyathakur37/rabindranath-tagore-on-education 23 september 2013

[٣٣١] Tagore and Gandhi: Thought and idea of international education, Department of Education, University of Tripura, Paper V Ba Education, page number (41)

خلال استفادة هؤلاء العناصر المختلفة الموجودة في بيئة الطفل حتى يمكن من فهم الموضوع بطريقة الفعالة لا يمكن للتعليم أن يزدهر بشكل مناسب في بيئة الفصول الدراسية الجامعة. يجب أن يكون في بيئة مفتوحة مثل نظام "جرجل" Gurukul، حيث يتعلم المتعلمون الموضوع وقفا بخبراتهم. أكد على يتعلم الطفل من خلال تجاربه الخاصة التي وردت من الطبيعة , يبنى العلم من خلال جانبه ،يمكن العقل من اكتشاف تلك الحقيقة المطلقة التي تحررنا من عبودية الغبار وتطبيقا ثروة لسي الأشياء وبل من النور الداخلي، وليس من القوة بل من الحب. إنها عملية التطوير، وكما تساعد في إدراك الفهم الطبيعة.[٣٣٢] بصفة "ويدانتا" كان لديه إيمان راسخ بفلسفة "فيدا". فآمن إنه في "براهما". توجد فيه طاغور رابطة روحية بين الإنسان.

مدرسة شانت نكيتن (school of Shanti Niketan)

أنشأ طاغور معهد شانتنيكيتن في ٢٢ كانون الأول ١٩٠١م كمدرسة تجريبية في قرية شانتنيكين وليور مع خمسة من طلاب، وعدد مساو من المعلمين. كان طاغور يقوم بنفقات هذا المعهد كلها من ملكاته الذاتية حتى سنة ١٩١٢م. وفي سنة ١٩١٣م أنه استلم جائزة نوبل ساهم لتثيبت نعمة مالية لهذا المعهد. وفي أواخر ١٩٣١م ، روج طاغور شانتنيكيتن إلى دراسة بمستوى الجامعة يقال لها فيشويبهارتي. وهي أصبحت الآن جامعة مركزية عالمية في الهند.[٣٣٣] تهدف هذه المدرسة على :الجمع بين التعليم والشعور بالإلتزام تجاه إلى المجتمع المدني الأكبر تمزج بين المناهج الدراسية فيها بين أفضل أنزظمة التعليم العربية والشرقية التقليدية وتدورها بشكل عضول حول الطبيعية مع إقامة الفصول الدراسية في الهواء المطلق. أدار الطاغور أن شعر طلابه

[٣٣٢] Trivani.C Boomi Magazine. Org February 2018

[٣٣٣] مزاج الرحمن تعلقدار، رابندر نات تاغور وفلسفته التربوية، مجلة دراسة عربية ص١٩٧

بالتجربة على الرغم وجودهم في بيئة التعليم الرسمي للمدرسة[٣٣٤] فقد قصر طاغور ، أن يكون هذا المركز موطن للباحثين والفلاسفة.حيث أنشأ فيها أقساما للدراسات عن الثقافات والحضارات والتقاليد المستقلة مثل تنشأ قسم مستقل للدراسات اللغة الصينية والإسلامية.

ويشو بهارتي

كانت فكرة ومؤسسة Vishva- Bharati ، التي اعتبرها طاغور أعظم إنجاز في حياته ، تتويجًا لتلك المثالية التي طبعها في ذهنه في سن مبكر. حصل على تجربتهالمباشرة للثقافة الغربية منذ أواخر سبعينيات في القرن التاسع عشر وعرّض المجتمع الغربي للدراسة. كان بالتأكيد يكره الحداثة العصرية للشعر الغربي في أوائل القرن العشرين. لكن جوهر الحداثة لم يخيب آماله أبدًا. وبالنسبة لطاغور لم تكن الحداثة العبارة عن نشر مجرد جهاز أو أسلوب أو تكنولوجيا لاي من اللغة وشكلها ، بل على عكس تضمن حرية الاختيار في تحديد مسار العمل أو تشكيل وجهة نظر الحياة. لم تكن الحرية السياسية غير مهمة بالنسبة له ، لكن حرية العقل كانت ذات أهمية أكبر بكثير. كان تأكيد الهوية الفردية للفرد مسألة ذات قيمة بالنسبة له ، ولكن الأهم هو كيفية ارتباط تلك الفردية بالمجتمع على شكل كبير. تتضمين أكثر الفرضية الأساسية لهذه الفكرة في مفهومه عن Atmasakti الذي تمت صياغته في وقت مبكر من عام ١٩٠١. أنا أعتبر هذا المفهوم بمثابة القوة الدافعة لكل ما فعله طاغور في جهوده لترجمة هذه الأفكار إلى ممارسة.

آراء طاغور في مختلف جوانب التعليم

[٣٣٤] The better India, sanharipal "travels talks explonarary Tagor's Shantiniketan in a Bond of learning unlike Anything in the world"

الهدف من التعليم وفقًا لطاغور "هو التعبير الإبداعي عن الذات من خلال الجسدية والعقلية والجماليةلأخلاقية. وتشدد الحاجة إلى تنمية التعاطف والحساسية وضرورية وجودالعلاقة الحميمة مع البيئة الثقافية والطبيعية للفرد. رأى التعليم كوسيلة لتقدير أغنى جوانب الثقافات الأخرى ، مع الحفاظ على الخصوصية الثقافية للفرد.

١) معنى التعليم: التعليم يقتصر إلى الهدف الأساسى للإنسان ، نمو الكامل والحرية الروح بالنسبة للطفل ، ستوفر البيئة خلفية جاهزة دائمًا لنشاطها التلقائي.إن تعليمنا الحقيقي ممكن فقط في الغابة من خلال العلاقة الحميمة مع الطبيعة.
٢) حرية العقل: الهدف من التعليم هو حرية العقل ، والتي لا يمكن تحقيقها إلامن خلال طريق التعليم المباشر.
٣) الأطفال كأطفال: من الخطأ الحكم وفقًا لمعايير الكبار. الكبار يتجاهلون هداياالأطفال والإصرار، على أن الأطفال يجب أن يتعلموا من خلال نفس العملية التي يتعلمونها. هذا الرجل الأكثر قسوة وأكثر خطأ إهدارًا. العقل الباطن للأطفال أكثر نشاطًا من ذكائهم الواعي.
٤) الانضباط والحرية: لا يمكن وضع المثل العليا الحية في ترتيب الساعة. كتب طاغور "لا أقول عليه أن يكتب هذا أو منع من كتب هذا، أنا لا أعاقبهم بذلك.
٥) الاتصال الحي بين المعلم والمعلم: في التدريس ، يجب أن يكون التوجيه هو الحب الشخصيعلى أساس العلاقات الإنسانية. في التعليم ،. المعلم هو لتوجيه وتحفيز الطلاب. وأشار إلى أن المعلم لا يمكنه أبدًا التدريس حقًا إلا إذا كان لا يزال يتعلمنفسه. لا يمكن للحمل أن يشعل خروفًا آخر إلا إذا استمر في الاشتعال بلهبته. لذلك يجب على المعلمكن دائما مدرس.

.

الأهداف التربوية عند طاغور

إدراك الذات : إدراك الذات هي إجراءات الإستنباط وإمكانية لإدراك الذات الفرد وتختلف عن الآخرين. وهي طريقة لفهم وجود المرء بوعي كامل. ومن جهة أخرى، أنها تقوم على إدراك المرء كما يفكر في الوجود في أفكاره ويقتها وقفا لمتطلبات الموقف.

تنمية الأفكار ونمو الفكر: يتكون هذه مجموعة من الأشياء التي تساهم للمتعلم بتصوير أسلوب تعليم الخاص به. وفي ميل الإبداع والفصول والحرية واليقظة وهذه العناصر كلهم يستطيع أن يضع الكمالية في الحياة.

التنمية الجثمانية : أعطى طاغور أهمية كبيرة للتطور العقلية والتغيير الإستطهم الجثمانية للطلاب من خلال يوغا، وألعاب والرياضات المختلفة.

المحبة الإنسانية : أنها تعتبر علاقة وتفاهيم قوية بين الإنسانية وإخوانية الدولية.

التنمية الطبيعية : الإنسان وهو حيوان إجتماعي ، يتركز هذه النظريته على أساس البيئة التي يتكون كمعلما جيدا، إنها توفر البيئة الإيجابية للمتعلمين لأ يكسبون المعرفة من خلالها.

التحرير: تتركز هذه الغاية التربوية ليحصل المعارف على أساس الحرية بثلال فئاة هي حرية القلبية ، وحرية الإدارة، وحرية الفكر.

التنمية الأخلاقية والروحانية : تقول فيها يجب أن تكون توفيرا كافا لتنمية وتعزيز وتطوير الأخلاق والروحي في التعليم. ومن أمثالها "المساومة، والعناية والتعاون في التعليم وما إلى ذلك.

التنمية الإجتماعية : يشتمل فيه الشخصيات الإجتماعية التي تمكن للمتعلمين من عيشة حياة صديرة بالحفاز علة العلاقات الإجتماعية.

العلاقة بين الأهداف : يؤكد هذه العلاقة الموجودة بين "الإله والإنسان، والطبيعة". حيث يمكن أن تكون هذه العلاقة بكلمة كاملة[٣٣٥].

لغة الأم كوسيلة للتعليم :

وضع طاغور اهتماما كثيرا على استخدام لغة الأم. وفي تلك الأيام كان المثقفون يستخدمون اللغة الإنجليزية في أعمالهم، ويلقون محاضراتهم، في أعمالهم. وكان الناس يلقون محاضراتهم في الإنجليزية في احتفالات الجامعية. عندما كان المعظم الناس يؤدون ال"تعليم باللغة الإنجليزية على الرغم من ذلك كان طاغور يحاول لوضع لسان الأم البنغالية في البنغال ليفهمها موقفا يليق بها.[٣٣٦]

دور المعلم عند الطاغور

فقد أعطى طاغور دور مهم للمعلم وطلب منهم للخروج من الأنشطة المتوالية. فهو يؤدي كان إيمانا راسخا بالمهاراته وخبراته وبراعته الفعالة. ولذلك يجب على المعلم أن يتصرف معه بحب وحنان وتعاطف. قام المعلمون على الطلبة بتوفير بيئة مناسبة بدلا من التركيز على الكتاب المقرر حتى ينحدر في الأنشطة مفيدة وبناءة ويتعلم من تجاربه الخاصة. وكان المعلمون الناشطون أن يكون مشغولا جدا بتوفير المقدرات الإبدائية حتى أصبحوا مسؤوليين بالأنشطة والخبرة والبناء. إذا قلنا بختاما بذلك "أن نقل المعلومات من ناحية التعليم نجاحا كبيرا من خلال فهم الطفل ووضع نفسك تماما في الحب والإتحاد[٣٣٧].

والإتحاد[٣٣٧].

الخاتمة

يجد الباحث في فلسفة طاغور التربوية على مبادئ التالية

---

[٣٣٥] "Role and impact of Rabindranath Tagore education philosophy in Contemporary Indian education". Ram Tirath, Indian journal Business administration and management 2017. Vol.7

[٣٣٦] المصد السابق

[٣٣٧] المصدر السابق

١) توفير الحرية للطلبة تتركز على الطبيعة
٢) التعبير الذات
٣) الإرتباط المباشر مع المجتمع.

حققت هؤلاء المبادئ التي وضع طاغور تحققت عبر مدراسه، ومن هذه فكرة مهمة ساهم طاغور لتطوير مجال التربوية مع ارتباط العناصر الطبيعية والبرغمانتية والممثالية. يقول الدكتور رادها كرشنن "كان طاغور لم بزعم ولم يضع أي نتائج الفلسفية الأصلية، ولم يكن من هدفه تتركز على التقاليد الهندية. ولكن عبر هذه كلهم من عباراته الحية والكلمات استعارة وعلاقتها بالحية العصرية. ولذلك قلي أن طاغور ساهم من مفاهيمه المهمة لتعزيز مجال التربوية مفيدة في العصر الراهن.

المصادروالمراجع

- ✓ مزاج الرحمن تعلقدار، "رابندرنات طاغور :وفلسفته التربوية" مجلة دراسة عربية، جامعة جوهرلال نهرو
- ✓ محرردیفیبراسادرابیندراناثطاغور: فلسفةالتعلیموالرسم،نیودلهي: صندوق الكتاب الوطني، ٢٠٠٧
- ✓ Kamya Takur, Slide Share, "Rabindranath Tagore on Education, 23/9/2019 site access on 16/7/2021
- ✓ Jooly soonker, "Philosophy of education according to Rabindranath Tagore, Banaras Hindu University, May 2020, date of access on 16/7/2021
- ✓ Swastik, preserve articles.com "Notes on the Philosophy of Rabindranath Tagore site access 16/7/2021
- ✓ Viswabharathi.ac.in
- ✓ Nobel Price Literature.com

✓ Sharmila Banerjee, "pedagogy in phathabhavana school of Tagore Shanthiniketan, "journal of Indian education vol.35. N.3 November 2009, Page Number 18-26

✓ Ram Tirath, "Role and impact of Rabindranath Tagore education philosophy in contemporary Indian Education, "Indian Journal of business administration and management vol7. Number 1 2017

✓ Boomi magazine .org "Rabinranath Tagor's Philosophy on Indian Education 6 February 2018 site accessed on 16/7/2021

✓ Department of Education, Tripura University Tagore and Gandhi: Thoughts and idea of education, PAPER V BA Education.

✓ Shanharipal, The betterindia.org "Travels talks explonare tagor shanthiniketan a bond of Learning Unlike Anithing the world.

أدب الرحلة إلى الهند

النقد السياسي في الهند
من خلال رحلة ابن بطوطة

د. أميرة علي زيدان
أستاذ مساعد، جامعة صنعاء،اليمن

ملخص البحث

تعدّ مسألة النقد السياسي في النص التراثي مسألة مهمة لما فيها من مرجعيات فكرية وأيديولوجيات متعددة، خاصة ما يطرحه النص (الجملة الثقافية) من إشكاليات مختلفة تؤسس لمرجعيات وفلسفات ذات توجه ثقافي مزدوج وبشكل خاص إذا كان النص يحمل في طياته لأكثر من ثقافة، وهذا فعلا ما وجد في أدب الرحلات، التفرع الثقافي المتعدد، حيث يخلق في ذهن المتلقي معرفة كبيرة من خلال تعرّفه على ثقافات أمم متعددة محيطة به يتأثر بها ويُؤثر فيها، فكانت الهند إحدى تلك المعالم التي استنطقها النص في رحلة ابن بطوطة، فكانت فيها المآثر التي خُلِّد ذكرها عبر مجموعة من الدوال في ما يُسمى أدب الرحلة.

الكلمات المفتاحية : النقد الثقافي،الأنساق المضمرة،نسق الهيمنة،النسق السلطوي

المقدمة

يتجاوز أدب الرحلات بفعله البعد الجغرافي، حيث شكّل مرجعية حضارية متنوعة الدلالات المكانية والزمانية، فضلًا عن تقديم مجموعة من الأنساق الثقافية التي حملت التراث الإنساني بشكل عام، وبنظرة عميقة للذات البشرية التي كانت تبحث عن جميع أشكال التواصل؛ فإنَّ أدب الرحلات شكّل حلقة وصل بين مختلف الحضارات الإنسانية خاصة مسألة التبادل الثقافي، ومرجعياته المذهبية والفكرية، التي أسست لعلاقات أكثر اتصالًا بين حضارات الشرق والغرب ليصبح الإنسان فيها مورد تلك الثقافات بما يحمله من حمولات متعددة تُشكّل الوعي الجمعي لأي أمة من

الأمم، وهذا الأمر جعل من النسق الثقافي عند كلِّ مجتمع له خصوصية في تكوينه المعرفي، وبذلك فإنَّ النقد السياسي في الهند له خصوصيته نستشفها من خلال رحلة ابن بطوطة في سرده الماتع. وستسير الدراسة وفق منهج النقد الثقافي الذي يتواءم وطبيعة النص التراثي؛ لقراءة الأنساق المضمرة التي تحمل تجاربَالمعارف وتشكّل الأطر النصية للغة.

وتأتي أهمية الدراسة في أنَّها تعدُّ من الدراسات النقدية المعاصرة، إذْ تتناول نصًا تراثيًا نثريًا وفق منهج النقد الثقافي، بشكل عام وقراءة النقد السياسي في الهند بشكل خاص وفق الأنساق الملائمة، أي أننا نتوسل بالمنهج لمعرفة كنه الأنساق المضمرة المشكِّلة للنص، وبذلك أصبحت الأنساق الثقافية المضمرة في النص التراثي بمثابة عتبة حقيقية لحوار ثقافي إنساني متعدد سوف تكشف عنه دراسة (النقد السياسي في الهند من خلال رحلة ابن بطوطة) .كما تنطلق الدراسة من إشكالية : هل يمكن للنقد الثقافي أن يُبرز النسق السياسي في إطار نقدي واعي بالرغم من أنه نص تراثي رحلي؟ وهذا ما سيحاول البحث الإجابة عنه من خلال الأنساق، وما تؤسس له من حوارية ثقافية إنسانية واعية بشكل عام. حيث تحاول الدراسة أن تستقرئ جزءًا من النصوص المروية في كتاب (رحلة ابن بطوطة تحفَة النظّار في غرائب الأمصارِ وعجائب الأسفار) ([٣٣٨]) التي تختص بجزئية العنوان، أي ما له صلة بالنقد السياسي.

النقد الثقافي

يعد النقد الثقافي أحد المناهج التي ظهرت ما بعد الحداثة، وقد استفاد بما جاءت به المدارس النقدية السابقة في توظيف مفاهيم عديدة: كالسياسية والفلسفية والاجتماعية والنفسية والتاريخية والنصّية وغير ذلك.فالنقد الثقافي لا يعد مجالًا معرفيًا قائمًا بذاته خاصة، بل إنه "نشاط فكري يتخذ من الثقافة شموليتها موضوعًا

[٣٣٨]) مدونة الدراسة:رحلة ابن بطوطة (في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار)، تقديم وتحقيق: محمد عبد المنعم العريان، راجعه: مصطفى القصّاص، دار احياء العلوم، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٧.

لبحثه وتفكيره ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها"([٣٣٩])، وكون النقد الثقافي نشاطا وليس مجالا منفصلا بذاته عن غيره يعني أنه فعالية ترمي ممارسة واستثمار ما هو متاح لها وما يدور حولها، مما هو موجود من تنظيرات وإجراءات في ميادين مختلفة، والنقد الثقافي يمثل نقلة كونه نشاطا يستهدف أولا: الثقافة بتشكيلاتها وتمظهراتها المختلفة، ثانيًا: يقوم بوظيفة معالجة الأعمال الأدبية في ضوء عدة سياقات ثقافية متقاطعة فيما بينها.

والنقد الثقافي لا يرصد الظاهرة آنيا، بل ينقب عن جذورها ويكشف عن ارتباطاتها الفكرية والسياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والتاريخية وما إلى ذلك، ولا يقف عند حدود المعالجة أو النظرة السطحية التي تمس ظاهر الأشياء، بل يوغل في تحليل الظاهرة واستخراج كوامنها والكشف عن أنساقها الخفية؛ لذا فهو لا يستوقفه جمال الظاهرة بقدر ما يسعى إلى اكتناه دواخلها وسبر أغوارها والوصول إلى ما يستقر فيها .

كما أنه من العبث تصور نقد ثقافي مستقل عن الخطابات الأخرى، إذْ إنه من الضرورة "دراسة النص الإبداعي في علاقته بخطابات ثقافية أخرى، قد تكون الخطاب السياسي، كما في ما بعد الكولونيالية، وقد تكون الخطاب التاريخي كما في المادية الثقافية والتاريخية الجديدة..."([٣٤٠]). وبذلك فالدراسات الثقافية اشتملت على الجانب السياسي، إذْ يأتي مصطلح النقد السياسي في سياق الطروحات الفاعلة في النقد المعاصر من قبيل النقد الاجتماعي، والنقد الثقافي، وهذا الأخير يُعد من صميم بحثنا؛ لأنه يتخذ الثقافة مدار بحثه، ويعبر عن أنساق ومواقف معينة. فيأتي مستكشفًا الوظائف السياسية والمعرفية والأيديولوجية للنص في مرحلة معينة وفي ممارسة ثقافية متنوعة، وهذا يشي بأن التعامل مع النص من منظور النقد الثقافي" يعني وضع

[٣٣٩]) دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2002، ص: 305.

[٣٤٠]) الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص، عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ع298، 2003ص: 224.

ذلك النص داخل سياقه السياسي من ناحية، و داخل سياق القارئ أو الناقد من ناحية أخرى"([٣٤١]). معنى ذلك أنه يُشكِّل علامة ثقافية تتحقق دلالاتها داخل سياقها الثقافي السياسي الذي أُنتجت فيه.فالنقد السياسي يهدفُ إلى تناول الموضوعات التي تتعلق بالممارسات الثقافية وعلاقتها بالنخبة السلطوية، ومعرفة مدى تأثير ذلك على الواقع المجتمعي. وبذلك فإنَّ الأنساق الثقافية المضمرة في الخطاب السياسي تكشف عمَّا هو متخف وراءها، حيث يُشير (الغذامي) إلى النسق المضمر في قوله "إنَّ في كل ما نقرأ وما ننتج وما نستهلك هناك مؤلفين اثنين، أحدهما المؤلف المعهود، مهما تعدد أصنافه كالمؤلف الضمني والنموذجي والفعلي، والآخر هو الثقافة ذاتها، أو ما أرى هنا تسميته بالمؤلف المضمر، وهو ليس صيغة أخرى للمؤلف الضمني، وإنما هو نوع من المؤلف النسقي كما هو الشأن في حركة النسق ومفعوله المضمر، هذا المؤلف المضمر هو الثقافة، بمعنى أن المؤلف المعهود هو ناتج ثقافي مصبوغ بصبغة الثقافة، أولًا، ثم إن خطابه يقول من داخله أشياء ليست في وعي المؤلف، ولا في وعي الرعية الثقافية، وهذه الأشياء المضمرة تعطي دلالات تتناقض مع معطيات الخطاب سواء ما يقصده المؤلف أو ما هو متروك لاستنتاجات القارئ"([٣٤٢]).

حيث يعد مفهوم النسق من المفاهيم الأساسية التي يرتكز عليها النقد الثقافي، إذ يهتم هذا النقد بالوظيفة النسقية في النصوص والخطابات، ويستقصي اللاوعي النصي. ويحدد (عبد الله الغذامي) هذا النسق بقوله: "يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر. ويكون ذلك في نص واحد، أو في ما هو في حكم النص الواحد . ويشترط في النص أن يكون جماليا، وأن يكون جماهيريا. ولسنا نقصد الجمالي

[٣٤١]) الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص، عبد العزيز حمودة، ص: 259.

[٣٤٢] النقد الثقافي-قراءة في الانساق الثقافية العربية-، عبد الله الغذّامي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، الدار البيضاء-المغرب،ط ٣ ، ٢٠٠٥، ص ٧٥-٧٦.

حسب الشرط النقدي المؤسساتي، وإنما الجمالي هو ما اعتبرته الرعية الثقافية جميلا"([٣٤٣]).

ويعد النسق المضمر نسقا متمكنا ومنغرسا منذ القديم في الثقافة، ويحتاج استجلاؤه إلى جهد نقدي متواصل ومكثف، خصوصا وأنه يكون متحجبا متخفيا من وراء أقنعة وحيل، ولعل أبرزها؛ الحيلة الجمالية، ذلك أن "النسق هنا من حيث هو دلالة مضمرة فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف، ولكنها منكتبة ومنغرسة في الخطاب، مؤلفتها الثقافة، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء، يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير والنساء مع الرجال والمهمش مع المسوّد"([٣٤٤]) وبذلك فإنَّ النقد الثقافي يعد تلك الفعالية التي تعنى بدراسة الأنساق الثقافية أنها تعكس سياقات مختلفة، فهو مشروع يسعى إلى اعتبار النص علامة ثقافية قبل أن يكون قيمة جمالية([٣٤٥])، كما يروم إلى كشف هذه الأنساق في المعنى البعيد للتورية الثقافية باعتباره جبروتا رمزيا متحكما في خطاباتنا وسلوكياتنا.

المحور الأوّل: نسق الهيمنة:

يعد النسق السياسي المهيمن نسقًا يمتلك سلطة رمزية، يأتي واضحًا حينًا، وحينًا آخر يظهر بطريقة غير مباشرة؛ ذلك لأنه يمتلك آليات تمكنه من ممارسة ما يشاء؛ ليثبت قوة شخصيته وينتجُ مؤسسة خاصة به، حيث يتولد نسق الهيمنة بفعل ما يسمى (بروتوكول التوّرط)، حيث تكون الطبقة أو المؤسسة المهيمنة متورطة في إنتاج نظامها الذي يؤيد مركزيتها([٣٤٦]).حيث تتناول هذه الدراسة

[٣٤٣] النقد الثقافي-قراءة في الانساق الثقافية العربية-، عبد الله الغذّامي، ص: ٧٧.

[٣٤٤] النقد الثقافي-قراءة في الأنساق الثقافية العربية-، عبد الله الغذّامي، ص: ٧٩.

[٣٤٥]) ينظر: النقد الثقافي والكشف عن الأنساق الثقافية داخل النص، عطية نسرين، كنتاوي محمد، مجلة لغة الكلام، جامعة عليزان، الجزائر، مج 7، ع1، 2021، 396.

[٣٤٦]) النقد النسقي (تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي)، يوسف محمود عليمات، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط115.

بعض الخطابات المدّونة في رحلة ابن بطوطة ما يُجسّدُ نسق الهيمنة التي تظهر بصور عديدة منها:

نسقا القوة والسيطرة:

ينحى أسلوب السيطرة منحا إيجابًيا على خلاف السيطرة السلبية المعروفة([٣٤٧]) التي تتمثل بأسلوب الظلم، غالبًا، وفي هذا الشكل يمكن الاستشهاد بما ورد في النص من ذلك عندما مات أحد القضاة وأُرسلَ خبره إلى ملك الهند، حيث يقول (ابن بطوطة): "لما وصل الخبر إلى الملك أمر أن يُبعث إلى أولاده عدد من آلاف الدنانير، لا أذكره الآن، وأمر أن يُعطى لأصحابه ما كان يُعطى لهم لو وصلوا معه وهو بقيد الحياة " (المدونة: ٣٨٥)، فتظهر هنا زاوية العطاء التي تبرز علاقة الملك مع رعايه التي تعمل على استمالة القلوب، فيكشف نسق السيطرة إذا جاز القول السيطرة الإنسانية، كما أنه يُصور لنا شخصية (ملك الهند) التي تظهر كعنصر يملك قوة، ويتولد عنه (ضرورة الاحترام) له.

كما أن صيغة الخطاب تجعل الدلالة مفهومه لدى الواردين بالخبر ؛ فيكشف تسابق الواردين إليه طامعين بما عنده، بقوله: "فلا يصل الوارد إلى الملك إلّا وهو عارف بجميع حاله، فتكون كرامته على ما يستحقه"(المدونة: ٣٨٥) فهذا يعكس صورة الممارسات التي تبعث على العمل بجد أكثر، وصورة السلطة في ممارستها القيمة الفعلية للعطاء، غير أنها تكشف عن صورة الأنا المسيطرة من زاوية استمالة القلوب.

وحين ندرس صورة السلطان بوصفه مالكَ زمامِ السلطة السياسية، نتبين من خلال تصرفاته مظاهر القوة. فمثلا، عندما ولي السلطان (شمس الدين لَلْمِش) مدينة (دهلي) اشتد في ردّ المظالم وإنصاف المظلومين، لدرجة أنه أعيا الحكام في طريقته في رد المظالم، فمن تلك المظاهر أنه: " أمر أن يلبس كل مظلوم ثوبًا مصبوغًا وأهل الهند جميعًا يلبسون البياض، فكان متى ما قعد للناس أو ركب فرأى أحدًا عليه ثوب مصبوغ

[٣٤٧]) أو بمفهوم التسلط الذي يتداخل مع السلطة في كونه ممارسة غير مشروعة للقوة، قصد فرض السيطرة والهيمنة، ينظر: النسق السلطوي في مسرحية أحلام الغول الكبير لعز الدين جلاوجي، مقاربة نقدية ثقافية في عتبة العنوان، يوسف العايب، ليلى احمادي، مجلة المدونة، الجزائر، مج 7، ع2، ديسمبر 2020: 406.

نظر في قضيته وأنصفه ممن ظلمه ثم أنه أعيا في ذلك" فيبرز النص قوة السلطة (التي تمثلت في السلطان) بوصفه مالكها، كما أنه لم يقتصر على الواردين عليه، بل إنه عمد إلى نشر ذلك على مستوى البلاد ليصل صوت ذلك للجميع، ولم يكتفِ بذلك بل إنه قال: "إن بعض الناس تجري عليهم المظالم بالليل، وأريد تعجيل إنصافهم فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام موضوعين على برجين هنالك، وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير، فكان المظلوم يأتي ليلًا فيحرك الجرس، فيسمعه السلطان وينظر في أمره" (المدونة: ٤٣٤). نلحظ حتى في المفردات نجد مظاهر القوة والبروز تمثلت في (الأسد، البرج، رخام)، فيبرز نسق القوة من خلال شيئين: أولها: تمثل في القوة المناهضة من قبل السلطان وإلغاء وجود أي أثر للظلم، الذي، ربما، كان يُعدُّ طبيعة اجتماعية تتمثل في الهيمنة من أطراف معينة، ويتمثل الثاني: في أنّ السلطان تجاوز بفعله أقرانه في تحقيق العدل بالقوة، الذي يكشف أنه كل ما ساد الأمن زادت القوة، فعمد إلى توزيع مكامن القوة والتأثير بطريقة دقيقة.

نسق الخدمة

يظهر نسق (الخدمة) من خلال وجهة نظر طبقية، وهو لا يعني الخدمة المتعارف عليها، بل إنَّ (ابن بطوطة) أظهره كطريقة تُعبِّر عن الإجلال والاحترام. فأتى على شكل منظومة صورية يرسم من خلالها نسقًا، أي نوعًا، من أنواع الاحترام، فيصف (ابن بطوطة) طريقة استقبال السلطان من يأتي في حضرته من الوفود، ومن ثم كيف يُقدِّمون الخدمة قبل وبعد أن يتم استضافتهم، فيقول: " الخدمة عندهم حط الرأس نحو الركوع، فإذا فعلوا ذلك جلسوا للأكل"(المدونة: ٤١٧). فتستلزم فعل هذه الطريقة أمام السلطان من قِبل الوافدين عليه، التي تُظهر الهيمنة بطريقة وعي مباشرة أو غير مباشرة، أو "بمعنى أكثر دقة السيطرة المهيمنة هي عملية يصعب علينا

اكتشافها لأنها تنسل في كل شيء من حولنا دون أن نلحظها" [٣٤٨] كما لا تعدو أن تكون من باب المخاتلة الأدبية في حضرة السلطان التي تظل ضمن إطار الهيمنة.

المحور الثاني: النسق السلطوي:

نسق الغدر:

يأتي نسق الغدر في سياق ثقافي نفسي، يظهر كيف كانت الطبقات السلطوية تتنافس على الملك، فتستغل كل الفراغ في عملية الإقناع أو السيطرة بالقوة، فمثلًا يظهر (السلطان محمد ابن غياث الدين) مستغلًا غياب والده (السلطان)؛ لتغيير ما هو قائم، بعد أن أمره إياه ببناء قصر له، وعَمد في ذلك إلى زركشته فنيًا؛ ليلفت نظر السلطان له، ويغير قناعته عمّا سُمِعَ عنه، فأبدا السمع والطاعة في بادئ الأمر ، ومرّر الحيلة عليه في بنائه السريع للقصر في مدة ثلاثة أيام، فيبرز ذلك: " كانت الحكمة التي اخترعوها فيه أنه متى وطئت الفيلة جهة منه وقع ذلك القصر وسقط" وليس ذلك فحسب بل إنه عندما تحقق مراده وعُرِضتْ الفيلة على السلطان وولده سقط عليهما، وعمد على إبطاء المساعدة؛ حيث يظهر ذلك: "أمر ابنه أن يؤتى بالفؤوس والمساحي للحفر عنه، وأشار بالإبطاء، فلم يؤت بهما إلا وقد غربت الشمس"(المدونة: ٤٥١-٤٥٢)، حيث نجد نسق الغدر عملية سلطوية نفسية يُحدد فيها شكل التنمر على النظام الأبوي السلطوي، وينهدم فيها منظومة المعاني والقيم لتعبر عن مصالح بعينها. فشكّل الغدر عالمًا لا رجعة فيه، واستخدم الحيلة ليرضي رغبته في الاستيلاء على الحكم. وفي نهاية الأمر إنّ ما نتعامل معها هي القيم التي أدمجها الناس ذاتها وأصبحت جزءا من أنظمتهم وحياتهم اليومية وقدرة أدائهم[٣٤٩].وبذلك فإنَّ نسق الغدر باختلاف إجراءاته وتطور معانيه يعني تحولًا كبيرًا في السياق السياسي ومسائله.

---

[٣٤٨]) النقد الثقافي-تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية- أرثر إيزا برجر، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003: 109.

[٣٤٩]) ينظر: النقد الثقافي-تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية- أرثر إيزا برجر، ص: 114

نسقا المواجهة والعنف:

يقترب السلطان، أحيانا، إلى مصاف الشخصيات الأسطورية التي لا يجب المساس بها، ولا تُحاسب على أعمالها، ولا تُبرر للعنف الذي تقوم به، فيصبح بذلك ممارسة اجتماعية عادية. ذلك أن الفعل الأسطوري يُقدِّم شخصيات تقوم بفعل دون تقديم سبب لسلوكها، وتفرغ السلوك الإنساني من معناه التاريخي وتحوله إلى طبيعته[٣٥٠]. حيث يظهر نسق المواجهة ردًا على الفعل السلطوي، فهو يُمثل الصورة الإنسانية المواجهة ضمن شريحة صامتة، فيظهر بذلك فكرتين أساسيتين أو نسقين أساسيين متصادمين.

نسق المواجهة:

المُتمثِّل بالشخصية الرافضة للأوامر الآتية من السلطة العليا، ولها أسبابها الرافضة، على سبيل ذلك (الشيخ شهاب الدين) رفض أن يُقدّم الخدمة لـ(لسلطان محمد تغلق) وشافهه في مجلسه العام، فعوقب بنتف لحيته، ونفيه إلى دولة آباد، وبعد فترة أعاد عليه الكرة فأرسل مبعوثًا إليه ليطلب منه أن يُقدِّم الخدمة، فقال: "لا أخدم ظالمًا أبدًا" فلما اجتمع مع السلطان عدّد له أمورًا تنسب إليه في ظلمه، فغضب عليه، وتم تعذيبه، ومن ذلك: " فمدوه على ظهره، وفتحوا فمه بالكلبتين، وحلوا العَذِرَة بالماء، وسقوه ذلك"((المدونة: ٤٨٣-٤٨٤).

ويتمثل النسق الآخر في نسق العنف: المتمثل في شخصية السلطان، على سبيل المثال، (محمد تغلق). فنسق العنف نتج كنسق قمعي لنسق المواجهة، ومن أنواع العنف أيضا: ما ظهر في تعذيبه لفقيهين من هم في خدمته عندما سمع مقصدًا غير المقصد الذي يريده، يظهر في قول السارد: "ذوقوهما بعض شيء، يعني من العذاب فبطحا على إقفائهما، وجعل على صدر كل واحد منهما صفيحة حديد محماة، ثم قلعت بعد هنيهة،

---

[٣٥٠]) ينظر: الأنماط الثقافية للعنف، باربرا ويتمر، تر: محمود يوسف عمران، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ع 337 مارس، 2007: 72.

فذهب بلحم صدورهما، ثم أخذ البول والرماد فجعل على تلك الجراحات..."(المدونة: ٤٨٥-٤٨٦). ويجنح من خلال ذلك التعذيب إلى تشكيل مركزيته (سلطته بوصفه سلطانا) عبر الهيمنة على الآخر (الفقيهَين) وبوصفهما من رعاياه؛ ليُقِرا بما قاله.

وبسبب الأنساق التي تشكَّلت بفعل القوة، وغرس مفاهيم سلطوية وسياسيات تجعل الجميع خاضعًا للسلطة، فإنالنسق المضاد (المواجهة) يكوّن نسقًا متمردًا مُحافظًا على ذاته بوصف إنسانا له اعتبارات خاصة. وليس هذا فحسب، بل إنَّ ثقافةَ العنف تعمد إلى تعزيز فعل الهيمنة بفعل بعض الوسطاء والأمراء. بذلك فالنسق يتحدد عبر وظيفته التي وضع فيها .

الخاتمة:

إنَّ النقد الثقافي في تعامله مع النصوص يحاول أنْ يبرزَ مكامن القوة والسلطة، ومن ثم طبيعة المنتج الثقافي، ونتيجة لذلك تنبثق العديد من القيم النسقية ذات الدلالات السلطوية، ولعل النص التراثي بوصفه نصًا أدبيًا جماليًا يُعد مجالًا خصبًا للمقاربة الثقافية، باعتباره خطابًا ثقافيًا متعددًا في بنياته العميقة في بعده النسقي، وما يرجوه البحث أنه قد توصل إلى نتائج منها:

- يتشكل فعل المواجهة الرافض لإثبات الفعل الإنساني، فيكون نسقًا دالًا فاعلًا يتماس تماسًا وثيقًا بسياقات تاريخية معاشة تتمحور في إظهار جدلية الصراع المستمر بين نسق العنف ونسق المواجهة.
- أن الطبقة المهيمنة، في النصوص المدروسة، عندما تواجه ثقافة التمرد فإنها تعمل جاهدة على تطويعها، فإن لم تستطع تعمل على قمعها وإخفاء صوتها؛ لتفرض هيمنتها المؤسسية، وتحقق بذلك فعل التوّرط المركزي.
- عد النقد السياسي في الهند، في النص الرحلي، ظاهرة تستحق الدراسة، وقابلا لإجراءات النقد الثقافي، بوصفه نسقًا ثقافيًا يتخفى في بنائه الرمزي، مضمرًا نسقًا سلطويًا يعكس أيديولوجية السلطة في السيطرة.

المصادروالمراجع

- ✓ رحلة ابن بطوطة (في غرائب الأمصاروعجائب الاسفار)، تقديم وتحقيق: محمد عبد المنعم العريان، راجعه: مصطفى القصَّاص، داراحياء العلوم، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٧.
- ✓ الأنماط الثقافية للعنف، باربرا ويتمر، تر: محمود يوسف عمران، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ع ٣٣٧ مارس، ٢٠٠٧.
- ✓ الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص، عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ع٢٩٨، ٢٠٠٣.
- ✓ دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط٣، ٢٠٠٢.
- ✓ النسق السلطوي في مسرحية أحلام الغول الكبير لعز الدين جلاوجي، يوسف العايب، ليلى احمادي، مجلة المدونة، الجزائر، مج ٧، ع٢، ديسمبر ٢٠٢٠.
- ✓ النقد الثقافي والكشف عن الأنساق الثقافية داخل النص، عطية نسرين، كنتاوي محمد، مجلة لغة الكلام، جامعة عليزان، الجزائر، مج ٧، ع١، ٢٠٢١.
- ✓ النقد الثقافي-تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية- أرثر إيزا برجر، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣.
- ✓ النقد الثقافي-قراءة في الأنساق الثقافية العربية-، عبد الله الغذّامي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، الدار البيضاء-المغرب،ط ٣ ، ٢٠٠٥.
- ✓ النقد النسقي (تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي)، يوسف محمود عليمات، الأهلية للنشروالتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٥.

المادة الإثنوغرافيّة لمجتمعات الهند في أدب الرّحلة العربي الحديث

د.زهرة بن يمينة، أستاذة محاضرة أ
قسم الدّراسات الأدبية والنقدية،جامعة عبد الحميد بن باديس،مستغانم،الجزائر

المقدّمة

يُعدّ أدب الرّحلة من بين أبرز الأجناس الأدبيّة السّرديّة الّتي تصوّر تاريخ الشّعوب وثقافتها، كما يُسجّل هذا الجنس الأدبي علامة مهمّة في ترسيخ مبدأ التّعايش وتقبّل الآخر بدليل الرّغبة في اكتشافه ومعرفته وإظهاره للعيان، وقد أولى الرّحالة العرب لأدب الرّحلة أهميّة بارزة تجلّت في السّير إلى بقاع الأرض المعروف منها والمجهول، وكانت الهند من بين أهمّ الأماكن الّتي فُتِن العرب بها قديما وحديثا، وتسحاول ورقة البحث هذه الوقوف عند المتن الرّحلي العربي في العصر الحديث وأهمّ موادّه الإثنوغرافية الّتي قدّمها في هذا المجال.

١- تعريف الإثنوغرافيا:

تركّز الإثنوغرافيا على الدّراسة النّوعية لفئات من البشر وهي تعني " الدراسة الوصفية لطريقة وأسلوب الحياة لشعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات، واصطلاح الإثنوغرافيا (Ethnography) في بريطانيا يعني البحوث الوصفية والتحليلية التي قام بها علماء الانثروبولوجيا البريطانيون حول الشعوب والأقوام البدائية التي درسوها دراسة ميدانية ؛ وبالرغم من أن الاثنوغرافي يهتم بالدراسة الوصفية للمجتمعات البدائية والانثربولوجي الاجتماعي يهتم بالتحليل البنائي أو التركيبي للمجتمعات البدائية، فإن هناك ارتباطا وتداخلاً وثيقاً بين هذين العلمين بخصوص الدراسات العلمية التي يقومان بها"[٣٥١] ولهذا العلم علاقة وثيقة بعلم

[٣٥١] - عبد اللاوي ليندة: ا لاثنوغرافيا،محاضرة موجهة لطلبة الماسترعلوم اجتماعية، جامعة تلمسان،الجزائر، ص: 1.

الأنثروبولوجيا، بل ويُعدّ فرعا منه، وهو يركّز على وصف سلوكات الفئات وهم متفاعلين فيما بينهم لا منعزلين في حياتهم الخاصّة، كما يُعدّ الجانب العرقي من أهمّ أساسيات هذا العلم، شرط أن تُصبح مهمّة الإثنوغرافي هنا هو المعاينة والتّشخيص والتّفسير أيضا دون حاجة لتغيير هذه الظّواهر إلى أخرى خاضعة لوجهة نظره. إنّ الإنسان وكلّ ما يحيط به هو مادّة الإثنوغرافيا بالدّرجة الأولى "وتعتمد الدّراسات الإثنوغرافية المقترب الكاملي في دراسة الإنسان إذ تعبر الحدود الفاصلة بين التّخصّصات وتحشد الطّاقات العلمية والبحثية المتنوعة، ملقية الضّوء على كلّ ما يحيط بالإنسان من ظروف، وعلى تفاعله مع هذه الظّروف وما أحدثه من تغييرات مادية ملموسة أو معنوية وقيمية مجردة في بيئته، كما تدرس البيئة الجغرافية، والطقس، ووسائل العيش، والتكنولوجيات المحلية والفلكلور والأساطير وألعاب الأطفال وعلاقات القرابة"[٣٥٢] هذا إضافة إلى الجانب اللامادي وما يشمل عليه من قيم وأفكار تساهم في بناء الحياة المادية.

٢- ملامح الإثنوغرافيا في أدب الرّحلة العربي القديم:

مثّلت الهند على غرار البلدان الّتي حَظيت برحلة العرب نصيبا وافرا خصّه الرّحالة القدماء قبل المُحدثين، فهذا "أبو الرّيحان البيروني" (ت: ٤٤٠هـ) في كتابه" تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" يصوّر رحلته إلى الهند في قالب علمي، واستكشافيّ، وجغرافيّ، ويجعل غاية رحلته تحقيق الأخبار ومعاينة ما تمّ سماعه دون مشاهدة، ليجعل هذه الرّحلة وثيقة حيّة جامعة لأخبار الهند وعلومها، ومعتقداتها مفتتحا إيّاها بقوله: " إنّما صدق قول القائل (ليس الخبر كالعيان)، لأنّ العيان هو إدراك عين النّاظر عين المنظور له في زمان وجوده وفي مكان حصوله"[٣٥٣] ، وجعل هذه الرّحلة وثيقة شاهدة على كلّ تفاصيل بلاد الهند بتراثها المادّي واللّامادّي وأبواب

[٣٥٢] - عيلين توماس، جميلة أحمد: الأجساد الثقافية الإثنوغرافية والثقافية، تر: أحمد الغزولي، العيئة العامة لشؤون الطباعة الأميرية، ط1، 2010 ص: 12

[٣٥٣] - أبو الرّيحان محمّد بن أحمد البروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، (د.ط.ت.ش)، ص:1.

الكتاب دالّة على ذلك، كما قام البيروني بمقارنة العادات والتّقاليد، وأساليب العيش بين سكّان الهند وغيرهم من سكّان البلاد الأخرى، ولعلّ هذا يعتبر بداية ملامح توظيف الإثنوغرافيا باعتبارها آلية تُكسِبُ المعرفة بالآخر حركيّة وتثري المقارنة مع الآخر، كما ذكر المسعودي صاحب مروج الذّهب (ت: ٣٤٥ هـ/ ٩٥٦ م) رحلته إلى الهند، ورغم ما تميّزت به من طابع جغرافيّ، إلّا أنّه كان يبثّ في ثناياها بعض الوصف لعادات قومها، وأيّامهم مثل قوله في بعض عاداتهم: "والهند تمنع شرب الشّراب، ويُعنّفون شاربه لا على طريق التديّن، ولكن تنزّها أن يوردوا على عقولهم ما يغشيها، ويزيلها عمّا وضعت له فيهم، وإذا صحّ عندهم عن مَلِكٍ من ملوكهم شُربه، استحقّ الخَلع عن ملكه"[٣٥٤] ولعلّ هذا الوصف يحمل في ثناياه أنساقا مضمرة تكشف طبيعة حياة شعوب قديما، والهدف منها معرفة طبائعها وسلوكها، وهكذا "يذهب الإثنوغرافي إلى المجتمع الذي يدرسه ليعيش فيه فترة من الزمن لاكتساب ثقة الأفراد و جمع المعلومات اللازمة و لا يبدأ الباحث بالدراسة و توجيه الأسئلة، و إنما يتعلم أسلوب الحياة الجديدة ، فعليه أن يتكلم لغتهم و يستخدم في تفكيره نفس التصورات أو المفاهيم السائدة و يشعر بالقيم التي يعتنقونها و يعمل معهم و يشاركهم طعامهم و احتفالاتهم و حتى ارتداء ملابسهم و يمكن كذلك للباحث الإثنوغرافي أن يدخل كعضو في جميعاتهم إذا سمحت النظم الإجتماعية بذلك"[٣٥٥]، و نجد "ابن بطوطة" يفسّر نشاط سكّان الهند انطلاقا ممّا يأكلون ويمارسون من زراعة، كما وصف عادات النّساء في حرق أنفسهنّ بعد موت أزواجهنّ، ودقّة وصفه ناتجة عن معاينته لهؤلاء النّسوة عن قرب كما ذكر هو قائلا: " ...وركبت مع أصحابي لأرى كيفية صنعهنّ في الاحتراق، فسرنا معهم نحو ثلاثة أميال، ووصلنا إلى مكان مظلم كثير المياه والأشجار، ومتكاثف الظّلال...فكان ذلك الموضع

[٣٥٤] - أبو الحسن بن عليّ المسعودي: مروج الذّهب ومعادن الجوهر،المكتبة العصرية، بيروت ، ط1، 2005، ج1، ص: 67.

[٣٥٥] كترة حاج حامدري: دور التلفزيون في تشكيل بعض القيم لدى المرأة الر□يفية الجزائرية -دراسة إثنوغرافية على عينة من الريفيات الجزائريات، رسالة مخطوطة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في علوم الإعلام و الاتصال، -جامعة الجزائر 3- –كلية العلوم السياسية و الإعلام قسم علوم الإعلام و الاتصال، ص: 34.

بقعة من بقع جهنّم أعاذنا الله منها، ولمّا نزلنا إلى القباب وصلنا إلى الصّهريج وانغمسن فيه وجرّدن ما عليهنّ من ثياب وحلي وتصدّقن به...وهناك نحو خمسة عشر رجلا بأيديهم حزم من الحطب الرقيق.."[٣٥٦] كما يُعدّ وصف العمران وجغرافيا المدن من العناصر المكمّلة للمنهج الإنثوغرافي الّذي وُظّف دون مسمّى في أدب الرّحلة، والّذي يعتبر أحد أهمّ مقوّمات هذا الأدب، لذلك تُعدّ الإثنوغرافيا هي نواة المتن الرّحلي بامتياز.

٣- المادّة الإثنوغرافية في أدب الرّحلة العربي الحديث:

لقد كان للرّحّالة القدامى الفضل في فتح الآفاق لمعرفة الهند، ثقافة وحضارة وترغيب الرّحلة إليها، إضافة إلى مذكّرات الدّيبلوماسيّين نتيجة عملهم في الهند "الكتابة عن الهند في أدب الرحلات العربي أشبه بمغامرة، وأشبه بالعودة إلى أكثر من ١١٠٠ سنة، حينما قام التاجر العربي سليمان ورفيقه ابن وهب برحلة إلى الهند، وهما في الأغلب من سكان سواحل الخليج العربي، انطلقا من مسقط بحراً إلى المحيط الهندي، حيث الهند وسيلان والصين، وتلقى رحلتهما مؤرخ جغرافي هو أبوزيد السيرافي، من البصرة، في بدايات القرن الـ١٠ الميلادي، ونقل عنهما روايتهما ودونها في رحلة عرفت باسم رحلة السيرافي[٣٥٧]" وكانت هذه المقدّمات بمثابة مادّة غنية انكبّ الرّحالة المعاصرون لاستكمال طريق المعرفة، متّخذين الشّغف وحبّ الاطّلاع على المجهول أهمّ هدف لهم، وأهمّ ما كان يُحرّك هؤلاء الرّحّالة هو تناغم الماضي والحاضر في بلاد الهند، فضلا عن التّنوّع الجميل في العادات والتّقاليد والدّيانات أيضا، وهذه الشّهادات غيّرت صورة الهند في أعين العربي الّذي كان يتمثّل الهنود بلاد الإثنيّات المتفرّقة وبلد السّحر والخرافات...، ونجد على سبيل المثال المؤلف السعودي محمد بن ناصر العبودي في كتابه

[٣٥٦] - ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، تُحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار، تح: عبد المنعم العريان، دار أحياء العلوم، بيروت، ط1، 1987 ص: 423، 424.

[٣٥٧] - إماراتيون يرصدون 11 قرنا بتاريخ الهند في أدب الرحلات العربي، https://al-ain.com/article/uae-writers-india-history/، 17/07/2021، h.19

رحلات في جنوب الهند، يقول في مقدّمة إحدى رحلاته: " وقد يسّر الله أن زرت كلّ الولايات الهنديّة على وجه التّقريب وهذه الأوراق التي ستراها في هذا الكتاب هي عن جزء جنوبي من أرض الهند، يتميّز عن شمال الهند بمميزات ، ويبتعد عنه بصفات، لعلّ أعظمها أثرا، أثر اختلافهما في اللغات، فضلا عن تباين المعتقدات حتى داخل ما أسماه الإنجليز والأوروبيين بالنّحلة الهندوكية، التي هي في حقيقتها مذاهب شتّى لا يمكن وصفها إلا بما وصفها به أسلافنا من العلماء المسلمين"[٣٥٨] كما تصف الكاتبة نوال السعداوي رحلتها إلى الهند بأنّها الأروع والأكثر ثراءا ودهشة في قولها: " رحلتي إلى الهند كانت طويلة ومرهقة، ولكنّها كانت ممتعة ...وربّما هي أصعب رحلة قمت بها في حياتي رغم أنّي زرت معظم بلدان العالم ومشيت في أوعر الطّرق لكن صعوبة اكتشاف الهند تشبه إلى حدّ كبير صعوبة اكتشاف النّفس...ولعلّ هذا هو السّبب في أنّ بعض النّاس لا يرون في الهند إلا التّراب والفقر، والبعض الآخر يستطيع أن يخترق السّطح ويصل إلى قلب الإنسان الهندي"[٣٥٩] وهذه الأسباب مجتمعة كانت تقدّم في كل مرّة جانبا من حضارة الهند يوضّح ما غَمض والتبس، وبقيت هذه المحاولات بمثابة ثوابت ومسلّمات للأدباء والصّحافيين.

٤- الفئات العرقية في الهند:

إضافة إلى ما تمّ تقديمه من لمحة عامّة عن الهند، يمكن القول أنّ وصف الفئات العرقية المتعدّدة وما لها من خصائص فارقة عن بعضها كان بحثا مهماّ لدى الرّحّالة الذين لاحظوا تفاوتا كبيرا بين طبقات المجتمع الهنديّ، وهذا التّفاوت مؤكّد أنّه يصنع فسيفساء متناغمة رغم اختلافها " قبل مئات السنين كانت تقطن فئة عرقية تُسمّى (الدّارافديين) الّذين كانوا من عبدة الطّبيعة، ولم تكن لهم ديانة معيّنة، كما لم تكن لهم طبقات اجتماعية، وفي وقت لاحق دخلت فئة عرقية أخرى تُسمّى (الآريين)

[٣٥٨] - محمد بن ناصر العبودي: رحلات في جنوب الهند- تامل نادو وكارناتك وأندرا براديش، الرياض، ط1، 1997، ص: 6.

[٣٥٩] - نوال سعداوي: رحلاتي في العالم، مؤسسة هنداوي (د.ط.ت.ش)، ص: 129.

شبه القارّة الهندية، عن طريق ممري بولان وخيبر، وكان أكثرهم من رعاة الغنم والبقر واستقروا بالقرب من نهر السّند، وكانوا يعيشون في مجموعات بغية السّلامة وقد عُرفوا فيما بعد بالهندوس، وكان الهندوس جنسا متميّزا بالذّكاء...وكانوا يُدركون مراكز السّلطة في الهند، وتمكّنوا من التّقرّب إلى الملوك"[٣٦٠] ومنطقي أن يترتّب عن هذا الاختلاف العرقي، الاختلاف العَقديّ الّذي يُبيح لكلّ طائفة دين معيّن، فنجد الإسلام إلى جانب الدّيانات الأخرى، والمساجد إلى جانب المعابد.

يذكر صاحب رحلة(الشّمال الشرقي من الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين) محمد بن ناصر العبّودي، وهو يصف مدينة بنارس التي تمثّل معلما بارزا لمعابد الهندوكيين قائلا: " والمعابد الهندوكيّة تتفاوت في صغرها وفي كبرها حسب عدد ما يزعمون من آلهتهم التي لها تماثيل فيها...الهنادكة لا يسمحون لأحد من غيرهم أن يدخلها. ولمّا سألناهم عن السبب في ذلك ولماذا لا يكونون كالمسلمين والبوذيّين في السّماح بدخول أماكن العبادة لغيرهم؟ قالوا: إنّهم يقولون: إنّ آلهتهم تهرب إذا دخل المعابد غريب عن ديانتهم"[٣٦١] كما تتمتّع هذه المعابد بهندسة معماريّة خاصّة نابعة من مُعتقد ديني خاص. لكنّ ما اتفق عليه الرّحّالة هو محافظة سكّان الهند على وحدتهم رغم هذا التّعدّد.

٥- عادة حرق الموتى:

لقد تميّزت الهند عن سائر الدّول والحضارات بعادة حرق الموتى وعدم دفنهم، وتبقى الطّريقة في ذلك متفاوتة بين الأغنياء والفقراء، كما تَذكر كثير من شواهد الرّحلات أنّ الزّوجة بزوجها بحرق نفسهامن باب الوفاء كما ذكر ذلك ابن بطّوطة في رحلته، لكنّ هذه العادة تطوّرت كما ورد ذلك في رحلة الشّمال الشرقي من الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين أنّ الحرق حديثا لم يعد

[٣٦٠]- المرجع نفسه، ص: 65.

[٣٦١]-محمد بن ناصر العبّودي: الشّمال الشرقي من الهند، ص: 83

كما كان، وإنّما أصبح باستعمال الحرق بالكهرباء ابتغاء تجنّب التّكاليف وتحقيق السّرعة في هذه العمليّة، وما يميّز هذه العادة في الهند هو الطّقوس الغرائبية التي تحيط بها، فمثلا عند حرق الميّت يتمّ رمي رماده في النّهر، فيشرب الأحياء منه تبرّكا[٣٦٢]، إنّ المرجعيّات الدّينية المؤسسة للتصرّفات اليومية والموجّهة لها، تستطيع أن ترسم أثر حضارة على المدى البعيد.

٦- سلوك أهل الهند بين الاستحسان والاستهجان في عيون الرّحالة العرب:

منطقيّ أن تتفاوت سلوكات النّاس بين المقبول وغيرها نتيجة اختلاف البيئة المُنشئة، وأنماط التّربية، والمُعتقد، والمرجعيّات...، وقد أطلق كثير من الرّحّالة أحكاما تقييميّة على سلوك شعب الهند من خلال اختلاطهم بهم، وممّا لقي القَبول والاستحسان هو رغم تفاوت طبقات النّاس وانحدار مستوى معيشتهم، إلّا أنّ تصرّفاتهم لا تتطابق وهذا المستوى المادّي "والحقّ أنّ أهل الهند –والحقّ يُقال- قومٌ مستوى في معاملاتهم فيما بينهم ومع الغرباء، وحركتهم عند الرّكوب والهبوط هي أفضل عشرات المرّات من مستوى حالتهم المادية"[٣٦٣] ، ويزيد مظهر احترام الهندي للحياة في أبسط تفاصيل يومه، مثل مشيته الخفيفة الّتي تكاد لا تلامس الأرض حفاظا على كائناتها، وممّا لقي الاستحسان في تصرّفات شعب الهند هو جمعه بين المتناقضات التي لا تجتمع إلا نادرا، مثل الجمع بين اختلاف الدّيانة واللغات وعدم الاختلاف بينهم "...إذ كيف يحافظ على وحدتها أناس يبلغ عددهم ستمائة مليون نسمة يتكلّمون عشرات اللغات منها: ستة عشرة لغة رسمية ويعتنقون عدّة ديانات، وتختلف مواطن سكناهم من حيث الخصوبة والإنتاج، ومع ذلك حافظوا عليها حتّى الآن وبديمقراطية لهم عجيبة رغن كلّ التّناقضات، ثمّ هم شعب فقير ربّما يُعدّ بعض أفراده من الجياع ومع ذلك يفجّرون الذرّة ويصنعون الطّائرة، ويسعون إلى صنع الدّبّابة، وهم لا يُعدّون من

[٣٦٢] - يُنظر: محمد بن ناصر العبّودي: رحلات في جنوب الهند ، ص: 17.

[٣٦٣] - محمد بن ناصر العبّودي: الشّمال الشرقي من الهند، ص: 53.

الشّعوب النّظيفة، ومع ذلك تجد أماكن في الهند فاخرة تضاهي غيرها من الأماكن الفاخرة في أنحاء العالم، وإن كانت ضيقة المساحة نادرة الموقع"[٣٦٤]، ومن بين الانطباعات الحسنة التي سجّلها الرّحّالة حول تصرّفات شعب الهند، ما أقرّته نوال سعداوي وهي تحتفي ببساطة هذا الشّعب ولباقته ومعرفته بأصول التعامل مع السّائحين " الوجوه الهنديّة من حولي تُذكّرني بالوجوه في بلدي، وتلك الابتسامة المتواضعة التي تشبه أحيانا ابتسامة من يشعرون بالضّعف أو الحرج أو الذلّ أحد مخلفات الاستعمار... أحد الهنود يفسح مكانه في تواضع لذلك الرّجل الإنجليزي المتعالي.."[٣٦٥] وعلى كلّ لا يملك الزّائر إلى الهند إلا أن يُقرّ بالطّمأنينة والسّلام اللّذين تتركهما السّلوكات التي تنمّ عن تقبّل الآخر والعيش معه.

ومن بين السلوكات المُستهجَنة والتّي تمّ رصدها في أكثر من رحلة، ظاهرة التّسوّل الّتي لوحظ طغيانها في مدينة بومباي على فئات النّاس المتواجدين في المحطّات، بل وحتّى عند عمّال المطار الذين يرفضون أداء مهامهم دون مقابل من المسافرين، وربّما كان هذا بسبب نقص التّرف رغم أنّ الفقير يبقى فقيرا، والغنيّ غنيّا. ويؤخذ على المجتمع الهندي عدم عيشه في جماعات منعزلة، فكثيرا ما تُفتح البيوت أمام بعضها ولا يجد الدّاخل إليها حرجا في أيّ وقت شاء كما لاحظت نوال السعداوي ذلك.

٧ - تقديس الحيوانات وأبعاده في الثّقافة الهندية:

نظرا لارتباط الإنسان منذ الأزل بالطّبيعة، نشأت علاقة حميمة ولا واعية في العقل البشري تُوجّه سلوك الإنسان نحو تقديس بعض ظواهرها، وعناصرها مثل: تقديس الحيوان الّذي رُمِزَ في كثير من الحضارات قديما برمز القدسية والقوّة، ومعتقدات شعب الهند دليل على ذلك، فهم يعتبرون البقرة إلها مُقدّسا له من المكانة والهيبة ما يجعل عُبّاده خاضعين له، لكن بتفسير أنثروبولوجي وإثنوغرافي، نكتشف أنّ

[٣٦٤] - محمد بن ناصر العبّودي: رحلات في جنوب الهند، ص: 16.

[٣٦٥] - نوال السعداوي: رحلاتي في العالم، ص: 130.

هذه القداسة مرتبطة بتقديس الحياة نفسها وحبّ وحماية كلّ من يمنح استمرارا لها، فتقديس البقرة مثلا عند بعض ديانات الهند له رمزية تقديس الأنثى التي تهب الحياة كما جرى الأمر في سائر الدّيانات والحضارات القديمة،

وليس غريبا أن يلاحظ الرّحالة احتفاء الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية والعملية أيضا بنشاط المرأة وكفاحها أكثر من الرّجل، فنشاطها لا يمكن تجاوزه خاصّة وأنّها عندما تتقلّد مهمّة الكتابة، تفعل ذلك وبجرأة" والمرأة التي تكتب في الهند تتناول جميع القضايا في بلدها وفي الحياة تحليلاً ونقدا بغير خوف ولا حرج. لا شيء أمامها اسمه موضوع حساس. لا في السياسة ولا في الدولة ولا في الحب وفي الجنس ولا في العمل، كل شيء في الهند وفي العالم أمام قلمها قابل للعرض والكشف"[٣٦٦] وحياة المرأة في الهند لا يمكن أن يشملها مثال أو اثنين، إنّها حياة تفيض بدلالات شتى تجد فيها المرأة نفسها في كلّ معنى فيها.

٨- نتائج البحث:

من خلال ما تقدّم يمكن أن نلخص بعض النّقاط والتي منها:

- حاول هذا المقال أن يضيئ جانبا من وجود المادّة الإثنوغرافية في أدب الرّحلة، والّذي يمكن أن يتسع له المقال في بحث مُوسّع.
- إنّ المادّة الإثنوغرافية الّتي حضرت في كتب الرّحلة الثلاث (الشمال الشرقي للهند، ورحلات في جنوب الهند لمحمد بن ناصر العبودي، ورحلاتي حول العالم لنوال السعداوي) أظهرت الاختلاف والائتلاف في الثقافة الهندية.
- إنّ ما يكوّن الجانب الإثنوغرافي من عادات وتقاليد، وديانات..هو جزء من الثقافة والوجود والتاريخ أيضا.
- كانت الهند ولا زالت إشعاعا حضاريا بحاجة لميدان دراسة أوسع.

[٣٦٦]- نوال السعداوي: رحلاتي في العالم، ص: 184.

المراجع والمصادر

- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، تُحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار، تح: عبد المنعم العريان، دار أحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٨٧ .
- أبو الحسن بن عليّ المسعودي: مروج الذّهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥، ج١.
- أبو الرّيحان محمّد بن أحمد البروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، (د.ط.ت.ش).
- عبد اللاوي ليندة: ا لاثنوغرافيا، محاضرة موجهة لطلبة الماستر، تخصص: علوم اجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر.
- عيلين توماس، جميلة أحمد: الأجساد الثقافية الإثنوغرافية والثقافية، تر: أحمد الغزولي، العيئة العامة لشؤون الطباعة الأميرية، ط١، ٢٠١٠ .
- كنزة حاج حامدري: دور التلفزيون في تشكيل بعض القيم لدى المرأة الر□يفية الجزائرية - دراسة إثنوغرافية على عينة من الريفيات الجزائريات، رسالة مخطوطة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في علوم الإعلام و الاتصال، - جامعة الجزائركلية العلوم السياسية و الإعلام قسم علوم الإعلام و الاتصال.
- محمد بن ناصر العبودي: رحلات في جنوب الهند- تامل نادو وكارناتك وأندرا براديش، الرياض، ط١، ١٩٩٧.
- نوال سعداوي: رحلاتي في العالم، مؤسسة هنداوي (د.ط.ت.ش).
- المواقع الإلكترونية:
- إماراتيون يرصدون ١١ قرنا بتاريخ الهند في أدب الرحلات العربي، https://al-ain.com/article/uae-writers-india-history/ ١٧/٠٧/٢٠٢١، h.١٩

صورة الهند
في رحلة أمينة السّعيد"مشاهدات في الهند"

سارة مزيان، باحثة الدكتوراه
جامعة الجزائر(٢) أبو القاسم سعد الله، كليّة اللغة العربيّة وآدابها واللغات

ملخص البحث

الهند بلد ذو حضارة متنوعة غنية بغنى تراثها وعراقة شعبها؛ وحكمتها وفلسفتها الضاربة في عمق التاريخ وأصالته. ولم تكن هذه الحضارة في منأى عن الاتصال الوثيق بالأدب العربي منذ القِدم؛ ولم تنقطع هذه الصلة إلى عصرنا الحاضر، وبما أنّ العلاقة بين الآداب إنسانيّة جامعة فقد رسم أدباؤنا العرب في إبداعاتهم شعرها ونثرها صورا صادقة عن الهند.

ولمّا كانت الرحلات فرصة لاكتشاف هذا البلد بمختلف جوانبه الثقافية والاجتماعية والإنسانية ... يأتي أدب الرحلة كفنّ نثري أصيل على قدر كبير من الأهمّية في نقل مشاهدات الرحالة العربي نقلا واقعيا صادقا؛ يرحل بنا إلى أجواء الحضارة التي اكتشفها، ومعايشة أحداثها والاختلاط بشعبها عبر صفحات ضمت الأدب والمتعة.

ومن هنا نتطرّق في هذه الورقة البحثية إلى اكتشاف حضارة الهند، والارتحال إلى مختلف المناطق فيها والتعرف على خصائص أهلها وعادات مجتمعها عبر رحلة موثقة بعنوان (مشاهدات في الهند) للكاتبة المصرية "أمينة السعيد"، كما نحاول تبيان أثر هذه الرحلة في الأدب العربي، وميزتها في توثيق العلاقات الإبداعية والإنسانية بين الهند والوطن العربيّ.

الكلمات المفتاحية: الهند، الرحلة؛ مشاهدات؛ أدب، حضارة

المقدّمة

يعدّ أدب الرّحلة فنًّا نثريًّا يجمع بين الجمال الجغرافيّ والذّوق الأدبيّ الفنيّ، فينقل الرّحالة عبره تجربته إلى القرّاء نقلا واقعيا صادقا يرحل بنا إلى أجواء الحضارة التي اكتشفها، ومعايشة أحداثها والاختلاط بشعبها عبر صفحات ضمّت الأدب والمتعة.وبما أنّ العلاقة بين الآداب إنسانيّة جامعة فقد رسم الرّحالة العرب في إبداعاتهم صورا صادقة عن عديد البلدان والحضارات التي ارتحلوا إليها، من أهمّها (الهند) التي عرفت حضورًا مُشعًّا في إبداعاتهم، إذ لم تكن هذه الحضارة في منأى عن الاتصال الوثيق بالأدب العربي منذ القِدم؛ ولم تنقطع الصلة إلى عصرنا الحاضر، فكانت تلك الكتابات الأدبيّة والمؤلّفات الرّحليّة عنها جسرًا يصل بين ثقافة الشّعبين العربيّ والهنديّ.

من هنا يعدّ كتاب "مشاهدات في الهند" لمؤلّفته المصريّة (أمينة السّعيد) أحد النّماذج الأدبيّة الرّحليّة التي تُسهم في ربط الصّلة بين الهند والمشرق العربيّ عامّة والقارئ العربيّ خاصّة، وعليه تتمثّل إشكالية بحثنا فيما يلي: ماهي أهمّ الصّور التي نقلتها الكاتبة عن الهند مجتمعًا وثقافةً وحضارةً؟ وما الأثر الذي تتركه مشاهدات هذه الرّحلة على القارئ العربي؟

١. تعريف بالكاتبة أمينة السّعيد

عرف الأدب العربيّ في عصر النّهضة عدة أسماء لأديبات حاولن النّهوض بالحضارة والمجتمع، وسايرن الدعوات الغربيّة والأوروبيّة الرّاميّة إلى ما يُسمّى بالتّحرّر والانفتاح الحضاريّ، وقد سخّرن الجهود عبر كتابات عديدة ونشاطات متنوعة داخل بلدانهنّ وخارجها لتحقيق تلك الغايات، ومن بينهنّ الكاتبة المصريّة والمفكرة والرّوائيّة (أمينة السّعيد).

ولدت بتاريخ (٢٠ مايو ١٩١٠م) بأسيوط، التحقت بقسم اللغة الإنجليزيّة بكليّة الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣١م، وكانت ضمن أوّل دفعة نسائيّة تلتحق بكليّة

الآداب، وحصلت على شهادة الليسانس عام ١٩٣٥م. تُعدّ من رائدات الحركة النّسائيّة بمصر في مجال الصّحافة، حملت على عاتقها قضيّة 'تحرير المرأة ومساواتها بالرّجل'... تقلّدت مناصب عدّة أهمّها: رئاسة تحرير "مجلّة حواء"، ومجلة "المصوّر"، ومجلس إدارة "دار الهلال، وكانت أوّل صحفيّة مصريّة تزور الولايات المتحدة الأمريكيّة والاتحاد السوفييتي بحكم عملها... كما شاركت في عديد المؤتمرات العالميّة ممثّلة عن المرأة المصريّة. لها مؤلّفات عدّة مثل: "وجوه في الظلام، " من وحي العزلة"، "الهدف الكبير"، "مشاهدات في الهند"... نالت جوائز وأوسمة استحقاق من بينها (وسام الاستحقاق من الدّرجة الأولى سنة ١٩٦٣م، جائزة الكوكب الذهبي ١٩٧٩م، وسام الجمهوريّة ١٩٧٠م، وسام الثّقافة والآداب ١٩٩٢م). توفّيت يوم (١٣ أغسطس ١٩٩٥م).[٣٦٧]

٢. نبذة عن كتاب مشاهدات في الهند

يدخل هذا المُؤلَّف ضمن فنّ أدب الرّحلة، وقد خلّدت صاحبته فيه مشاهداتها في (الهند)، التي زارتها للحضور والمشاركة في المؤتمر الدّوليّ النّسويّ المنعقد بمدينة (حيدر أباد السّند)[٣٦٨]، في فترة ما قبل الاستقلال، ورغم استصعابها لرحلة إلى بلاد غريبة عنها[٣٦٩]، إلاّ أنّ هذا الأمر انقلب إلى شعور إيجابيّ فور وصولها، فجذبت أنظارها معالم الهند التّاريخيّة، وأسرها تنوّعُ ثقافتها وعادات أهلها الاجتماعيّة والفكريّة، فصوّرتها ونقلتها إلينا بروح إنسانيّة منفتحة.

٣. صورة الهند في رحلة أمينة السّعيد

أ. صورة المجتمع الهنديّ:

إنّ أوّل ما يقع عليه نظر الرّحّالة إلى بلاد لم يعهد زيارتها من قبل هي مظاهر الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة، وقد تميّزت الهند بتنوّع عاداتها وتقاليدها بتنوّع

[٣٦٧] - ينظر: السيرة الذّاتية لأمينة السّعيد، www.maspero.eg، ٢٠٢١/٠٧/١٤، ١٦:٠٧.

[٣٦٨] - ينظر: أمينة السّعيد، مشاهدات في الهند دار المعارف للطّباعة والنّشر، مصر، د.ط، 1946م، ص ٥٤.

[٣٦٩] - ينظر: المصدر نفسه، ص١٠.

التّوجّهات الفكريّة والدّينيّة لشعبها، فكانت محطّ اهتمام المشرق العربيّ عامّة وأدبائه بصفة خاصّة.

وقد سجّلت الكاتبةأمينة السّعيد ملاحظاتها وكلّ ما لفت انتباهها في هذا الجانب فور وصولها إلى الهند، إذ صوّرت حُسن المعاملة وطيب أخلاق المواطن الهنديّ في شخصِ موظّف المراقبة في مطار مدينة (كراتشي) الذي استقبلها فور وصولها بـ"ابتسامة جميلة... وامتلأت عيناه بآيات الرّضا والعطف، وتدفّقت منه... كلمات التحيّة والتّرحيب"[٣٧٠]، ولم تتوقّف أخلاق الكرم والطيبة عند هذا الموظّف فقط، فكان من حولها شباب الهندوس والمسلمين يتسارعون إلى خدمتها ويتنافسون على من يدفع ثمن مشروباتها[٣٧١]، كما صوّرت ذلك الكرم المتأصّل لديهم، من خلال عناية مواطني مدينة (حيدر أباد) بها وبأعضاء المؤتمر، حيث "قام الأعيان بواجبهم على أكمل وجه... وتنافسوا في الكرم... فكانت موائد الإفطار تُمدُّ كلّ صباحٍ، وعليها من الأطعمة ما لذّ وما ندر."[٣٧٢]

أمّا عن العادات الاجتماعيّة في المأكل والملبس فلم تغفل عن تدوين مشاهداتهاوتجاربها، إذ كانت الموائد المقدّمة للضيوف متنوّعة بشتّى المأكولات المميّزة بـ"ألوان لا عداد لها، قوامها الأرز و'الكاري'، وهو اللحم المطهي بالتّوابل اللاذعة ثمّ الخضروات المختلفة والفطائر المملّحة، واللبن المخثّر المحلّى بالسّكر والحلوى على أنواعها"[٣٧٣]، ولم تكتف أمينة السّعيد بذكر أنواع الأطعمة ذِكرًا عامًّا بل شرحت ماهيتها ومع أيّ الأصناف تُقدَّم، فـ"الكاري يقدّمونه مع 'الجپـاتي' وهو خبز مستدير الشّكل بالغ الرّقة، يحمّر في الزّبدة حتّى يتشبّع بالدّسم."[٣٧٤] هذا التّنوّع في المأكولات

[370]- مشاهدات في الهند، ص 18.

[371]- ينظر: المصدر نفسه، ص ١٨، ١٩.

[372]- المصدر نفسه، ص ٤٧.

[373]- المصدر نفسه، ص ٤٨.

[٣٧٤]- المصدر نفسه ، ص ٤٩.

والدّقة في توزيعها مع ما يناسبها من أصناف لفت انتباه الكاتبة، حيث ذكرت طريقة الأكل عندهم، وكيفيّة صفِّ الطعام وتقديمه، إذ إنّه "من العادات الشّائعة أن يتناول النّاس طعامهم جالسين على الأرض في صفوف متقابلة، وأمام كلّ جالس صحن واسع يشبه 'الصّينيّة'... ويوضع الطّعام الأساسيّ في الصّحن الأوسط، والألوان الفرعيّة على ما حوله..." [٣٧٥] وتبدو هذه العادات مظهرا من مظاهر التواضع عند الشّعب الهنديّ، والاهتمام البالغ بتنوّع المأكولات يدلّ على عمق معرفتهم بأصنافها وتناسق كلّ نوع مع ما يناسبه من مكوّنات. ومن الدلائل أيضًا على تواضع الهنود وتمسّكهم بعاداتهم ضدّ كل ما هو غريب عنها حفاظًا على هويّتهم أنّهم "يأكلون بأيديهم، لأنّهم يؤمنون بأنّها طريقتهم الوطنيّة... فلا يصحّ التّخلي عنها"[٣٧٦]، وهذا ما يضمن الحفاظ على خصوصيّة المجتمع وأصالته.

ومن المظاهر التي تدلّ على اعتزاز "الهند" بأصالتها أنّ الرّوح الوطنيّة لشعبها "تدفعهم... إلى التّمسّك بالزيّ الهنديّ، ومن النّادر أن ترى رجلا منهم يغيّر سرواله الوطنيّ الأبيض أو امرأة لا ترتدي الصاري،" [٣٧٧] ولا عجب في ذلك، إذ ارتسمت صورة الهنديّ بلباسه الأبيض والهنديّة بالصّاريّ المفعم بالألوان المبهجة، ممّا يدلّ على نجاحهم في التمسّك بلباسهم التّقليديّ الذي رسخ في الأذهان ولم تزُل صورته إلى يومنا هذا.

أمّا عن الجانب الدّينيّ، نقلت "أمينة السّعيد" فسيفساء الأديان المختلفة التي تشكّل عديد الطّوائف في المجتمع الهنديّ، فـ"الهندوس" يمثّلون سواد الشّعب وأكثر سكّان الهند عددًا، ويليهم "المسلمون"، ثمّ "السّيخ،" و"المسيحيّون" و"البارسي"، و"الجين" و"البوذيّون". [٣٧٨] وبما أنّ تعدّد الدّيانات واختلافها في البلد الواحد يقتضي

---

[٣٧٥] - مشاهدات في الهند، ص ٥٠

[٣٧٦] - المصدر نفسه، ص ٥١.

[٣٧٧] - ينظر: المصدر نفسه، ص ٥١.

[٣٧٨] - يراجع: المصدر نفسه، ص ٢٩، ص ٣٧-٣٩.

تنوّع التوجّهات والاعتقادات، فالهند بلد يزخر بهذا التّنوّع الذي يجعله من أهمّ البلدان الآسيويّة تميّزًا، واختلافًا عن غيره من البلدان، فمن بين العادات الشائعة عند الهندوس أنّهم يخلعون أحذيتهم خارج حجرة الطّعام، ويدخلون إليها حفاة، لأنّ لتلك الحجرة حرمة خاصّة، كما أنّ تقاليدهم تحرّم عليهم تقبّل الطعام والشّراب من يد لا يعتنق صاحبها هذه الدّيانة...[٣٧٩] ومن جانب آخر نجد 'السّيخ' الذين اشتقّوا ديانتهم من الفلسفة الهندوسيّة وتوحيد الإسلام وبعض شرائعه كتحريم الخمر وإطلاق شعر اللحية...[٣٨٠] هذا التّنوّع قد يولّد الخلاف في كثير من الأحيان، لكن ومع ذلك يحرص الهنود جميعا على التّعاون ونبذ الخلافات في سبيل خدمة الوطن والسّير به نحو التّطور والرُّقيّ

وعن الجانب الثّقافي، نوّهت الكاتبة بجهود السّاسة والمصلحين القائمة على نشر العلم ومحاربة الجهل المنتشر وسط عامّة الشّعب، وقدّمت لنا مثالا عن ذلك من خلال زيارتها لمدرسة أهلية تابعة للمؤتمر بمدينة (كراتشي) ، بيّنت من خلالها أنّهم "وقفوا جهدًا طيّبًا، ومالًا وفيرًا على محاربة الأميّة ونشر الثّقافة المناسبة، ففتحوا مدارس عدّة لتلقين أبناء الفقراء مبادئ العلوم والصّناعات "[٣٨١] ويزيد هذه الجهود أهميّة حرصهم على تجهيز تلك المدارس وتهيئتها بـ"غرف دراسيّة كثيرة ومعامل للكيمياء والتّاريخ الطّبيعيّ، وقاعات واسعة مجهّزة بالآلات والمغازل والمناسج، يتعلّم الصّبية والفتيات فيها غزل القطن والحرير ونسجهما"[٣٨٢] ومن هنا فالاهتمام بالتّعليم لا يقتصر على الجانب النّظريّ فقط بل العمليّ الذي يضمن لأولئك المتعلّمين دخلا وفيرا في المستقبل.

---

[٣٧٩] - يراجع: المصدر نفسه ، ص ٥٠. ص ٢٩.

[٣٨٠] - ينظر: مشاهدات في الهند، ص ٣٨.

[٣٨١] - المصدر نفسه،ص ٣٠.

[٣٨٢] - المصدر نفسه، ص.ن.

وقد أبرزت الكاتبة أهميّة العلم عند الهنود وشغفهم به من خلال تبيان حرصهم على التّعليم بأبسط الوسائل وضمن أصعب الظّروف إذ "كان المدرّسون... يعلّمون التّلاميذ في الحدائق العامّة تحت قُبّة السّماء، فلمّا زاد الإقبال وتوافر المال نصبُوا خيامًا، أعقبتها أكواخ خشبيّة، انقلبت أخيرًا إلى بناء ضخم جميل."[٣٨٣] ولا يقتصر الاهتمام بالعلم والتّعليم عند السادة أو أصحاب القرار فقط بل نجده عند عامة الشّعب أيضًا نساء ورجالا، وقد دوّنت الكاتبة ملاحظتها عن هذا الجانب في "يوم افتتاح المؤتمر النّسائي... فقد امتلأ السّرادق المقام في حديقة 'الأكادومي' فكان به ما لا يقلّ عن خمسة آلاف نسمة بين رجال ونساء أقبلوا من جميع أنحاء الهند ليسهموا في نجاح المؤتمر."[٣٨٤]

أمّا عن الفنون التي تحظى بشعبيّة كبيرة في الهند وتتميّز بها عن غيرها من البلدان (التّمثيل والرّقص والغناء)، إذ تُعدّ هذه الفنون مقدّسة تتّصل بأشكال التّعبير عن الهويّة والفلسفة الفكريّة والدّينيّة والأساطير القديمة ، فهي تحظى بالتّقدير والإعجاب والفخر[٣٨٥] داخل الهند وخارجها.

من هنا فإنّ نقل الكاتبة لهذه المظاهر الاجتماعيّة بتفاصيلها العميقة من عادات وتقاليد وفنون وثقافة جعلنا نسافر عبر كلماتها ووصفها إلى 'الهند' ونشاهد ما شاهدته ونعايشه حقيقةً.

ب. صورة البيئة الهنديّة:

تزخركتب الرّحلات بوصف لمختلف المناطق البيئيّة والمظاهر العمرانيّة المميّزة لذلك البلد، إذ أنّ الرحالة يستكشف وطنًا غير وطنه ويحتكّ ببيئة تختلف عن تلك التي عهدها، ومنه فقد سجّلت 'أمينة السّعيد' مختلف الصّور عن البيئة الهند، وجعلتنا نستكشفها رفقتها. فأوّل مكان حطّت فيه رحالها كان مطار مدينة (كراتشي)

[٣٨٣] - المصدر نفسه، ص ٣١.

[٣٨٤] - المصدر نفسه ، ص 59.

[٣٨٥] -يراجع: مشاهدات في الهند ، ص 32، 33، 36.

الذي "يقع في صحراء السّند القاحلة على بُعد عشرة أميال من المدينة"[٣٨٦] ورغم قربها من الصّحراء إلا أنّها "مدينة حديثة... طرقاتها طويلة معبّدة تقوم على جانبها مبانٍ صغيرة"[٣٨٧] والطّابع العام لهذه المدينة يتميّز ببساطته وتنوّع مرافق الحياة فيه، كـ"الأحياء التّجاريّة، والحوانيت الشّرقيّة المليئة بالمجوهرات والحرير المطرز باللؤلؤ والفضّة والذّهب، والفنادق، والشّواطئ ذات الطّابع الأوروبيّ والمدارس..."[٣٨٨] ومن خلال وصف الكاتبة لهذه المدينة بتفاصيل عديدة تبيّن أنّها منطقة ذات نشاط تجاريّ وسياحيّ بامتياز.

أما عن مدينة (حيدر أباد السّند) فهي المدينة التي أُقيم فيها المؤتمر، أبرزت أمينة السّعيد بعض المظاهر العمرانيّة التي تنمّ عن بساطة وتهميش لها ، فـ"الطّرقات غير معبّدة مليئة بالأتربة والأحجار... والماء فيها مغبر عكر ..."[٣٨٩] ورغم هذا فإنّ البساطة والحاجة لم تمنع أهل (حيدر أباد) وأعيانهم من الاهتمام بعضوات المؤتمر وضيافتهم بكرم، والتّحضير للمؤتمر على أكمل وجه.

وبما أنّ مدينة (حيدر أباد) موطن أغنياء الهند فإنّها تحوي بيوتًا "أشبه بقلاع ضخمة: تبدأ عند الطّريق بباب خشبيّ كبير، يرتفع من خلفه سلّم ذو درجات قصيرة متتابعة... تؤدّي إلى أجنحة البيت التي يعيش الأبناء فيها مع زوجاتهم وأطفالهم... إلاّ أنها بسيطة في الدّاخل ... "[٣٩٠]وهذا يرجع إلى أنّ "أهل السّند الأغنياء لا يعيشون في مدينتهم... ويعتبرون السّند موطن الآباء والأجداد."[٣٩١] ويبدو هذا نابعًا من إخلاص الهنود لأراضي أجدادهم وتمسّكهم بأصولهم وافتخارهم بها. كما ذكرت الكاتبة بعض المناطق التي زارتها في (حيدر أباد) والتي وصفتها بالأناقة والرّقيّ كشارع يُسمّى (طريق

[٣٨٦]- المصدر نفسه، ص ٢٠.
[٣٨٧]- المصدر نفسه، ص 24.
[٣٨٨]- يراجع: المصدر نفسه، ص ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠.
[٣٨٩]- ينظر: المصدر نفسه ، ص ٤٦، ٤٧.
[٣٩٠]- ينظر: مشاهدات في الهند ، ص ٤٧، ٤٨.
[٣٩١]-ينظر: المصدر نفسه، ص، ٤٨

باريس) الذي يلتقي فيه الشّباب كما يضمّ منتدى صغير تحيط به حديقة غنّاء يلتقي فيه الأغنياء وتقام فيه حفلات الزواج..[٣٩٢]

ومن المدن الشّهيرة في الهند العاصمة(دلهي) التي لم تفوّت الكاتبة زيارتها وسرد أحداثها التّاريخيّة، آخذة إيّانا إلى جوّ أسطوري يوضّح تلك الأحداث المتعاقبة على "دلهي" من حكم هندوسيّ وإسلاميّ ومغوليّ واستعمار إنجليزيّ... فصارت مسرحًا امتزج فيه الماضي بالحاضر.[٣٩٣] كما وصفت الكاتبة سحر هذه المدينة التي تقع ضمن موقع فريد يجعلها "مركزًا هامًّا تلتقي عند الطرق الحديديّة الرّئيسيّة وتنتشر منه التّجارة إلى أنحاء العالم الخارجيّ."[٣٩٤] كما عرّفتنا على (دلهي الجديدة) التي أنشأها الإنجليز عام ١٩٣٠م والتي تحمل روح العصر الحديث وفنّه؛ من بيوت صغيرة أنيقة وحدائق خضراء، ودور ذات طابع كلاسيكيّ وهنديّ يجعلها مقصدًا للأمراء والأغنياء وكبار الموظّفين.[٣٩٥] من هنا كانت العاصمة (دلهي) رمزًا لامتزاج الحضارة بالأصالة والتّراث.

وانطلاقا ممّا سبق نجد أنّ الطّبيعة الحيّة لم تحظ بالاهتمام في نظر الكاتبة، فقد استقرّ تركيزها على مظاهر الحياة العمرانيّة والحضاريّة في المدن التي حطّت رحالها بها، ويبدو أنّ هذا الاهتمام نابع من خلفيّة تفكيرها بضرورة التّحضّر والسيّر على منوال الحضارة الغربيّة.

ج. صورة المرأة الهنديّة:

خصّصت أمينة السّعيد جانبًا من كتابها للحديث عن المرأة الهنديّة من خلال أشغالها في المؤتمر النّسويّ وعبر مشاهداتها المختلفة في أثناء زيارتها لمدينتيّ (كراتشي) و (حيدر أباد السّند)، فأبرزت دور المرأة الهنديّة في تطوّر بلدها وخدمته، وقدّمت مثالا عبر النساء اللواتي شاركن في المؤتمر وتناولن " بالبحث جميع مشكلات بلادهن

[٣٩٢] - يراجع: المصدر نفسه ، ص ٥٣.
[٣٩٣] - يراجع: المصدر نفسه، ص ٩٨-١١٣.
[٣٩٤] - المصدر نفسه، ص 97.
[٣٩٥] - يراجع: المصدر نفسه، 115-113.

السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة"[٣٩٦] ومن هنا فإنّ المرأة الهنديّة "تقوم بواجبها الكامل نحو بلادها، وتسهم في بناء صرح وطنها، وتأخذ بيد المجتمع لتعينه على السّير قدمًا."[٣٩٧] نظرًا لاهتمامها بجميع المشكلات وتخصّصها في مختلف الميادين المتعلّقة ببناء البلاد واستقرارها.

كما نوّهت بدور النّساء اللواتي شاركن في المؤتمر،وخاصّة منهنّ الشّاعرة (ساروجيني نايدو) الملقّبة بـ(بُلبل الهند المغرّد) التي ألقت خطابًا نالت به التحيّة والتّقدير، ورئيسة المؤتمر (هانسا ميتا) التي عالجت من خلال خطابها الاستفتاحي مشاكل بلادها من مختلف الجوانب.[٣٩٨] كما بيّنت بعض الأحوال المؤسفة للمرأة الهنديّة حيث أنّها لا تتساوى في الحقوق بل وتُظلم في كثير من الأحيان رغم عملها الجادّ وسعيها الحثيث لخدمة أهلها ومجتمعها.[٣٩٩] ومع ذلك فإنّ المرأة الهنديّة ذات حضور لا يمكن إغفاله فهي " بارزة الشّخصيّة، سامية التّفكير، مستقيمة المنطق، تدرس مشكلات بلادها في حذر، فتبيّن مناطق العلّة وتعمل على علاجها."[٤٠٠] وبالتالي فهي مز للإخلاص والوطنيّة.

الخاتمة

ختامًا لدراستنا المتمحورة حول صورة الهند في رحلة "أمينة السّعيد"، والتي خصّصناها تطبيقًا على مؤلّفها (مشاهدات في الهند)، توصّلنا إلى أهم النتائج التي تظهر من خلالها مدى تأثير هذه الرّحلة على العلاقة بين الهند والمشرق العربيّ من جهة، وأثرها في القارئ العربيّ من جهة أخرى، نوجزها في النقاط التّاليةتعرُّف القارئ العربيّ على المجتمع الهنديّ بشكل مفصّل؛ من حيث تعدّد طوائفه وتنوّع أجناس شعبه، والتي جعلت منه بلدًا غنيًّا ثقافيًّا ذا فسيفساء تحمل خصوصيّة ترتقي به إلى تسميته بالبلد القارة أو "شبه القارّة".

[٣٩٦] - ينظر: مشاهدات في الهند ، ص ٥٥.
[٣٩٧] - المصدر نفسه، ص ٦٧.
[٣٩٨] - يراجع: المصدر نفسه ، ص ٥٩، ٦٠، ٦١.
[٣٩٩] - يراجع: المصدر نفسه، ص ٦٧، ٦٨
[٤٠٠] - المصدر نفسه، ص ٦٥.

- تبيُّن عادات وتقاليد شعب الهند في "المأكل والملبس والمسكن... "وقد ساهمت تلك المشاهد في التّعبير الصّادق عن تمسّك الشّعب الهنديّ بأصوله، وأنّ مظاهر المجتمعات الغربية لا تغريه بالتّخلّي عن هويته وأصالة مجتمعه.
- قدّمت الكاتبة صورة مفصّلة عن المرأة الهنديّة، عاداتها، مكانتها وفاعليّتها في مجتمعها، وكذا خصوصياتها الدّينيّة والثّقافيّة والفكريّة، مما يجعل موضوع المرأة الهنديّة جديرًا بالدّراسة والبحث في الأدب ومختلف الفنون والتخصّصات.
- كما يمكن القول أنّها ساهمت في نقل صورٍ عن الهند إلى الجيل الجديد من محبّي الاستكشاف والباحثين والقُرّاء تمُدّ جسور الصّلة لاستمراريّة العلاقة بين هذا البلد العريق والعرب في المشرق والمغرب.

المراجع والمصادر

- ✓ أحمد محمد أحمد عبد الرحمن، العلاقات الثّقافيّة المصريّة الهنديّة عبر التّاريخ، ثقافة الهند، مج ٦٦، ع ٣، يوليو-سبتمبر، ٢٠١٥م، ١٢٩-١٣٨.
- ✓ أمينة السّعيد، مشاهدات في الهند، دار المعارف للطّباعة والنّشر، مصر، د.ط، ١٩٤٦م.
- ✓ أورنك زيب الأعظمي، مشاهدات في الهند_دراسة نقديّة _https://www.alukah.net
- ✓ حسني محمود حسين، أدب الرّحلة عند العرب، دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت. لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.
- ✓ رحاب محسن، أمينة السّعيد.. رائدة في "اسألوني"، الأهرام https://gate.ahram.org.eg ، ٢٠٢١/١٠/٠٧، ١٩:٥٥.
- ✓ السيرة الذّاتية لأمينة السّعيد، www.maspero.eg ، ٢٠٢١/٠٧/١٤، ١٦:٠٧.
- ✓ الشّافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، الديوان، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليَّات الأزهريّة، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٨٥م.
- ✓ عبد الله حمادي، أصوات من الأدب الجزائري الحديث،دار البعث،قسنطينة،د.ط،
- ✓ فؤاد قنديل، أدب الرّحلة في التّراث العربيّ، الدّار العربيّة للكتاب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م.

تصوير ثقافة شمال الهند في رحلات ناصرالعبودي

د. صديقة جابر الأستاذة المساعدة
قسم اللغة العربية كلية حميدية للبنات ،جامعة اله آباد

ملخص البحث

أدب الرحلات هو من أهم أصناف الأدب. فهو أدب الحضارة والثقافة والتاريخ، ويتعرف الإنسان من خلاله على ثقافات أجنبية ويتزيد بما لا يعرفه من أحوال وأوضاع الشعوب المتباعدة. لذا يحتل أدب الرحلة مكانا مرموقا بين فروع أدبية مختلفة كأنه سجل للعلوم الاجتماعية من التاريخ والجغرافيا والاقتصاد.

الشيخ ناصر العبودي نجم من نجوم أدب الرحلة، فقام برحلات كثيرة عبر البلدان المختلفة، وكان مولعا بأوضاع المسلمين في بلاد غير مسلمة، فكتاباته تُزَوِّدُ القراء بأحوالهم، وتجعلهم يزورون مبانيهم من المساجد والمدارس والمكتبات وغيرها. زار الشيخ العبودي الهند غير مرة فقام بتسجيل المشاهدات والمشاعر التي دارت بقلبه، ومما يعجب القارئ أن قلمه الفياض فاض بأفكاره ومخيلاته ومشاهداته من رحلاته الهندية حتى بلغت السلسلة إلى سبع عشرة رحلة. ومن أهم رحلاته "نظرات في شمال الهند"، فيذكر فيها غايته لزيارة الهند، وكيفية مجيئ المسلمين إلى هذه البلاد وتاريخهم في العصور القديمة.

نظرا إلى أهمية هذه الرحلات قد اخترت هذا العنوان. وسيحتوي المقال صورا عديدة من ثقافة شمال الهند كما التقطها الكاتب في رحلته من ذكر النظام الطبقي، وطرق العبادة، ومكانة المرأة الهندية، والطقوس والتقاليد الاجتماعية كما سيركز المقال على حركة الاستقلال ومساهمة المسلمين فيها وخاصة مساهمة المرأة المسلمة. وسياتي بالنتائج والأفكار الفريدة في النهاية.

إن الهند بلد الحضارات و الثقافات لم يدر فيها إلا استقى من حياضها الأدبية والعلمية، و العلاقة بين العرب و الهند قد توثقت منذ القدم و لذلك التفت إليها العرب من جميع الجهات و اتخذوا موضوعا لرحلاتهم، و من بين هؤلاء عميد الرحالة الشيخ محمد بن ناصر العبودي هو من أبرز الأدباء السعوديين اللذين بزغ نجمهم في سماء الأدب العربي الحديث ونالوا درجة مرموقة بين أوساط العلم والمعرفة لحياته الثقافية والأدبية في المملكة العربية السعودية، وإنّه ولع بالإسلام وتعليماته لذلك اهتم اهتماماً خاصاً بمرام خدمة الإسلام والمسلمين خاصة في البلدان التي يعيش فيها المسلمون كأقلية، وكتب في رحلاته لقاءاته بالمسلمين، و جميع المسائل التى عانت منها المسلمون فى كافة العالم.

إن التصانيف والتأليفات للشيخ العبودي تعتبر مرجعا صادقا لتفقد العلوم والفنون والثقافات الموجودة في العالم، فنجد في كتبه خاصة في كتب رحلاته وصف البلاد وتاريخه، وطبائع الناس وتراجم الرجال وغرائب العادات والتقاليد والمشاهدات، فهو يعتبر بحق رمزا شامخا من رموز الثقافة الإسلامية. وإذا ألقينا النظر إلى مجهوداته في مجال العلم والأدب، فعرفنا أنه ألف كتبا متعددة على موضوعات شتى من الدعوة إلى الله والتاريخ وعلم الأنساب واللغة وبعض مقطوعات شعرية. زار الشيخ العبودي الهند عدة مرات، وجمع المعلومات المعروفة عنها ونسخها ورتبها في شكل الكتاب حتى بلغت سلسلة رحلاته الهندية إلى سبعة عشر رحلة، ومنهم أريد أن اتناول رحلاته إلى شمال الهند.

أما رحلاته "نظرات في شمال الهند" يعد من أهم رحلات الشيخ العبودي ويذكر فيه عن غايته لزيارة الهند، وهي إمداد العرب بمعلومات عن الثقافة الهندية والتاريخ الهندي ليتمكن الشعب العربي من بناء جسور ثقافية فيما بينهم. وركز في هذا الكتاب على حال أوائل المسلمين في الهند وتاريخهم وثقافتهم وقارن بينهم وبين أحوال المسلمين الهنود في الحاضر.

عجائب بلاد الهند

وصف الشيخ العبودي حياة الناس في الهند بأنها "أقل من القليل"، فلباسهم لا يتعدى قطعة صغيرة من القماش التي تستر عورتهم، ويشربون الماء الملوث الذي يبقى من مياه الأمطار وما تحفظه الأرض الطينية، وفي بقع المياه المتجمعة يغتسل النساء ويغسلن ملابسهن وملابس أطفالهن، ورأى الشيخ العبودي النساء من شدة العوز يشاركن الرجال في مهن صعبة كالبناء ويحصلن بالرغم من ذلك على أجر لا يتناسب مع مشقة العمل وحالتهم اليائسة، والنساء كما يصفهن الشيخ العبودي يرتدين "الساري" الطويل.

قد يرى الشيخ العبودي أن هذا البلد يحمل الشيء وضده، فبجانب مشهد العوز والبئس تجد خبراء في البحوث العلمية المتقدمة في الذرة وصناعة الصواريخ حتى وصلوا إلى تصنيع السلاح الذري والصواريخ بعيدة المدى، ويطرح الكاتب في ذلك السياق تساؤلا عن إذا كان من الأولى حل مشكلات أولئك الجيَاع الذين لا ملجأ لهم ولا مأوى بدلا من أن ينفقوا أموالا طائلة على تلك البحوث.[٤٠١]

طريقة العبادة عند الهنود :قد ألقى الشيخ العبودي النظر على تعدد الآلهة وتماثيلها في الهند، ورأي الناس وطريقة عبادتهم، فمنهم من يعبد الجذور، ومنهم من يقدس فرج الذكر والأنثى لأنهما سبب الوجود، ومنهم يعبد الحية والأسد، حتى أن فئة من بينهم تعبد صنما يسمونه "مهاكال" .[٤٠٢] والبقرة من أبرز الآلهة التي يعبدها كثير من الهنود، ويقدسونها لدرجة حتى لا يُقدمون على ضربها أو اعتراض سبيلها، بل إنهم يشربون أبوالها ويتمسحون بها للتبرك، ولكن ذلك التقديس لا يجري على الثور أو وليد البقرة، وإنما يستخدمونه لجر العربات ونقل حاجاتهم.[٤٠٣] من بين مشاهدات المؤلف كان الهنادكة مولعين بالتقاليد والمحافظة عليها، فإذا مر أحدهم على معبد يضم بطن

[٤٠١] نظرات في شمال الهند ج 1 ص 24

[٤٠٢] أيضا 1 ص 26

[٤٠٣] أيضا ص 27

يديه اليمنى لليسرى ويخفض رأسه تحية للمعبد، وذلك غير تمسكهم بالذوق الهندي الخاص الذي لا يماثله ذوق في قطر آخر، فلهم ألوانهم التي تميزهم في الملابس وطلاء المنازل.[٤٠٤]

من عجائب بلاد الهند أيضا ذلك الفرق الشاسع بين الطبقات، فبينما يغمر البعض الفقر المدقع تجد آخرين يعيشون في أبهى صور الزهو والترف، حسب الشيخ العبودي أن "الفقير لا يحسد الغني أو يعصي أوامره لأنه أغنى منه" ولكن الأمر كذلك، وهم أيضا يمتازون بحسن المعاملة ودماسة الخلق، فلا يؤذون غريبا أو يسيئون إليه، لكنهم لا يتهاونون في الرد على إيذاء أحد من المسلمين لبقرة، حيث قامت كثير من المذابح الطائفية بين المسلمين والهنادكة في الهند بسبب بقرة! فالمسلمون يذبحون البقر كثيرا كأضحية والهنادكة يكرهون ذلك حتى يصل الأمر بينهم إلى الاقتتال كما كتب الشيخ العبودي.[٤٠٥]

أحوال المرأة الهندية

إن الشيخ العبودي يرصد الحقائق التاريخية التي أطلع عليها مثل تاريخ وأد البنات في الهند وكيف تغيرت نظرة المجتمع الهندي للمرأة بين الماضي والحاضر ويتحدث بلغ الظلم الذي تعرضت له المرأة الهندية مداه في العصور الأولى، فكانت المرأة إذا مات عنها زوجها تحرق نفسها حية مع جثة زوجها، واستمرار هذه العادة البغيضة إلى ما بعد استقلال الهند إلى أن تغير الوضع كثيرا وأصبح لدى المرأة حق العمل والالتحاق بوظائف هامة في البلاد وهي محافظة في نفس الوقت على العادات والتقاليد.[٤٠٦]

نظام الطبقات في الهند

و قد خاض المؤلف في الهند فوجد هنا أربع طبقات أعلاها البراهمة، وتزعم تلك القبيلة أنهم خُلقوا من رأس الآلهة، ويأتي بعدهم كشتر التي تزعم أنها خُلقت من

[٤٠٤] أيضا ص 28

[٤٠٥] أيضا ص 29

[٤٠٦] نظرات في شمال الهند ج 1 ص 31

مناكب ويد برهم، ثم هناك طبقة يش وجاءوا من رجلي براهم، وأخيرا يأتي أصحاب المهن ويُسمون انتز وتلك الطبقة تضم أصحاب الحرف مثل نساج الزنابيل والأترسة والسفان وصياد السمك وغيرها ما عدا القصار والإسكاف والحائك، وهناك طبقة أخرى هي هادي ودوم وجندال وبدهتو، وهم يعملون في أرذل الأعمال.[٤٠٧]

دور النساء المسلمات في حركة تحرير الهند

يذكر المؤلف في كتابه دور المسلمات في تحرير الهند، ويتحدث عن السيدة حضرت محل التي قاومت الاحتلال البريطاني وعبأت جيشا نسائيا للتخلص من هذا العدوان، حتى إن القائد الإنجليزي عرض عليها الصلح لما وجد أن لا سيطرة له على الوضع، لكنها أبت إلا المقاومة حتى توفاها الله. يضرب لنا الكاتب مثالا آخر للنضال النسائي وهي صغرى بيجم التي أحرقت حية بعد أن وجهوا لها تهمة الاشتراك في الثورة، وأصدرت الحكومة البريطانية حكم الإعدام لكل من حبيبة ورحيمن ردا على إسهامهما في حركة تحرير بلادهما. أما والدة مولانا محمد علي جوهر فقد شجعت ابنيها على التضحية لتحرير الهند، وشاركت بنفسها في الحركة الاستقلالية.[٤٠٨]

المسلمون بعد التحرير

تعرض المسلمون لمذابح مشينة بعد أن تحررت الهند، وسادت الإضطرابات الطائفية ووصلت إلى التعرض للمراكز العلمية والمساجد وتأليف المسرحيات التي تستهزأ بهم وتسخر منهم، وأقيمت المؤتمرات التي تحشد المواقف ضد المسلمين، وقامت الهنادكة بالدعاية عن المسلمين أنهم سبب الفوضى والفساد في الهند، وأنهم العقبة الوحيدة وراء توحيد الهند لأنهم يصرون على الاحتفاظ بهويتهم الإسلامية، وأن أسلافهم هدموا المعابد الهندوكية وبنوا على أرضها المساجد، ووسعت تلك المؤتمرات لإلغاء الأحوال الشخصية للمسلمين، ولكن ذلك لاقى معارضة كبيرة من قبل المسلمين

[٤٠٧] نظرات في شمال الهند ج ١ ص ٦١

[٤٠٨] أيضا ص ١٣٠

في الهند، وواجهوا ذلك بكل قوة حتى هدأت تلك الدعاوى، ولكنها ما تلبث أن تعود من وقت آخر، وقد كان لرابطة العالم الإسلامي دور في التصدي لتلك الدعوات واستعانت بالمحاميين المسلمين والهنادكة لتوضيح رؤيتهم وتأكيد أن القانون الموحد يتنافى مع الشريعة الإسلامية وأحكامها.[٤٠٩]

و خلاصة القول أن الكاتب ناصر العبودي قد تبحر فى ثقافات الهند و تأثر بها تاثرا بالغا إلى جانب من طبقات و عبادات و حضارات، فقد ألم بآلام المسلمين و معاناتهم فى الهند إلى جانب آخر أى صور المسلمين و جهودهم الجبارة و مساعيهم المحققة.

المصادروالمراجع

- ✓ العبودي، محمد بن ناصر، نظرات في شمال الهند، ج ١، مطبعة النرجس التجارية، ٢٠٠٣م.
- ✓ العبودي، محمد بن ناصر، في شرق الهند رحلة وحديث في أحوال المسلمين، مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٩هـ.
- ✓ أحمد، محمد بن أحمد سيد، الشيخ العلامة والأديب الرحالة محمد بن ناصر العبودي، حياته العلمية، جهوده الدعوية، رحلاته العلمية، آثاره الحميدة، المكتبة الثقافية العصرية، ٢٠١٠م.
- ✓ حسين، د. حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، دارالأندلس ١٩٨٣م/١٤٠٣ هـ.
- ✓ فهيم، د.حسين محمد، أدب الرحلات، مطبعة عالم المعرفة، ١٩٨٩م.
- ✓ قنديل، فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة دار العربية للكتاب، ٢٠٠٢م.

[٤٠٩] نظرات في شمال الهند ج ١ ص ١٣٥-١٤٤

الهند في رحلة أنيس منصور
دراسة ثقافية

شميم أحمد، باحث الدكتوراة
مركز الدراسات العربية والإفريقية،جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي، الهند

ملخص البحث

لقيت الهند عناية كبيرة عند الرحالة العرب منذ زمن قديم، وهناك عدد لا بأس به من الرحالة العرب الذين زاروا الهند وسجلوا مشاهداتهم عنها، والمكتبة العربية غنية بالرحلات الأدبية والعلمية، قد جذبت الهند خلال القرن المنصرم كثيرا من العلماء والأدباء والرحالة العرب، منهم- على سبيل المثال- فتح الله أنطاكي، ومحمد المخزنجي، أمينة سعيد، محمد بن ناصر العبودي، وعبدالوهاب عزام، أشرف أبو يزيد، ونوال السعداوي، وأنيس منصور وغيرهم.

أنيس منصور كان صحفيا وأديبا وكاتبا كبيرا، ورحالة فلسفية، جاب أطراف العالم، ودون مشاهداته في كتابه الشهير "حول العالم في ٢٠٠ يوم. هي أول رحلة تفوز بجائزة الدولة في أدب الرحلات، وأعلنت منظمة اليونسكو أنه أكثر الكتب انتشارا وشعبية في العالم العربي. سافر أنيس منصور إلى الهند لمهمتين أساسيتين، وهما إجراء الحوار بكبير الوزراء بولاية كيرلا إي.أم. أس. نمبوتربياد لصحفية "أخبار اليوم"، واللقاء بالزعيم الروحي للتبت دلائي لاما. وإضافة إلى ذلك زار أنيس منصور المدن الهندية الشهيرة، وأقر أخيرا أن الهند ليست دولة ولكنها قارة واسعة، لها ثقافة واسعة غنية. يهدف هذا البحث إلى دراسة رحلة أنيس منصور للهند، وانطباعاته وأفكاره عن الجوانب المتعددة للحياة الهندية ومعالمها وثقافتها ومجتمعاتها وتاريخها وأعلامها وآثارها.

كلمات مفتاحية: أدب الرحلة، ثقافة الهند، أنيس منصور، كيرلا، إي.أم. أس. نموبوترباد،ودلائي لاما.

أنيس منصور وكتابه حول العالم في ٢٠٠ يوم

و سافر أنيس منصور الى العديد من دول العالم، وكتب الكثير في مجال أدب الرحلات، وفاق ما بين المعاصرين في هذا الفن، وألف كتبا عديدة نذكر منها:حول العالم في ٢٠٠ يوم، بلاد الله خلق الله، غريب في بلاد غريبة، اليمن ذلك المجهول، أنت في اليابان وبلاد أخرى. ففي كتابه حول العالم في ٢٠٠ يوم سجل فيه أنيس منصور إنطباعاته، وخواطره ومشاهداته وتأملاته وانفعالاته الذهنية والعاطفية في رحلته من القاهرة إلى الهند وسيلان وأندونيسيا وجزيرة بالي واستراليا والفلبيين وهونج كونج واليابان وجزر هاواي ثم أمريكا. ظهرت فصول الكتاب أولا في صورة مقالات في الصحيفة "أخبار اليوم"وكانت زيارته للهند بصفته مراسلا للصحيفة لتغطية الأزمة السياسية الناشئة بولاية كيرالا عام ١٩٥٩ م كما يصرح بذلك في مقابلته مع نامبودريباد. وفي مقدمة الكتاب يقول: "كنت أكتب ليلا ونهارا وكنت أبعث بمقالاتي لـ"أخبار اليوم"و"آخر ساعة"و"الجيل".[٤١٠] وبعد انتهاء هذه الرحلة الطويلة جمع الكاتب المقالات من الصحف ورتبها في صورة كتاب بعد أن حذف كثيرا منها التي كانت من النوع السياسي.

يعتبر هذا الكتاب من أفضل الكتب في أدب الرحلات في العصر الحديث، وفاز بجائزة الدولة التشجيعية سنة ١٩٦٢م، ونال الكتاب حفاوة بالغة من الأدباء والكتاب والباحثين من أطراف العالم، وكتب الأدباء والنقاد انطباعاته حول هذا الكتاب كطه حسين ومحمود تيمور، يناسب لنا أن نقف قليلا حول انطباعاتهما:كتب طه حسين مقالا في صحيفةأخبار اليوم: "هذا كتاب ممتع حقا، تقرؤه فلا تنقص متعتك بل تزيد كلما تقدمت في قراءته، ومع أنه من الكتب الطوال جدا فميزته الكبرى هي أنك حين

[٤١٠] منصور، أنيس؛ حول العالم في 200 يوم ، ص 37 و 116

تقرؤه لا تحتاج إلى راحة، وإنما تود لو تستطيع أن تمضي فيه حتى تبلغ آخره في مجلس واحد، لأنك تجد فيه المتعة والراحة والسلوى وإرضاء حاجتك إلى الاستطلاع.[٤١١] وكتب محمود تيمور : "لا ريب أن كتابه "حول العالم في ٢٠٠ يوم" من خير ماأنتج، ولعل إيثاري له يرجع إلى شغفي بالرحلات وكتب الرحلات، حتى أني أقحمت نفسي في هذا الميدان بما كتبته في وصف بعض السفرات التي قمت بها فيما وراءالبحار. "[٤١٢]

يرى محمود تيمور أن الأستاذ أنيس منصور يتمتع بجميع المؤهلات التي تستلزم كاتبا ناجحا للرحلات من ألمعية الملاحظة ورفاهة الفطنة وسرعة الالتقاط والقدرة على استبانة الملامح والمعالم وبخاصة ما يدق منها على النظرة العابرة وما يتصل منها بالعادات والسلوك والأوضاع الاجتماعية التي لا تخلو من غرابة، كما يرى حول العالم في ٢٠٠ يوم من خير ما انتجه، قد كتب في أسلوب رشيق، وتوجد فيه أوصاف شائقة للمشاهدات والانطباعات، وله قصة ممتعة مع الكتاب. وهو اشتراه ولكن حجمه الضخيم منعه من القراءة وظل متهيبا من الشروع في قراءته، يخالسه النظر بين يوم ويوم، ولا يمد إليه يدا، بكونه رحلة طويلة عريضة استغرقت مائتين من الأيام، وأكثر من ستمائة صفحة من القطع الكبير.

حينما نرى أسلوب أنيس منصور فنجده شائقا ممتعا، ولا نجد نظيره عند أساتذة الأدب الذين يكتبون في الصحف والجرائد. هكذا إذا نتحدث عن عيوب هذا الكتاب الذي نواجهه منذ الفصول الأولى، فهو التكرار ولا نعني أن أنيس منصور ينظر إلى الأشياء في مختلف البلدان بنفس النظرة بل إنه يكرر الحديث نفسه أكثر من مرة، ولقد اعترف الكاتب بهذا النقص في مقدمة الكتاب.

[٤١١] أخبار اليوم، طه حسين، أغسطس، 1966م

[٤١٢] منصور، أنيس؛ حول العالم في 200 يوم، مقدمة الطبعة التاسعة، بقلم محمود تيمور، ص30

أنيس منصور في الهند

الهند هي كانت المحطة الأولى في رحلة أنيس منصور حول العالم، وتستغرق أحاديث أنيس منصور عن الهند حوالي مائة وثماني صفحات، وهي تحت ستة عناوين مختلفة: كل شيئ كثير، باسم الله، صاحب القداسة رفض، إله في انتظاري، حفاة تقدميون جدا، وتأملات هندية. تحدث تحت العنوان الأول عن إقامته في مدينة ممبئ، وفي الثاني عن إقامته بدلهي، والثالث والرابع عن إقامته بدهرادون ومقابلته مع دلائي لاما، والخامس عن كيرالا ومقابلته مع نامبودريباد، وفي العنوان الأخير قدم خلاصة تجاربه ومشاهداته في الهند، بعنوان تأملات هندية. ولو نحاول تحديد الموضوعات الرئيسية التي دارت حولها أحاديث أنيس منصور يمكن أن نقسمها هكذا: المرأة الهندية، وتندوري، البان، البقرة، الدوتي، ضحك الهندي، الرطوبة والرائحة والبعوض، جواهر لال نهرو، دلائي لاما، ولاية كيرالا، نامبودريباد.

كان من هدف هذه الرحلة إجراء تحقيق صحفي عن ولاية كيرالا، حيث كان الحكومة للحزب الشيوعي، وفي المركز الحكومي لحزب كونغرس. دار صراع عنيف بين الحكومتين.يقول: "لقد كان الغرض من رحلتي هذه أن أسافر فقط إلى ولاية كيرالا في الهند وأن أكتب تحقيقا صحفيا عن الولاية الوحيدة في الهند التي فاز فيها الحزب الشيوعي بحكومة شيوعية ١٠٠% وقد ثار حزب الحكومة المركزية على هذه الولاية واتهم حكومتها بالطغيان والاستبداد، والتدخل في معتقدات الناس، وتغيير كتب التاريخ، وقابلت رئيس الوزراء نامبودريباد، وكان هذا الحديث الذي دار بيني وبينه هو الصاروخ الذي دفعني إلى الدوران حول الأرض.[٤١٣]

والثانية لمقابلة دلاي لاما الذي لجأ إلى الهند بعد اجتياح الصين والتبت، ويشير أنيس منصور في موضع أن تغطية أزمة كيرالا كانت مهمته الأولى، ولكنه سافر أولا إلى

[٤١٣] المصدر السابق ، ص 10

مسوري للقاء دلاي لاما، وبعد ذلك رحل إلى تريفاندفرم عاصمة كيرلا لمقابلة نامبودريباد، فقابل أنيس منصور دلاي لاما وأمه وتحدث معهما والتقط صورهما كما يقول: "وجلست إلى جوار دلاي لاما لكي تظهر لي أول صورة نشرت له في العالم العربي أو صورة تنشرها (أخبار اليوم) لدلاي لاما"[٤١٤]

أما الحوار الذي جرى بين أنيس منصور ودلاي لاما وأمه فكان يتضمن عدة أسئلة، مثلا سأل الكاتب أنيس منصور دلاي لاما: كيف هربت من التبت إلى الهند؟ وهكذا وجّه أنيس عدة أسئلة لدلاي لاما، فأجابه دلاي لاما جوابا مقنعا.

بعد المهمة الأولى سافر أنيس منصور إلى كيرالا كي يكتب قصة الصراع بين الحزب الشيوعي وبين الحكومة المركزية، إذ كانت زيارته لكيرالا وتغطية الأزمة هناك من صميم أهدافه التي شد لأجلها رحلته إلى الهند، ومع ذلك لا يوجد في كتابه شيء حول الأزمة السياسية التي كانت تعاني منها الحكومات سوى إشارات عديدة، وربما ذلك لحذفه كثيرا من الموضوعات لدى تأليف الكتاب وترتيبه، إلا أن حديثه عن كيرالا يقدم لنا صورا وتجارب تكشف عن جوانب عديدة لحياة مواطني الولاية. لبس أنيس منصور في كيرالا دوتي، وتناول في ورقة الموز، ورأى كثيرا من العجائب والغرائب والتقاليد في عيد محرم، وزار المبنى التذكاري الذي يرقد فيه رماد المهاتما غاندي، وأجرى المقابلة الصحفية مع رئيس الوزراء نامبودريباد. يستغرق حديث أنيس منصور عن ولاية كيرالا قد حوالي أربع وعشرين صفحة، وقد اختار لبيان ذلك كعادته في اختيار العناوين عنوانا مثيرا هو حفاة تقدميون جدا.

لولاية كيرلا خاصيات فريدة في نوعها عن الولايات الهندية الأخرى، والمسلمون دخلوا الهند من هذه الولاية، واليهود عندما انهدم معبد أورشليم، هربوا على سفن فينيقية إلى كيرلا، واستقروا في كوتشن. ويبدأ أنيس تجرباته في كيرلا من عاصمتها، وبالنسبة إليه أن تريفاندرم Trivandrum اسم جميل، ولكن المدينة ليست نفسها،

[٤١٤] المصدر السابق، ص ٨٧

لأنه مكث في عاصمة كيرلا خائفا من الذباب. ورئيس الوزراء إي. أم. أس. نموبوترباد E.M.S Namboothrippad هو شخصية ثانية الذي أثر في سياسة الهند، إن لسياسته نقلة نوعية في تكوين كيرلا ولاية فريدة في جنوب الهند، وأثناء مكوثه في كيرلا رأي الكاتب عدد من الصحفيين الأجانب من السويد والنرويج وألمانيا كلهم جاؤوا للكتابة حوله، وانبهر أنيس أمام دور رئيس وزراء كيرلا الذي قلب الدنيا في الهند، وأصبح مركز آمال الأحزاب الشيوعية في الهند، وفي كل آسيا، فهو يعتبر نقطة تحول خطيرة في الحركة الشيوعية في الهند، وكذالك ذكر الكاتب المقابلة مع رئيس الوزراء في سبع صفحات في كتابه حول موضوع الشيوعية و سيطرة أحزابها ومستقبلها في الهند. ثم يصور الكاتب المظاهرات التي قامت بسبب سقوط وزارة إي.أم أس نموبوترباد بعد هذه المقابلة مباشرة.

ويكتب أنيس منصور عن جواهر لال نهرو ومكانة الهند على خريطة العالم: "نهرو هو أعظم رجل في الهند، ولا يعرف الهند من لم يعرف نهرو، ولا يعرف آسيا من لم يعرف الهند، ولا يعرف مستقبل العالم من لم يعرف آسيا، والهند هي رأس آسيا، وهي شعرها الطويل والقصير، هي العمامة أم ديل، والعمامة بلا ديل، هي العنوان الذي كله معنى، وهي عنوان لا علاقة له بالموضوع، هي أغرب ما في آسيا و أغرب ما في الدنيا، لكنها شئ كبير... كبير جدا!"[٤١٥]

صفات المرأة الهندية

إن المرأة تشغل حظا كبيرا لدى أنيس منصور، المرأة والحب والشباب هي الموضوعات التي خاض في أعماقها الكاتب كثيرا، يبدو لنا من النظر في أعماله أنه مولع بالحديث عن المرأة، إنه يعشق محادثة النساء والحديث عنهن ونعتهن، فكيف لا يستهويه هذا الجنس اللطيف في الهند؟ يظهر من دراسة كتاباته إنه مشغوف بالحديث

[٤١٥] المصدر السابق ، ص ١٤٢

عن المرأة، فالمرأة تستلفت أنظاره أينما يكون. إنه يهوي محادثة النساء والحديث عنهن ووصفهن. فكيف لا يستهويه هذا الجنس اللطيف في الهند؟

يصف أنيس منصور المرأة الهندية قائلاً: أما السيدات فهن أميل إلى السمنة، وخصوصا الأرداف، وتضع كل واحدة نقطة حمراء في أسفل الجبهة، تدل على أنها متزوجة، وشعرها أسود جدا تحسدها عليه كل نساء أوربا وأمريكا، وجبهها مستدير، وشفتا المرأة أميل إلى الامتلاء وعنقها مسحوب وأذناها صغيرتان". ويقول في مكان آخر مبهورا بجمال وسواد شعر المرأة الهندية: "أما شعر المرأة فطويل أسود يوجع قلب كل نساء أوربا.[٤١٦].

والشيء الجدير بالذكر هنا أن الرحالة المصري أنيس منصور يثني على المكانة التي تحتلها المرأة في الهند بسبب الحرية الاجتماعية، فهو يقول مقارنا بين وضع المرأة في آسيا وأفريقيا: مركز المرأة في آسيا كلها أحسن من مركزها في إفريقيا؛ فهي هنا في الهند رئيسة أعظم حزب وهو حزب المؤتمر، وهي وزيرة ونائبة وزير ومستشارة وقاضية، وهي وكيلة البرلمان ورئيسة مئات من الهيئات الرسمية"[٤١٧]. وكل ما كتب انيس منصور في كتابه حول العالم في ٢٠٠ يوم عن المرأة الهندية، يعكس صورة امرأة ومكانتها العليا في الهند. وتتمتع المرأة الهندية بجميع التسهيلات التي أعطتها الحكومة، وقدم الكاتب صورا مشرفة عن المرأة فأشاد بكرمها وجودها وبإنجازاتها التي لا زالت تشهد لها بذلك.

الأطعمة والأشربة والملابس

لقد أسهمت كتب الرحلات في الكشف عن كثير من مواطن الإتفاق والإختلاف بين الناس عموما في الأطعمة والأشربة والعادات والتقاليد المتبعة، فقد أظهرت أن الإختلاف في الشؤون الاجتماعية والإقتصادية لبعض البلدان هو من أهم أسباب التفاوت أحيانا، وجرب منصور في الهند أكلات ووجبات مختلفة، وأكل في المطاعم

[٤١٦] المصدر السابق ،ص 141

[٤١٧] المصدر السابق ، ص 135

والفنادق الفخمة كما أكل جالسا على الأرض ولكن الطعام الذي أعجبه وفضله على جميع الأطعمة هو "نتدوري" وله عنه حكاية.

استحسن منصور "تندوري" واستلذه أكثر من أية أكلة أخرى، فهو في نظره العلامة المميزة للمبخ الهندي، وفيما عداه من طعام لا يستحق الذكر في الهند كلها. منصور في مطعم "موتي محل" في دلهي. أمامه قائمة الطعام، لكن يستعصي عليه فهمها. ونهائيا يقع اختياره على "تندوري ونان". يقول عن هذه الأكلة: أما فيما عدا هذه الفرخة فلا يوجد طعام يستحق الذكر في الهند كلها... هذه الفرخة هي العلامة المميزة للمطبخ الهندي" [٤١٨]

تعتبر الغذاء والعادات الغذائية من مظاهر الحياة المهمة، ويرى أنيس منصور أن بعض الطبقات الهندية الدينية لا يأكلون اللحوم "ففي الهند أناس لا يأكلون اللحوم، ولا المواد المستخرجة من الحيوانات فلا يشربون اللبن ولا يأكلون الزبد ولا الجبن، ولا يأكلون البيض، ولا السمك، ولا يذبحون الأبقار، لأن البقرة مقدسة، وهي رمز الحياة والخصوبة، وهي حيوان سعيد في الهند، وسعادة البقرة واضحة في دلالها ودلعها وتمخطرها في الشوارع، في أحسن الشوارع، وفي دخولها أحسن المحلات دون أن يمسها أي إنسان"[٤١٩]

ثم يصور الكاتب مشكلة الفلفل في المأكولات الهندية، يستخدمه الهنود في طعامهم كثيرا، فيقول: والهنود يأكلون أطعمة حريفة . . . حراقة . . . وهم يضعون هذه الشطة أو هذا الفلفل على كل طعام وشراب، بل لاحظت أنهم يضعون ذلك على الحلويات"[٤٢٠]

أنيس منصور والبان

[٤١٨] المصدر السابق ،ص 53
[٤١٩] المصدر السابق ،ص 45
[٤٢٠] المصدر السابق ،ص46

يذكر أنيس منصور في كتابه حكاية "البان" بأسلوب رائع. حينما خرج الكاتب من مطار ممبئ رأى على الأرض بقعا من الدم وعندما أطال النظر إليها لم تكن دما وإنما لونها كان أقرب إلى الدم البنفسجي قليلا، قد ذكر "البان" مرة واحدة فقط باسمه وإلا أنه يذكره باللبان ومعناه في الإنجليزية Chewing Gum. هو مصر على استعمال كلمة "اللبان""للبان" وهنا في الهند نحن نعرف الفرق بين اللبان والبان. يقول أنيس منصور:

"إنه نوع من اللبان يسمونه –بان- يمضغه الناس هنا ثم يبصقونه على الأرض، إنه عبارة عن لبان نباتي، مجموعة من الأعشاب وثمار الأعشاب يضعونها أو يلقونها في ورق ثم يمضغونها".[٤٢١] يطيل الحديث عن البان فيقارن بينه وبين القات اليمني كما يقارن بين ثمنه وثمن البان الأمريكاني ويشاهد هو أنه صادق في ملاحظته: "والناس كلهم يمضغون البان، بائع اللبان وأستاذ الجامعة والوزير، والبان مفيد للأسنان تماما كما نعتقد في الريف عندنا أن (اللبان الدكر) مفيد للحلق أو مزيل للبلغم".[٤٢٢]

والشيئ الذي يدهشه كثيرا ويندهش كل من له عقل سليم وطبيعة سليمة كيف يبصق إنسان محترم على الأرض؟ فيقول: "وكأنني توليت تعذيب نفسي في كل مرة أرى واحدا يمضغ فأظل طول الوقت أتوقع أن يبصق أمامي على الأرض، وكثيرا ما خاب أملي. فحمدت الله على أن أكثر من عشرين شخصا لم يبصقوا أمامي على الأرض".[٤٢٣]

أنيس منصور والدوتي

أما الملابس الهندية، فقد حفلت كتب الرحلات بالكثير من الإشارات إليها، وأخذ الرحالة يصفونها وهو يتنقل من مكان إلى آخر، وكان لكل منطقة أو جماعة زيها الخاص بها، وتوجد ارتباط الملابس ببعض المناسبات فالحزن له لباس، وللأعياد ومواقع الفرح له لباس. وهكذا نرى أنيس منصور اهتم اهتماما كبيرا بملابس الهندية حينما ورد الهند، ويبدو أن اللباس الهندي وقع في نفسه موقعا جميلا وأثار لديه رغبة

[٤٢١] المصدر السابق ، ص 41

[٤٢٢] المصدر السابق ،ص 41

[٤٢٣] المصدر السابق ،ص 42

شديدة في تجريبه، ولبس الكاتب الزي الهندي الشهير "دوتي"، وقصة (دوتي) يحكيها الكاتب في كتابه حول العالم في ٢٠٠ من خلال أسلوبه الممتع الساخر. والرجل العظيم نهرو كان يرتدي هذا الزي دائما.

الصحافة في الهند

يكتب أنيس منصور وهو يثني على الصحافة الهندية وطباعتها وأسلوبها مشابهة بأساليب صحفي أوربا وأمريكا، وللصحافة دور مهم في المجتمع الهندي : "والصحافة في الهند ممتازة، صفحاتها أنيقة، والطباعة جيدة، والموضوعات معروضة عرضا ممتازا، وأسلوب الصحفيين هنا لا يختلف عن أي صحيفتين في أوروبا وفي أمريكا أيضا. "في الهند صحافة تحتفي بك وصحافة تشتمك وصحافة تدعولك وصحافة تدعو عليك وصحافة تجعلك تكره الصحافة" [٤٢٤]

طريقة التحية والسلام

واجه الكاتب الازدحام الشديد بالناس في شوارع الهند وأماكنها، ووجد أحسن ما في الهنود هو طريقة التحية عندهم فإنهم ليسوا في حاجة إلى أن يصافحوا كل الموجودين عند الدخول والوداع وإنما يكفي أن يضموا كفوفهم ويرفعوها إلى الأعلى، وهذه تحية لواحد ولأكثر من مليون واحد.

البقرة ومكانتها في الهند

ويذكر الكاتب أن البقرة في الهند هي حيوان مقدس يعبدونها الهندوس وعلى أساس هذا التأليه والتقديس يعاملون معها معاملة استثنائية، ومع أنها هي في نظر اتباع الديانات الأخرى مجرد حيوان نافع فقط مثل الحيوانات الكثيرة الأخرى، فحينما زار أنيس الهند شاهد هذا المنظر الغريب فاستغربه ووقع في حيرة. ولكن يندهش ويتحير حينما يرى أن الثور على الرغم من أن أمه بقرة وجدته بقرة وابنته بقرة أيضا

[٤٢٤] المصدر السابق ،ص 141

أنه ليس محترما وهو منبوذ وليس له أي تقديس، وتنطبق عليه أقسى أنواع القوانين والعقوبات، فهو منبوذ، يقول: "وفي الهند فئة من المنبوذين عددها حوالي ٦٠ ملين نسمة، ولا أعرف بالضبط عدد الثيران، ولكن هذا الحيوان المنبوذ يجر العربات ويحرث الأرض ويضربه الفلاحون على قفاه ليل نهار، واليد التي تضربه على قفاه هي نفس اليد التي ترتفع بالتحية لأمه او لجدته أو حفيدته، لم ألاحظ أن هناك أية تفرقة جنسية عند الهنود غير هذه التفرقة بين الثور والبقرة".[٤٢٥]

الديانة في الهند

سافر أنيس منصور داخل الهند من بومبائ إلى ولاية كيرالا وزار مدينة دلهي وديرادون ومسوري ومدراس وغيرها، وركب القطار والسيارة والريكشا. فقام الكاتب بملاحظة هيئة أصحاب الأديان المختلفة في الهند، ودون ملاحظاته بشتى الأديان بشئ من التفصيل، ويقول عن مذاهب السيخ: " هناك رجال يطلقون شعر الرأس واللحية طول العمر، ودينهم يمنعهم من أن يقصوا شعرة واحدة، ويضع الواحد منهم عمامة كبيرة ملفوفة حول شعر أطول من أية امرأة، هذه العمامة ملونة، خضراء وزرقاء وحمراء، كأنها كرافتة، وصاجبها يلونها كما يريد، ولحيته طويلة أيضا، ومعظمهم يضعون على اللحية شبكة كالتي تضعها الفتيات فوق الشعر، وبعضهم يكتفي بأن يضع منديلا مشدودا حول اللحية" [٤٢٦] وكذلك كتب عن الطائفة البارسية وعاداتهم، ومن عادات هذه الطائفة لا يدفن موتاهم كما يفعل المسلمون ولا يحرق كما يفعل الهنادك، وإنما يترك جثث موتاهم في برج عال لتأكلها طيور معينة، داخل البرج بئر عميق تسقط فيه العظام بعد أن تتركها الطيور، وبعض الأحيان تنشر هذه الروائح في المدن. ويكتب أنيس منصور : "وفي الهند لم أعرف بالضبط ما اسم هذه الروائح: هل هي أطعمة أو بخور أو جثث موتى أو عرق، وطين ومطر وأنواع أخرى من الطين لم أعرفها، ومن الرمل لم نسمع عنها. . . عرفت بعد ذلك أنه يوجد في بومباي أعشاب وأطعمة وأبخرة تتصاعد من الأرض، ومن الحقول ومن البيوت والدكاكين، ومن الأجسام الحية والأجسام الميتة التي

[٤٢٥] المصدر السابق،ص 45

[٤٢٦] المصدر السابق،ص 140

تحرم بعض الديات الهندية دفنها، وإنما تتركها للصقور والنسور تمزقها وتأكلها وتطير بها، أو تطير ببقاياها، أو من الأجسام التي أحرقها أهلها بالزيت والدهن".[٤٢٧]

الخاتمة

فنلاحظ أن الرحلة إلى الهند للكاتب أنيس منصور كان جزءا من رحلاته حول العالم، ودون مشاهدات الهند وطبيعتها الجغرافية، وظروفها الاجتماعية والسياسية والأوضاع الثقافية والدينية في ١١٠ صفحة من كتابه حول العالم في ٢٠٠ يوم بأسلوب رائع، وكان متأثرا جدا بثقافة الهند ورجالها وصحافتها. وهناك مماثلا كثيرا بين ثقافة مصر والهند، كما قال رجل إسباني حيما نزل أنيس منصور في فندق "فونسيكا" مصر والهند . . مهد الحضارة الإنسانية . . فأنت لن تشعر بالغربة في هذه البلاد" ويقول أنيس منصور: وعرفت فيما بعد أنه كان محقا في أرائه عن الهند.

المصادروالمراجع

١- أنطاكي، فتح الله، الهند كما رأيتها، القاهرة، مصر
٢- السعداوي، نوال؛ رحلاتي في العالم، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م
٣- السعيد، أمينة؛ مشاهدات في الهند، دارالمعارف، مصر، ١٩٤٦م
٤- ضيف، شوقي،الرحلات، دارالمعارف، القاهرة، ١١١٩م
٥- العبودي، محمدبن ناصر، في جنوب الهند مكتبة الملك فهد الوطنيةالرياض ، ١٩٩٧م
٦- العبودي، محمدبن ناصر، في شرق الهند، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٩هـ.
٧- فوزي، محمود، أنيس منصور، ذلك المجهول، مكتبة التعاون الصحفية. أعلام الصحافة العربية ، القاهرة، يناير١٩٨٦م
٨- منصور، أنيس، أعجب الرحلات في التاريخ، مطابع الأهرام التجارية، مصر٢٠٠٦م
٩- منصور، أنيس؛ حول العالم في ٢٠٠ https://foulabook.com/ar / ٢٠٢٠/٠٤/٠٣م
١٠- النساج، دكتور سيد حامد، مشواركتب الرحلة قديما وحديثا، دارالغريب القاهرة،
١١- يزيد، أبوأشرف، نهرعلى سفر، استطلاعات مختارة من مجلة العربي، كتاب العربي (١٠١) دولة الكويت: وزارة الإعلام مجلة العربي، ط١، ٢٠١٥م

[٤٢٧] المصدر السابق،ص 37- 38.

كتاب رحلة إلى الهند
A Passage to India
لإدوارد مورجان فورستر

منية لوصيف،باحثة الدكتوراه
جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر

ملخص البحث

الأدب ديوان العرب ومرآة الشعوب التي من خلالها تنظر إلى أدبها وحضارتها وثقافتها، وهذا لا يعني أن تنطوي على نفسها، ولا يمنع أن يتطلّع الآخر إلى مرآة غيره (الآداب القومية)، فهي منفتحة تسمح بانتقال الحضارات الثقافات متجاوزة الحيز الزماني والمكاني لها (الآداب العالمية)، ولذلك فهي تتأثر وتأثر في بعضها من خلالالقراءة والاطلاع والتجديد والإبداع، في إطار العلاقة بين الأنا والآخر. ونموذج ذلك هو حضور الهند في الأدب العربي بجنسيه الشعري والنثري حضورا قويا، وخاصة ما سجله الرحالة في رحلاتهم الثرية حول هذا البد وثقافاته وديانات وجوانبه العلمية والمعرفية، في هذا الفن النثري بصفة عامة.

تعتبر الرحلة من أهم روافد المعرفة والأدب والفن، وإرث تزخر به ثقافتنا قبل مكتباتنا، إذ اجتمعت فيها حسن التعبير والصياغة، والتشكيل الفني مع دقة الوصف الجغرافي لأهم المواقع والمناطق التي حط الرحالة بها، كما تعتبر أيضا ديوان الشعوب شأنها شأن الكتب الأخرى في التخصصات المختلفة، إذ تحمل في ثناياها قضايا علمية واجتماعية، اقتصادية وسياسية، جغرافية واستكشافية، دينية وإنسانية ... ومنه شكلت مصدرا أساسيا للباحث مستقبلا، ومكتبة فكرية تضم شتى العلوم الإنسانية عامة، ومن ذلك الرحلة إلى بلاد الهند التي ترك فيها الرحالة بصمتهم فيها، فكان لهم الحظ الأوفر والمجهود الأكبر في إثراء الأدب عامة.

ومنه تكون هذه الورقة البحثية نموذجا تطبيقيا لدراسة الهند في روائع الأدب العالمي كرواية، وكرحلة في أدب الرحلة في القرن العشرين من خلال كتاب يجمعهما معا هو الرحلة إلى الهند، وتبيان إسهامات الرّحالة في وصف الجوانب السياسية والحالة الاجتماعية التي عاشها الشعب الهندي في الفترة الاستعمارية البريطانية، من خلال الوقوف على العلاقة بين الشعب الهندي والمستعمر الإنجليزي. والتعرّف على طبيعة العلاقة الأدبية بين السّرد التاريخي والوصف والرواية في الكتاب.

أولا: الرحلة بين المفهوم والتطوّر في الأدب العربي.

١.الرحلة لغة:

وردت كلمة رحلة أو ما يشابهها في أشهر المعاجم العربية بمعنى واحد تجمع حوله وهو الذي يرتبط أساسا بالترحال والانتقال من مكان إلى مكان آخر،لتتخذ الرّاحلة وسيلة لذلك.فقد ورد في لسان العرب بأن الرحلة:من رحل الرجل إذا سار، والارتحال:بمعنى الانتقال، والرّحلة اسم للارتحال. [٤٢٨]أما الرازي في معجمه يقول إن الرحلة :بالكسر هي الارتحال ، ويقال دنت رحلتنا .[٤٢٩]

٢.الرحلة اصطلاحا:

يذكر شوقي ضيف: "أن الرحلة تعد من أهم فنون الأدب العربي، تتضمن أحداثا ومغامرات عدة، تصاغ في أسلوب قصصي بديع، يؤكد الواقع أحيانا، وينشئ لنا عوالم خيالية أحيانا أخرى ".[٤٣٠] فيربط مفهومه للقصة ومحددات الخطاب القصصي السردي فيذكر نوعين من الرحلات :الأولى ترتبط بالواقع فتعبّر عنه كما هو، يلتزم فيه الرحالة بتقييد كل ماراه بصدق. أما الثانية فترتبط بالخيال فتغير الأحداث لهدف ما. ومنه الرحلة الواقعية والرحلة الخيالية.كما أنها "نمط تعبيري، يتعرض لجميع نواحي

١_ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج١١، مادة (رحل).

[٤٢٩]- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تح مصطفى ديب البغا، دار الهدى، الجزائر، ط٤ ،١٩٩٠، مادة رحل ص60.

[٤٣٠]-شوق ضيف، الرّحلات، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ص ٥.

الحياة – أو يكاد – إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب".[٤٣١]أما في القرآن الكريم فقد وردت لفظة الرحلة أو ما يعادل معناها بشكل صريح أو ضمني.

* تصريحا:ذُكرت لفظةرحلة في قوله تعالى: "لإيلاف قريش (١) إيلافهم رحلة الشتاء والصيف (٢) فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (٣)"[٤٣٢] في هذه الآية يذكر الله تعالى رحلتين: رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام. وبعدها يرجع الرحالة إلى بلادهم آمنين كونهم من سكان بيت الله الحرام [٤٣٣].

* ضمنيا: جاءت في عدة آيات وعدة معان تنطوي كلها في معنا واحد هو: الرحلة والترحال.نذكر منها : قوله تعالى:"هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور "[٤٣٤] وجاءت هذه الرحلة بدافع البحث عن الرزق والتجارة . وقوله أيضا : "ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما "[٤٣٥] .وفي هذه الرحلة كان الدافع الهروب بالدين من يدي المشركين،الترحال في سبيل الله والجهاد أيضا . وفي قوله : " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا".[٤٣٦] كان الهدف هنا هو الحج إلى بيت الله الحرام وتأدية المناسك.

من هنا نستنتج أن الرحلة طالما ارتبطت بالانتقال والترحال من مكان إلى أخر قصد أغراض عدة، ومنه كان لنا أدب الرحلة الذي يعبر فيها الرحالة بأسلوب أدبي قصصي يتخذ من النثر والشعر قالبا لها، يقيدوا فيهكل ما صادفوه إما واقعيا أو

---

[٤٣١]- حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ص ٦.

[٤٣٢]- سورة قريش الآية ١-٤

[٤٣٣]-عماد الدّينابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٥٩٠.

[٤٣٤]- سورة الملك، الآية 15.

[٤٣٥]- سورة النساء، الآية 100.

[٤٣٦]- سورة آل عمران، الآية 97.

خياليا، فكانت بذلك ديوانا يحفظ يومياتهم وأسفارهم ورحلاتهم المختلفة، تناقلته العلماء والمؤرخون فيما بعد ...

أما المفهوم العام لأدب الرحلة هو" مجموعة الآثار التي تتناول انطباعات المؤلّف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرّض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك أخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعة التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد."[٤٣٧] ومنه كانت الرحلات منابع ثرية للعلماء ومنهلا لمختلف العلوم، وهي في مجموعها سجل واقعي يعبّر فيه الرحالة عن مختلف مظاهر الحياة ويسجلها وتكون بذلك ميثاقا وديوانا ذلك البلد وأهله على مر العصور.

ثانيا: قراءة في كتاب رحلة إلى الهند لإدوارد مورجان فورستر

١. التعريف بالرّاحلة (المؤلّف)

"إدواردمورجان فورستر من مواليد ١٨٧٤م في لندن، التحق بمدرسة تونريدج بعد أن أنهى الدراسة بها التحق بكلية الملك الواقعة في كمبريدج عام ١٨٩٧م، وظل مرابطا بها طوال حياته، حتى رشّح للرسالة الفخرية عام ١٩٤٦م، نشر فورستر حوالي أربعة عشر عملا آخرا وترجمتين عن الإسكندرية التي أقام بها خلال الحرب العالمية الأولى. ذلك إلى جانب نص لفيلم، وكتابة نص أوبرالي للأوبرا الإنجليزية، إضافة إلى عدة روايات منها رحلة إلى الهند."[٤٣٨]

٢. ملخص عن الرّحلة (الرواية)

نقدّم ملخصا مبسطا حول الرحلة التي قام بها مورجان فورستر في قالب روائي شيّق " وهي من أحسن الروايات الإنجليزية التي كتبت في بداية القرن العشرين، تدور أحداثها في إحدى ولايات الهند أثناء الاستعمار البريطاني لها، وتحكّم المستعمر الإنجليزي في إدارتها، وقد قدّمها الكاتب بصورة شيّقة يجمع ما بين السرد التاريخي

[٤٣٧]- سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى، الجزائر، د ط، ٢٠٠٩، ص ٣١.

[٤٣٨]- مورجان فورستر، رحلة إلى الهند، تر دائرة الترجمة في الدار، دار البشير، بيروت، ص ٢٥٥.

والوصف والرواية لأحداث قد تكون حقيقيّة، وأسلوبها مشوب بالسخريّة والفكاهة والتشويق. ويوضح طبيعة العلاقة بين المستعمر البريطاني المتعجرف والشعب الهندي الذي يتميّز بالمراوغة، كما يعرض الكاتب أيضا صورا لمختلف الطوائف الدينية بين المسلمين والهندوس وسيخ... "[٤٣٩] كما تعرض الرواية في القفرة الختامية قصص واقعية تعبّر عن قصص الحب وقصص الصداقة التي جمعت عزيز المسلم وفيلدنج الإنجليزي، الرواية في مجملها " تعبّر عن الواقع المركّب في ظل الراج البريطاني في الهند حيث اختلطت مشاعر الشغف والجزع والأمل وعدم الفهم."[٤٤٠]

تعدّ رواية رحلة إلى الهند من روائع الأدب العالمي التي تعبّر عن حضارة، ورقي شعب من الناحية الأخلاقية والتمسّك بحب الوطن، ورمزا للخلود والصمود والمقاومة والرغبة الملحة للاستقلال وطرد لعنة الاستعمار، كما تعبّر وتصف لنا الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي عاشها الشعب الهندي في تلك الفترة، بلمسة أدبية راقية وقالب روائي شيّق وأسلوب أدبي ذوقي راق.

٣. الجانب الاجتماعي والسّياسي في الرحلة:

بعد القراءة المتواصلة لمتن الرحلة نقف على بعض اشارات التي ذكرها الرحالة، والتي تشير في مضمونها إلى الحالة السياسية والاجتماعية التي كان يعيشها الهند في تلك المرحلة التاريخية التي تميّزت بالاستعمار البريطاني للمنطقة. في حديث فورستر حول الرشاوي يذكر الفرق بين الهندي والانجليزي حول موقف القانون منه: "أنا أجد مثل هذه الاختلافات العميقة بين حكامنا... عنما نحصل نحن الفقراء السود على الرشاوي فإننا نقوم بآداء ما ارتشينا لنفعله والقانون يكشفنا أحيانا، أما الإنجليزي فيأخذ ولا يفعل شيئا."[٤٤١] وهو في قوله هذا يصرّح بالطبقية والتمييز العنصري أنداك فيقوله فقراء، وسود... حتى القانون يحمي الإنجليزي على حساب شعب بلده .

[٤٣٩]- المرجع نفسه، ص ٠٥.

[٤٤٠]- إيثان بار يوسف، افتتاحية الهند/إسرائيل، مجلة نظرية ونقد، الع 44، 2015، ص 337.

[٤٤١]- فورستر، رحلة إلى الهند، ص ١٠.

أما في قانون الزواج والارتباط الاجتماعي والأسري فإن "معظم الرجال الإنجليز كانوا يختارون النساء من بني جلدتهم، واللاتي تزايدن في العدد، والرجل الإنجليزي في علاقته مع النساء يهمل الهنديات لأنه يصعب الجمع بينهما."[٤٤٢] وتستمر العنصرية هنا أيضا حيث يرى الإنجليزي بأن المرأة الإنجليزية هي نموذج المرأة الصالحة للزواج والارتباط حسب معايير وضعها هو.

كما يظهر الظلم أيضا حين تختفي العدالة في تقسيم مناصب الشغل الشاغرة بين الإنجليز ولا يستفيد الهندي شيئا رغم أنّ منهم الأكفاء وذوي قدرات عالية خضعوا للتعليم والتعلّم، البلد بلدهم والخير خيرهم لكّنه يذهب لغيرهم، وهو في بطالة تتزايد يوما بعد يوم. وهذا كلّه بسبب "أن الإنجليز يسخرون من بشرتنا."[٤٤٣]

دائما ما يردّد الهندي الشعار نفسه "أن الهند ستكون أمة واحدة، ولا أجانب من أي نوع الهندوس والمسلمون والسيخ سيكونون جميعا فردا واحدا... الهند أمة واحدة... ليسقط الإنجليز، قد يكره كل منا الآخر، ولكننا نكرهكم أكثر منكم، وإن لم أستطع أن أزيحكم فسيفعل غيري ذلك ولو مرّ خمسمائة عام، سنتخلّص منكم، سنطرد كل إنجليزي ملعون إلى البحر."[٤٤٤]

٤/ الجانب الديني في الرّحلة:

أكثر دين يذكر الرحالة هو الإسلام فنجده يذكر كل مصطلحاته المسجد، الوضوء، الصلاة، مكّة، المدينة ، حين يتحدث عن بطل روايته عزيز "لما استدار ودخل مسجدا ليستريح، لقد كان إنما يحب المسجد لأنه كان رحبا ونظامه يسرّه، وكان في الفناء صهريج للوضوء من الماء النقي الطاهر، والجزء المغطّى من المسجد كان أعمق ... ولها مظهر الرخام وأسماء الله التسعة والتسعون مكتوبة على الإفريز ... وحاول أن يتمثل في ذلك بعض حقائق الدين والحب... هنا في المسجد يوجد الإسلام ... الإسلام هو

[٤٤٢] - المرجع نفسه، ص ٤٥.

[٤٤٣] - المرجع نفسه، ص ٨٢.

[٤٤٤] - فورستر، رحلة إلى الهند، ص ٢١٧، ٢١٨.

مسلك نحو الحياة ممتع ودائم ... حيث وجد جسده وأفكاره في هذا المكان... والمسجد هو الذي كان له معنى في نفسه."[٤٤٥] وكان حلم بطل وهو داخل المسجد "أن يبني مسجدا أصغر من هذا، ولكن بذوق كامل، حتى يمكن لكل من يمرون به أن يشعروا بالسعادة التي يحسّ هو بها الآن."[٤٤٦]

يصف الرحالة أجواء الاحتفالات الدينية للمسلمين في المناسبات الدينية، "مع اقتراب شهر محرّم بداية السنة الهجريّة كان مسلمو كاندرابور يقيمون أبراجا ورقية بأحجام ضخمة ليضعوها تحت أغصان أشجار معينة، وعندما يلصق البرج يصعد أحد المسلمين ويقطع الفرع المعلّق عليه البرج..."[٤٤٧]

كما أشار أيضا إلى الهندو كية والمسيحية والإغريقية إلى جانب السيخ والهندوس، في احتفالاتهم الدينية أيضا وترتيلهم "أغنية حول الإله كريشنا والعذراء بائعة اللبن التي طلبت منه وتوسلت أن يأتي لكنه رفض، فتكرر ذلك سبع مرات. "يؤكد الرّحالة بأنه على ثقة أن الهند وحدة واحدة، مهما اختلفت الديانات وتنوعت إلا أن شعبها يد واحدة لا يتفرّق هدفه الأساسي: هو الصمود أمام الإنجليز، وتحقيق الحرية ونيل الاستقلال وطرد المستعمر من بلاده.

٥/ الجانب الأدبي في الرحلة:

معروف أن الهند حضارة شعب، وفكر أدبي من ناحية التأليف والترجمة والشرح، وهدا ما تشهد به مؤلفات الباحثين الهنديين فمثلا تاريخ صلتهم بالشعر العربي القديم يعود إلى نماذج من شرح مقامات الحريري (فضل الله الشرهندي بالفارسي)، وشرح ديوان المتنبّي (إبراهيم بن مدين الله النكرنهسوي)، شروح ديوان

[٤٤٥] - المرجع نفسه، ص ١٥.
[٤٤٦] - المرجع نفسه، ص ١٦.
[٤٤٧] - المرجع نفسه ٦٧.

الحماسة (المولودي عبد القادر الكوكيني)، شروح السبع المعلقات وقصيدة البردة..."[٤٤٨] البردة..."[٤٤٨]

كما نجد منهم الشعراء والأدباء والمتذوقين للشعر ومنهم بطل الرواية يقول فيه الرحالة" ثم بدأ يتلو الشعر الفارسي والاوردو، وبعض العربية، كانت ذاكرته قوية، وكان هو الشاب الذي قرأ باتساع ووفرة النصوص التي كان يفضلها ... وكانوا ينصتون إليه في استمتاع، حيث يأخذون بوجهة النظر العامة عن الشعر... "[٤٤٩]

يتحدث أيضا عن أثر النصوص في نفوس متلقيها أثناء عملية التلقي ويربطها بغاية الشعر حيث يقول: "أعلى درجات الفن أن يلمس الشعر المستمع بإحسان يضعفه هو وأن ينشئ نوعا من المقارنة بين الإنسانية والزهور... كان حميد الله هو الذي يفهم في الشعر فقط ... الأدب لم يكن قد انفصل عن الحضارة ... الشعر هو نفحة من الجمال الرباني وعندليب مغرّد بين عالمين من تراب ..."[٤٥٠]

هي وقفات وومضات على الرواية ومواطن الجمال الأدبي والذوق الفني للكاتب، حيث عرّف الشعر والأدب وذكر الشعراء، وذكر بعض المقطوعات الشعرية والأراجيز أيضا. وماهي إلا صورة مصغّرة عن الحياة الأدبية الهندية في تلك المرحلة التاريخية التي تطوّرت في العصور اللاحقة وسارت بالأدب العربي خطوات نحو التطور والازدهار، ووضعت بصمتها في كل هذه الأعمال والأشعار والمؤلفات التي حفظها التراث والذاكرة العربية ولازالت خالدة بخلود شعبها وحضارتهم العريقة.

الخلاصة

أهم ما نخلص إليه بعد دراسة رحلة إلى الهند والوقوف على الجوانب المختلفة للحياة الهندية:

[٤٤٨]- عبد الحي الحسني، الثقافة الإسلامية في الهند، مؤسسة هنداوي، القاهرة، د ط، ٢٠١٤، ص ٥٨.

[٤٤٩]- فورستر، المرجع السابق، ص ١٢.

[٤٥٠]- المرجع نفسه، ص ٧٤.

- الهند من أكثر البلدان التي شهدت إقبالا من الرحالة العرب والغرب القدامى والمعاصرين من أشهرهم رحلة ابن بطوطة...
- يركّز الرحالة أثناء رحلته على تسجيل وتدوين كل ما يمر به من مواقع جغرافية ومناظر طبيعية وعادات وتقاليد وكل ما يتعلّق بالبلد وشعبه وحضارته حتى يخرج لنا سجل حافل بتاريخ ذلك البلد.
- عانت الهند من الاستعمار وويلاته وكل مظاهره من الظلم والعنصرية والقسوة والاستبداد والتفرقة وهذا ما حاول الرحالة رصده في رحلته والوقوف عليه.
- مهما اختلفت الديانات وتنوعت في الهند إلا أن شعبها متحد منسجم هدفه قبل كل شيء هو طرد الاستعمار من بلاده ونيل الحرية والاستقلال.
- للهند شعراء وأدباء لهم أقلام من ذهب سجلوا بها تاريخهم وحفظوه في المؤلفات الشعرية والنثرية، كما لهم إسهامات أدبية في الفكر الادبي عامة.
- رحلة إلى الهند نموذج صادق ومرآة للحياة الاجتماعية والدينية والإنسانية للشعب الهندي أثناء الحكم البريطاني.

المصادروالمراجع

- ✓ القرآن الكريم
- ✓ ابن منظور، لسان العرب، دارصادر، بيروت، ج١١.
- ✓ إيثان باريوسف، افتتاحية الهند/إسرائيل، مجلة نظرية ونقد، الع ٤٤، ٢٠١٥.
- ✓ حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، دارالأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.
- ✓ سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دارالهدى، الجزائر،
- ✓ د شوقي ضيف، الرّحلات، دارالمعارف، القاهرة، ط٤.
- ✓ عبد الحي الحسني، الثقافة الإسلامية في الهند، مؤسسة هنداوي، القاهرة،
- ✓ عماد الدّينابن كثير،تفسيرالقرآن العظيم، ج٤.
- ✓ محمد بن أبي بكرالرازي، مختارالصحاح، تح مصطفى ديب البغا، دارالهدى، الجزائر،
- ✓ مورجان فورستر، رحلة إلى الهند، تردائرة الترجمة في الدار، دارالبشير، بيروت

دراسة تحليلة
لكتاب"خواطر طالب في بلاد الهند"

د.منظرعالم ،الأستاذ المساعد
جامعة بابا غلام شاه،راجوري جامووكشمير

ملخص البحث

محمود فائز كداوي من الطلاب الذين جاؤوا إلى الهند للدراسات العليا والتحق بجامعة حيدرآباد ومكث فيها حوالي سنتين، وفي خلال هذه الفترة أنه درس أوضاع الهند و وتقاليدها وثقافتها وآثارها عن كثب ، وسجل انطباعاته في شكل كتاب " خواطر طالب في بلاد الهند" باللغة العربية،صدر الكتاب عام ٢٠١٤م ، حاول الؤلف فيه أن يذكر خواطره القيمة والشاملة عن المجتمع الهندي وثقافته وتقاليده العريقة وعاداته الحسنة والسيئة وكذلك أنه ألقى الضوء على غربته و جامعته التي تلقى الدراسة فيها والموضوعات الأخرى العديدة التي لا مجال لها بالتفصيل . وانتهى الكتاب بهذه العبارة" تعلمت أن كثرة الأديان والأعراق والألوان لا تعني بالضرورة الفرقة والخلاف بل هي نقطة إيجابية أكثر من كونها سلبية، فقوه هذه البلاد تكمن في تنوعها وتلونها".

هذه الدراسة تشتمل علي النقاط التالية:

- موجز عن حياة المؤلف
- الموضوعات البارزة التي ناقشها المؤلف فيه
- قيمة الكتاب عن ناحية الفن.

المقدمة

إن الهند كانت نقطة الارتكاز للأدباء والكتاب والرحالين منذ القدم لحضارتها العريقة وثقافتها المتنوعة و دياناتها المختلفة وجمالها الطبيعي . سئل الجاحظ عن

البقاع التي رآها وطباع أهلها وأخلاقهم العامة فقال عن الهند: " بحرها در، وجبالها ياقوت، وشجرها عود ، وورقها عطر ، ولأهل الهند الفكر والوهم والحدس والظن والحيلة والشعبذة" [٤٥١] كما كان التجار العرب يحبون التجارة الهندية ومحصولاتها أكثر بكثير ، ودليل ذلك أن عمر بن الخطاب ﷺ سأل عن السياح ، ما رأيكم عن الهند؟ فأجاب: "بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها عطر"[٤٥٢] فبدأ الرحالون العرب يتوجهون إلى الهند المتميزة بمناظرها الطبيعية لكي يسجلوا ما شاهدوا من أدب وثقافة وتقاليد ، ومن أبرزهم أبو الريحان البيروني(٣٦٢-٤٤٠هجـ) الذي زار الهند ومكث فيها حوالى أربعين عاما يدرس ويطالع أحوالها الاجتماعية والثقافية وعاداتها وتقاليدها، وجمع معلومات وفيرة، ثم ألف كتابا هاما باسم" تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مزذولة"، ويعتبر هذا الكتاب مرجعا ومصدرا للكتاب والباحثين الذين يودون أن يعرفوا عن الهند بوجه عام و عقائد الهندوسيين بوجه خاص .

ومن أشهر الرحالين أيضا سليمان التاجر الذي ولد في القرن التاسع الميلادي وزار الهند والصين وسجل مشاهداته باسم " رحلة التاجر سليمان"، ويعتبر هذا الكتاب مرجعا لعلوم البحار وهو موجود في شكل المخطوطة في مكتبة باريس ، وأضاف فيها أبو زيد السيرافي ما جمع من معلومات وما حصل من أخبار (على) التجار ورجال البحر عن بلدة سيراف أيضا .[٤٥٣] ومنهم فتح الله الأنطاكي صاحب جريد ة العمران الذي زار الهند عام ١٩٣٢، وتجول فيها من مكان إلى مكان وقابل من أمراءها وزعمائها ، وسجل مشاهداته وانطباعته باسم " الهند كما رأيتها" وهذا الكتاب له أهمية كبيرة لأن المؤلف ذكر كل شي عن الهند بصراحة ووضوح و أمانة وصدق بدون لومة لائم.[٤٥٤]

[٤٥١] الدكتور عبد الرحمان حميدة: أعلام الجغرافين العرب ومقتطفات من آثارهم ، ص 520

[٤٥٢] سيد سليمان الندوي: عرب وهند كى تعلقات : ص 39

[٤٥٣] . https://ar.wikipedia.org

[٤٥٤] فتح الله الأنطاكي: الهند كما رأيتها، ص9

وأنيس منصور (١٩٢٤-٢٠١١م) ، وهو أديب وصحافي كبير ، قام بالزيارة إلى دول كثيرة ، ومنها الهند ،ودون ملاحظاته ومشاهداته في شكل كتاب " حول العالم ٢٠٠ يوم" .[٤٥٥]

و محمد بن ناصر العبودي (١٩٢٦-٢٠١٥م) الرحالة السعودي الذي جال العالم ودون سبعة وأربعين كتابا في أدب الرحلات.[٤٥٦] ونوال سعداوي(١٩٣١-٢٠٢١م)، وهي كاتبة وروائية مصرية وإحدى زعيمات الحركة النسائية في مصر التي قامت بزيارة الهند خلال حكم إندرا غاندي وتجولت في عدد من المدن الهندية وسجلت انطباعاتها في شكل " رحلاتى حول العالم" .[٤٥٧] و أمنيةالسيعيد(١٩١٠-١٩٩٥) كاتبة وصحفية مرموقة ، وواحدة من أعلام الحركة الفكرية النسائية في مصر ، زارت الهند قبل الاستقلال للحضور في المؤتمر ولكن تأثرت بالهند وجمالها الطبيعي ووصفت ما شاهدت فيها أيضا ودونت باسم " مشاهدات في الهند" [٤٥٨]

وينتمي إلى هذه الجماعة محمود فائز كداوي الذي جاء من العراق إلى الهند للدراسات العليا والتحق بجامعة حيدرآباد، وقضى فيها حوالى سنتين، وخلال هذه الفترة زار آثارها السياحية و التاريخية و درس أوضاع الهند الثقافية والاجتماعية وتقاليدها وعاداتها بدقة وإمعان ، ثم سجل انطباعاته في شكل كتاب " خواطر طالب في بلاد الهند، أوراق في دفتر الغربة".

صدر هذا الكتاب عام ٢٠١٤م ،وحاول الؤلف فيه أن يذكر خواطره الحلوة والمرة عن المجتمع الهندي وثقافته وتقاليده العريقة وعاداته الحسنة والسيئة، وبادي ذي بدء أنه ألقى الضوء على غربته موصفا بأنه كان حائرا وكئيبا على قرار السفر بالهند ، ولكن والده كان ملحا على السفر إلى الهند ..... وبعد تفكير قليل أنه استعد

[٤٥٥] د. حمدي السكوت: قاموس الأدب العربي الحديث ، ص 111
[٤٥٦] https://ar.wikipedia.orgl
[٤٥٧] د. حمدي السكوت: قاموس الأدب العربي، ص599
[٤٥٨] د. أورنغ زيب الأعظمي: مشاهدات في الهند: دراسة نقدية ص3

نفسه للسفر، مبينا يمكن أن الخير يكمن فيه ،كما قال تبارك وتعالى " عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم" الأية.[٤٥٩]

ولكن إحساس الغربة كان يقلقه " هل هناك أهلي؟ هل هناك أصدقائي الذين يصلّون معي؟ هل هناك الكتب العربية التي أدرسها؟ هذه الأسئلة تكرر في ذهني ومخي ، حتى اكتشف الأمر ، أن لكل مشكلة حل ، ومشكلتي لها حل أيضا.... إني أتكلم مع أهلي كل يوم هاتفيا بالصوت والصورة .... إني أصلي في مسجد جديد مع مصلين جدد.... إني ساعتمد على الكتب الإلكترونية واستفيد منها.[٤٦٠]

وبعد ذكر هذه المشاكل يسلط الكاتب الضوء على تجاربه التي حصل عليها في الغربة مبينا أن الإنسان يتعلم في الغربة أكثر بكثير، ومن أبرزها أنه يتزود بنفسه الثقة بالنفس ، وتحمل المسؤولية والتعود على الصبر . وبعد ذلك يذكر النصائح والوصايا التي وعظها والده وأمه على وقت المغادرة وهي كما يلي:

- تتجنب من المأكولات المكشوفة والباعة
- انفض اللحاف قبل النوم لأجل العقارب والأفاعي
- احذر من اللصوص والنصابين ،
- ابتعد عن النساء
- لا تبكي أبدا
- لا تستخدم فيسبوك إلا مرة واحدة في يوم فقط،

وبعد دراسة الكتاب بدقة وإمعان توصلت إلى أن الكتاب يدور على المواضيع الرئيسيةالتالية : منها الرحلة إلى الأماكن السياحية والطبيعية

وفي هذا الصدد يركز الكاتب عنايته على الرحلة إلى الأماكن السياحية والطبيعية ، ونجد أنه يهتم بهذا الجانب اهتماما بالغا، يقول وهو يصف رحلته إلى

[٤٥٩] القرآن الكريم : سورة البقرة، الآية:٢١٦

[٤٦٠] محمود فائز كداوي: خواطر طالب في بلاد الهند: أوراق في دفتر الغربة، ص ٣

مدينة "غوا": بعد امتحان الفصل الثالث قررت الذهاب إلى مدينة " غوا" مع أصدقائي وزملائي لكي أقضي الإجازة هناك، وأقلل الضغوطات التي واجهتها خلال فترة الامتحانات ، فعقدنا العزم على السفر حتى وصلنا إلى مدينة غوا التي تقع على شاطئ البحر ،، فوجدنا أن المدينة كانت مكتظة بالسياح والزوار، وأن الناس كانوا مستلقين على شاطىء البحر، مرتكبين الجرائم والمعاصي ، وأمواج البحر كانت غاضبة ومخيفة تكاد أن تبلعنا ، فشعرنا أن النهاية قد اقتربت ، وأن الله قد قرر أن يهلك هذه المدينة في لحظة ما ، بسبب الجرائم والمعاصي التي يرتكبها الناس هناك ، ولكنه الله رحيم غفور على عبادنا، نجونا من هذه المصيبة ، والحمد لله على كل حال.[٤٦١]

الثقافة الهندية

وبعد ذلك يشير الكاتب إلى الثقافة الهندية ومميزاتها مبينا" أني سمعت في إحدى المحاضرات بأن هناك عاملان رئيسيان ساهما في توحيد وتعزيز الشعب الهندي وهما :اللغة الإنكليزية وسكة الحديد التي تربط شبه القارة الهندية من أقصاها إلى أقصاها" .[٤٦٢] وفي هذا المضمار يتحدث الكاتب عن الزعيم الهندي مهاتما غاندي الذي يعتبر الأب الروحي للأمة الهندية ، وهو رجل عظيم ، ذو همة عالية ، قاوم العدو بعزم وثبات رغم ما تعرض له من سجن وتعذيب وتنكيل من قبل الحكومة البريطانية ،حتى انهزم العدو نهائيا، ثم عمل لتوحيد الشعب الهندي بحكمته ومبادئه وهمته العالية .

ويضيف أن الهنود قد أخذوا بعض الأفكار والآراء من الحضارة الغربية و خاصة في مجال العلم والمعرفة ثم كونوا لأنفسهم هويتهم الخاصة التي تميزهم عن الأمم الأخرى، مؤضحا أن العبقرية الهندية كانت تكمن في تعدد اللغات التي كانت سائدة في أنحاء الهند كلها مشيرا إلى أن هناك ثلاث لغات رئيسية أدت دورا رئيسيا في تنمية البلاد وترقيتها، الأول : اللغة الهندية التي تعتبر لغة البلاد الرسمية ، والثاني :اللغة

[٤٦١] المصدر نفسه:ص 21
[٤٦٢] المصدر نفسه: ص 34

الإنكليزية التي تعتبر بمثابة لغة رسمية ثانية، والثالث: اللغات المحلية التي تستخدم في الأقاليم والولايات.[٤٦٣][٤٦٤]

وأما الديانات فيبين الكاتب أن بعض مسملي الهند قد تأثروا بالديانات الهندوسية حيث توجد هناك بعض المظاهر والسلوكيات التي لا علاقه لها بالدين مثل تعليق التمائم والتمييز الطبقي وتعليق الزهور، وانتشار غلاء المهور (المبلغ الذي يطلبه رجال العريس من العروس كشرط الزواج) هي أسوة الهندوس لا المسلمين ، وكذلك تأثرت بعض الجماعات والفئات والفرق بعقائد الهندوس مثل تناسخ الأرواح و وحدة الوجود.[٤٦٥]

ثم يذكر الشخصيات التي ظهرت في شبه القارة الهندية و التي لها سمعة بارزة ليست في الهند فحسب بل العالم كله، ومنها شخصية الشيخ أبي الأعلى المودودي،مؤسس الجماعة الإسلاميةفي شبه القارة الهندية الذي له جولة وصولة في مجال الدعوة والإرشاد والتعرف على المخاطر التي يواجهها الإسلام والمسلمون في العالم من قبل الأعداء،

و العالم الجليل والكاتب الكبير الشيخ صفي الرحمان المباركفوري الذي ألف كتابا قيما في السيرة النبوية باسم " الرحيق المختوم" ونال هذا الكتاب قبولا حسنا بين الدول العربية والإسلامية على السواء ،والأديب الأريب والداعية الكير سماحة الشيخ أبوالحسن علي الندوي الذي يعرف في العالم بفكره وعلمه وأدبه ومعرفته وقمله السيال ومؤلفاته القيمة التي تتعلق بالموضوعات المختلفة..

والشاعر الطليع والأب الروحي لدولة باكستان محمد إقبال الذي أيقظ الأمة العربية والإسلامية من سبات عميق، وكذلك الداعية الكبير أحمد ديدات وتلميذه البار ذاكر نايك ومترجم القرآن الكريم عبد الله يوسف علي وأبو القنبلة الباكستانية

[٤٦٣] المصدر نفسه : ص 35

[٤٦٤] المصدر نفسه : ص 34

[٤٦٥] المصدر نفسه: ص 35

عبد القادر خان.[٤٦٦] ثم يتناول الكاتب بعض إيجابيات للهنود قائلا : أنهم شعب مسالم ومتسامح دينيا ، والأجمل من ذلك هو يحترم المرأة والأديان ويذكر قصته "أنه أهدى يوما مصحفا مترجما لصاحب الشقة الهندوسي فأنه أخذ هذ المصحف بكلتا يديه احتراما له، [٤٦٧]

ثم يلقي الكاتب الضوء على ما شاهده من تقاليد وعادات في الهند ومنها:

إن بعض المسلمات يغطين وجوههن ولكن هي مسألة خلافية بين الفقهاء، ويكشفن شعرهن وهي مسألة لا خلاف فيه، ويتعجب الكاتب بوجود عدد الحفاظ في الهند واهتمام الكتاتيب والمدارس الإسلامية بهذا الجانب اهتماما بالغا ويدهش : " إني رأيت نادرا الأئمة الهنود يخطئون عند تلاوتهم للقرآن الكريم في الصلوات الخمسة رغم جهلهم باللغة العربية"[٤٦٨]. وكذلك يتحير على وجود بعض الأشياء في المساجد مثل المسطبة التي يجلس عليها المصلي عند نزع وارتداء الأحذية والصندوق الصغير للتبرع والقلنسوة التي توضعها ليغطي المصلي رأسه منها خلال الصلاة .

ثم يتناول الكاتب موضوع الاعتداء والاضطهاد الذي كان سائدا في المجتمع الهندوسي مثل نظام الطبقات، زواج الأطفال، حرمان المرأة من الإرث وحق الملكية ونبذ الزوجة عند ترملها وغلاء المهور ، وبسب ذلك تضطر الكثير من الفتيات إلى العمل للحصول على المبلغ المحدد للزواج، وهكذا أن الأنثى غير محبوب بها في المجتمع الهندي.[٤٦٩] ثم يتناول بعض العادات والتقاليد الهندية الشائعة ومنها :

دخل المؤلف في إحدى محلات بيع المصنوعات فأقبل إليه رجل فورا، عرفه من ملابسه العربية وسأله بتلهف ، هل تبحثون شيشة؟"

---

[٤٦٦] المصدر نفسه :ص 36

[٤٦٧] المصدرنفسه: ص 39

[٤٦٨] المصدر نفسه: ص 43

[٤٦٩] المصدر نفسه : 41

وأفاد بعض الأصدقاء أن الهنود يعتقدون لو أنك ما زرت تاج محل ولم تركب الفيل ولم تمسك الأفعى ولم تسافر بالقطار فإنهم لن يعتبروك أنك زرت تاج محل. كما يصور الكاتب صورة حفلة وليمة شارك فيها، قائلا إن الكثيرين لا يتناولون لحم البقر لانهم نباتيون، ولا يقربون لحم البقر أيضا كما يحتفظ المسلمو ن أنفسهم من لحم الخنزير، فأخبرنا بعض الناس أن الهندوسي يمتنع عن لحم البقر لأنها مقدسة عنده، فيما المسلم يمتنع عن لحم الخنزير لأنه محرم شرعا.[٤٧٠]

ينتقد الكاتب بعض العادات الغريبة في الهند وهي: أن الهنود يهتمون بفرش الأسنان اهتماما بالغا مرات في يوم واحد. في الهند قد تصادف إنسانا يقضي حياته في النوم على الأرصفة ، وهناك آخر تحاك الملابس من خيوط الذهب، وكذلك قد يموت بعض البشر فيها جوعا ، ولكن كلب بعض الأسر الغنية له مكانة خاصة ، أنها تنفق عليه أمولا طائلة ، في الحقيقه أن الهند هي أرض العجائب والغرائب والتنقاضات.

ومن عاداتهم أنهم يهزون رؤوسهم من الأعلى إلى الأسفل تعبيرا عن الموافقة و يهزون رؤوسهم يمنيا وشمالا تعبيرا عن الرفض . ومن عاداتهم أنهم يقولون خمس دقائق، قد سمع المؤلف هذه العبارة من أغلب الهنود ولكن لو تأمل في التعبير يتضح له أن المراد منه ليس خمس دقائق بالضبط بل المقصود منه هو الانتظار لفترة قليلة محددة بدلا من انتظر قليلا . ومن انتقاده اللاذع أنه إذا صادف هندوسيا فهو يتعامل معه بالصدق والأمانة، وعلى العكس إن صادف مسلما فإنه يحاول أن يخدعه باسم الإسلام وأخوة الإسلام. [٤٧١]كما يشيد الكاتب ببعض العادات الحسنة أيضا ، وهي أن الهنود يبدأون يومهم بعد صلاة الفجر ونحن العرب نبدأ يومنا بعد صلاة الضحى أو الظهر وأحيانا بعد صلاة العصر وعندنا صلاة الفجر، وأنهم ما يزالون على الفطرة ينامون مبكرا ويستيقظون باكرا قبل طلوع الشمس..

[٤٧٠] المصدر نفسه : ص 33

[٤٧١] المصدر نفسه ص: 44

ومن عاداتهم المميزة هي اهتمامهم بالصحة والرياضة كما نرى كل يوم قبل شروق الشمس أعدادا كبيرة من الرجال والنساء على الشوارع والحدائق العامة يمارسون رياضة المشي .

الدعوة والإرشاد

يعتبر الكاتب رجلا متدينا و يرغب في مجال الدعوة والإرشاد ، وبدعوته يعتنق رجلا الإسلام ، وفي هذا الصدد أنه يحكي قصته " كنت ذهبت إلى صلاة الجمعة إلى مسجد حيث سمعت أن هناك طالبين يريدان أن يعتنقا بالإسلام ، فقرأ الشهادتين ،وإني فرجت جدا أن الله يعطي أجرا كثيرا لهذا العمل ، ولكن سمعنا بعد ذلك أنهما لم يظهرا إسلامهما خوفا من الضغوطات والمضايقات التي قد يتعرضان لهما من قبل أسرتهم ومجتمعهم" .[٤٧٢]

وكذلك يدلي الكاتب بملاحظته حول أسلوب الدعوة قائلا : ينبغي الداعي أن يقدم دعوة الإسلام بصراحة ووضوح ،مؤكدا على أوامره ونواهيه ، ومن نواهيه أن الإسلام يمنع الإنسان عن الزناء والخمر والكذب والغش والغيبة وما إلى ذلك..... و من أوامره أنه يحث الإنسان على النظافة والعدالة والمساواة ومساعدة الفقراء ، والصدق والأمانة ومإلى ذلك، وعندما تسأل عن ذلك فستكون الإجابة أن ديني يأمرني بكذا.. ويمنعني بكذا".[٤٧٣]ثم يذكر الكاتب الأعمال الدراسية مشيرا إلى الأمور التي يراعيها الطالب خلال دراسته وهي :

- استخدام الوقت على طريق صحيح.
- استخدام الوقت في الدراسة وخاصة دراسة الموضوعات الصعبة والتي تتطلب منا الجهد ذهنيا.
- تقليل استخدام الفيسبوك.

[٤٧٢] المصدر نفسه: ص 20

[٤٧٣] المصدر نفسه: ص 76

- اختيار المكان المناسب للمذاكرة مبتعدا عن الضوضاء والصيحات مثل الحدائق وشواطى البحر وغيرها.
- تقوية العلاقة مع الأصدقاء وتجنب المعاصي .
- التجنب من الأغذية الصناعية والاقتصار على الأغذية الطبيعية من فواكه وخضروات وعسل وتمر وسمك وحليب وما إلى ذلك. [٤٧٤]

وكذلك يلقي الكاتب الضوء على الأمور التي تعتبر لازمة للطلبة خلال الامتحانات وهي:

- التجنب عن حملة تنظيف وترتيب الشقة.
- التجنب عن الذهاب إلى صالون .
- إعداد جميع متعلقات الدراسة مسبقا
- إعداد الطعام يكفي لعدة أيام
- التجنب عن الأكل في المطاعم أثناء الامتحانات. [٤٧٥]
- كما يشير الكاتب إلى بعض النشاطات الطلابية ومنها: الأعمال الخيرية:
- ينبغي للطالب أن يقضي بعض أوقاته في الأعمال الخيرية ومنها:
- إقامة خطبة الجمعة باللغة العربية
- تنظيم حملة جمع الملابس المستعملة من الطلبة وتوزيعها على الفقراء
- إنشاء لجنة لإصلاح ذات البين
- إقامة مكتبة صغيرة خاصة بالكتب العربية في إحدى المساجد حيث يتواجد الطلبة العرب
- طباعة أيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو مقولات وأبيات هادفة وتعليقها بشق الطلبة كدعاء كفارة المجلس و حديث الغيبة

[٤٧٤] المصدر نفسه: ص :54

[٤٧٥] المصدر نفسه : ص58

- مشروع كفالة طالب وذلك بجمع مبالغ شهرية بسيطة من الراغبين في التبرع واختيار طالب من الفقراء من المسلمين الهنود وكفالته.
- تنظيم برنامج لاستقبال الطلبة القادمين الجدد إلى الهند ومساعدتهم وتسجيلهم وتأمين السكن وشراء الأثاث
- توزيع مصاحف مترجمة والكتب المتعلقة بتعريف الإسلام و نشرات دعوية على غير المسلمين.

وكذلك الكاتب يركز عنايته على الأمور التي تعتبر ضرورية للطلاب الأجانب ومنها :

- الاطلاع على الثقافة والحضارة حيث يسكن الطالب ويدرس ، وهذا يمكن من خلال زيارة الأماكن السياحية والتاريخية والطبيعية و كذلك تسجيل الأفكار والتجارب التي شاهدها هناك على مختلف الأصعدة ، والاستفادة من الخبرات والإمكانيات العلمية في ذلك البلد ونقل كل ما هو نافع وجديد إلى بلده.[٤٧٦]
- وكذلك ينصح المؤلف الطلاب الأجانب قائلا :
- تتعامل مع الناس با لأخلاق
- ركز عنايتك على الدراسة وطلب العلم فهي أولى أولياتك وغاية حياتك.
- إلزم الصحبة الصالحة وإياك والصحبة السيئة
- ابتعد عن الأماكن المريبة ،واحذر من فتنة النساء بغض البصر، وتجنب الاختلاط والإكثار في الصوم وأداء صلاة الفجر من الجماعة
- تتعامل مع المجتمع مع تيقظ ولا تعطي ثقتك بسهولة لأي شخص ولا تغرنك المظاهر

[٤٧٦] نفس المصدر: ص: 75

- التزام بقوانين البلد الذي تدرس فيه والتجنب أي نشاط مشبوه أو لا أخلاقي.[٤٧٧]
- أخيرا وليس آخرا : يبين الكاتب ما تعلم من الهند :
- تعلمت أن كثرة الأديان والأعراق والألوان لا تغني بالضرورة الفرقة والخلاف بل هي نقطة إيجابية أكثر من كونها سلبية فقوة هذه البلاد تكمن في تنوعها وتلونها.
- تعلمت أن لكل مشكلة حل مهما عظمت واتسعت إذا ما أعملنا عقولنا فيها، فالمشاكل التي تعاني بلادنا لاشيء بالنسبة للمشاكل التي تعاني منها هذه البلاد
- تعلمت أنه لسنا نحن فقط من لديه قيم وأخلاق أن جميع الشعوب تمتلك قيما وأخلاقا
- تعلمت أن الإنسان هو الإنسان مهما كان دينه او لونه أو عرقه على فطرة الله التي فطره عليها
- تعلمت وأيقنت أن الإسلام هو أعدل الأديان وأن المرأة في الإسلام هي أكرم نساء الأرض ، فالمرأة الهندوسية على سبيل المثال تظلم ظلما شديدا وتسام أسوء العذاب باسم الدين.
- تعلمت أهمية القيادات في قيادة وتحريك الشعوب ، فالشعب الهندي الذي تجاوز المليار إنما يقوده نفر قليل من السياسيين والمفكرين والعلماء ورجال الدين والأعمال وأساتذة الجامعات ، أما بقية المليار فتتبع.[٤٧٨]

[٤٧٧] المصدر نفسه: ص 79
[٤٧٨] المصدر نفسه: ص 103

الخاتمة

قيمة الكتاب: إذا أمعنا النظر في الكتاب من ناحية الفن واللغة فوجدنا أن هناك بعض الأخطاء النحوية كان من الممكن تجاوزها، ولكنه لا يخلو من فوائد جمة حيث يساعد الكتاب في فهم الشعب الهندي وتقاليده وطقوسه وتناقضاته. ويجدر الإشارة أن الكاتب في بداية مشواره، فهو طالب، والتميز والفرادة التي نجدها لدى أعلام الرحالين المذكورين أعلاه كانت زياراتهم في سن ناضجة.

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم : سورة البقرة، الآية:٢١٦
- د. عبد الرحمان حميدة: أعلام الجغرافين العرب ومقتطفات من آثارهم ، دار الفكر، بيروت، لبنان، عام ١٩٩٥م
- سيد سليمان الندوي: عرب وهند كى تعلقات ، شبلي أكيدمي ، أعظم جراه ، ولاية أترابرديش، الهند، عام ٢٠١٥
- https://ar.wikipedia.org
- فتح الله الأنطاكي: الهند كما رأيتها، الطبعة الأولى ، عام ١٩٣٣م
- د. حمدي السكوت: قاموس الأدب العربي الحديث ، دار الشروق ،القاهرة، مصر،
- https://ar.wikipedia.org
- د. حمدي السكوت: قاموس الأدب العربي، دار الشروق، القاهرة، مصر عام ٢٠٠٦م
- د. أورنغ زيب الأعظمي: مشاهدات في الهند: دراسة نقدية ، مجلة ألوكة

أدب الرحلة الى الهند
فى مرآة رحلة إبن بطوطة

أ. د. ياسر عبد الجواد المشهداني
كلية التربية الإنسانية -قسم التاريخ - جامعة الموصل، العراق

المقدمة

أخبرنا التاريخ عبر كتَّابهِ أنه ليس هناك اكثر توادَا ومعرفة وقبولا حصل بين حضارتين قديمتين عريقتين مثل ما حصل بين حضارة العرب والهند . ويكفينا ما وجد من لقى اثرية متناثرة هنا وهناك بين موهنجو داروا وهاربا من جهة ، وبين الرافدين تارة ، والنيل تارة اخرى .

هدف هذا البحث التطرق إلى مصادر وأشكال العلاقات العربية الهندية عبر ادب الرحلة ، واخترنا منه رحلة ابن بطوطة الى الهند في القرن ٨هـ/١٤م باعتباره رحالاً عربياً مسلماً كان يرمي من خلال ترحاله إلى مختلف مدن العصور الوسطى إلى لقاء العلماء من شتى المذاهب والاطلاع على الحركة الثقافية وسماع أخبار المتصوفة الشيوخ . وكانت الهند إحدى محطاته التي استقر فيها قرابة عقد من الزمان وتقرب الى سلطانها المسلم (محمد بن تغلق) وعمل في بلاطه قاضياً للمالكية ثم قاضيا للقضاة ، كما أصبح فيما بعد سفيراً لهذا السلطان الى إمبراطور الصين . وبهذا تعد رحلته والمعلومات الفريدة التي أوردها احد أشكال جسور التواصل مع الحضارة العريقة الأخرى في الهند على سبيل رؤية الحاضر بعين الماضي من أجل إدامة الصلات السابقة بين الطرفين .

تكمن أهمية الرحلة في أن ابن بطوطة كان الرحالة الوحيد الذي دخل الهند ومكث فيها قرابة عشر سنوات ودوّن عنها كثيراً من المعلومات ، كما حصل على التوظيف الرسمي قاضياً للمالكية في دلهي ، وصاهر أسرا معروفة هناك .

ا) نبذة عن إبن بطوطة

بالرغم من تركيز بحثنا على العلاقات العربية الهندية في القرن الرابع عشر الميلادي فإننا سنبدأ أولا بتقديم تعريف سريع بالرحالة ابن بطوطة ورحلاته بقدر تعلق الأمر بموضوعنا طبعا من اجل الوصول الى غاية تخص انطباعاته ومدى مصداقيته إثناء كلامه عن بلاد الهند فنقول بعد التوكل على الله ان ابن بطوطة : هو أبو عبد الله ، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف [٤٧٩] اللواتي المغربي المعروف والملقّب بابن بطّوطه[٤٨٠] بالتضعيف اي تشديد الطاء على حسب ما اكده المستشرق فيشر Ficsher ولكن قسما من الباحثين يجعلها مخففه ويبدو انه اصح [٤٨١]. ولد ابن بطوطة في يوم الاثنين ١٧ رجب ٧٠٣هـ/١٣٠٣م ونشا في كنف اسرة علميه ظهر فيها القضاة والشيوخ ولاسيما والده الذي كان فقيها وابن عمّه الفقية ابو القاسم محمد بن يحيى ابن بطوطة قاضي حصن رندة الواقع بين اشبيلية ومالقة من ارض الاندلس.

على الرغم من كثرة البحوث والدراسات التي أجريت حول ابن بطوطة إلا إن أحدا منها لم يتطرّق إلى ذكر ترجمة وافية لسيرته قبل بدء رحلاته ولاسيما فيما يتعلق منها بنشأته وطفولته أو بشبابه وأخلاقه ولذلك نجد كثيراً من المعلومات عن هذه الجوانب متجلية في رحلاته ، ومن المحتمل انه كان قد تلقى تعليمه منذ مرحلة شبابه الأولى وحتى بدء رحلاته أي بين عامي ٧١٢-٧٢٥ هـ/١٣١٢-١٣٢٥م وفي مثل تلك الأجواء الثقافية في الكتاتيب والمدارس الدينية . كما يظهر من خلال عزمه على أداء فريضة الحج تاركا أهله ووالداه اللذين كانا على قيد الحياة وهو بعمر واحد وعشرين عاما إذ انه تلقى تربية

---

(٤٧٩) احمد بن على بن حجر العسقلاني : الدرر الكامنه في اعيان المائة الثامنه ، ج5، ص227 .

(٤٨٠) ذهب المؤرخ المغربي عبد الهادي التازي الى ان بطوطة نسبة الى جدّة له تحمل كناية بطة على نحو فاطمة (فطومة) ،عائشة (عيوشة) وهي عادة افريقية قديمة ، ولكن الكلمة في اللغة مشتقه من بطط وتعني الاعاجيب ، ومن الصدف ان هناك توافقاً بين عنوان كتاب الرحلة واسم ابن بطوطة. ينظر : محيي الدين محمد الفيروزابادي :القاموس المحيط، باب الطاء والباء .

(٤٨١) اغناطيوس كراتشوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ج1، ص421

دينية متينة فكان محافظاً على أداء الشعائر الدينية واثقاً بالعناية الإلهية ، فضلا عن تقربه من العلماء والشيوخ وقد أوضح ذلك الشيخ ابن مرزوق (٧١١-٧٨١هـ/١٣١١-١٣٧٩م) بقوله : " كان جواداً حسناً [٤٨٢].

ب) بلاد الهند في القرن ٨هـ/١٤م

تقع بلاد الهند في الجزء الجنوبي من قارة آسيا ، ويحدها من الشمالُ إمبراطورية الصين المغولية حيث سلسلة جبال الهيمالايا التي تحيطها من جهة الحدودِ الشماليةِ والشرقيةِ ، ومن الشمال الغربي عدد من أقاليم ما وراء النهر ، ومن الغرب جبال سليمان وبلاد فارس (ايران) وبحر العربِ ، أما من الجنوب فان حدودها غير واضحة فقد ضمّت عدة جزر ساحلية عدها عدد من البلدانيين السابقين امتدادا للمحيط الهندي نظرا للتماثل العرقي والصلات القديمة[٤٨٣] .

أولا : رحلة ابن بطوطة الى الهند ووصفه للأوضاع السياسية والإدارية

في قرابة شهر محرم من عام ٧٣٣هـ/١٣٣٣م وصل ابن بطوطة إلى مدينة الملتان Multan الواقعة على الجانب الغربي لنهر السند فانتظر قليلا حتى يحصل على تفويض رسمي بالدخول ، وبعدما حصل على التفويض دخل عاصمة الهند مدينة دلهي[٤٨٤] Delhi ولم يلق سلطانها محمد بن غياث الدين تغلق شاه (٧٢٥ –٧٥٢هـ/١٣٢٥-١٣٥٢م) والذي كان غائبا عنها ولكنه نزل في قصر الضيافة الذي يبعد سبعة أميال عن العاصمة [٤٨٥]

([٤٨٢]) ابن حجر : المصدر السابق، ج 5،ص 227. وابن مرزوق هو محمد بن احمد بن مرزوق التلمساني وزير في فاس وعالم مشهور بالفقه والاصول ، له كتاب ازالة الحاجب عن شرح ابن الحاجب .ينظر : خير الدين الزركلي :الاعلام ، ج 5، ص328 .

([٤٨٣]) احمد بن ابي يعقوب بن واضح اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، ص0108

([٤٨٤]) ويسميها ابن بطوطة دهلي Dehli ، مدينة يعود تأسيسها الى عام 307هـ/981م على عهد الملك الراجبوتي Rajiputs (وادبته Wadapta) ، وصفها ابن بطوطة بانها مدينة كبيرة وكثيرة العمارة ومقسمة على اربع مدن متجاورة (دهلي القديمة وسيرى وتغلق اباد وجهان بناه) ، وذكر العمري ان مساحتها اربعين ميلا ويعدها مؤرخ الهند باراني Barani انها تضاهي بغداد والقاهرة من حيث الازدهار والعمارة، وقد استمرت تؤدي دورها الحضاري حتى دخول تيمور لنك Taimur الهند وتخريبه لها عام804 هـ/1408م ، وسيشار اليها بكلمة (دلهي) بدلا من دهلي . ينظر:ابن بطوطة :المصدر السابق، ج3، ص119؛ شهاب الدين احمد بن عبدالله بن عربشاه :عجائب المقدور في اخبار تيمور،،ص44

([٤٨٥]) محمود الشرقاوي : رحلة ابن بطوطة من طنجة الى الصين ، مطبعة النجف (النجف-1974) ،ص232.

وفي الهند أصبح ابن بطوطة في عداد الرحالة المشهورين اذ انه في السابق كان يدخل عدد من المدن والبلاد ولم تكن اخباره تصل الى الملوك والسلاطين فكان أكثر ما يلتقي مع الفقهاء والشيوخ وعامة الناس ، ولكنه في الهند توجه مباشرة إلى سلطانها فأكرم ، وربّما لم يخطر في بالهُ بأنّه سيستقر هناك ويكون من أصحاب الوظائف العالية او من الذين سيكون لهم شأن مهم في المجتمع الهندي[٤٨٦] ودخوله كذلك الميدان السياسي والإداري من خلال مشاركته في عدد من الأحداث . وكان اوّل ما تحدث عنه بعد دخوله الهند هو وصف الأوضاع السياسية والإدارية في السلطنة منذ القرن ٦هـ/١٢م ، وتلك التفاتة مهمة من ابن بطوطة لمعرفة الماضي التاريخي للهند واهم الأحداث السياسية فيه .

ويعد السلطان غياث الدين تغلق شاه مؤسس ثالث الأسر التركية في الهند (٧٢٠-٧٢٥هـ/١٣٢٠-١٣٢٥م) والتي يعتقد انها من الأتراك القراونه اي قاطنوا الجبال الواقعة بين السند وبلاد الترك [٤٨٧] وفي عهدها كانت زيارة ابن بطوطة إلى الهند ، وقد اقتفى هذا السلطان سياسة ترمي الى التوسع في فتح مناطق مختلفة من الهند[٤٨٨] بهدف نشر الإسلام مثل (ورانكل Warankal ، اوريسيا Orissa ، والبنغال Bengal) ليحقق حلمة في تكوين سلطنة كبيرة لكن سياسته الاقتصادية كانت لاتتفق مع حلمه السياسي مما ادى الى فشل مشروعه . ويعد ابن بطوطة مصدرا تاريخيا مهما لأسرة تغلق حيث كان شاهد عيان مباشر على أهم الأحداث السياسية كما سنلاحظ.

سارت بلاد الهند في القرن ٨هـ/١٤م على نفس الثوابت السياسية السائدة في المشرق الإسلامي من حيث اعتمادها على الشريعة الإسلامية في مراسيم التولية والعزل والعهود، وكان من شروط هذا التقليد ان يسمى والي امر المسلمين بـ(السلطان ، او

---

(٤٨٦) Revew of Ross, E. Dunn :The Adventures of Ibn Battuta: A Muslim Traveler of the 14th Century, Berkeley: University of California Press, (London- 1986) , P., 154, Internet In WWW.AMAZON.COM .

(٤٨٧) عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند ، ، ص 126.

(٤٨٨) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، ج 2ص274.

الخليفة). وقد أشار ابن بطوطة الى لقب السلطان بوصفه الحاكم الأعلى في السلطنة والإقليم كذلك ويتبعه عدد من الإداريين في الأقاليم ويسميهم (النائب ، او الأمير) في حين يسمى الوالي الذي يجمع الضرائب والخراج ويتولّى امر المدينة بـ(العامل أوالحاكم) امّا (الخديم) فهو الموظف الذي يعمل تحت إشراف مسؤول كبير في مجال الاقطاع [٤٨٩] التقى الرحالة ابن بطوطة لأول مرة بسلطان الهند محمد تغلق في القصر السلطاني فخرج السلطان واستقبله بنفسه وبرفقة عدد من حاشيته واقام له مادبة كبرى واهداه هدايا قيمة ومتنوعة أيضا تفوق في قيمتها قيمة ما جلبه الى السلطان [٤٩٠]

يعتبر عدد من المؤرخين السلطان محمد تغلق المؤسس الحقيقي للأسرة التغلقيه نظرا لطول مدة حكمه البالغه سبعا وعشرين عاما ولإعماله العديدة من اجل توطيد واستقرار الأمن الهندي فقد عني بالعاصمة دلهي ثم بالأقاليم الشمالية والشرقية . وأعاد الأراضي الزراعية والأملاك التي اغتصبها عنوةً الأمراء السابقون الى أصحابها الشرعيين ، وعنى باقليم البنغال بوصفه من اهم الأقاليم الهندية فعين عليه ثلاثة حكام لامعين مشتركين كلهم بجيش واحد متميز وقوي معزز بخيرة الضباط على مناطق (لكنهوتي وسونارجيون وساتجاون)[٤٩١]

والتي تشكل العمود الفقري للإقليم . كما تأتي هذه العناية بالإقليم استناداً الى موقعِه الحيوي وخيراتِه الطبيعية فضلا عن كثرةْ التمرد فيه وكثرة وقوع المجاعات والكوارث الطبيعية كالفيضانات الموسمية التي كانت تجتاح مساحات واسعة من الاقليم وذلك تطلب تعيين قادة كفوئين قادرين على مواجهة كل التحديات بشجاعة ، كما عنى السلطان محمد تغلق بتعيين الموظفين والإداريين الناجحين من قضاة وحجّاب

([٤٨٩]) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج3، ص 97؛

Gouvernement Du Sultanat De Delhi (Paris-1936) p., 26 . Le: Agha Mahdi Husain

([٤٩٠]) كان قد اصطحب معه مجموعة من الهدايا كالخيول والابل والسيوف المصريه ,والثياب من خراسان وذلك لعلمه المسبق بطبيعة سلطان الهند المحب للهدايا والمكافىء عليها ينظر: ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج3 ص230 0

.Moreland ,W. : Op. Ci , p.,167 ؛(2) Ali ,M .: A History of Muslims in Bengal , (Arriyadh- 1986), vol. 2 ,p., 16

وخطباء في كل المناطق التي تخضع لحكم المسلمين في الهند . وقد راى في توظيف الاجانب في دولته ومكافاتهم بالهدايا والرواتب المغريه انها خطوة تعزز جانبه كي يكوّن جبهةً إسلاميه متماسكة في مواجهة تمردات الهندوس والأعداء الناقمين ، لذا فقد كان يولّي عدد من منْ يرد إليه من بلاد العرب والمسلمين ولاسيما ادارة الاقاليم لما عرفوا به من امانة وحنكة ، وقد حفلت الرحلة باسماء كثيرة لوافدين قدموا الى الهند وتولوا وظائف مهمة في السلطنة ولعل اهمها تعيين ابن بطّوطة قاضيا لدلهي وتعيين الشيخ علاء الملك الخراساني أميرا على مدينة لاهري Lahri [٤٩٢].

ومن الجدير بالذكر انه مع انتشار الإسلام بين صفوف الهندوس انخرط الكثيرون منهم في الأجهزة الإدارية التي شكلها المسلمون في الهند ووجدوا الوظائف والمناصب الجيدة كُلٌّ حسب الكفاءة [٤٩٣] وجاء ذلك بالرغم مما عرف عن المسلمين أحيانا من تجنّب إدخال الكفار(غير المسلمين) في إدارة شؤونهم او توليتهم مناصب حساسة[٤٩٤] خاصة بعد تجربة الأمويين مع الفرس في إدارة الدواوين والعباسيين مع البرامكة وربما لم نجد ذلك التقليد شائعاً في اي تجربة إسلامية في إقليم آخر غير الهند فهو من البلدان القليلة التي حكمها الإسلام على الرغم من وجود خليط هائل من الديانات والمذاهب .

ولعل أروع ظاهرة إلفها المجتمع الإسلامي في الهند منح العبيد فرصاً للعمل والمشاركة في الإدارة ، اذ كان اغلب العبيد جاءوا من اسر احترفت العمل في الزراعة والأمور المنزلية والخدمة كما استخدمت النساء كجواري في البيع والإهداء ، ولذلك فقد استبقى السلاطين الهنود عليهم واستخدموهم في تلك المجالات فضلا عن عملهم في المصانع . وقد حصل عدد من اولئك العبيد على حرية اكبر ولاسيما في العهد

([٤٩٢]) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج3 ، ص 82.

([٤٩٣]) Dunn ,R . : Op.Cit, P7.

([٤٩٤]) Scott C.Levi:Hindus Beyond The Hindu Kush , Indians in the Central Asian Slave TradeJ.R.A.S., (2002) ,Vol ., 12 , P., 279.

التغلقي ، اذ أكد ابن بطّوطة وعدد من المؤرخين المعاصرين له ان منهم من وصل الى الحكم بفضل كفاءته وإخلاصه الواضحين ، والمقصود به هنا هو السلطان غياث الدين بلبن (٦٥٦-٦٨٥هـ/ ١٢٦٦-١٢٨٧م) [٤٩٥] .

ومن أعماله الإدارية الأخرى تطوير ديوان البريد [٤٩٦] حيث كان السلطان غياث الدين تغلق شاه قد انشأ نظاما للبريد السريع لإيصال الرسائل والأخبار المهمة ،وقد استطاع ابنه محمد تغلق شاه من تطوير هذا النظام من حيث الدّقة والسرعة ومما يدل على ذلك ان العاملين فيه (البريديون) أوصلوا خبر بلوغ ابن بطوطة من بلاد السند الى مدينة دلهي في اقل من خمسة ايام بعد قطعهم مسافة طويلة جداً بين المكانين في طريق آمن معّبد ، كما جُعل على ديوانه الملك دهقان Dahkan السمرقندي [٤٩٧] .

كما اقتبس السلاطين الهنود عددا من النظم الإدارية من السلطنة العربية الإسلامية ولاسيما ما يتعلق باقامة الدواوين التي تخصّ ماليّة السلطنة وقد نُقِلَ بعضها بفضل الفاتحين الأول ومنها ديوان بيت المال الذي نشأ وتطوّر في العصر الراشدي والأموي نتيجة توسّع الدولة العربية الإسلامية وزيادة حجم وارداتها جرّاء زيادة الفتوح والخراج .. [٤٩٨]

العلاقات الخارجية للهند

ا) العلاقة مع الخلافة العباسية

([٤٩٥]) انظر سيرته بالتفصيل في :ابن بطوطة :المصدر السابق، ج3، ص 125 ؛ الساداتي :المرجع السابق ، ج1،ص 72 نقلا عن محمد قاسم هندوشاه :تاريخ فرشته .

([٤٩٦]) كلمة البريد مأخوذة من اللاتينية Veredus وتعني الدراجة التي يركب عليها العامل في نقل مكاتيبه من مكان الى اخر ثم اصبحت تعني المسافة المعلومة بين مركز بريدي واخر وقدرها علماء المسالك باربعة فراسخ اي اثنا عشر ميلا ، وكانت تسمى في الهند الكروة ، وكان الهدف من انشاءها في الدولة العربية الاسلامية هي اسراع الاخبار الى الخليفة .ينظر :البيروني : المصدر السابق ، ص 130 ؛ ابن بطوطة :المصدر السابق، ج3،ص 72 .

([٤٩٧]) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج3، ص 72 ؛ الساداتي :المرجع السابق ،ج1، ص 170.

([٤٩٨]) خوله شاكر الدجيلي: بيت المال ، نشأته وتطوره من القرن 4-1هـ ، ص 32.

انتقلت الخلافة العباسية شكليّاً بعد سقوطها في بغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م الى القاهرة واخذ الأمراء والسلاطين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي يسعون الى ود الخلافة من اجل الحصول على التفويض الشرعي لحكمهم على الدول والأقاليم .

وكان هذا التقليد يسمى بـ(الخلعه ، العهد ، البيعة اوالتفويض) وكان من شروط التقليد ان يتّسم حكم السلطان في دار الاسلام على منطقته او اقليمه بموافقة الخليفة وبيعة الناس و يدين بالولاء للخلافة عن طريق ذكر اسم الخليفة في خطبة الجمعة والمناسبات الرسمية وبالمقابل ينال هذا الحاكم مباركة ودعم الخلافة في أي تحرك خارجي أو امني ينوي القيام بهِ فضلا عن نيلهِ ثقة الناس . وأحيانا كان السلطان يجلس على العرش افتراضيّا الى حين وصول التفويض اليه[٤٩٩] .

وبما ان الهند كانت تقع ضمن دار الاسلام في العصور الوسطى [٥٠٠] فقد اقام السلطان محمد تغلق علاقات سياسية مع العالم الاسلامي بعامةً ومع الخلافة العباسية في مصر أيام حكم المماليك بخاصة ، اذ كانت تحت حكم السلطان محمد بن قلاوون (٧٠١-٧٤١هـ/١٣٠١-١٣٤١) [٥٠١] بعد ان شرع في استقصاء اخبار بني العباس من الرحالة ابن بطوطة وغيره [٥٠٢] ، كما كان قد استضاف احد احفاد الخليفة العباسي غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز بن الخليفة المستنصر بالله العباسي في عام (٧٤٠هـ/١٣٤١م) واقطعه خراج قرية سيرى واظهر له كامل الاحترام والتقدير ، وقد تحدث ابن بطوطة عن لقائه معة وذكر جانبا من سيرته [٥٠٣] وانْ كانت تلك الزيارة لم تكن ذات مغزى سياسي الا انها حملت علاقات ودّية واخوية مما قرّب **العلاقة بين الهند والخلافة العباسية .**

---

(٤٩٩) .p., 28 Mujeeb ,M. The Indian Muslims, (London–1967)

(٥٠٠) .p,.3 ,. Dunn ,R. : Op.,Cit

(٥٠١) هو السلطان الثالث من سلاطين المماليك البحرية التي حكمت مصر (648- 784هـ/1387-1248م) وكان سلطاناً جليلا كفوءا ذا دهاء ،ومحبا للعدل والعماره ، حكم على ثلاث فترات متقطعة .ينظر : المقريزي : الخطط، ج2، ص175.

(٥٠٢) محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ، ص 97.

(٥٠٣) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج3ص 189.

ففي عام (٧٤٤هـ/١٣٤٤م) [٥٠٤] ارسل السلطان محمد تغلق بعثة برئاسة احد وزرائه وهو (رجب البرقعي) إلى الخليفة العباسي (ابي العباس الحاكم بامر الله احمد بن المستكفي) (٧٤١-٧٥٣هـ/١٣٤٠-١٣٥٢م) طالبا الحصول على الخلعة السلطانية ، فوصلت البعثة الى مصر متضمنة هدايا نفيسة وثمينة الى السلطان الناصر والخليفة الحاكم بامر الله [٥٠٥] .

وقد أدرك الخليفة مدى أهمية ارتباط محمد تغلق بالخلافة ولاسيما انه قد سمع بنّيته في اظهار الدعوة العباسية في الهند[٥٠٦] فارسل اليه خلعةً وتفويضاً وهديةً لم تذكر المصادر نوعيتها بيد سفير ألخلافه حاجي سعيد صرصري وقد بالغ محمد تغلق في اظهار احترامه وفرحه العميقين حينما وصله ذلك التفويض فخرج مع عدد من وزرائه واتباعه واستقبل البعثة بمزيد من الحفاوة ، وكان ذلك الموقف مؤثرا حرّك مشاعر المسلمين الهنود تجاه الاسلام والخلافة العباسية [٥٠٧].

ولم يفت ابن بطوطة ذكر السكّة (نقش اسم الخليفة) على نقود البلاد والتي كانت احدى اهم مظاهر التبعية فضلا عن ذكر اسمه بخطبة الجمعة والمناسبات كشيء من تأكيد الولاء والطاعة . فعندما وصلت الخلعة الى محمد تغلق امر فورا بنقش اسم الخليفة العباسي على السكة الرسميه للبلاد مصحوبا بدعاء " اطال الله بقاء الخليفة " [٥٠٨] و"خادم الله والمتمني رحمته ، معين اهل السنة من قبل اخر الانبياء " وكانت سابقا تسك باسم السلطان غياث الدين تغلق ، ثم باسم محمد تغلق نفسه ثم ازال اسمه

([٥٠٤]) في المصادر المعاصرة لابن بطوطة ان تاريخ هذه السفاره 740هـ/1340م .ينظر: العمري : التعريف ، ص 49.

([٥٠٥]) "ورد كتابه الى صاحب مصر في مقلمة من ذهب زنتها الف مثقال مرصّعة بجواهر وجهّز اليه مركبا أملي بالتفاصيل الهندية الفاخرة الفائقة واربعة عشر حقّا ملئت من فصوص الماس وغير ذلك "؛ ومن الجدير بالذكر ان تلك البعثة تعرضت للسطو من قبل عدد من القراصنة قرب عدن وتمكن حاكم اليمن الرسولي من قتلهم والظفر بالهدية ومن ثم ايصالها الى الناصر محمد .ينظر : العمري : التعريف، ص 49 ؛ محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع ، ج2 ص181.

([٥٠٦]) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج3ص172.

([٥٠٧]) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج3، ص168؛ J.L.Nehru:Discovery of India(London–1956),p.,346.

([٥٠٨]) Holt, P.M. &Others : Cambridge History of India, Vol .2 , P., 240 , (London-1960) .

ووضع اسم الخليفة بدلا منه[٥٠٩] . ومن الجدير بالذكر ان السلطان قطب الدين ايبك اول سلاطين اسرة المماليك في الهند كان اول من نقش اسم الخليفة على سكة بلادة وكان عليها : " الامام الاعظم نائب الله وخليفته في ارضه "[٥١٠].

ب) العلاقة مع البلدان المجاورة وعدد من بلدان المشرق الاسلامي

كانت للهند علاقة بالجارة الصين في القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد اتسمت بالتذبذب والعداء تارةً ثم بالودّ والتصالح تارةً اخرى ، ففي عهد حكم اسرة (يوان شي Yuan Shi) التي حكمت بين (٦٧٥-٧٦٦هـ/ ١٢٧٧-١٣٦٧م) حاول السلطان محمد تغلق ارسال بعثة عسكرية لفتح الصين ، الامر الذي يشير الى طموح سلطان الهند في توسيع نطاق حكمه لضم مملكة الصين الكبيرة ، ولابد من القول انّ تلك الحملة ايضا ادت الى جعل آخر الاباطرة الصينيين من سلالة المغول والذي لم يذكر اسمه ابن بطوطة ولكن المصادر المعاصرة الاخرى اسمته بالامبراطور (هيون تي Shun-Ti) (٧٣٤-٧٦٩هـ/ ١٣٣٣-١٣٦٨م) يخطب ودّ سلطان الهند ويجري عدة مراسلات معه ومنها تلك التي جرت في عام (٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م) عندما ارسل الامبراطور المذكور سفارةً مكونةً من خمسة عشر رجلا محملين بالهدايا والبضائع الصينيه وكان طلبهم هو خطب ود السلطان والاستئذان منهُ بالسماح ببناء معبد للبوذيين الصينيين في ارض تابعة للمسلمين في منطقة (سمهل) Samhul عند جبل قراجيل الحدودي التي يسيطر عليها الجيش الهندي ، لكي يحج اليه اهل الصين [٥١١] فجاء رد السلطان محمد تغلق ان : " لايباح بناء كنيسة{معبد} بأرض المسلمين الا لمن يعطي الجزية فان رضيت بأعطائها ابحنا لك بناءه والسلام على من اتبع الهدى " [٥١٢] .

---

(٥٠٩) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج3 ، ص 200 ؛ شلبي : المرجع السابق ، ج8 ، ص 88 نقلا عن ضياء الدين البراني : المصدر السابق ، ص 492.

(٥١٠) Mujeeb ,M.: Op.Cit ,p.,33.

(٥١١) بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، (القاهرة –1950)،ص 207-206؛

Yule,H.: Op.,Cit., Vol 4 , p., 142.

(٥١٢) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج4 ص 7 .

تعد رحلة ابن بطوطة مصدرا مهما لإيراد معلومات مباشرة عن تلك السفارة حيث كان ابن بطوطة نفسه مكلفا رسميا من سلطان الهند للرد على تلك السفارة [٥١٣] كما يعدها البعض إسهاما جديداً في كتابة التاريخ الدولي للاسلام وعلاقته بالديانات والعقائد المجاورة اذ نرى المكاتبات والمراسلات بين سلاطين الاسلام وعدد من ملوك (البوذية) حول موضوع يتعلّق بحرية ممارسة الشعائر ألدينية [٥١٤] . صحيح أن إبن بطوطة لم يكن رجل سياسة محنكا ، ولكن الصحيح ايضا انه لم يكن بعيدا عن الاطار السياسي الرسمي للدولة فقد تولّى القضاء لثمان سنوات وكان قريبا من النظم الرسمية المعمول بها في الهند لما كان يجتمع في القضاء من نواحٍ فقهية وسياسية [٥١٥].

ولم يكن امام ابن بطوطة سوى الموافقة على هذا التكريم من السلطان بسبب خوفه من السلطان اولا والناتج عن امتعاضه مما قام به في الفترة الاخيرة من التطاول على عدد من الشيوخ ، وبامكاننا اضافة سبب اخر حول موافقة ابن بطوطة على تراس السفاره وهو رغبته في الخروج من نطاق الهند وزيارة مناطق اخرى وحبّهُ للاسفار والتنقل من اجل مواصلة خط سيره ، كل ذلك جعل محمد تغلق يختار انسب رجل لتلك المهمه . فضلا عن رغبة السلطان في تطيّب خاطر ابن بطوطة والافادة فعلاً من قدراته الدينية وحبه للسفر واصراره على ترك الهند بدليل انه أي ابن بطوطة طلب بادىء الامر أن يرحل الى الحجاز لأداء فريضة الحج ، ولكنه وافق على طلب السلطان مما يعزز فكرة الذهاب الى الصين سفيراً وداعياً ،على عكس ما اشيع لدى عدد من الباحثين من انّ ابعاد ابن بطوطة عن منصبة بمعنى معاقبته بارحم وابسط مايمكن بعدما تردد عنه انه كان يتقرب من عدد من الشيوخ المعارضين لسياسة السلطان محمد تغلق [٥١٦] ،

([٥١٣]) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج4 ص 7 ؛ Yule ,H .:Op.Cit, p., 20

([٥١٤]) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج4، ص7.

([٥١٥]) يوسف زيدان : الرحلة السفارية ، ابن بطوطة وخير الدين التونسي انموذجا ، بحث منشور على شبكة الانترنيت ، موقع يوسف زيدان للتراث -2001 http://www.ziedan.com/research/18.asp.

([٥١٦]) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج 3ص 47، 249 .

ظهر ذلك من خلال استقراء عدد من النصوص مدى تأثّر ابن بطوطة بهذا الامر مما ادى الى موافقته بسرعة على السفارة ، لا بل ذهب أحد المؤرخين الهنود الى القول أن ابن بطوطة فرح كثيراً بهذه السفارة املا في رؤية غرائب وعجائب أخرى وزيارة بقية ألاقاليم الهندية [٥١٧].

انطلقت البعثة في يوم السابع عشر من صفر عام ٧٤٢هـ الموافق للثاني والعشرين من مايس ١٣٤١م بطريق الدو آب (النهرين جمنا والكنج) شرقاً باتجاه البحر ، مرورا بمدينة قنوج ومدينة عليكره Aligharh التي تبعد ثمانين ميلا عن دلهي ، واثناء سير الوفد في احد الطرق الصحراوية تعرضوا لعملية قرصنة وهجوم من قبل مجموعة من المتمردين من (غير المسلمين) قدرهم ابن بطوطة باربعة الاف شخص ودارت بينهما رحى معركة عنيفة ادت الى مقتل كثير في صفوف الغازين واستشهاد ثمانية وسبعين شخصا من جماعة ابن بطوطة بضمنهم الملك كافور ولما وصل الخبر الى السلطان ارسل بدلا عنه سنبل الجامدار وامرهم بمواصلة السير [٥١٨].

واذا كانت الرحلة هي المصدر الاقدم لتاريخ تلك السفارة فانها لم تذكر نصا عن رد فعل إمبراطور الصين عليها ان كان ايجابيا ام عكس ذلك ويبدو انّ امبراطور الصين كان قد رضخ لجواب السلطان محمد تغلق وذلك لعدم رجوع ابن بطوطة الى الهند مما يعني انه لم يكن مكلفاً برد خبر مهم الى سلطانها [٥١٩].

---

(٥١٧) Sastri ,N.: Sources Of Indian History (London- 1964) ,p., 44.

(٥١٨) خلال تلك المواجهة اختطف ابن بطوطة لعدة ايام من قبل قطاع الطرق بضمنهم مسلمان ساعده احدهما على الفرار ومواصلة افراد البعثة :ينظر التفاصيل : ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٤ص ١٢.

(٥١٩) لابد من القول هنا أن تلك السفارة فشلت في الوصول الى الصين بسبب غرق السفن في المحيط الهندي ومقتل أغلب المرافقين وضياع الهدايا ، ولذلك خاف ابن بطوطة من العودة الى دلهي . ينظر: ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٩٦-٤٨ .

وفضلا عمّا تقدم من علاقة الهند بمصر بجهتي الخلافة وحكومة المماليك اقام السلطان محمد تغلق علاقات ود وصداقة مع دول متعددة إسلامية وغير اسلامية . ومن ضمن الدول التي كانت لها علاقة مباشرة مع الهند ودياً العراق وبلاد الشام.

اما العراق فقد كانت العلاقة جيدة ومستقرة بدليل وجود عدد كبير من التجار والعلماء في دلهي فضلا عن زيارات قام بها عدد من الامراء الى السلطان ، كما كانت علاقة الهند ببلاد الشام ليست اقل منها اهميةً بدليل وفود الامير (غدا سيف الدين بن منّى) امير عرب الشام عام (٧٣٣ هـ/١٣٣٣م) الى حضرة محمد تغلق الذي اكرمه وانزله في قصر كبير يسمى القصر الاحمر دلالة على محبّة سلطان الهند للعرب المسلمين من اجل مد جسور التواصل معهم بوصف انهم اهل الرسالة والقرآن ، ولم يكتف بذلك بل قام بمصاهرة الامير غدا وزوّجه باخته فاصبح الامير غدا منتميا رسميا للعائلة الحاكمة . ولكن ذلك لم يدم طويلا بسبب تعنت الامير واظهاره نوع من الكبرياء والتطاول على حرّاس السلطان مما ادى الى غضب السلطان عليه ومن ثمّ سجنه [٥٢٠].

ثانياً : وصف الجوانب الاقتصادية

انفردت رحلة أبن بطوطة في تقديم معلومات قيمة وجديدة عن الوضع الاقتصادي العام في الهند وما جاورها قد لانجدها في مصدر آخر معاصر له لِكون ابن بطوطة كان شاهد عيان او احياناً عنصراً مشاركا في الاحداث ومن ثم كانت معلوماته مهمة وليست عابرة.

في ميدان الزراعة كانت ارض الهند ومناخها وسهولها العظيمة وانهارها المتعددة بضمن ذلك نهر الكنج Ganges ونهربراهمابوترا و Brahmaputra ونهر مهران Indus مليئةً بالعناصر العضوية التي ساعدت على احتراف اغلب سكانها لمزاولة العمل الزراعي . ويظهر ان ابن بطوطة كان رحالة استثنائيا عني عناية خاصة بالجانب الزراعي في الهند

(٥٢٠) وقد افرج عنه السلطان ومن ثم اراد نفيه لولا تدخل ابن بطوطة الذي طلب له العفو من السلطان . ينظر ابن بطوطة :المصدر السابق، ج3 ، ص 180 ، 181.

حيث افرد العديد من الصفحات في رحلته بالحديث المتواصل عن اهمية الزراعة في الاقتصاد الهندي وتغطية الحالة المعاشية لاغلبية السكان وقد ذكر لنا انواعا كثيرة من المزروعات التي ربما لم نسمع بها منقبل ومنها : النبق والعنبه و الشكّي والبركي و التندو و النارنج الحلو والحامض والمهوا (العنب) و الشاماخ فضلا عن حبوب القمح والشعير والحمّص والعدس .

ويؤكد الرحالة الايطالي دي كونتي De Conti [٥٢١] ما تحدث به ابن بطوطة عن الزراعة في سفوح الجبال والتي كانت معروفة في عدد من مناطق الهند وجزر الهند الشرقية ويورد مثالا عن زراعة القمح والفواكه والتوابل في سفوح جبل سيلان والتي يبدو انها كانت تعتمد على مياه الامطار في سقيها .

كما تحدث عن التجارة الداخلية والتجارة الخارجية يظهر عنايته بالتجارة الخارجية جلياً من حيث وفرة النصوص الخاصة بها . ولكن فيما يتعلق بالتجارة الداخلية للهند هناك ثغرة كبيرة في هذا الجانب باستثناء ذكره لعدد من الاسواق ورخص اسعار بعض المواد المتداولة للاستهلاك الداخلي كالمواد الخاصة بالطعام والخضروات والسلع الكمالية والملابس فضلا عن التوابل ... عُرِفَ ذلك من خلال حديث ابن بطوطة عن بعض المدن التي زارها وذكره ان :" اسواقها حسنة "[٥٢٢] .

ثالثاً : وصف الجوانب الثقافية والعلمية

وصف ابن بطوطة طبيعة الوضع الثقافي والعلمي بدقة وتركيز في الهند في منتصف القرن الثامن للهجرة /الرابع عشر للميلاد لانه كان معنيا بمشاهدة ومتابعة وحضور تلك الجوانب اكثر من غيره .

([٥٢١]) نيكولو دي كونت رحالة أيطالي من القرن 15م وهو صديق الرحالة طافور ، زار هندوستان وفارس وسيلان وسومطره وجاوه ثم الصين بين عامي (1444-1420م) ثم عاد الى مدينته فينيسيا وطلب اليه البابا ان يلقي اسفاره على سكرتيره الخاص ويدون رحلته التي كتبت اول مرة باللغة اللاتينيه وترجمتها جمعية Hakluyt التاريخية عام 1857م .ينظر : بيرو طافور : رحلة طافور في عالم القرن 15م، تحقيق:حسن حبشي ،دار المعارف(القاهرة – 1968) ،هامش 1، ص83 ؛

Sastri ,N . :Op.Cit ,p., 89.

([٥٢٢]) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج3، ص113.

ا) دور العلم

عرفت الهند بانها اكثر بلدان العالم الاسلامي عدداً في دور العلم ولعل ابرزها شيوعاً : المساجد التي كانت وكما هو معروف المكان الاول لنشر التعاليم الاسلامية سواء في خطبة الجمعة ، ام من خلال ممارسة تدريس بعض العلوم الدينية فيها اذ كانت مركزا للدراسة المتخصصة فضلا عن كونها مركزا لاداء الصلاة والفرائض ، اذ نظمت فيها الحلقات التي يدرس فيها الطلبة مختلف العلوم الدينية على ايدي الشيوخ الكبار ، وليس لدينا معلومات ان كان شيخ الحلقة يتلّقى اجراً نظير مهمته فيما عدا بعض الهبات والهدايا التي تمنح لهم من قبل الاغنياء والسلاطين .

ومن اهم المساجد التي ذكرها ابن بطوطة في الهند : مساجد مدينة دلهي المتعددة والكبيرة ولاسيما مسجد (قوّة الاسلام) والذي اجري عليه توسيع في باحاته وغرفه ليستوعب اعداداً من الطلبة ، وكذلك مسجد مدينة بدفتن ويسكنه (الغرباء) المسلمون [٥٢٣] . كما تحدث عن مدينة هيلي Heili احدى المدن المهمة التي احتوت على المسجد الجامع الكبير اذ كان "يسكنه عدد من الطلبة يتعلمون العلم ولهم مرتبات من مال [اوقاف] المسجد وله مطبخة يصنع فيها الطعام للوارد والصادر ولاطعام الفقراء من المسلمين بها " [٥٢٤] ، ثم مسجد مدينة سيوستان ذات الطابع الاسلامي والتي تعد من اقدم المدن الهندية الواقعة على نهر السند فقد وجد فيها اقدم مخطوط اسلامي نادر يدل على انتشار الاسلام فيها يعود الى اواخر القرن الاول للهجرة وهو كتاب من الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧٠٧-٧٠٩م) يامر بموجبه بان تتولّى احدى اعرق الاسر وهي عائلة الشيباني – الخطابة في جامع المدينة ، ونص الكتاب :" هذا ما امر به عبد الله امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لفلان وتاريخه عام

([٥٢٣]) ابن بطوطة :المصدر نفسه ، ج4 ، ص 44.

([٥٢٤]) ابن بطوطة :المصدر نفسه،ج4، ص 41 ؛ وعن مدينة هيلي ينظر: زين الدين احمد المعبري :تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين ، (لشبونا – 1889) ، ص 226.

تسع وتسعين " [٥٢٥] ولم تزل تلك الاسرة تتوارث الخطابه حتى وقت زيارة ابن بطوطة للمدينة حيث كان الخطيب الشيباني مصدرا له في تلك المعلومة . ان هذا يدل على ان المسجد كان مركزا علميّا كبيرا للمسلمين يتعلمون فيه تعاليم دينهم السمحاء عن طريق سماع خطبة الجمعة . كما زار مسجد جاوه الكبير والتقى بقاضي الجزيرة وهو الشيخ امير علي الشيرازي ، وكذلك بالفقيه تاج الدين الاصبهاني (نسبة الى اصبهان احدى مدن فارس) وكانا يدرّسان الفقه على المذهب الشافعي في مسجدها [٥٢٦] .

ب) طبيعة العلوم

بعد ان انتشر الاسلام في الهند ونتيجة للمعاملة الحسنة وبالرغبة من دون الاكراه كان طبيعيا ان تظهر عناية الهنود المسلمين بالعلوم الدينية المتعلقة بالاسلام ، ظهرت العلوم النقلية او الدينية [٥٢٧] وهي تلك العلوم المختصّة بالشريعة الاسلامية وما يتعلّق بها كعلوم القرآن الكريم ، وعلم الحديث واصوله ، وعلم الفقه الذي يبحث في الاحكام الشرعية الفرعية العملية من حيث استنباطها من الادلة التفصيلية [٥٢٨] فضلا عن الاتجاهات الفكرية الاخرى كعلم التصوّف وغيرها .

وقد حظيت علوم القرآن الكريم كعلم التفسير ، بنصيب وافر من العناية والدراسة في الهند نظراً لحاجة المسلمين الهنود الى معرفة كل ما يتعلق بتفسير الايآت القرآنية الكريمة واحكامها وبيان التشريعات الاسلامية من خلالها وقد وجد ابن بطوطة في مدينة هنور " نساءَ يحفظن القران الكريم " [٥٢٩] وربما يدل ذلك على ان الحفظ لابد وان يسبقه فهم وتفسير وشرح ، كما يدل على ان مدينه هنور تمتعت بعمق الوعي الايماني لدى سكانها المسلمين , كما ظهر جليا حرص اهلها على التطبع بطبائع الدين الإسلامي

([٥٢٥]) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج3 ، ص81.

([٥٢٦]) ابن بطوطة : المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 115.

([٥٢٧]) حسين علي الطحطوح : مظاهر الثقافة العربية الاسلاميه في الهند ، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل 1979) ، ص 53.

([٥٢٨]) عبد الحي الحسني : الثقافة الاسلامية في الهند، ط2، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (نيودلهي – 1972) ، ص 2-1..

([٥٢٩]) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج4، 34.

لدرجة آن النساء كن يحتشمن في لباسهن [٥٣٠] ويحفظن القران الكريم وليس فقط الرجال ، وهنا اشارة يجب ان ننتبه اليها وهي مسالة الاهتمام بتعليم المرأة في الهند حيث ان الاسلام اعزّها واعطاها دورها في الحياة فلم يحرمها من فرصة التعليم اسوة بالرجال ، كما ان نساء الاسر الاسلامية الحاكمة كن يتلقين بعضاً من العوم المهنية كالخياطة وغيرها فضلا عن العلوم الدينية ، والمقصودة هنا هي السلطانة رضية من سلالة اسرة المماليك في الهند [٥٣١] على عكس التعاليم والطقوس الهندوسية التي حرمت المراة من التعليم والتحصيل العلمي وخاصة ما يتعلق بدراسة الفلسفة والكتب المقدسة (الفيدا) . وفيما يتعلق بعلم الحديث النبوي الشريف فأن من نافلة القول ان دراسته قد تردّت ولم تلق التشجيع الكافي من قبل الهنود ابّان الفتح العربي الاسلامي والعصر الغزنوي الذي ساد شمال غرب الهند ، وانّما نما هذا العلم في عهد السلطان محمد تغلق ونتجت عنه دراسات وكتابات عديدة جديرة بالتقدير من قبل بعض العلماء الهنود الذين رفدوا هذا العلم عن طريق رعايته وتفسيره ايضا نظرا لما يتمتع به من منزلة عليا في نظرهم لانه يمثل اقوال الرسول (ﷺ) وافعاله وبوصفه مكملا ومفسرا لنصوص القران الكريم فضلا عن ان النبي(ﷺ) يمثل الانموذج الاعلى لهذا الدين في سلوكه وقوله وعمله ونواحيه [٥٣٢] لذا انتشرت دراسته في مختلف مناطق الهند لاسيما دلهي نفسها وجنوب البنغال وكشمير وجونبور Jounpur.

أما النوع الاخر من العلوم فهي العلوم العقلية اذْ اشتهرت الهند قبل انتشار الاسلام فيها بانها بلد الفلسفة والمعرفة العلمية وقد ادلى ألمؤرخون المسلمون ولاسيما اولئك الذين زاروها - في مصنفاتهم بارآء وافكار قيمة عن علومهم وفنونهم وافكارهم تلك كما اوردت بعض المصادر العربية عددا من المصنفات الهندية في مختلف تلك

(٥٣٠) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج4، ص 34 .

(٥٣١) يوسف حسين خان : " نظام التعليم في الهند في القرون الوسطى" ، مجلة ثقافة الهند ، ع 2 ، سنة 1961 ، ص 81.

(٥٣٢) الحسني : الثقافة ،ص131؛ انا ماري شيمل : مناهج التعليم في الهند ، مجلة فكر وفن ، ع 19 ، ص 26

المجالات [٥٣٣] وكان بعض تلك العلوم والمعارف خالصا نابعا من الحكمة الهندية القديمة نفسها كعلم الفلك والجغرافية والتنجيم والفلسفة[٥٣٤] والرياضيات الذي برع فيها الهنود براعة فائقة واشتهر عدد من العلماء في الرياضيات مثل الشيخ المعمر ابي الرضا رتن Raten الهندي الذي يعتبر من الحذّاق بالحساب وسمي بـ(عظيم السند) وتولّى ادارة مدينة سيوستان واعمالها [٥٣٥].

في حين كانت بعض العلوم الاخرى قد تاثرت بالحضارات المجاوره لها كعلم الطب الذي كانت الحضارة المصرية والاغريقية سباقةً فيه ومن ثمّ انتقل الى الحضارة الهندية بوساطة عدد من الاطباء [٥٣٦].

رابعاً : وصفه للجوانب الاجتماعية

كان لابن بطوطة فضل في رسم وتوضيح وتعريف المظاهر الاجتماعية التي سمعنا بعدد منها لاول مرة فالمجتمع الهندي في القرن ٨هـ/١٤م كان يتشكل من عدة طوائف بعضها عرقي وديني ، وأديان منها سماوي واكثرها وضعي . وكان لكل طائفة تاريخها وتقاليدها الخاصة واماكنها وطقوسها ، ونفهم من كلام ابن بطوطة ان اهل الهند كان اكثرهم من غير المسلمين وهم رعية تحت ذمة المسلمين ويسكنون القرى ويكون عليهم حاكمّ من المسلمين ،كما ان الاسلام كان من اهمّ الديانات الموجودة في الهند والمناطق المجاورة لها او على الاقل في المناطق التي وصل اليها الرحالة بنفسه ، ولذلك فقد كان الحكم السائد فيها هو الحكم الاسلامي منذ القرن ٦هـ / ١٢م المعروف بنزاهته

([٥٣٣]) المسعودي : المصدر السابق، ج1، ص 99؛ البيروني : المصدر السابق ،ص 102 .

([٥٣٤]) عرف الهنود خطوط الطول والعرض ،وكانت معلوماتهم الفلكية على درجة من التقدم فقد عرفوا مواقع النجوم وتابعوا حركة الشمس والقمر وكان الفكر الجغرافي الهندي يقوم على اساس استخدام الرياضيات استخداما كبيرا في تحديد الاجرام السماوية والارضية .ينظر : البيروني : المصدر نفسه ، ص 179، 223، 401.

([٥٣٥]) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج3،ص82.

([77]) يعتبر الطبيب ضيا محمد اول من ادخل الطب اليوناني ومعالجاته الى دلهي في عهد السلطان محمد تغلق فضلا عن الطبيب صدر الدين بن شهاب الدين الدهلوي الذي ذاع صيته في تلك الفترة .ينظر : الحسني : الثقافة ..ص 307؛ سيد ظل الرحمن : وصول الطب اليوناني الى الهند ، منشور على شبكة المعلومات موقع noormicrofilmindia/zillur11.htm.WWW

وسماحته وقد ذكرنا في بداية البحث كيف ان الهندوس وابناء الطوائف الاخرى غير الاسلامية قد اتيحت لهم الفرصة في الانخراط بالسلطنة الاسلامية وتابعوا اعمالهم ومسؤولياتهم مع غيرهم من المسلمين دون مشاكل تذكر ومن هنا يمكن القول بان الحياة اليومية للطوائف الهندية كانت مستقرّة بتأقلم السكان فيما بينهم ودون مصاعب ايضا . ولعل اهم الأعراق والأديان في الهند هي : الهندوسية Hindus وهي ديانة الاريين (ذوي البشرة البيضاء) الذين غزو الجزء الشمالي الغربي للهند من اواسط اسيا في حوالي ٢٥٠٠ ق.م ، والذين انعزلوا عن باقي سكان الهند الاصليين (ذوي البشرة السمراء) وحافظوا على أعراقهم النقية [٥٣٧] ، ومن الجدير بالذكر ان تلك الطائفة كان لها كتاب مقدس يمثل دستوراً لها يسمى (الفيدا Veda) وهي كلمة سنسكريتيه تعني (المعرفة) وتظم مجموعة من الاناشيد والحكم المتعلقة بحياتهم اليومية وعباداتهم ويرجع تاريخ ظهورها الى ما يقرب من ٤٥٠٠ قبل الميلاد وبعض اشعارها تمجد الالهة الهندية مثل الاله فارونا Varona اله السماء والاله سوريا Sourya اله الشمس ، والاله اجني Agni اله النار فضلا عن اندرا Andara اله الرعد والمطر ومنها اشتقّت ملحمتا المهابهارتا Mahabharta والراميانا Ramyana [٥٣٨] . ثم البوذية Buddhest : وهم الهنود الذين يتبعون اراء احد الحكماء القدماء وهو جوتاما بوذا Gotama Buddha (٥٥٧ – ٤٨٠ ق.م) اي العارف المستنير [٥٣٩] والذي جاء بتعاليم ناقدة ومناقضة لنظام الطبقات الذي فرضه الاريون على الهنود ومثّل ظهوره بمثابة الثورة ضدهم ، وقد انتشرت تعاليمه في الهند بواسطة الملك اشوكا (٢٩٤-٢٢٧ ق.م) احد الملوك المحاربين الهنود منذ القرن الثالث ق.م . وكان من اهم تعاليمه : اخماد الرغبة في الحياة وكبت المشاعر والاحاسيس ، والغاية من كل ذلك هي ان يصل الانسان الى حالة

---

(٥٣٧) عبد الرحمن حمدي :الهند ، عقائدها واساطيرها ، دار المعارف ، (القاهرة-1978) ص 58 ، ص 254.

(٥٣٨) البيروني : المصدر السابق، ص 77 ؛ حمدي : المرجع السابق ، ص 73.

(٥٣٩) ولد بوذا من اسرة منعمه من طبقة الكشتريه ولفت نظره الفقر والبؤس لدى الطبقات الاخرى ولاسيما طبقة الشودرى فترك العيش الرغد وعاش سبع سنين يتأمل وينشر تعاليمه باحثا الحقيقة في الحياة .ينظر :النمر : المرجع السابق ، ص 75.

الهروب من الالم وتحقيق الصفاء او مايسمى بحالة (النيرفانا) Nervana [٥٤٠] . وبعدها تاتي الديانة الاسلامية وعلى الرغم من عدم امتلاكنا لاحصائيات دقيقة لاتباع الهندوسية ، والبوذية ، واتباع الدين الاسلامي في الهند ، لكن من المرجح ان المسلمين كانوا اقلية قياساً الى الكل إلا ان ابن بطوطة ذكرهم وكانهم يتمتّعون بالاغلبية ربّما لكثرة تعاملاته واحتكاكه معهم وتجنّب الطوائف الاخرى . كما وجدوا بمختلف اعراقهم (كالعرب والترك والفرس فضلا عن الهنود) وكانوا هم الحاكمين ولهم الكرامة والمنزلة والقوة ، ومنهم الوزراء والقادة فهم " معظمون اشد تعظيم " [٥٤١] .

الخاتمة

كان من بين المظاهر الاساسية لعصر ابن بطوطة المتعلقة بالبلدان الاسلامية ، التجزئة السياسية وتعدد مراكز القوى وفقدان الزعامة الروحية وغيرها ، ومن ثم فهذا العصر امتداد لظواهر ما سبقة . الا ان تواصل الروابط بين الشعوب الاسلامية وحرية التنقل والسفر أسهم في استمرار تقارب المسلمين كما أُشير في الرحلة الى عناية السلطنة بالجانب الثقافي لصلة ذلك بالشريعة الاسلامية كعلوم القرآن الكريم وعلم الحديث والتصوف الاسلامي وغيرها ، وقد كانت تلك العلوم تلقى الدعم والرعاية من قبل السلطنة الاسلامية سواء للعلماء القادمين من خارج الهند ام الذين برزوا فيها من الداخل . فضلا عن العناية برعاية الاماكن الاسلامية المقدسة والمساجد والزوايا وغيرها ان ما حصل من تطور ثقافي كان نتيجة لجهود مشتركة من مسلمي الهند ومن العرب وغيرهم من خارج الهند .

المراجع والمصادر

- ✓ **اسماعيل العربي:الاسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية ، الدار العربية للكتاب،(الجزائر١٩٨٥)**

(٥٤٠) اسماعيل العربي:الاسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية ، الدار العربية للكتاب،(الجزائر 1985) ،ص 14 .

(٥٤١) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج4، ص50 ، 97 ؛ الشرقاوي : المرجع السابق ،ص 269.

- ✓ احمد بن على بن حجر العسقلاني : الدرر الكامنه في اعيان المائة الثامنه ، دائرة المعارف العثمانيه ،(حيدراباد الدكن –١٩٧٢)
- ✓ عبد الله كنون : ذكريات مشاهيررجال المغرب ابن بطوطة ، منشورات الايسسكو (الرباط
- ✓ اغناطيوس كراتشوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، (القاهرة -١٩٦٣) ، ج١، ص٤٢١ .
- ✓ وابن مرزوق هو محمد بن احمد بن مرزوق التلمساني وزير في فاس وعالم مشهور بالفقه والاصول ، له كتاب ازالة الحاجب عن شرح ابن الحاجب .ينظر : خير الدين الزركلي :الاعلام ،دارالعلم للملايين (بيروت –١٩٧٩)
- ✓ احمد بن ابي يعقوب بن واضح اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، دارصادر، داربيروت
- ✓ محمود الشرقاوي : رحلة ابن بطوطة من طنجة الى الصين ، مطبعة النجف
- ✓ Revew of Ross, E. Dunn :The Adventures of Ibn Battuta: A Muslim Traveler of the 14th Century, Berkeley: University of California Press, (London-1986) , P., 154, Internet In WWW.AMAZON.COM .
- ✓ عبد المنعم النمر: تاريخ الاسلام في الهند ، المؤسسه الجامعيه ، (القاهرة -١٩٨١) ،
- ✓ المقريزي : المواعظ والاعتباربذكر الخطط والاثار، مطبعة بولاق ، (القاهرة –لات) ج
- ✓ خوله شاكر الدجيلي: بيت المال ، نشأته وتطوره من القرن ١-٤هـ ،مطبعة وزارة الاوقاف ، (بغداد- ١٩٧٦)
- ✓ Mujeeb ,M. The Indian Muslims, (London–1967) ,p., 28.
- ✓ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر،دارالفكر (القاهرة – ١٩٤٧).

صورة الهند
في كتابات الشيخ علي الطنطاوي

علاء الدين محمد الهدوي فوتنزي باحث الدكتوراه/ د.محمد نور الأمين الأستاذ المساعد
قسم اللغة العربية ،كلية بي. تي. أم الحكومية ، فارندلمان، كيرالا

المدخل

تتمتع الهند والعالم العربي بعلاقات وثيقة منذ فجر التاريخ، وقد قامت تلك العلاقات على التبادل الثقافي، والهجرات وحركة السكان، فضلا عن التبادل التجاري، وتشير العديد من المؤلفات والمراجع التاريخية إلى اتصالات واسعة قامت بين منطقة الخليج العربي واليمن ومصر من ناحية، والهند من ناحية أخرى، ومما يزيدنا فخرا واعتزازا أن بلادنا وما فيها من العجائب والطوائف حلّت محل التقدير والإعجاب لدى العرب - باديهم وحاضرهم - يتمير ذلك في أدب الرحلات والترجمة والقصائد العربية التي صدرت فيها مئات المجلدات عبر القرون, والتي تزادن بها المكتبات العربية والإسلامية كما صارت هذه الابداعات تحفة علمية لعشاق العلم وطلابه في كل القارات، يقول الشاعر خليل مطران في شعر له بعنوان "الهند"

يا هند لم يخطئ أبو ك حين دعاك هندا
سماك باسم كاد يد ركه التقادم فاستجدا
ما الهند إلا روضة كانت لأرق الخلق مهدا

ولدى مواطني الشرق الأوسط رميولات خاصة تجاه شؤون الهند، كتب العرب عن الهند وأهلها وأحوالها في مؤلفاتهم فمنهم الذين لم يقوموا بزيارة الهند ولكن صنفوا عن طريق جمع أحوال الهند ، ومن أشهر هذه الطبقة الجاحظ، وابن خرداذبه ، والهمداني ، وابن نديم وعبد القادرالبغدادي

وغيرهم، ومنهم العرب الذين سافروا إلى الهند وكتبوا ما رأوا بأم عينهم ومن أشهرهم البيروني ، وسليمان التاجر، وابو زيد حسن الصيرافي ، وأحمد بن إسحق اليعقوبي، وأبو الحسن علي بن الحسين علي المسعودي ، وإبن حوقل ، وشمش الدين بن أحمد المقدسي البشاري، والرحالة المشهور ابن بطوطة الذي وصل الهند عام ٧٣٤ ، والشيخ علي الطنطاوي الذي سافر إلى الهند وكتب عنها وعن أهلها وذويها.

الشيخ علي الطنطاوي

علي بن مصطفى بن محمد الطنطاوي من مواليد عام ١٩٠٩م، وهو هامة فقهية، وقيمة فلسفية، وقامة أدبية عجزت أدباء العرب أن تنجب مثله،عاش كالشمعة التي تحترق لتضئ ما حولها،عمل - رحمه الله - معلمًا، وقاضيًا، كما أن ذاكرته قوية في الاحتفاظ بما يراه أو يسمعه أو يدركه؛ فقد بقي متوقد الذهن، يستعيد المشاهد، حتى حين بدأ يكتب ذكرياته أو يتحدث عن رحلاته بعد مضي نصف قرن على بعضها!!

لقد جوَّب الطنطاوي في الآفاق، فزار مصر والعراق والحجاز مراراً، كما زار إيران وباكستان والهند وسنغافورة وماليزيا وإندونيسيا، وزار ألمانيا وأماكن أخرى، ، ولم يفته أبداً أن يتحدث - أو أن يكتب- عن كل زياراته هذه، فتجد الحنين للوطن يطل من بين ثنايا كلماته، وتتوارى دمعة الشوق بين سطوره، كما شغلت حيزاً كبيراً من أحاديثه الإذاعية والتلفازية، وأصدر عنها عدَّة كتب، سجَّلها بأسلوبه الأدبي الجذاب، وتوفي عام ١٩٩٩م.

الرحلات الهندية بأقلام الرحالين العرب

وقد صدر في القرن التاسع عشر والعشرين بعض الرحلات الهندية في اللغة العربية بأقلام بعض الرحالين العرب وسجلوا فيها انطباعاتهم عن الهند ما شاهدوا فيها من الوقائع والآثار، ومن هذه الرحلات"رحلاتي حول

العالم" للدكتورة نوال سعداوي، و"مشاهدات في الهند" للكاتبة المصرية أمينة سعيد، و "الهند كما رأيتها" لفتح الله الأنطاكي صاحب جريدة العمران بمصر، و "سياحتي في البلاد الهند وكشمير" ليوسف كمال المصري، و "رحلتي إلى الهند" لماراثناسيوس اغناطيوس نوري، وكان من رجال الدين المسيحيين في بغداد، وقد ألف الكاتب المصري الصحفي البارز د.أنيس منصور الذي عمل محررا في جريدة الأهرام رحلة باسم "حول العالم في مائة يوم" وكان قد زار الهند عام ١٩٦٢م وخص ١٤٥ صفحة لوصف الهند والهنود وعن انطباعاته عن الهند.

منهج الشيخ علي الطنطاوي في تدوين الرحلات والعادات

وقد كان الطنطاوي عازماً على تسجيل رحلته وتدوين كل ما يلاقيه فيها، أو يطلع عليه من معالم جغرافية واجتماعية؛ يقول الشيخ:"وعزمتُ أن أدوِّن الرحلة، ولا أكتفي بما تحمل ذاكرتي؛ فاتخذت دفتراً كتبت فيه كلَّ طريق مشينا فيه، وكلَّ جبل مررنا به، وكلَّ أرض حللنا بها، ودوَّنتُ أنساب وعادات وأحوال من لقينا فيها"وهو بذلك يحاول أن يجعل وصف رحلته أدقَّ وأعمق ما يكون، وهو في حديثه عن رحلاته لم يكن يكتفي بذكر جمال طبيعة البلاد التي يزورها، أو قسوة الظروف التي يعانيها؛ بل كان يُبرز دائماً ما خلَّفته هذه الديار من أثر في مشاعره وأحاسيسه.

ويستعرض أحياناً تاريخ تلك البلاد بإيجاز، ودخول الإسلام إليها، والظروف الاجتماعية التي يعيشها الشعب فيها، وعاداته وتقاليده، وما قام به من بطولات، وما قدَّمه من تضحيات حتى تحرر من الاستعمار؛ فهو يقول:"وأنا حين أهمُّ بالكتابة عن بلد؛ لا أصف طبيعة أرضه، ولا تحديد مساحته وحاصلاته؛ ولكن أحاول أن أصف مدى شعوري به، ومبلغ ما له في نفسي"،وقد تحدَّث بتفصيل أو بإيجاز في "ذكرياته" عن زيارته إلى مصر، مروراً

بفلسطين، وعن زيارته إلى بغداد سنة ١٩٣٦، وعن زيارته إلى القدس ١٩٥٤، وإلى كراتشي ودلهي، وأخرى إلى ألمانيا ١٩٧٠، كما تحدث عن قدومه إلى الرياض.

كتابات علي الطنطاوي عن الهند وتراثها

وفي كتاب"رجال من التاريخ" يذكر العلامة الشيخ الطنطاوي عن أورانك زيب وتاريخ المغول في الهند تحت عنوان "بقية الخلفاء الراشدين" ومظفر بن محمود من ملوك أحمد آباد في الهند تحت عنوان "الملك الصالح"والسطانة رضية تحت عنوان "سلطانة الهند" وكتب عن العلامة الزبيدي تحت عنوان "شارح القاموس" وقال أن الزبيدي ولد في الهند سنة١١٤٥ ونشأ بها[٥٤٢]،يذكر الطنطاوي تحت عنوان"بقية الخلفاء الراشدين " تاريخ المغول وسيرة أورانك زيب كملك عادل زاهد وعظمة منارة قطب وتاريخ الملوك المسلمين الآخرين ويقول عن الملك المغولي شامجهان ويصف بناء"تاج محل" وحب الملك شامجهان لزوجته:

"وكان لشامجهان زوجة لانظير لحسنها في الحسن ولامثيل لحبه إياها في الحب هي (ممتاز محل)، فماتت فرثاها ولكن لا بقصيدة من الشعر،وخلدها ولكن لا بصورة ولاتمثال، لقد رثاها فخلدها بقطعة فنية من الرخام ماقال شاعر قصيدة أشعر منها، فهي شعر أغنية، وهي صورة وهي أعظم تحفة في فن العمران،هي ممتاز محل، هذا البناء العجيب الذي أدهش بجماله الدنيا ومازال يدهشها.....هذا القبر الذي يأتي اليوم السياح من أقصى أميريكا إلى (أكرا) قرب دهلي ليشاهدوه، ويسمعوا قصته وهي أعظم قصص الحب على الإطلاق، لقد صدع موت هذه الزوجة الحبيبة الإمبراطور العظيم،فزهد في

[٥٤٢] علي الطنطاوي، رجال من التاريخ،لكناؤ ،مكتبة إحسان،2019م، ص 324 .

دنيـاه لأنهـا كانـت هي دنيـاه و حقـر ملـك الهنـد لأنهـا كانـت أعظـم عنـده مـن ملـك الهند"[٥٤٣].

وفي رحلتــه إلى الشــرق قــام بزيــارة أربــع مــدن مشــهور في الهنــد وهـي: مومبــاي وكولكاتــا والعاصــمة الهنديــة نيــودلهي ومدينــة لكنــاؤ وقال:"لقــد كنــت أذكـر إسـم لكنـو مـرة أمـام جماعـة مـن أمـل الفضـل فمـا عرفهـا مـنهم أحـد، فقلـت لهـم إنهـا مدينـة أبـي الحسـن علي النـدوي فعرفوهـا،فكيف تريـدون مني أن أعـرف القـراء في هـذه المقدمـة برجـل، هـو أشـهر مـن بلـدة[٥٤٤]"، وذلـك بعـد طلـب مـن قبـل الشـيخ أبـي الحسـن علي النـدوي لكتابـة مقدمـة على كتـاب لـه ويكتـب عـن لكنـاؤ أيضـاً:"وإن لـم يكتـب أن أسـتمر بجـوار بيـت الله الحـرام،أن أذهـب إلى لكنـؤ،لأنني عشــت فيهــا أيامــا كثيــرة لكــن ذكراهــا بقيــت عميقــة فــي نفســي لا يمحــو كرالسنين"[٥٤٥].

ويكتـب عـن مدينـة أحمـد آبـاد في عهـد "الملـك الصـالح"وهو الملـك الحلـيم مظفـر بـن محمـود مـن ملـوك أحمـد آبـاد الهنـد ولـد عـام ٨٧٥هـ في الكجـرات ونشـأ نشـأة عـالم عابـد وحكـم بالعـدل، ويقـول:" كانـت أحمـد آبـاد حاضـرة الهنـد ومدينـة المـدائن، فاقـت البلـدان ببسـاتينها وحـدائقها وحسـن نظامهـا وعظـيم عمرانهـا وفاقتهـا بأمنهـا وسـلامها وإقامـة العـدل فيهـا، وفاقتهـا بكثـرة علمائهـا ومحـدثيها والصالحين من أهلها"[٥٤٦].

ويكتـب عـن" دهلي" حينمـا يكتـب عـن قطـب الـدين وألـتمش في قصـة السـلطانة رضـية يبـدأ الكتابـة :"أنتقـل معكـم اليـوم إلى بلـد بعيـد وزمـن بعيـد و رحلـة طويلـة في الأرض نقطـع فيهـا البـوادي والصحارى، ونعبر فيهـا أنهـارا ونركـب بحـارا ورحلـة

[٥٤٣] المرجع نفسه، ص: 264-263.
[٥٤٤] علي الطنطاوي،ذكريات،ج/8،جدة: دار المنارة، ط/1409هـ/1989م ص: 117.
[٥٤٥] المرجع نفسه ، ص: ١٢٧.
[٥٤٦] علي الطنطاوي، رجال من التاريخ، لكناؤ: مكتبة إحسان، ٢٠١٩م ص ٢٧٠.

طويلة في الزمان نطوي فيها سنين وأدهارا، حتى نصل إلى دهلي قبل ثمانية قرون[٥٤٧]، وكتب في"ذكريات" عن دهلي ردا لاعتراض: "ولقد زرتها وبقيت فيها أمدا، وجلت في شوارعها وحاراتها، ولقيت من رجالها وعلمائها وقرأت الكثير عنها وكان الحديث سيصل إليها، ولكن رسالتك التي أرسلتها واعتراضك الذي أبديتها، جعلتى أستأذن القراء فأبدأ بالحديث عنها..إنها المدينة التي لبثت ثمانمائة سنة وهي دار الإسلام وسدة الملوك المسلمين الذين ملؤوا الهند مصانع وآثارا أترعوها مساجد ومدارس وقبابا والتى أقاموا فيها صرح مجد أرسوه علي جذور الصخر، وساموا به ثم الذرى وبادروا به الزمان في الخلود....المدينة العظيمة التي عاش فيها أبطالنا حاكمين، ثم ثووا في ثراها خالدين"[٥٤٨].

ثم يسطر عن تاريخ دهلي ودورالملوك المسلمين في تطويرها وتارخ آثارهم فيها وكتب موضحا بشأن المدينة القديمة والمدينة الجديدة لها ويقول:"الهند التي كانت كلها لنا، فلم يبق في أيدينا منها إلا آثارنا، مساجد كما قلت لكم – قد عطلت من شعائرها، ومآذن قد فقدت مؤذنيها وقلاع غاب منها جنودها، وقصور فارقها أصحابها، ورايات قد سكنت المتاحف، لم تعد ترفرف في سمائها، وسيوف قد صدئت في أغمادها لم يبق لها منا من يسلها....هذه هي الأندلس الكبرى وهذا هو الفردوس الإسلامي المفقود "[٥٤٩].

كتب الشيخ الطنطاوي تحت سلسلة أعلام التاريخ عن عدد من كبار الرجال، وهذه السلسلة تعد من روائعه والتى ترجم فيها المؤلف بإيجاز من أعلام هذه الأمة وهم عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مبارك، والقاضي شريك، والإمام النووي، وأحمد بن عرفان الشهيد وغيرهم وإن أحمد بن عرفان كان

[٥٤٧] المرجع نفسه ص ٢٩١.
[٥٤٨] علي الطنطاوي،ذكريات،ج/٥-ط/١،جدة: دار المنارة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م،ص: ٢١٣.
[٥٤٩] المرجع نفسه ص: ٢٢٠.

هنديا،وكتب في هذا الكتاب عن أحمد بن عرفان الشهيد وماحدث معه ومع أصحابه في بالاكوت حيث يذكر فيه إلى جانب سيرته تاريخ المسلمين في الهند وانتشار الإسلام فيها بالإضافة إلى ذكرعدة مدن من الهند و وقوع المعركة بين السيخ وأحمدبن عرفان والتى أدت إلى شهادة الشيخ أحمد بن عرفان ويكتب:

"كشميرجنة من جنان الدنيا، ودارة من دارات الإسلام، يقيمون فيها بعيدين عن السيخ والإنكليز وقبائل الأفغان، فلحقتهم هذه القبائل، واعترفتهم دونها وكانت المعركة الأخيرة في (بالاكوت) فاستشهد فيها الإمامان السيد أحمد بن عرفان والشيخ إسماعيل الدهلوي في طائفة من خيار مسلمي الأرض، طائفة لم يجد تاريخ هذه القرون المتأخرة مثلها" وكان ذلك يوم الجمعة في ٢٤ من ذي القعدة سنة ١٢٣٦هـ[٥٥٠].

هكذا كتب عن الشيخ أبي الحسن علي الندوي حينماطلب بكتابة مقدمة لكتابه " الطريق إلى المدينة ":"فيا أبا الحسن،لك الشكر علي أن أردت إلى ثقتي بنفسي، وثقتي بأدب لغتي، أما المقدمة التي طلبتها فأعفني منها، لأنك لست في حاجة إليها ولا يحتاج إليها هذا الكتاب.. إن المقدمات فى الكتب كالوسيطة في التجارة، يطلبها التاجر الجديد لترويج البضاعة المجهولة، فماذا يصنع الوسيط إذا كان المستهلكون يعرفون التاجر أكثر مما يعرفونه هو ويحرصون على شراء البضاعة أكثر من حرص التاجر على بيعها؟![٥٥١].

الخاتمة

عاش الشيخ علي الطنطاوي حياة عريضة طويلة، ذات أبعاد في الأفق، وعمق بجذورها في الأرض،وكان مشعلاً من مشاعل الهداية، ونجماً من نجوم التنوير، ولساناً من ألسنة الصدق، وداعية من دعاة الحق والخير والجمال، وكان يجمع في

[٥٥٠] علي الطنطاوي،أحمد بن عرفان الشهيد، دمشق : دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص :٣٣.

[٥٥١] أبو الحسن الندوي"الطريق إلى المدينة" لكناؤ :الجمع الإسلامي العلمي،١٤٣٧هـ/٢٠١٠م،ص ١٤.

عظاته بين العلم والأدب، أو بين الإقناع والإمتاع، يتجلى هذا فيما سطره يراعه من كتب ومقالات، وما فاض به لسانه من خطب ومحاضرات أو دروس وإفتاءات.

عندما يحرك الطنطاوي قلمه في أحداث التاريخ فيصور التاريخ بقلم الأديب لا يخرج الحدث عن إطاره التاريخي ولكنه يلبسه ثوبا يجعله أبلغ أثراً وأكبر قدراً في نفس الملتقي ، ومن أهم خصائص أسلوبه الاستطراد سواء أكان ذلك في الكتابة أو الحديث ويعتذر للسامع أو القارئ ثم يعود إلى الاستطراد وأسلوبه ممتع شائق لسهولة ولينة من ناحية، وقوة تركيبه وتجانس مقاطعة وحلاوة ألفاظه حينما نقرأ كتاباته نشعر أنه يحدثنا نحن وإننا معه جالسين،كما يصور التاريخ بقلم الأديب يجعله أبلغ أثرا، الشيخ الطنطاوي من كبار الكتاب الذين أنجبتهم الأمة العربية في هذا العصر وكتاباته التي يستعرض فيها تاريخ الهند الإسلامي وقد كتبها على أثر زيارته للهند تدل على أقداره على اللغة والبلاغة في التعبير.

المصادروالمراجع

١- ذكريات، علي الطنطاوي، ١٦٩/٥.
٢- في سبيل الإصلاح، علي الطنطاوي ص٢٠.
٣- رجال من التاريخ، علي الطنطاوي، ص٣٧٢.
٤- من نفحات الحرم، علي الطنطاوي، ص٢٤.
٥- صور وخواطر، علي الطنطاوي، ص٣٤.
٦- أحمد العلاونة، فهارس ذكريات علي الطنطاوي دار المنارة جدة، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م
٧- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
٨- عائشة عبد الرحمن، تراجم سيدات بيت النبوة، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

إسهامات الهنود
في الأدب العربي

إسهامات الهنود
في النثر العربي في القرن العشرين

د. يوسف بكوش، أستاذ
قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد زبانة غليزان، الجزائر

ملخص البحث

تعتبر الهند بلد العجائب والغرائب، رخاء وبهجة، ومن حيث الثقافات والحضارات، والمواسم والفصول، والخصبة والخضرة، ومناهلها العذبة، فلم يرد فيها قوم من الأقوام وأمة من الأمم إلا وقد اغترف غرفة في عيونها، وأخذ منها ما وجدته أياديه من الحصص. كما حدث مع اللغة العربية فإنها لم تحظ بنصيب وافر في غير مواطنها الأصلية ما نالته في الهند من تقدم وازدهار في الغابر والحاضر.

فليس خافيا على الكتاب والباحثين ما لعلماء الهند من إسهامات جبارة، ومجهودات مشكورة في سبيل الحفاظ على اللغة العربية وآدابها وصيانة التراث الإسلامي. حيث أنجبت الهند في تاريخها الغابر والحاضر عددا لابأس به من شخصيات عباقرة ورجال أفذاذ، قاموا بدور حيوي في إثراء اللغة العربية وتطويرها خلال مؤلفاتهم وتصنيفاتهم، وشروحهم وتعليقاتهم، ودروسهم ومحاضراتهم، فلم يتخلفوا في أي مجال من المجالات وفي أي فن من الفنون، بل خاضوا غمار الجميع، وخلفوا وراءهم مآثر علمية نادرة ومفاخر أدبية فائقة، في النثر والشعر، والأدب واللغة، والبلاغة والعروض، والفقه والتفسير، والحديث وعلم الكلام، والفلسفة والرجال والأنساب. فورقتي البحثية تروم تقديم خطوط عريضة عن إسهامات الهنود في الأدب العربي عامة وفي النثر العربي خاصة في القرن العشرين.

الكلمات المفتاحية: اسهام، هند، نثر، أدب، تراث، لغة.

توطئة

يجمع أغلب الدارسين من كتاب وباحثين أن لعلماء الهند من إسهامات جبارة، ومجهودات مشكورة في سبيل الحفاظ على اللغة العربية وآدابها وصيانة التراث الإسلامي. حيث أنجبت الهند في تاريخها الغابر والحاضر عددا لابأس به من شخصيات عباقرة ورجال أفذاذ، قاموا بدور حيوي في إثراء اللغة العربية وتطويرها خلال مؤلفاتهم وتصنيفاتهم، وشروحهم وتعليقاتهم، ودروسهم ومحاضراتهم، فلم يتخلفوا في أي مجال من المجالات وفي أي فن من الفنون، بل خاضوا غمار الجميع، وخلفوا وراءهم مآثر علمية نادرة ومفاخر أدبية فائقة، في النثر والشعر، والأدب واللغة، والبلاغة والعروض، والفقه والتفسير، والحديث وعلم الكلام، والفلسفة والرجال والأنساب.

وقد ركزنا في هذا البحث إلى محورين مهمين، أحدهما يشتمل على تطور اللغة العربية في الهند وما يتعلق بها، وثانيهما يتضمن على مساهمة الهنود تجاه النثر العربي، وكل منهما يضم بين جنباته عدة قراءات ومباحث.

أولا: اللغة العربية في الهند وما يتعلق بها

١- أهمية اللغة العربية

مما لا شك فيه هو أن اللغة لها أهمية كبرى لدى الشعوب والجماعات، أيا كان نوعها، وأيا كان موطنها في العالم، فهي مرآة الأقوام والملل، ثقافة وحضارة، وترجمانها اقتصادا واجتماعا، وتقدما وتخلفا في المجالات المختلفة، كما هي تلعب دورا رائعا في التعبير عما يخطر ببالها من الهواجس والأفكار، ومن الأغراض الحياتية والحوائج اليومية. وفي طي هذه اللغات لم تنل إحدى منها ما تلقته اللغة العربية من قبول عام،

ولما لم يكن مع أن هذه لغة فذة وفريدة من نوعها، من حيث مقوماتها ومكوناتها، ومن حيث مبادئها وأسسها، ومن حيث مميزاتها وخصائصها، وكونها لغة القرآن والسنة، ولغة فكر وثقافة وروح وعبادة، فهي وعاء للمصادر الإسلامية، وقناة للتراث الإسلامي

الوحيد، فانفجرت منها عيون العلوم والفنون، من علوم القرآن والحديث إلى التواريخ والسير، ومن الفقه والاجتهاد إلى الحكم والأحكام، ومن الرياضيات والفلسفة إلى المنطق والنجوم، وبالإضافة إلى ذلك وهي لغة لأكثر من ألف مليون نسمة في أكثر من عشرين دولة، كما هي إحدى اللغات العالمية الحية وأعرقها منذ القدم. فيا لها من حظها الوافر ونصيبها الباهر!.

٢- تطور اللغة العربية في الهند

عندما نسعى الاستعراض عن تطور اللغة العربية في شبه القارة الهندية نجد أنه قد اعتنى بها الهنود في أول الأمر وحافظوا عليها كلغة العلم والثقافة والحضارة، حتى خرجت جماعة كبيرة من العلماء والأدباء، ونبغوا في جميع المجالات، وخلفوا وراءهم دررا منثورة، كما يقول الدكتور محمد إسماعيل الندوي بعد ذكر بعض الملامح للعلاقات الهندية والعربية " ... وعلى أيدي هؤلاء الأعلام من تجار العرب والمسلمين انفجرت ينابيع العلوم والفنون العربية في الهند، حتى ظهر عشرات من الفقهاء والأدباء والشعراء ونفدوا حياتهم في ترويج اللغة العربية في الهند "،٥٥٢وكل ذلك يرجع إلى عدة أسباب نسردها بإيجاز.

٣- عوامل تطور اللغة العربية في الهند

٣-١- العلاقات التجارية بين الهند والعرب:

كانت العلاقات التجارية بين الهند والعرب عريقة ووثيقة منذ القدم التي أدت إلى هذا الازدهار الزاهر والتقدم الحاسم للغة العربية في الهند، فالموانئ والسواحل الهندية الغربية والجنوبية كانت معروفة لدى تجار العرب قبل فجر الإسلام منذ قرون، وهم كانوا يصدرون خيرات الهند إلى اليمن وبلاد الشام التي تباع في أسواق مصر

[٥٥٢] أبو الحسن بن محمد الصغاني العباب الزاخر واللباب الفاخر المجلس الوطني للهجرة، إسلام آباد عام ١٩٩٤م، ص ١٢.

وأوروبا،[٥٥٣] ولكن بالرغم من هذه الأواصر الوطيدة ما كانت مزدهرة و متقدمة إلى أن طلعت شمس الإسلام على أفق الجزيرة العربية.[٥٥٤]

٣-٢- الروابط الدينية بين الهنود وتجار العرب:

لما أشرقت جزيرة العرب بنور ربها توافد تجار العرب بهذه الشريعة البيضاء، ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك، إلى الهند وميناءها، ولم يألوا جهدا في نشر رسالة البعثة المحمدية والثقافة العربية الإسلامية، ففي بداية الأمر لم يتلقاها بالقبول إلا عدد ضئيل من الهنود، ثم اعتنقوا الإسلام زرافات ووحدانا، واستظلوا في ظله أفواجا، فتوثقت العلاقات الهندية والعربية من جديد، وانكب الهنود على تعلم الشريعة الإسلامية وكذا اللغة العربية، بسبب ما فيها من شريعتهم ودينهم.[٥٥٥]

٣-٣- الفتوحات الأسلامية واتساع رقعتها:

إن الفتوحات الإسلامية واتساع رقعتها من أهم الحوافز والدوافع التي تسببت إلى تطور اللغة العربية في الهند، فلما انتشر الإسلام في مختلف أرجاء الهند، ورسخت الشريعة الإسلامية أقدامها في مجتمعاتها ومستوطناتها، حاول المسلمون بأخذها تحت سيطرة الخلافة الإسلامية، فآتت جهودهم أكلها وظهر أول أسطول مسلم في المياه الهندية في عهد عمر ﷺ سنة ٦٣٦م، ورفرفت راية الفتح في السند بيد محمد بن القاسم (ت٧١٧م) في القرن الثامن،[٥٥٦] ثم شيئا فشيئا نصبت الحكومة الإسلامية في الهند.

ثانيا: مساهمة الهنود تجاه النثر العربي

قبل دراسة هذا الموضوع، لم يخطر ببالي قط، ليس في أحلامي ولا في رابعة النهار، أنه ستكون اللغة العربية في الهند مزدهرة ومتطورة إلى هذا الحد، فلم أجد أي

---

[٥٥٣] جميل أحمد حركة التأليف باللغة العربية وزارة الثقافة الإرشاد، دمشق، ١٩٧٧م، ص ٥٥.

[٥٥٤] زبير أحمد الفاروقيمساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي حتى عام ١٩٨٠م دار الفاروقي للطباعة والنشر،الطبعة الأولى عام ١٩٩٠م، ص ٦٢.

[٥٥٥] رضية حامد – نواب صديق حسن خان – مطبعة باب العلم للنشر، دلهي، ١٩٩٨م، ص ٣٥.

[٥٥٦] أشفاق أحمد الندوي – مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين – الطبعة الأولى عام ٢٠٠٣م، ص ٦٠.

مجال من المجالات إلا وفيه مساهمة مدوية للهنود، فخاضوا مضمار الصحافة والتاريخ، وسبروا غور اللغة والأدب، واغترفوا من مناهل التفسير والحديث، وغاصوا في بحر المنطق والفلسفة والكلام، وتركوا لأخلافهم آلاف المؤلفات التي هي خير دليل في الدروب الحالكة، ومصباح منير للباحث عن الضالة المنشودة.

ولكن قبل الخوض في صلب الموضوع يحلوا لي أن ألقي نظرة عابرة على مجهودات الهنود في تطوير اللغة العربية في القرون السالفة قبل القرن العشرين، لأنها بنية أساسية للقرن العشرين، فهم القادةلأهالي هذا القرن.

١- مساهمة الهنود في النثر العربي قبل القرن العشرين

إن الهنود قبل القرن العشرين لهم جولة وصولة في جميع مجالات الحياة من العلم والثقافة والحضارة، وخاصة لن ننسى خدماتهم الجليلة تجاه النثر العربي، فها إليكم شيء من مساعيهم بإيجاز.

١-١- في علوم القرآن وتفسيره :

- تبصير الرحمن وتيسير المنان المعروف بالتفسير الرحماني لعلاء الدين بن أحمد الكوكني الشافعي (ت ١٤٣١م).

- التفسير المحمدي للشيخ محمد بن أحمد ميان جي الغجراتي (ت١٥٤٧م).

- التفسير المظهري للقاضي ثناء الله الباني بتي (ت١٨١٠م).

- فتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير للشاه ولي الله الدهلوي (ت١٧٦٢م).

- سواطع الإلهام لأبي الفيض فيضي (ت١٠٠٤م)٥٥٧.

- فتح البيان في مقاصد القرآن، ونيل المرام من تفسير الآيات الأحكام٥٥٨ للنواب صديق حسن خان٥٥٩ (ت١٨٨٩).

---

٥٥٧ جميل أحمد – حركة التأليف باللغة العربية – وزارة الثقافة الإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٧م، ٢٢.

٥٥٨ أيوب تاج الدين الندوي – الصحافة العربية في الهند: نشأتها وتطورها – دار الهجرة ، جامووكشمير، الطبعة الأولى عام ١٩٩٧م، ص ٢٨.

١-٢- في علوم الحديث وشرحه

- لمعات التنقيح على مشكاة المصابيح لعبد الحق الدهلوي٥٦٠ (ت١٠٥٢هـ).

- الحاشية على صحيح البخاري لأبي الحسن السندي (ت١٧٢٧م)٥٦١.

- الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين، وحجة الله البالغة للشاه ولي الله الدهلوي(ت١١٧٦م)٥٦٢.

- مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية، ودر الصحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة للحسن بن محمد اللاهوري(ت١٣٥٢م).

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلي بن حسام الدين المتقي(ت١٥٦٧م).

- التعليق الممجد على مؤطا الإمام محمد لعبد الحيالمحلي(ت١٣٠٤هـ) ٥٦٣ .

- عون الباري في حل أدلة البخاري، وفتح العلوم شرح بلوغ المرام للنواب صديق حسن خان (ت١٨٨٩م).٥٦٤

١-٣- في الفقه والاجتهاد

- الإنصاف في بيان سبب الاختلاف، وعقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد للشاه ولي الله الدهلوي(ت١٧٦٢م)٥٦٥.

- مسلم الثبوت في أصول الفقه للشيخ محب الله الحنفي(ت١٧٠٧م).

- شرح المغني لأبي الحفص سراج الدين الهندي(ت١٣٧١م).٥٦٦

---

[٥٥٩] مجلة " سنابل" ٢٠٠٩م – العدد الحادي عشر المشرف: وسيم أحمد المدني – لجنة الصحافة، بالجامعة الإسلامية سنابل، نيو دلهي، ص ٣٠

[٥٦٠] أشفاق أحمد الندوي – مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين –عام ٢٠٠٣م، ص ١٠٠.

[٥٦١] المرجع السابق، ص 101.

[٥٦٢] أيوب تاج الدين الندوي– الصحافة العربية في الهند: نشأتها وتطورها – دار الهجرة ، جامووكشمير، الطبعة الأولى عام ١٩٩٧م.، ص١١١

[٥٦٣] المرجع السابق، ص 112.

[٥٦٤] أشفاق أحمد الندوي – مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين عام ٢٠٠٣، ص ٥٢.

[٥٦٥] مجلة " سنابل" ٢٠٠٩م – العدد الحادي عشر المشرف: وسيم أحمد المدني – لجنة الصحافة، بالجامعة الإسلامية سنابل، نيو دلهي، ٣٣.

١-٤- في التاريخ والسير:

- تحفة المجاهدين لزين الدين المليباري(ت١٥٨٣م). - السيرة المحمدية لكرامت علي.

- سبحة المرجان في آثار هندوستان لغلام علي آزاد البلغرامي (ت١٧٨٦م)، - سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر لعلي بن أحمد المعصوم(ت١١١٧م).٥٦٧

١-٥- في علم النحو واللغة :

- إرشاد النحو للقاضي أحمد بن شمس الدين الدولة آبادي(ت١٤٤٥م).

- تاج العروس في شرح القاموس لمحمد مرتضى البلغرامي الزبيدي(ت١٧٩١م).

- تحفة الغريب، والمنهل الصافي بشرح الوافي لمحمد بن أبي بكر الدماميني (ت٨٢٨هـ)٥٦٨.

- العباب الزاخر واللباب الفاخر، والشوارد في اللغة، وكتاب الأضداد للحسن بن حسن اللاهوري الصغاني(ت٦٥٠هـ).٥٦٩

١-٦- في الفلسفة والكلام :

- الدوحة الميادة في حديقة الصور والمادة، والحكمة البالغة والشمس البازغة لملا محمود الجونفوري.

- لوائح الأنوار في الرد على من أنكر على العارفين من لطائف الأسرار لسراج الدين بن إسحاق(ت١٣٧١م).

- إرشاد الطالبين وتائيد المريدين لثناء الله الباني بتي(ت١٨١٠م).

- القول الجميل في بيان سواء السبيل للشاه ولي الله الدهلوي(ت١٧٦٢م).

- الهدية السعيدة لفضل حق الخير آبادي(ت١٨٦١م).٥٧٠

---

[٥٦٦] أيوب تاج الدين الندوي – محمد الحسني : حياته وآثاره – مؤسسة فيصل التعليمية، ٢٠٠٤م، ص ٧٢.

[٥٦٧] مجلة " سنابل" ٢٠٠٩م – العدد الحادي عشر المشرف: وسيم أحمد المدني – لجنة الصحافة، بالجامعة الإسلامية سنابل، نيو دلهي، ٤٥.

[٥٦٨] جميل أحمد – حركة التأليف باللغة العربية – وزارة الثقافة الإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٧م، ٨٢.

[٥٦٩] أشفاق أحمد الندوي – مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين عام ٢٠٠٣م.، ص ٦٦.

[٥٧٠] جميل أحمد – حركة التأليف باللغة العربية – وزارة الثقافة الإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٧م ص ٥٦.

٢- قائمة أبرز الأعلام في هذه العصور

الشيخ محمد طاهر البتنوي(ت١٥٧٧م)، الشيخ أحمد السرهندي (ت١٦٢٤م)٥٧١، الشيخ عبد الحق الدهلوي(ت١٦٤٢م)، الشيخ غلام علي آزاد البلغرامي(ت١٧٨٦م)، الشاه ولي الله الدهلوي(ت١٧٦٢م)، الشاه عبد العزيز الدهلوي(٣)(ت١٨٢٤م)، فيض أحمد البدايوني(ت١٨٥٧م)، فضل حق الخيرآبادي(ت١٨٦١م)، محمد قاسم النانوتوي(ت١٨٨٠م)٥٧٢، النواب صديق حسن خان(ت١٨٨٩م)، السيد نذير أحمد البدايوني(ت١٨٩١م)، عبد الحق الخير آبادي(ت١٩٠٠م).٥٧٣

٣- مساهمة الهنود في النثر العربي في القرن العشرين

٣-١- مساهمة الهنود في النثر العربي بتأسيس المدارس والجامعات والمعاهد الدينية

حينما نتصفح بهذا الصدد أوراق التاريخ الناصعة نلم بأن الأعمال والمساهمات قبل القرن العشرين في النثر العربي كانت فردية لا الجماعية، بحيث لم تكن هناك المعاهد والهيئات العلمية سوى بعض المدارس والمساجد التي كانت تهتم بهذا الجانب إلى أن أفلت نجوم الحكومة المغلية في الهند، وتم القضاء عليها على أيدي الإنكليز.

فأولا ما لفت إليه أنظارهم هو النظام التعليمي في الهند، وقاموا بإنشاء الجامعات على غرار جامعة لندن، وتصدر المسلمون هذا الموكب بتأسيس المدارس الإسلامية والمؤسسات التعليمية، فما مضت أيام أن اكتضت الهند بالجامعات والمدارس الأهلية التي منذ نشأتها تعكف على تطوير اللغة العربية وترويجها، درسا وتدريسا، تدوينا وتأليفا. وهي كما يلي :

٣-١-١- الجامعات الهندية الشهيرة

---

٥٧١ أيوب تاج الدين الندوي لصحافة العربية في الهند: نشأتها وتطورها دار الهجرة ، جامووكشمير، ١٩٩٧م.

٥٧٢ زبير أحمد الفاروقي – مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي حتى عام ١٩٨٠م – دار الفاروقي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى عام ١٩٩٠م. ص ٩٣.

٥٧٣ أيوب تاج الدين الندوي – محمد الحسني : حياته وآثاره – مؤسسة فيصل التعليمية، ٢٠٠٤م. ص ٨٠.

جامعة كولكاتا(١٨٥٧م)، جامعة مدراس(١٨٥٧م)، جامعة مومبائي(١٨٥٧م)، جامعة إله آباد(١٨٥٧م)، جامعة بنارس الهندوسية(١٩١٦م)، جامعة بتنا(١٩١٧م)، الجامعة العثمانية حيدر آباد(١٩١٨م)، جامعة علي كراه(١٩٢٠م)، الجامعة الملية الإسلامية(١٩٢٠م)، جامعة لكناؤ(١٩٢٠م)، جامعة دلهي(١٩٢٢م)، المعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية(١٩٥٨م)، جامعة جواهر لال نهرو (١٩٦٩م).٥٧٤

٣-١-٢- المدارس الإسلامية للبنين :

الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند(١٨٦٦م) محمد قاسم النانوتوي، ندوة العلماء لكناؤ(١٨٩٨ م) على يد نخبة من كبار العلماء، جامعة الفلاح بلريا غنج(١٩٦٢م) الجامعة السلفية ببنارس(١٩٦٣م) تشرف عليها جمعية أهل الحديث في الهند، مدرسة الإصلاح بسرائ مير(١٣٢٧ه)، الجامعة الأشرفية مباركفور(١٣١٧ه)، جامعة مظاهر العلوم، سهارنفور، الجامعة الإسلامية سنابل بنيو دلهي(١٩٨٠م) الشيخ عبد الحميد بن عبدالجبار الرحماني، جامعة إمام ابن تيمية، الدكتور محمد لقمان السلفي، جامعة مفتاح العلوم، مئو(١٨٧٧م)، دارالسلام عمرآباد(١٩٢٤م)، جامعة الرشاد أعظم جراه(١٩٤٢م).٥٧٥

٣-١-٣-المدارس الإسلامية للبنات

جامعة الصالحات برامفور(١٩٥٢م)، جامعة البنات جينفور، أعظم جراه، جامعة البنات،غيا، بيهار(١٩٨٦م)، الكلية الإسلامية، أعظم جراه(١٩٦٢م)، كلية الطيبات سدهارت نغر، جامعة الصالحات، سدهارت نغر، جامعة المحسنات مئو.٥٧٦ كلية عائشة الصديقة الشرعية، بنيو دلهي.

٤- مساهمة الهنود بإنشاء المكتبات والمطابع في النثر العربي

---

[٥٧٤] أيوب تاج الدين الندوي – الصحافة العربية في الهند: نشأتها وتطورها – دار الهجرة ، جامووكشمير، الطبعة الأولى عام ١٩٩٧م، ص ٣٩..

[٥٧٥] أشفاق أحمد الندوي – مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين عام ٢٠٠٣م، ص ٥٩.

[٥٧٦] جميل أحمد – حركة التأليف باللغة العربية – وزارة الثقافة الإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٧م، ص٨٢.

ولسنا بمغالين إن قلنا أنه لولا المكتبات والمطابع لذهبت أكثر ما وصلت إلينا من النثر العربي في الهند، لأن المطابع هي التي قامت بنشر المقالات وطبع المؤلفات، وأما المكتبات فأكنتها في صدورها بكل صدق وأمانة، وصانتها من تعرضها للضياع والتلف، نذكر هنا من أشهرها :

دائرة المعارف الإسلامية حيدر آباد(١٨٨٨م)، المجلس القومي للعلاقات الثقافية(١٩٥٠م) أسسها مولانا أبو الكلام آزاد، إدارة البحوث الإسلامية ببنارس(١)(١٩٦٣م)، مكتبة رضا رامفور، أسسها فيض الله خان عام ١٧٧٤م،ثم تحولت إلى حوزة الحكومة الهندية عام١٩٧٥م، مكتبة خدا بخش الشرقية(١٨٩٠م) تتولى أمورها الحكومة الهندية منذ ١٩٦٩م، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، مكتبة الجامعة العثمانية حيدر آباد(١٩١٨م)، مكتبة مولانا آزاد جامعة علي كراه(١٨٧٧م)، مكتبة ذاكر حسين بالجامعة الملية الإسلامية، مكتبة ندوة العلماء لكناؤ(١٨٨٤م)٥٧٧ ، مكتبة دارالعلوم بديوبند، مكتبة الجامعة الإسلامية سنابل(١٩٨٠م).

٥- **مساهمة الهنود في النثر العربي تأليفا وتصنيفا:** ثم تخرج في هذه الحصون المتينة للغة العربية وآدابها كثير من الطلاب والطالبات لا عداد لهم ولاحصر، وانغمسوا مع تراكم الأعمال وزحمة الأشغال في خدمة اللغة العربية درسا وتدريسا، تصنيفا وتأليفا، شرحا وتعليقا، وترجمة وتعريبا، تعالو نعلم بشيء من التفصيل.

٥-١- في علوم القرآن وتفسيره

تعلم لغة القرآن للدكتور عبد الله عباس الندوي (ت٢٠٠٦م)٥٧٨، الصراع بين الإيمان والمادية لأبي الحسن علي الحسني الندوي (ت١٩٩٩م)٥٧٩، يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن لمحمد يوسف البنوري، العون الكبير في حل الفوز الكبير للعلامة سعيد أحمد البالنفوري، بيان الفرقان على علم البيان ، وتفسير القرآن بكلام

[٥٧٧] أيوب تاج الدين الندوي محمد الحسني : حياته وآثاره مؤسسة فيصل التعليمية، عام ٢٠٠٤م، ٧٦.

[٥٧٨] ا جميل أحمد حركة التأليف باللغة العربية وزارة الثقافة الإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٧م، ٩٠.

[٥٧٩] أشفاق أحمد الندوي – مساهمة الهند في النثر العري خلال القرن العشرين ٢٠٠٣م، ص ٩٧.

الرحمان للشيخ ثناء الله الأمرتسري (ت١٩٤٧م) ٥٨٠، الإمعان في أقسام القرآن لحميد الدين الفراهي (ت١٩٣٠م)٥٨١، الفتح السماوي بتوضيح تفسير البيضاوي لمحمد إدريس الكاندهلوي(ت١٩٧٤م)، تفسيرات شيخ الإسلام ابن تيمية لإقبال أحمد الأعظمي(ت١٩٧١م)، جهود أهل الحديث في خدمة القرآن لعبد الرحمن الفريوائي، رياض البيان في تجويد القرآن لمحمد مسعود الندوي.٥٨٢

٥-٢- في علوم الحديث وشرحه :

التعريف الوجيز بكتب الحديث الشريف لسلمان محمد طاهر الندوي، مبادئ وأصول في علم حديث الرسول لعبد الحيئ الندوي (ت١٩٢٣م)٥٨٣، المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف لأبي الحسن علي الحسني الندوي(ت١٩٩٩م)، سبل السلام في شرح بلوغ المرام للعلامة نور الحسن القنوجي، بلوغ المرام مع اتحاف الكرام لصفي الرحمن المباركفوري٥٨٤، التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح لمحمد إدريس الكاندهلوي(ت١٩٧٤م)، تنقيح الرواة في تخريج أحاديث المشكاة لعطاء الله حنيف البهوجياني، أوجز المسالك إلى مؤطا الإمام مالك للشيخ زكريا الكاندهلوي، جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة لعبد الرحمن الفريوائي، مرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح لعبيد الله المباركفوري، غاية المقصود في حل سنن أبي داؤود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داؤود لأبي عبد الرحمن شريف الحق، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لعبد الرحمن المباركفوري٥٨٥،

---

٥٨٠ زبير أحمد الفاروقي مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي حتى عام ١٩٨٠م – دار الفاروقي للطباعة والنشر ١٩٩٠م.، ص ٩٩.

٥٨١ مجلة " ثقافة الهند" ٢٠٠٥م – العدد الثاني، مدير التحرير: رضوان الرحمن – المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيو دلهي.، ص ١٢٠.

٥٨٢ أيوب تاج الدين الندوي الصحافة العربية في الهند: نشأتها وتطورها دار الهجرة.، ص ١٠٢.

٥٨٣ جميل أحمد حركة التأليف باللغة العربية وزارة الثقافة الإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٧م. ١١١.

٥٨٤ أشفاق أحمد الندوي – مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين ٢٠٠٣م.، ص ٩٨.

٥٨٥ مجلة " ثقافة الهند" ٢٠٠٢م – العدد الأول، رئيس التحرير: ضياء الحسن الندوي– المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيو دلهي، ص ١٢٠..

فيض الباري على صحيح البخاري لأنور شاه الكشميري٥٨٦، بذل المجهود في شرح أبي داؤود لخليل أحمد السهارنفوري.٥٨٧

٥-٣-في السيروالتراجم :

نفحة العنبر في حياة الشيخ الأنور لمحمد يوسف البنوري، رحمة للعالمين للقاضي محمد سليمان المنصورفوري، الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري، السيرة النبوية، ورجال الفكر والدعوة في الإسلام، والنبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ومحمد رسول الله لأبي الحسن علي الحسني الندوي(ت١٩٩٩م)، الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي، ابن كثير:حياته وخدماته لمسعود الرحمنالندوي، الصحابة ومكانتهم في الإسلام لنور عالم خليل الأميني، الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي: كاتبا ومفكرا لنذر الحفيظ الندوي، رجال السند والهند للقاضي أطهر المباركفوري (ت١٩٦٦م)٥٨٨، حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي(ت١٩٧٣م)، مولانا أبو الكلام آزاد : زعيم ومفكر هندي للدكتور محمد اجتباء الندوي، نزهة الخوطر لعبد الحي الحسني الندوي(ت١٩٢٣م).٥٨٩

٥-٤- في تاريخ الأدب العربي :

تاريخ الأدب العربي لواضح رشيد الندوي، تاريخ الأدب العربي، والأدب العربي: بين عرض ونقد لمحمد الرابع الحسني الندوي، حقيقة الأدب ووظيفته في ضوء تصريحات الأدباء والنقاد لمقتدى حسن الأزهري (ت٢٠٠٩م)٥٩٠، شعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض للأستاذ سعيد الرحمن الأعظمي٥٩١، منهج التنويري في كتابه

---

[٥٨٦] أيوب تاج الدين الندوي – الصحافة العربية في الهند: نشأتها وتطورها ، المرجع السابق، ١٠٤.

[٥٨٧] مجلة " ثقافة الهند" ٢٠٠٢م – العدد الأول، رئيس التحرير: ضياء الحسن الندوي– المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيو دلهي. ص ١٢٨.

[٥٨٨] أيوب تاج الدين الندوي محمد الحسني : حياته وآثاره مؤسسة فيصل التعليمية، عام ٢٠٠٤م.، ص ١٣٣.

[٥٨٩] محمد الفاروقي – تاريخ العربية وآدابها – مكتبة سهارا للنشر والتوزيع، كالي كت، ٢٠١٠م.، ص ١٣٠.

[٥٩٠] جميل أحمد – حركة التأليف باللغة العربية – وزارة الثقافة الإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٧م.، ص ١١٨.

[٥٩١] أيوب تاج الدين الندوي – الصحافة العربية في الهند: نشأتها وتطورها ، المرجع السابق، ص ١١٨..

نهاية الأرب في فنون الأدب للدكتور عبد الحليم الندوي، الروائع والبدائع في البيان النبوي لمحمد نعمان الدين الندوي، العرب وأدبهم لمحمد يوسف الكوكني(ت١٩٩٠م)، نظرات في الأدب لأبي الحسن علي الحسني الندوي(ت١٩٩٩م)، اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون لرضوان علي الندوي، الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية منذ الاستقلال في عام١٩٤٧م لعبد الحق شجاعت علي، مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي حتى عام ١٩٨٠م للدكتور زبير أحمد الفاروقي، الصحافة العربية في الهند: نشأتها وتطورها للدكتور أيوب تاج الدين الندوي.٥٩٢

٥-٥- في الأدب واللغة

نفحة العرب لمحمد إعزاز علي القاسمي(ت١٩٥٤م)، جمهرة البلاغة للشيخ عبد الحميد الفراهيدي(ت١٩٣٠م)، القراءة الواضحة لعبد المجيد الإصلاحي، القراءة الراشدة، وقصص النبيين، ومختارات من أدب العرب لأبي الحسن علي الندوي(ت١٩٩٩م)، تمرين الدروس لعلي أحمد الكياني الندوي، القراءة الواضحة لوحيد الزمان الكيرانوي(ت١٩٩٥م)٥٩٣، دروس الأطفال لعبد الله عباسالندوي (ت٢٠٠٦م)، منتخبات من الأدب العربي للسيد وصي مظهر الندوي، القصص الشهيرة لعبد الغفار الندوي، منثورات من أدب العرب لمحمد الرابع الحسني الندوي، اللغة العربية الوظيفية لشفيق أحمد الندوي والدكتور حبيب الله خان والسيدة فرحانة طيب الصديقي (ت٢٠١٣م)، التعبير والمحادثة العربية لمحمد اجتباء الندوي(١)، معلم الإنشاء لعبد الماجد دريا آبادي.٥٩٤

---

[٥٩٢] مجلة الأداب العربية ٢٠١١م (عدد خاص) عن " تطور اللغة العربية وآدابها في الهند – رئيس التحرير: صفدر إمام – قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، ٢٢٠.

[٥٩٣] أشفاق أحمد الندوي – مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين عام ٢٠٠٣م، ص ٢٠٠.

[٥٩٤] مجلة الآداب العربية ٢٠١٢م (عدد خاص) في ذكرى الأستاذة فرحانة طيب الصديقي – رئيس التحرير: محمود عاصم الشيرازي – قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي.، ٢٢٥.

أ- في الفقه الإسلامي :

نيل الفرقدين في مسئلة رفع اليدين لمحمد أنور شاه الكشميري، أعلام أهل العصر بأحكام ركعتي الفجر لشمس الحق العظيم آبادي، جامع الآثار للشيخ أشرف علي التهانوي (ت١٩٤٣م)٥٩٥، القواعد الفقهية لعلي أحمد الندوي، وعلق على " كتاب الأصل " و" النكت" أبو الوفاء الأفغاني.٥٩٦

ب- في الفلسفة والكلام :

"رسالة التوحيد" عربه وعلق عليه أبو الحسن علي الحسني الندوي(ت١٩٩٩م)، إظهار الحق للعلامة خليل الرحمن الكيرانوي(ت١٨٩١م)، عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام لأنور شاه الكشميري، الكلام الموثوق في تحقيق أن القرآن كلام الله غير المخلوق لمحمد إدريس الكاندهلوي (ت١٩٤٧م)٥٩٧، الإضافة القدسية في المباحث الحكمية، ونسيم الكلامفي تائيد شريعة خير الأنام لمحمد شريف مصطفى(ت١٩٥٢م).٥٩٨

ج- في النحو واللغة :

مصباح اللغات للأستاذ عبد الحفيظ البلياوي٥٩٩، بيان اللسان للقاضي زين العابدين المبتكر فيما يتعلق بالمؤنث والمذكر لذوالفقارأحمد النقوي، أدب العرب للشيخ ثناء الله الأمرتسري(ت١٩٤٧م)، قاموس القرآن للشيخ زين العابدين الميرتهي، القاموس الجديد والقاموس الاصطلاحي(من العربية إلى الأردوية وبالعكس)، والقاموس الوحيد لوحيد الزمان الكيرانوي(ت١٩٩٥م)، روضة الأدب في تسهيل كلام العرب

---

٥٩٥ أيوب تاج الدين الندوي – محمد الحسني : حياته وآثاره – مؤسسة فيصل التعليمية، ٢٠٠٤م.، ص ٩٩.

٥٩٦ عبد الحي الحسني – الثقافة الإسلامية في الهند – المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٥٨م، ص ١٣٠.

٥٩٧ أشفاق أحمد الندوي – مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين .٢٠٠٣م.، ص ١٢٢.

٥٩٨ عبد الحي الحسني – نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر – دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، (الجزء الثامن : الطبعة الأولى عام ١٩٧٠م) و(الجزء السابع: الطبعة الأولى عام ١٩٥٩م).، ص ١٥٠.

٥٩٩ أيوب تاج الدين الندوي – الصحافة العربية في الهند: نشأتها وتطورها – دار الهجرة ، جامووكشمير، الطبعة الأولى عام ١٩٩٧م.ص ١٤٠.

لمشتاق أحمد الشرثالوي، تعليم لغة القرآن الكريم لعبد الله عباس الندوي(ت٢٠٠٦م)، مرقاة الأدب لامتياز علي، تسهيل الصرف وتسهيل النحو لمحمد صديق الباندوي(ت١٩٩٧م).٦٠٠

د- في الدراسات الإسلامية والقضايا الأخرى :

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، وإذا هبت ريح الإيمان، وإلي الإسلام من جديد المسلمون وقضية فلسطين، وربانية لا رهبابية لأبي الحسن علي الحسني الندوي(١٩٩٩م)الثقافة الإسلامية في الهند لعبد الحي الحسني (ت١٩٢٣م)، تاريخ بدء الإسلام لشبلي النعماني (ت١٩١٤م)٦٠١، تراث المسلمين العلمي فينظر شيخ الإسلام ابن تيمية لعبد الرحمن الفريوائي، الثقافة الأسلامية والواقع المعاصر لمحمد الرابع الحسني الندوي، نظرات إلى مواقف المسلمين من أحداث الخليج، ومشكلة المسجد البابري في ضوء التاريخ والكتابات المعاصرة لمقتدى حسن الأزهري، أسباب سعادة المسلمين وشقائهم في ضوء الكتاب والسنة لمحمد زكريا الكاندهلوي(ت١٩٨١م).٦٠٢

٦- مساهمة الهنود في النثر العربي بإجراء الصحف والجرائد والمجلات:

وحينما نتحدث عن جهود الهنود ومساعيهم بهذا الصدد، نجد أنه لم تقتصر مساهمتهم على التصنيف والتأليف، والدرس والتدريس فحسب، بل انطلقوا في مضمار الصحافة أيضا، وتصدوا كأعمدة أمام الزوبعة والتحديات تجاه اللغة العربية والأمة الإسلامية وقاموا بإجراء الصحف والمجلات والجرائد التالية.

" البيان" صدرت من لكناؤ تحت رعاية اللشيخ عبد الله العمادي عام ١٩٠٢م، "الجامعة" صدرت من كولكاتا تحت إشراف مولانا أبو الكلام آزاد عام١٩٢٣م، "الضياء" أنشأها مسعود عالم الندوي عام ١٩٣٢م، "ثقافة الهند" أصدرها المجلس

---

[٦٠٠] زبير أحمد الفاروقي – مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي حتى عام ١٩٨٠م – دار الفاروقي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى عام ١٩٩٠م.، ص ١٣٣.

[٦٠١] محمد مظفر حسين الندوي – أماثل كشمير – بيت الحكمة الندوية، سري نجر، ٢٠٠٤م، ص ١١١..

[٦٠٢] أيوب تاج الدين الندوي – محمد الحسني : حياته وآثاره – مؤسسة فيصل التعليمية، عام ٢٠٠٤م، ص ٩٨.

الهندي للعلاقات الثقافية بالهند عام ١٩٥٠م، "صوت الشرق" صدرت عام ١٩٥٢م تحت رئاسة خليل جرجس خليل من السفارة الهندية بالقاهرة، "البعث الإسلامي" صدرت أولا من المنتدى الأدبي بلكناؤ في رعاية محمد الحسني عام ١٩٥٥م، "الرائد" تصدر من ندوة العلماء لكناؤ منذ عام ١٩٥٩م، "دعوة الحق"(١٩٥٦م) و"الكفاح"(١٩٧٢م) و"الداعي" (١٩٧٦م) قام بإصدارها الأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي، "صوت الأمة" تصدر من الجامعة السلفية ببنارس منذ عام ١٩٦٩م، "الهند" أجرتها السفارة الهندية بدمشق عام ١٩٧٢م، "المجمع العلمي الهندي" قام بإجرائها قسم اللغة العربية بجامعة علي كراه عام ١٩٧٦م، "مجلة الرابطة الإسلامية" صدرت من نيودلهي عام ١٩٨٦م، و"مجلة الصحوة الإسلامية" صدرت عام ١٩٨٩م بحيدر آباد٦٠٣، ومجلة "سنابل" من الجامعة الإسلامية بسنابل منذ عام ١٩٩٨م.

٧- مساهمة الهنود في النثر العربي بإلقاء الخطب والدروس والمحاضرات:

هناك جماعة من الهنود الذين لم يألَفوا ولم يترجموا أي كتاب، ولكنهم لم يألوا جهدا في نشر اللغة العربية وترويجها، وأدوا فرائضهم وواجباتهم عن اللغة العربية بكل أخلاص، فقاموا بإلقاء الخطب والدروس والمحاضرات في المدارس والمساجد والمجالس العلمية إلى أن استأثر الله بهم، وهم :الأستاذ معراج الحق الديوبندي، والأستاذ محمد إبراهيم بلياوي(ت١٩٦٧م)، والأستاذ نصير أحمد خان الديوبندي، والأستاذ شاه أبوالقاسم الفاروقي، والأستاذ عبد الرحمن نوغانوي، والأستاذ محمد عمران خان الندوي، والأستاذ نسيم أحمد الفريدي(ت١٩٨٨م)، والأستاذ عبد الجبار الأعظمي(ت١٩٨٨م)، والأستاذ عبيد الله الفراهي، والأستاذ عبد الحميد الرحماني(ت٢٠١٣م)، والأستاذ نذير أحمد أملوي، والأستاذ عميد الزمان الكيرانوي، والأستاذ ضياء الحسن الندوي(٢٠٠٣م)٦٠٤ وغيرهم.

٨- مساهمة النساء الهنديات في النثر العربي

٦٠٣ جميل أحمد – حركة التأليف باللغة العربية – وزارة الثقافة الإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٧م ص ١٣٣.

٦٠٤ أيوب تاج الدين الندوي – محمد الحسني : حياته وآثاره – مؤسسة فيصل التعليمية ٢٠٠٤م.، ص ١٠٢.

يكون من الغدر والخيانة ومن نكران الجميل إن لم نشد بما جئن النساء الهنديات من العجائب من البحث والتحقيق، وبما قمن بمجهودات والمساهمات في إثراء اللغة العربية والحفاظ عليها، وهن:

١ – الدكتورة جويرية جميل النساء، حققت السيدة وعلقت على " غريب الحديث" و" إصلاح الغلط في غريب الحديث".٦٠٥

٢ – الدكتورة عصمت لطيف مهدي، لها كتاب " أخبار الأدب" ترجمته من الأردوية " نظاره درميان ہے" لقرة العين حيدر.٦٠٦

٣ – الدكتورة فرحانة طيب صديقي(ت٢٠١١م)، من تأليفات السيدة " مساهمة المرأة في الأدب العربي" و" نازك الملائكة وآثارها الأدبية الشعرية".٦٠٧

٤ – الدكتورة قمر النساء، ألفت السيدة " العلامة فضل حق الخير آبادي : حياته وآثاره العلمية".٦٠٨

٥ – الدكتورة مه جبين أختر، قامت بتأليف " التلخيص العربية للناشئين" و" مساهمة الشيخ عبده في الأدب العربي" و" المختارات من النظم والنثر".٦٠٩

٦ – الدكتورة هيفا شاكري، الأستاذة المساعدة في قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية.

٩- الأعلام البارزة في اللغة والأدب في القرن العشرين

[٦٠٥] قمر رئيس – هندوستان كي درسگاہيں – جمعية "همدرد" التربوية، نيو دلهي، ١٩٩٦م.، ص ١٣٢.

[٦٠٦] أشفاق أحمد الندوي – مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين ٢٠٠٣م، ص ١١٤.

[٦٠٧] محمد إرشاد الندوي – آزاد هندوستان ميں عربي زبان وأدب مطبعة الفرقان، نيا غاؤن، ٢٠٠٩م.، ص٢٢٠.

[٦٠٨] أيوب تاج الدين الندوي الصحافة العربية في الهند: نشأتها وتطورها – دار الهجرة ، جامووكشمير، الطبعة الأولى عام ١٩٩٧م.، ص ١٦٦.

[٦٠٩] عبد الحي الحسني – نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر – دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، (الجزء الثامن : الطبعة الأولى عام ١٩٧٠م) و(الجزء السابع: الطبعة الأولى عام ١٩٥٩م)، ص ١٦٠.

عبد العزيز الميمني، أبو الحسن علي الندوي، حميد الدين الفراهي، وحيد الزمان الكيرانوي، محمد الرابع الحسني، سعيد الرحمن الأعظمي، محمد الحسني، محمد واضح رشيد الندوي، محمد مقتدى الأزهري، مسعود الرحمن الندوي، الدكتور إحسان الرحمن، الدكتور محمد أسلم الإصلاحي، الدكتور فيضان الله الفاروقي، الدكتور ولي أختر الندوي، البروفيسور شفيق أحمد خان الندوي، البروفيسور زبير أحمد الفاروقي، الدكتور أيوب تاج الدين الندوي، الدكتور عبد الماجد القاضي، البروفيسور شبير أحمد الندوي، الدكتور محمد حسان خان وغيرهم.

الخاتمة

وزبدة ما ذكرناه آنفا أن الهنود مازال ولا يزال يقومون بدور قيادي فعال في تطوير اللغة العربية في شبه القارة الهندية، وخاصة لم يعد لي من الممكن أن أنسى بإسهاماتهم الجليلة تجاه النثر العربي. وأما الهنود في القرن العشرين فلم يدخروا وسعا في إثراء اللغة العربية وآدابها وتنمية مواردها، وحتى لم يفرقوا بين الظل والحرور، وصرفوا كل نفيس ورخيص صيانة فيوضها، بل قدموا خدمات لا يستهان بها بحيث شرحوا غموضها، وذللوا صعابها، ويسروا أمرها، وظهر عشرات من الكتب في شكل أمهات العلوم والفنون التي لا غنية عنها لكاتب، ولا غاية بعدها لطالب. وأما نحن الآن فكوننا أخلاف الأسلاف، سيكون من سعادة روحنا وحسن حظنا، إن نتمكن من الحفاظ على هذه الدرر العلمية والثروات الثقافة، صون هذه النوادر الأدبية.

المراجع والمصادر

- ✓ أبو الحسن بن محمد الصغاني – العباب الزاخروواللباب الفاخر – المجلس الوطني للهجرة، إسلام آباد، الطبعة الأولى عام ١٩٩٤م.
- ✓ الدكتور أشفاق أحمد الندوي – مساهمة الهند في النثرالعري خلال القرن العشرين – الطبعة الأولى عام ٢٠٠٣م.
- ✓ الدكتور أيوب تاج الدين الندوي – الصحافة العربية في الهند: نشأتها وتطورها – دارالهجرة ، جامووكشمير، الطبعة الأولى عام ١٩٩٧م.

- ✓ الدكتور أيوب تاج الدين الندوي – محمد الحسني : حياته وآثاره – مؤسسة فيصل التعليمية، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤م.
- ✓ الأستاذ جميل أحمد – حركة التأليف باللغة العربية – وزارة الثقافة الإرشاد القومي، دمشق، سنة الطباعة ١٩٧٧م.
- ✓ البروفيسور زبير أحمد الفاروقي – مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي حتى عام ١٩٨٠م – دار الفاروقي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى عام ١٩٩٠م.
- ✓ مولانا عبد الحي الحسني – نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر – دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، (الجزء الثامن : الطبعة الأولى عام ١٩٧٠م)
- ✓ عبد الحي الحسني – الثقافة الإسلامية في الهند –المجمع العلمي العربي، دمشق، سنة الطباعة ١٩٥٨م.
- ✓ الدكتور محمد الفاروقي – تاريخ العربية وآدابها – مكتبة سهارا للنشر والتوزيع، كالي كت، سنة الطباعة ٢٠١٠م.
- ✓ الدكتور محمد مظفر حسين الندوي – أماثل كشمير – بيت الحكمة الندوية، سري نجر، سنة الطباعة ٢٠٠٤م.
- ✓ الدكتورة رضية حامد – نواب صديق حسن خان – مطبعة باب العلم للنشر، دلهي، الطبعة الثانية عام ١٩٩٨م.
- ✓ الدكتور قمر رئيس – هندوستان كي درسگايين – جمعية "همدرد" التربوية، نيو دلهي، الطبعة الأولى عام ١٩٩٦م.
- ✓ محمد إرشاد الندوي – آزاد هندوستان ميں عربي زبان وأدب – مطبعة الفرقان، نيا غاؤن ٢٠٠٩م.
- ✓ مجلة الأداب العربية ٢٠١١م (عدد خاص) عن " تطور اللغة العربية وآدابها في الهند – رئيس التحرير: صفدر إمام – قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي.
- ✓ مجلة الآداب العربية ٢٠١٢م (عدد خاص) في ذكرى الأستاذة فرحانة طيب الصديقي – رئيس التحرير: محمود عاصم الشيرازي – قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي.
- ✓ مجلة " ثقافة الهند" ٢٠٠٢م – العدد الأول، رئيس التحرير: ضياء الحسن الندوي– المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيو دلهي.
- ✓ مجلة " سنابل" ٢٠٠٩م – العدد الحادي عشر المشرف: وسيم أحمد المدني – لجنة الصحافة، بالجامعة الإسلامية سنابل، نيو دلهي.

إسهامات الهنود في الأدب الإسلامي
الشيخ أبو الحسن الندوي أنموذجا

رابع محمد عبد الله
باحث الدكتوراه ،جامعة ولاية يوبى، دمتر، نيجيريا

ملخص

تسعى هذه الورقة إلى عرض السيرة الذاتية لحياة الشيخ أبي الحسن الندوي الحافلة بالقيم الأخلاقية والغرائب النادرة، كما تسعى كذلك إلى ذكر الإطار المفاهيم للأدب الإسلامي عند الشيخ أبي الحسن الندوي وبذلك ينكشف الجهد المبذول من طرف أبي الحسن الندوي في تجديد وتطوير منهج الأدب الإسلامي وترسيخ جذوره، سيعتمد الباحث في كتابة هذه الورقة على المنهج الوصفي التحليلي، وفي الأخير سيذكر أهم النتائج التي توصلت إليه هذه الورقة البحثية ثم بعد ذالك يأتي التعقيب بالتوصيات وذكرقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية :الشيخ أبي الحسن الندوي، الأدب الإسلامي

المقدمة

تحاول هذه الورقة المتواضعة تسليط الضوء لنبذة مختصرة على حياة الشيخ أبي الحسن على الندوي، التي كانت المملوءة بمكارم الأخلاق، ثم التعقيب بذكر مفاهيم أبي الحسن الندوي للأدب الإسلامي المتمثلة في تعريفه ومصادره وأهدافه وما إلى ذلك من المصطلحات التي لها صلة بهذا الفن أو الجنس.

التعريف بالشيخ أبي الحسن الندوي

هوأبو الحسن علي بن عبد الحي الحسني الندوي، والندوي هي كنية له وليست لقبا داخلا ضمن الاسم، بل هي كنية له ولمن ينتمي إلى ندوة العلماء، ويأتي انتساب

هؤلاء إلى مدرستهم نوعا من الاعتزاز، والتميز، عن سواهم من المدارس الإسلامية في الهند كالديوبندية والقاسمية وغيرهاز[٦١٠]

إنه ابن فخر الدين بن عبد العلي بن علي محمد بن أكبر شاه بن محمد شاه تقي ربن عبد الرحيم بن هدية الله بن إسحاق بن معظّم بن أحمد بن محمود بن علاء الدين بن قطب الدين بن صدر الدين بن زين الدين بن أحمد بن علي بن بقيام الدين بن صدر الين ركن الدين بن نظام اتلدين بن قطب الدين محمد بن رشيد أحمد بن يوسف بن عيسى بن حسن بن حسين بن جعفر بن قاسم بن عبد الله بن محمد النفس الزكية بن عبد الله بن المحض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ.[٦١١]

ميلاده و نشأته

ولد الشيخ أبو الحسن الندوي في يوم الجمعة السادس من محرم العام 1333هـ، الموافق للخامس من ديسمبر لعام 1914م[٦١٢] بدأ الشيخ أبو الحسن الندوي حياته العلمية في أسرته تحت إشراف أبيه وأمه، ثم بدأ يتعلم اللغة الأردنية بقراءة الكتب الصغيرة فيها، وقد ختم القرآن وهو صغير، ثم أخذ يتعلم اللغة الفارسية على يد الشيخ محمود علي، وكان مولعا بالقراءة حيث جمع كتبا يستغني عنها والده، كما كان يطالع كتبا في السيرة النبوية وغيرها بالأردنية تأثرا بتربية أبيه المربي.

وبعد وفاة أبيه سنة 1933م ولم يبلغ التاسعة من عمره حنئذ أخذت الأم الفاضلة مسؤولية التربية، فكانت تحفّظه بعض السور الكبيرة بعد، وتربته تربية إسلامية حسنة، واستمر معها دراسة اللغة الفارسية على يد الشيخ محمد إسماعيل ثم على السيد عبد الرحمن.

---

٦١٠ جهود أبي الحسن الندوي النقدية في الأدب الإسلامي قراءة تصحيحية، عبد الله بن صالح، الوشمي ط/1،مكتبة الرشيد سنة 2005م،ص:23.

٦١١ جهود أبي الحسن الندوي النقدية، المرجع السابق، ص24.

٦١٢ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي الحسني ، ط/1، دار بن حزم بيروت 1420هـ ص: 23

ولما دخل المتوسطة ورجع أخوه المربي الدكتور السيد عبد العلي الحسني، بعد أن أتم دراسته في كلية الطب، فأخذ بيد بحنان الأبوة ومحبة الأخوة، وأراد أإن يدرسه اللغة العربية والانجليزية معا، فعيّن له الشيخ خليل بن محمد بن حسين بن محسن الأنصاري اليمني، واتهى من مطالعة العربية، والطريقة البتكرة، ومدارج القراء، وكليلة ودمنة، ونهج اللاغة، ومقامات الحريري، ودلائل الإيجاز، والقصائد العشر على التدرج والتوالي، كم أتم دراسة كتب النحو والصرف المشهورة المتداولة في ديار النهد على يد السيد عزيز الرحمن، ولم يتجازز أنذاك النانية عشر من عمرؤه، فأتقن العربية هذه المواد إتقانا جيدا حتى أصبح يتكلم العربية بطلاقة.[٦١٣2]

وقد استفاد في فنّ الفتسير من الشيخ خواجه عبد الحي الفاروقي وفي القواعد النحوية والصرفية من السيد طلحة الحسني إلى أن جاءت سنة 1927م،فرأى شيخه خليل اليمني في الندوي جدارته للدخول في الجامعة لكهنوء، فدخلها وكا أصغر الطلاب سنا بالجامعة. فقد ضاق في الجامعة أول وهلة بدروس القواعد، وهذا الذي أخره بها قليلا، ثم تخرج فيها ممتازا ومتفرقا ونال الشهادة في العربية وآدابها سنة 1929م. [٦١٤]

وبعد تخرّجه من الجامعة بدأت رحلته العلمية إلى خارج بلدجه لكهنوء، فسافر أولا إلى لاهور سنة 1929م، حيث التقى هناك بشيخ التفسير أحمد علي اللاهوري، والدكتور محمد إقبال الشاعر، والدكتور الأستاذ محمد شفيع عميد كلية الشرقية بلاهور. وبيعد رجوعه إلى لكهنوء في السنة نفسها بدأ يحضر دروس الحديث بندوة العلماء عند الشيخ حيدر حسن الطونكي، وأخذ ينهمك في مطالعة الكتب الموجودة في مكتبة أبيه الكبيرة[٦١٥1]

بداية تدريسه: بعد أن انتهى الشيخ أبو الحسن الندوي من الدراسة النظامية عُين مدرسا بدار العلوم ندوة العلماء أول أغسطس عام 1934م، فبدأ بتفسير الأجزاء

٦١٣ محمد عبد السلام آزادى، المرجع نفسه، ص: 34.

٦١٤ حمد عبد السلام آزادى، المرجع نفسه، ص: 35.

٦١٥ محمد عبد السلام آزادى، المرجع السابق، ص: 35.

العشرة الأول من القرآن الكريم، ثم بدأ يدرس اللغة العربيسة لنخبة من الطلاب البارزين بطريقة جديدا لاعلى أهل الهند آنذاك، ثم أخذ يدرس المنطق، وتاريخ الأدب العربي، والحديث الشريف من صحيح البخاري، وسنن الترمذي، ونال إعجاب الطلاب في التدريس، وتخلى عن وظيفة التادريس في سبتمبر 1942م، لأجل العمل الدعوي وتأليف الكتب[2].[٦١٦]

إنجازات الشيخ أبي الحسن الندوي ومناصبه العلمية

تأسيس المجمع الإسلامي ورئاسته عام 1959م.

عضو المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ تأسيسها

عضو مراسل في مجمع اللغة العربية بدمشق وبالقاهرة وبعمان

عضو المجلس التعلمي لولاية أتر برووديش بالهند

عضو المجلس التنفيذي بجامعة ديوبند

عضو المجلس الأعلى للمساجد لرابطة العالم الإسلامي

عضو مؤسسة آل البيت بعمان[٦١٧3]

أعماله التأليفية في اللغة العربية

سيرة خاتم النبيين للأطفال

القراءة الراشدة

قصص الأنبياء

قصص من التاريخ الإسلامي

في أدب الرحلة :

أسبوعان في المغرب الأقصى

---

٦١٦ حمد عبد السلام آزادى، المرجع نفسه، ص: 36.

٦١٧ القادياني والقاديانية، أبو الحسن علي الندوي، ط/5، الجامعة الإسلامية سنة 1982م، ص:3، وتاريخ الجامعة الإسلامية 1986، ص: 99-10

من نهر كابول إلى نهر اليرموك

نفحات الإيمان مجموعة من محضارات التي ألقاها في الرحلات[2]

في النقد :

شخصيات وكتب دار القلم

نظرات في الأدب

وفاته

انتقل الشيخ أبو الحسن الندوي إلى جوار ربه في اليوم الأخير من القرن العشرين، وذلك في يوم 13/ 12/ 1999م، بيوم الجمعة.

مفاهيم الأدب الإسلامي عند الشيخ أبي الحسن الندوي

بداية نجد الندوي يؤكد في حديثه عن مفهوم الأدب الإسلامي على المعنى اللغوي لكلمة الأدب، فهاهو ذا يقول: الأدب في مصطلح الإسلام وفي اللغة العربية لا ينفصل عن الخلق، واللغة العربية تمتاز بأنها اللغة الوحيدة التي أطلقت على البيان المشرق والإنشاء والشعر.[٦١٨١] لذا يقول الرسول في الحديث الشريف ما نصه أدبني ربي فأحسن تأدبي هذا من زاوية اللغة أما من بالنسبة لمفهوم الأدب الإسلامي عند الندوي وها هو يقول

إنني أتصور الأدب كائنا حيا له قلب حنون، وله ضمير واع، و له نفس مرحفة الحس، وله عقيدة جازمة، وله هدف معين، يتألم بما يسسب الألم، ويفرح بما يثير السرور، فإذا لم يكن الأدب كذلك فإنه أدب خبيث، جامد، أدب ميت خامد، أشبه بالحركات البهلوانية، والرياضات الجبازية"[٦١٩2].

ويقول متحدثا عن الأدب المأثور عن الأمة الإسلامية الإسلامية بأنه : تعبير بليغ، يحرك ةالنفوس ويثير الإعجاب، ويوسع آفاق الفكر، ويغري بالتقليد، ويعث في النفس

٦١٨ مجلة المشكاة عدد 14، 1411هـ، ص:123.

٦١٩ مجلة المشكاة عدد 14، 1411هـ، ص:123.

الثقة. ويسوق الندوي كلامه هذا بعد تعجبه واستنكاره من المهج البحثي الذي يحصر مفهوم الأدب فيما هو مصنوع متكلف أو تقليدي، ويقول في موضع آخر حول مفهوم الأدب الإسلامي: هو أن هذه الثورة اللغوية الخيالية والابتكار تخضع لصالح الإنسانية المبادئ الصالحة البناءة. ويقول: لقد كان مصطلح الأدب الإسلامي يعني عند مفهوم الأدب الإسلامي بمعناه الواسع، الهادف البناء.[٦٢٠]

أما هذه المفاهيم المتعددة للأدب الإسلامي التي قدمها الندوي في محاولته تقريب مفهوم الأدب الإسلامي وتوضيحه نلحظ اهتمامه وتركيزه على المبادئ المحددة وهي:

كون الأدب تعبيرا

كونه هادفا محققا لمبادئ الإسلامية والإنسانية

وكونه نابعا من مبدأ عقائدي إيماني

الدوافع الفكرية لتأصيل الأدب الإسلامي عند الندوي

تتجلى هذه الدوافع في الآتي:

١. النشأة العلمية الصالحة
٢. الاعتزاز بالإسلام
٣. النظرة المميزة لمناهد العلوم
٤. إيمانه بأهمية الكلمة
٥. يمانه بأهمية الأدب في الحياة
٦. انحراف الأدب المعاصر

أراء أبي الحسن الندوي النقدية المساهمة في دفع منهجية تأصيل الأدب الإسلامي:

١. وجود الأدب الجيد في غير كتب الأدب القديمة
٢. الأدب وسيلة وليس هدفا

٦٢٠ عبد الله بن الصالح الوشمي، المرجع نفسه:ص:76.

٣. الإمام يزيد في الابداع
٤. قوة العلاقة بين الأدب والدين
٥. رفض أدب الصنعة والزخرفة
٦. النماذج الأدبية الإسلامية
٧. قوة العلاقة بين الأدب والأخلاق[٢٦٢١].
٨. أهم المصادر التي يقوم عليها تأصيل الندوي للأدب الإسلامي

القارئ لتراث الندوي يدرك أنه لم يكن ارتجاليا في أفكاره، ولم يكن يكتب ويبدع دون مرجعية معينة، يجعلها حكما فاصلا بين الحق و الباطل عند التباسهما عليه، با إن المصادر والأسس التي يوقم عليها في تأصيل الأدب الإسلامي واضحةلا غاية الوضوح، وقد اعتمد عليها النتدوي رغبة إعطاء منهجه الاأصلي للأدب الإسلامي مشروعية إسلامية واضحة، ولما في ذلك من إسهام في بناء المهج العام للأدب الإسلامي وليس جزئياته فقط، وهي المصادر هي

١. القرآن الكريم
٢. السنة النيوية
٣. الروح الأخلاقية للأدب الإسلامي

أهداف الإسلامي عند الندوي

ينطلق الندوي من مبدأ أساس وهو كون الأدب وسيلة، وما دام كذلك فاستخدام الوسائل المشروعة مشروع، لذلك من أهدف الأدب الإسلامي عند الندوي هو الجمع بين الدين الشليم والقلم السليم، ولذلك نراه يثني على أحد المختارات، فيقول هي: واضحة الفكرة ، إسلامية النزعة، تغذي الملكة الأدبية والعاطفة الدنية، في واقت واحد، وتمثل الأخلاق الإسلامية الفاضلة، " وهنا يؤكد الصلة الوثيقى بين الأدب والدين، و ألا تناقض بينهما. كان هذا هو الأدب الأول، ثم توالت بعده أهداف

٦٢١ محمد عبد السلام آزادى، المرجع نفسه، ص: 93.

آخرى، ومنها تقويم الأخلاق ومحاربة الأدب المسموم الذي ينخر في الأدب عموما نتيجة من نتائج الغزو الفكري الغربي[٦٢٢3].لذا فميزة الأدب الكبرى هي التأثير في النفوس، لذا يجب توظيفها في صالح الخير

الخاتمة

سيذكر الباحث في الختام هذه الورقة أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال بحثه وهي كالتالي:

- ترعرع الشيخ أبو الحسن الندوي في بيئة صالحة وأسرة مليئة بالمكارم الأخلاق، بعيدة عن اللهو و اللعب و سفساف الأمور، وهذا هو السر في كونه مازال يعيش على عبادة وزهد وتقوى من الله
- يعد الشيخ الندوي الرائد الأول في الدعوة إلى قيام الأدب الإسلامي بتأصيله الحديث، ومن ثم فإن أي مؤرخ لمسيرة الأدب الإسلامي الحديث لا بد أن يقف أمام إسهاماته في التأليف، والإبداع، والتقديم، والمشاركة، في المظمات والندوات.
- يزاوج الندوي في استخدامه لمصطلح الأدب الإسلامي بين دلالتين تتكاملان فيما بينهما، فهو حينا يشير به إلى الانتماء العقدي، حين يكون قائله مسلما، وأحيانا يشير به إلى الأدب الذي يلتزم قيم الإسلام في آدائه

التوصيات

- وجود المؤسسات التعلمية التي تقيم المؤتمرات والندوات لاحتفاء بهذه القامة العلمية، وذلك يساعد في إبراز إسهامات هذا العالم العبقري الجليل لدى عامة الناس.
- ينبغي للباحثين أن يقوموا بالدراسة في فضاء هذا العالم وعطاءه من جوانب متعددة وبذلك يتحلّون الدارسون بهممه وصفاته الخلقية وأعماله الأدبية.

٦٢٢ في مسيرة الجياة، ص: 251.

المصادروالمراجع

- ✓ إسماعيل عزالدين ، الأدب وفنونه، القاهرة دارالكرلنشرسنة، ١٩٦٧م.
- ✓ أحمد محمد علي،الأدب الإسلامي ضرورة، ط/١، القاهرة دار الصحوة للنشروالتوزيع بدون ذكرسنة النشر.
- ✓ ابن حسين، محمد بن سعد، الإلتزامك الإسلامي في الأدب، ط/١، الرياض بدون ذكر سنة النشر
- ✓ إبراهيم المدخور، المعجم الوسيط، ط/١، مصر، دارالأمة، سنة ١٩٨٨م.
- ✓ أبوبكر علي الثقافة الإسلامية في نيجيريا، الطبعة دارالأمة مصر للطبع والنشر والتوزيع، الثانيةسنة ٢٠١٤م.
- ✓ آدم عبدالله الإلوري، الإسلام في نيجيريا، الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٠م.
- ✓ حسن حمدى، عناصر التجربة الشعرية في حكم وأمثال الشيخ المسكين دراسة نقدية تحليلية، ط/١، سنة ٢٠١١م
- ✓ [٣] - القادياني والقاديانية، أبو الحسن علي الندوي، ط/٥، الجامعة الإسلامية سنة ١٩٨٢م ، وتاريخ الجامعة الإسلامية ١٩٨٦، .
- ✓ لإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي الحسني ، ط/١، داربن حزم بيروت
- ✓ ٣ – التأصيل الإسلامي للغة العربية وآدابها في جهود الشيخ أبي الحسن الندوي، محمد عبد السلام آزادى،ط/١ ، دار المنارة، سنة ٢٠٠٦م، .
- ✓ جهود أبي الحسن الندوي النقدية في الأدب الإسلامي قراءة تصحيحية، عبد الله بن صالح، الوشمي ط/١،مكتبة الرشيد سنة ٢٠٠٥
- ✓ شهاب أسامة يويف، نحو أدب إسلامي معاصر، ط/١ الأردن دار الشي، سنة ١٩٨٥م.
- ✓ خليل عماد الدين، مدخل إلى الأ>ب الإسلامي، ط/١، بيروت مؤسسة الرسالة بدون ذكرتاريخ الطياعة.

أدب الأطفال العربي في الهند
الشيخ أبو الحسن علي الندوي نموذجا

خالد. ك،باحث الدكتوراه/ د. فردوس،الأستاذ المساعد
قسم العربية بكلية أم إي أس ممباد، كيرلا

تمهيد

يجيئ الطفل إلى هذه الحياة وهو ورقة بيضاء صافية لم تنحت عليها أي مهارة أو قيم أو أفكار أو مواهب.. كما قال الله عزوجل في كتابه العزيز: (وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً)[٦٢٣]. ثم بتأثير الطبيعة والبيئة والظروف المحيطة بما فيها من تأثيرات جسدية وفكرية وعقلية ووجدانية واجتماعية وتربوية تتكون طبيعة الطفل وتتشاكل وتتطور مما يبني شخصيته الفردية، ولا ريب في أن التربية تهدف إلى بناء الطفل بناءً شاملا، وإلى توجيه سلوكه في المسار الصحيح، وهذا يوجب اعداد الجو التربوي الموفر بالمؤثرات الفكرية والتطبيقية الإيجابية التي تُساعِدُ الطفلَ على أن يصبحوا أكثر وعياً ومن ثم يقوى نموه العقلي والمعرفي لينعكس ذلك على سلوكه في المجتمع، لذلك فإن بناء القيم التربوية عملٌ عسير وصعب ويحتاج إلى مزيد من تحمل المسؤولية والتحلي بالوعي المطلوب وفي الوقت الملائم.

الطفولة هي مرحلة ابتدائية من حياة البشرية وهي مرحلة مهمة جدا في بناء شخصية الإنسان لما يمكن فيها زرع القيم التربوية وغرس القيم السلوكية الإيجابية، وتنميته على المقدرة التفكير والتعبير، وغرس المهارات في نفسه كي يصبح رضيع اليوم فردا صالحا وشخصا عظيما بالغد ويلعب دورا إيجابيا في الأسرة والمجتمع، ولذا ركز الأدباء اهتمامهم إلى أدب الأطفال، فأدب الطفولية أو أدب فترة الطفولة أحد الأنواع

٦٢٣) سورة النحل : 78

الأدبية المتجددة في الآداب الإنسانية، وقد يعُتَبَرُ العصر الحديث عصر أدب الأطفال بكافة طرقه المقروءة والمرئية والمسموعة مع إرسال أول بعثة عربية مصرية إلى أوروبا في فترة محمد علي باشا، وبعد ذلك شرع أدب الأطفال يدخل أذهان العرب وعقولهم وأفكارهم عن سبيل طلبة البعثة العربية المصرية. وبرز صنف من الأدباء البارزين في مصر بأدب الأطفال، فتطوَّر وازدهر أدب الأطفال شيئا فشيئًا، فقد استهل من خطوات بدائية، وامتدت قامته بعض الامتداد وانتشرت نيرانه انتشارا حتى القرن الحادي والعشرين. يمثل الأدب في الوقت الحاضر أيضا نقطة بداية كبرى نحو تكوين النشء تكوينا نفسيا وتربويا قويما. ولذا قام الأدباء المعاصرون اهتمامهم إلى أدب الأطفال ليكون وسيلة بالغة من وسائل الدعوة إلى التحلى بالقيم العربية الأصيلة والمبادئ الإسلامية النبيلة السامية، تبحث دراستنا إلى إلقاء الضوء على "أدب الأطفال العربي في الهند، الشيخ أبو الحسن علي الندوي نموذجا". فقد تم هذه الدراسة إلى أربعة مباحث رئيسة، وهي: المبحث الأول يتحدث عن مفهوم أدب الأطفال ونشأته وتطوره في العالم العربي و في الهند. وينطوي المبحث الثانييتحدث عن حياةالشيخ أبي الحسن علي الندوي بمختصر وجيز، والمبحث الثالث إسهاماتأبي الحسن علي الندوي في الأدب العربي بالخصوص في مجال أدب الأطفال: والمبحث الرابع يهدف إلى التعرف على كيفية تقديم أبي الحسن علي الندوي وعرضه في أدب الأطفال، ويتعامل خصائص أسلوبه ونمطه في أدب الأطفال، والإختتام يلخص أهم الاستنتاجات والنتائج.

مفهوم أدب الأطفال

أدب الأطفال هو أدب واسع المجال، متعدد الجوانب، ومتغير الأبعاد، فأدب الأطفال لا يعني مجرد القصة أو الحكاية النثرية أو الشعرية، وإنما يشمل المعارف الإنسانية كلها. إن كل ما يكتب للأطفال، سواء أكان قصصا أم أشعارا علمية أم

تمثيلات أم معارف علمية أم أسئلة أم استفسارات، في كتب أم مجلات أم في برامج إذاعية أم تليفزيونية أم غيره، كلها مواد تشكل أدب الأطفال[٦٢٤]

أن الأدب الأطفال هو من الفنون الأدبية، سواء العام أو الخاص، وهذا الفن بمعناه العام يعني الإنتاج الذهني المدون في كتب موجهة لهؤلاء الأطفال في متعدد فروع المعرفة، أما بمعناه الخاص، فهو يعني الكلام المثالي الذي يحدث في صدور هؤلاء الأطفال لذاذة فنية، سواء أكان نثرا أم شعرا وسواء أكان تحريريا بالكتابة أم شفويا بالكلام ، ولذلك فالكتب الدراسية تدخل ضمن أدب الأطفال بمعناه العام حيث إنها إنتاج عقلي مدون كما ذكرنا آنفا، ولذا فلا بد للكتب الدراسية الناجحة أن تراعى هي أيضا خصائص الأطفال وقدراتهم واهتماماتهم فيما تقدمه من مواد دراسية منهجية.[٦٢٥]

أدب الأطفال في العالم العربي

ومن المعروف أن أدب الأطفال القديم في البلاد العربية مختلف عن أدب الأطفال المعروف في العصر الراهن في هيئته وتقسيمه وسماته وما إلى ذلك. وإذا ناقشنا مطلع الهيئة الجديدة لهذا الضرب من الأدب ونموه وانتشاره وازدهاره في العالم العربي في العصر الراهن فيجب علينا شروع كلامنا من مصر الذي صدر فيها كل فن بمظهر جديد وذلك بسبب احتكاك المصريين بالغرب وتأثيرهم بالأوروبيين، وأدب الأطفال ليس مختلفا عن بواقي الفنون الأدبية، إنه طلع في مصر في زمن "محمد على باشا"[٦٢٦] مع وسيلة الترجمة مع قيام "رفاعة الرافع الطهطاوي"[٦٢٧] بترجمة القصص إلى العربية باسم حكايات الأطفال ثم سلك الآخرون مسلكه وترجموا القصص الإنجليزية والفرنسية إلى

[٦٢٤] أدب الأطفال في العالم المعاصر رؤية نقدية تحليلية: د. إسماعيل عبد الفتاح، مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة، ص18

[٦٢٥] أدب الأطفال في العالم المعاصر رؤية نقدية تحليلية: د. إسماعيل عبد الفتاح، مكتبة الدار العربية القاهرة ، ص،23 -24.

[٦٢٦] يعد محمد علي باشا مؤسس الدولة المصرية الحديثةولد محمد علي في عام 1769م توفي في 1849م

[٦٢٧] من قادة النهضة العلمية في مصر محمد علي ولد في سنة 1801م في مدينة طهطا و توفي في 27 من مايو 1873م

اللغة العربية. لما اعتبر الأدباء الأصالة فحاولوا كتابة القصص من نفسهم، ولما تمر الأيام كثرت عناية الأدباء بهذا الفن، فصار هذا النوع من الأدب من ضخم الأنواع الأدبية الجديدة في السنوات الأخيرة، وقد شاعت الكتابة للأطفال في الأدب العربي. وصار نتاج كتب الأطفال والصناعة مع عدد من دور النشر المتخصصة في أدب الأطفال.[٦٢٨]

فيعتبر أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث لونا أدبيا جديدا، وقد نشأ وتطور ومر بعدة مراحل، شأنه شأن الفنون الأدبية التي نقلها الأدب العربي من الآداب الغربية ومن هذه الأطوار.[٦٢٩] لقد بدأ الاهتمام بأدب الأطفال في مصر في عهد محمد علي باشا (١٧٦٩-١٨٤٩م) كما ذكرنا آنفا، حيث كان رفاعة الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣م) من الكتاب الأوائل الذين اهتموا بأدب الطفل عموما، والقصة خصوصا، فقد كان مسؤولا رسميا عن التعليم في ذلك الوقت، الأمر الذي سمح له بإدخال بعض القصص في المناهج الدراسية، كما قام بترجمة أول كتاب للأطفال عن الإنجليزية وسمّاه "حكايات الأطفال"، كما ترجم كتاب "مغامرات تليماك" وسماه "وقائع الأفلاك في مغامرات تليماك"، كما صدرت له سنة ١٨٧٠م مجلة "روضة المدارس" التي كان يشرف عليها والتي كانت منبرا للتثقيف، وكان معظم قرائها من التلاميذ.[٦٣٠]

وهناك كثيرا من الكتاب والكاتبات ممن قدموا أكثر إنتاجهم الأدبي موجهة للأطفال بعد الجيل المؤسس لأدب الأطفال في مصر: بعد مصير أوائل القرن العشرين بدأ الاهتمام بأدب الأطفال على يد فرقة من الشعراء في دائرة القصة "القصة الشعرية" مثل ماجد سليمان، طارق البكري، أحمد شفيق بهجت، أحمد نجيب الذي

---

[٦٢٨] أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث، ص 105-104

[٦٢٩] النص الأدبي للأطفال في الجزائر، العيد جلولي، ص ص 26-25

[٦٣٠] النص الأدبي للأطفال في الجزائر، العيد جلولي، ص 26، أدب الأطفال ومكتباتهم، سعيد أحمد حسن، ص ص 36-35، أدب الأطفال، أهدافه وسماته، محمد حسن بريغش، ص 8.

دون زمرة من الدراسات، إلى جانب تصانيف من القصص للأطفال، وكامل كيلاني الذي يعد رائد أدب الطفل في الأدب العربي، قدم العديد من الأعمال العبقرية الموجهة الى الطفل، وقدم للطفل العربي ما يربو عن مائتي قصة، فكان بذلك من كبار الأدباء المصريين الذين خصصوا إنتاجهم للأطفال، محمود مفلح-في ديوانه غرد يا شبل الإسلام، أحمد شوقي له ديوان خاص للأطفال، وعبد التواب يوسف الذي ألف عددا من الكتب نقدا وإبداعا، وغيرهم كثير في هذا المجال أمثال: عبد اللطيف عاشور، محمد سليم وعطية زهري، وأحمد مختار البزرة، إبراهيم شعراوي، وعبد الحميد جودة السحار،ومن هؤلاء الأدباء البارزين السّيد أبي الحسن النّدوي الّذي كتب كثيرا حول أدب الأطفال. الّذي اهتمّ بالأطفال كثيرا لأنّهم ثروة الأمّة ومستقبلها. و هذه المقالة تركز في دراسة إسهاماتأبي الحسن علي الندوي في الأدب العربي بالخصوص في مجال أدب الأطفال.

نبذة عن حياةأبي الحسن علي الندوي:

هو الشّيخ العلامة الدّعية المربي المفكر أبو الحسن علي بن عبد الحي الحسني النَّدْوي الهندي الجنسية، العالمي العطاء، شيخ الأمة، ولسانها النّاطق بالحقّ. وهو أديب عظيم ومفكر اسلامي و كاتب قديم وداعية إسلامي في الهند.[٦٣١] ولد العلامة أبوالحسن علي الحسني النّدوي في شهرمحرم الحرام سنة ١٣٣٣هـ الموافق ٢٣ تشرين الثّاني سنة ١٩١٤م[٦٣٢] بقرية تكيّة كلان من مديرية رائي بريلي[٦٣٣] ونشأ في أسرة متديّنة متعلّمة، نبغ منها عدد من العلماء والدّعاة، كان من أبرزهم أبوه الشّيخ عبد الحي الّذي يعدّ بحق خلّكان الهند، وهو صاحب "نزهة الخواطر وبهجة السّامع والنّاظر"[٦٣٤] العالم المصلح والداعية المخلص، أستاذ التّفسير والأدب في دار العلوم،

---

[٦٣١]) النّدوي، أبوالحسن علي الحسني، في مسيرة الحياة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ١/ ٣٠-٤٧

[٦٣٢]) النّدوي، في مسيرة الحياة، ١/ ٤٥

[٦٣٣]) التي تبعد عن عاصمة ولاية أترابرديش "لكهنؤ" حوالي ثمانين كيلو متراً

[٦٣٤]) البصري، عبدالله بن محمّد، معجم أهم مصنفات التراجم المطبوعة، الطبعة الأولى، بدون الناشر، ١٢٢هـ،١/١٠٣

فوجد العلامة في هذه الموسوعة الضّخمة الثّمينة خير زاد لروحه، لقد قرأ أفذاذ المصلحين قراءة جعلته يتهيأ لدور كبير يضيف به ترجمة حافلة إلى هذه التّراجم.ولم تكن "نزهة الخواطر": هي سلواه المختار وحدها، في عهد اليفاعة، بل دفعته – فيما بعد – إلى مثيلاتها في التّراث الإسلامي، وفي كتب التّراجم والطّبقات، وهذا البحر الزّاخر من المعارف التّاريخية يحي النّفوس المتعطشة ويدفعها إلى الاحتذاء الحسن، لا سيما غذا كان القارىء مثله – أي مثل العلامة – ذا النّفس المتوثبة الطامعة للعلاء، ونحن نرى أمثلة شتى في كتب العلامة فطفها من حدائق هذه الكتب، وكم قرأها أناس من قبله ومن بعده، ولكنّهم لم يحسنوا استغلالها على النّحو الّذي اهتدى إليه الشّاب الصّغير.[٦٣٥]

وكانت أمّه خير النساء شريفة النّسب، شاعرة عابدة حافظة للقرآن ومؤلّفة للكتب،والمربّية النّادرة، فنسب جدته من جهة والده ينتهي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، ونسب أمّه ينتهي إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، فهو نجيب النّسب من جهتين[٦٣٦] وتولّى أخوه عبد العلي تربيته بعد وفاة والده عندما بلوغ التاسعة من العمر.حفظ القرآن في البيت وجوّده، تعاونه أمه. والتي قامت بتربيته فأحسنتها، وكانت تتميز من بين سيدات أسرتها بقيام الليل، وكثرة الدعاء، ومناجاة الله، ويشتمل بعض أدعيتها على توجيهات رشيدة، وابتهالات وأدعية كريمة لابنها الحبيب (العلامة النّدوي)، تقول في إحدى أدعيتها متضرعة إلى الله: "إلهي! يعيش ابني علي في الدنيا في حفظك وأمانتك ورعايتك، ويستنير به سراج العالم ومصباح الكون، ويخضب المجيب، اجعل (عليا)[٦٣٧] فرحاً فخوراً ذا حظوة ونسيب".[٦٣٨]

---

[٦٣٥]) البصري، عبدالله بن محمّد، معجم أهم مصنفات التراجم المطبوعة، الطبعة الأولى، بدون الناشر، ١٢٢هـ،١/١٠٣

[٦٣٦]) الحسيني، السيد قدرة الله، العلامة السيد عبد الحي الحسني، دار الشرق، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص:٤٧

[٦٣٧]) كان كبار أفراد أسرة العلامة الندوي يسمونه في الصغر بـ"علي".

[٦٣٨]) محمد اجتباء (الدكتور): أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الحكيم، بدون السنة، ص: ٩٢

ولد العلامة ونشأ في بيت العلم والورع والتّقوى والدّين، وفي أسرة نجيبة أصلية فهو ممتاز بعدة خصائص. ونشأ كذلك على حب من يوفقه الله ويقويه على الجمع بين الرّياستين: العلمية والعملية، والحسنيين: الدنيا والآخرة، والنقيضين: (في عرف الناس) من إمارة أو وزارة في جانب، والاشتغال بالتأليف والتدريس، أو التربية والإرشاد، والإصلاح وإزالة الفساد في جانب آخر.[٦٣٩] وقد ذكرها الشيخ النّدوي نفسه في كتابه "في مسيرة الحياة": " فهذه الأسرة قد حافظت على نسبها وأصلها إلى حدّ المبالغة والمغالاة، وأنّها-منذ قدومها إلى الهند- لم تزل متمسكة بعقيدة التوحيد الخالص، بعيدة عن الشّرك وأعماله، متجنّبة البدع والخرافات، واحتفظت في مختلف أدوارها وعهودها بخصيصة الرّجولة والحمية الدّينية وعاطفة الجهاد. وأفراد هذه الأسرة كانت تتسم بالسامح بالوداعة دون غباوة وبلادة، وظلت على اتصال متين وقوي بالطريقتين العلمية والرّوحية، وأنّ أفرادها لم تكن ذات ثروات طائلة، بل تميزت بالتقشف وشقف العيش"[٦٤٠].

قد درس العلامة النّدوي من الأساتذة الكبار والشّيوخ العظام والعلماء البارزين في ندوة العلماء وغيرها. نذكر هنا بعض هؤلاء الأساتذة الّذين أثروا فيه تأثيراً عميقاً بقي مدى حياته، منهم: العلامة الشّيخ خليل بن محمّد اليماني، وعلامة الدكتور محمّد تقي الدّين بن عبد القادر الهلالي المغربي، العلامة المحدّث الفيه حيدر حسن بن احمدالأفغاني الطونكي، والعلامة الشّيخ أحمد علي اللاهوري، والشّيخ حسين أحمد المدني، وأحمد قادة خركة التّحرير والمقاومة للإستعمار الإنجليزي ورئيس جميعة علماء الهند.[٦٤١] كما تعلّم اللّغة العربية من الشّيخ خليل بن محمّد الأنصاري في سنة ١٩٢٤م، ودرس بعض كتب النّحو والصّرف عند السّيد عزيز الرّحمن. ولهذا أتقن علوم العربية

[٦٣٩]) المرجع السابق نفسهص: ٩٢

[٦٤٠]) النّدوي، في مسيرة الحياة، ١/٣٠-٤٠.

[٦٤١]) القرضاوي، الشّيخ أبوالحسن النّدوي كما عرفته، ص: ٤٣

إتقاناً جيّداً حتّى أصبح يتكلم العربية بطلاقة.[٦٤٢] وكان النّدوي طالباً مجتهداً وممتازاً في الجامعة، وحصل شهادة " فاضل أدب" بتفوق، ونال الميدالية الذّهبية،كما نال شهادة الفاضل في الحديث في السّنة التّالية.[٦٤٣]

التحق الشّيخ النّدوي بدار العلوم لندوة العلماء في سنة ١٩٢٩م، ودرس بها علوم الحديث، والتّفسير والمنطق. وفي هذه السّنة قرأ بعض كتب الفقه، ودرس تفسير السّور الأخيرة من القرآن الكريم من خواجة عبد الحي الفاروقي وأخذ بعض الدّروس في الفلسفة عن العلامة السّيد سليمان النّدوي.[٦٤٤]

وهو أحد مؤسّسي رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئيسها الأوّل، عضو المجلس التّأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكّة المكرّمة، أمين عام ندوة العلماء في الهند، عضو مراسل للمجمع العلمي العربي بدمشق واللغة العربيّة بالقاهرة، عضو المجلس التنفيذي لدار المصنّفين في أعظم كرّة، مؤسس المجمع الإسلامي بالهند. والعلامة النّدوي أخذ الجوائز العالمية والتّكريم والشّهادات كثيرة من العلم والمعرفة واللغة العربية، منها ما يلي: جائزة الملك فيصل العالمية سنة ١٩٨٠م في خدمة الإسلام، وشهادة الدّكتوراه الفخرية في الآداب في سنة ١٩٨١م من جامعة كشمير ، وجائزة الشّخصية الإسلامية من حكومة دبي لسنة ١٩٩٨م، وجائزة السّلطان حسن البلقية- سلطان برونائي- للدّراسات الإسلامية سنة ١٩٩٨م، و حصل جائزة الإمام ولي الله الدّهلوي من معهد الدّراسات الموضوعية بالهند سنة ١٩٩٩م، أقيمت له حفلة تكريم بجدّة سنة ١٩٨٥م، أقيمت له حفلة تكريم سنة ١٩٩٦م في إستنبول.[٦٤٥] توفي الشّيخ

[٦٤٢]) جائزة الملك فيصل العالمية في خمس سنوات، الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية، الرّياض، ، ١٩٨٣م، ص: ٤٢.
[٦٤٣]) الندوي، في مسيرة الحياة، ٨٦/١-٨٧
[٦٤٤]) المرجع السابق نفسه، ص: ٩٤-٩٥
[٦٤٥]) القرضاوي، الشّيخ أبوالحسن النّدوي كما عرفته، ص: ٤٥

النّدوي في يوم الجمعة ٢٣ رمضان سنة ١٤٢٠هـ الموافق ٣١ ديسمبر سنة ١٩٩٩م في مكان إقامته في الهند(يرحمه الله).[٦٤٦]

بدأ العلامة النّدوي كتابة في وقت مبكر من عمره، ونشر أوّل كتابه باللغة الأردية باسم "سيرة السّيد أحمد الشّهيد" في سنة ١٩٣٩م. كما ألف كتبا منهجية أخرى باللغة العربية لطلبة المدارس العربية بالهند.[٦٤٧] ثمّ التفت العلامة الندوي إلى العناية بالطّفولة والكتابة للأطفال والنّاشئين، بوصفهم رجال الغد وصناع تاريخ الأمم والملل، وهو في عنفوان شبابه، وكتب مجموعة من قصص النّبيين للأطفال بلغتهم، في أسلوب سلس فريد، وطريقة شائقة مضمناً إياها ما يجب من المعاني والقيم، ومن الدّروس والعبر، ومن العقائد والمثل، حتى قال أحد كبار علماء الهند:[٦٤٨] إنها (علم توحيد) جديد للأطفال، وأثنى عليها أديب كبير كسيد قطب – مارس هذا العمل – أيضاً في تقديمه لـ (قصص النبيين) بهذه الألفاظ.

"لقد قرأت الكثير من كتب الأطفال – بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلوات والسلام – وشاركت في تاليف مجموعة: "القصص الديني للأطفال" في مصر، مأخوذاً كذلك من القرآن الكريم، ولكني أشهد في غير مجاملة: أن عمل السيد أبو الحسن في هذه القصص التي بين يدي جاء أكمل من هذا كلّه، وذلك بما احتوى من توجيهات رقيقة وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها ومواقفها، ومن تعليقات داخلة في ثنايا القصة، ولكنها توحي بحقائق إيمانية ذات خطر، حين تستقر في قلوب الصغار أو الكبار. جزى الله السيد أبا الحسن خيراً، وزاده توفيقاً، وهدى به الأجيال الناشئة التي تحيط بها العواصف والأعاصير، وتنتشر في طريقها الأشواك، وتدلهم من

---

[٦٤٦]) الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي، ص:١١٨

[٦٤٧]) النّدوي، في مسيرة الحياة، ١٢٥/١

[٦٤٨]) وهو الشيخ عبدالماجد الدربا بادي، كان من كبار علماء الهند وأدبائها العمالقة في الأردوية والإنكليزية، صاحب مؤلفات كثيرة في اللغتين (الأردوية والإنجليزية)

حولها الظلمات، وتحتاج إلى الهدى والنور والرعاية، والإخلاص في حياطتها ورعايتها، ومن الله التوفيق."[٦٤٩]

نحاول في هذا القسم لفهم أهداف العلامة النّدوي فيما كتبه للطّفل المسلم وفكره الأدبي، والّذي يحتوي على ستة مباحث، وهي: اللغة، والدعوة، والتربية الإسلامية، والجانب الفكري والنفسي، والثقافة الإسلامية، والتي تبرز عدة نواح في الفكر واللغة والتربية، وتهمّ أدب الطفل من خلال دراسة الباحث المتأنية لكتب العلامة الندوي فيها، نتناول هنا كلّا من هذه الأهداف بشيء من التفصيل في ضوء مؤلفاته وكتبه، فمنها :

اللغة: يظهر اهتمام العلامة الندوي في اللغة من خلال الأمور التالية: الدعوة إلى الاهتمام باللغة العربية عند الطفل المسلم، البعد عن الخيال الوهمي في أدبه مع الطفل، استخدام الأساليب اللغوية في أدبه مع الطفل، التركيز على الحدث الماضي.

الدّعوة: تتكشف آداب الدّعوة عند العلامة النّدوي من خلال النّماذج الطّاهرة من دعوة الأنبياء والصّالحين التي وردت في القرآن الكريم، نذكر منها: نموذج من دعوة إبراهيم عليه السلام، نموذج من دعوة سيدنا يوسف عليه السّلام، نموذج من دعوة سيدنا محمد ﷺ، نموذج من دعوة جعفر بن أبي طالب للنّجاشي ملك الحبشة.

التّربيّة الإسلاميّة: قدّم العلامة الندوي في مستهل كتابه "قصص النبيين" نصيحة لابن أخيه "محمد الحسني"[٦٥٠] من القصص العربية من جهة أخرى نصيحة بدراسة قصص الأنبياء وتعلّم اللغة العربية، قدّم العلامة هذه النّصحية التّربوية الّتي تحمل في ثناياها كلّ الأسف والخجل من القصص العربية التي لا تتكلّم إلا عن الحيوانات والأساطير والخرافات، فيقول: "ابن أخي العزيز! أراك حريصاً على القصص والحكايات، ولكني أتأسف لأني لا أرى في يدك إلا حكايات السنانير والكلاب والأسد

[٦٤٩]) الندوي، قصص النبيين، (في مقدمته)

[٦٥٠]) الأستاذ محمد الحسني: هو الكاتب الإسلامي المرموق، والصحافي البارع

والذئاب والقردة والذباب، ولكني أخجل أنك لا تجد ما يوافق سنك من القصص العربية، إلا قصص الحيوانات، والأساطير والخرافات، فرأيت أن أكتب لك ولأمثالك أبناء المسلمين قصص الأنبياء والمرسلين عليهم صلاة الله وسلامه بأسلوب يناسب سنك وذوقك، ففعلت."[٦٥١]

الأهداف التربوية التي يتركز عليها العلامة النّدوي في كتبه

التّدرج في الأسلوب التّربوي للنّاشئة حسب ما تقتضيه درجتهم العقلية، غرس مكارم الأخلاق الإسلامية في كيان الطّفل، ودعوته إلى التّمسك بها، الحثُّ على حبّ العلم وتعلمه ودعوة الطفل إلى طلبه، تحرير عقل الطّفل وقلبه من الأساطير والخرافات، وضغوط شهوات الحياة الدّنيا وهذا التّحرير لعقل الطّفل هو تحرير من الجاهلية وكل تبعاتها، وهذا الهدف يظهر من خلال الشّواهد التّالية الّتي أكد عليها العلامة في قصصه يبدو منها ما يلي:

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، تطهري الحر من الأوثان والأصنام، زهد القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي في الدّنيا وشهواتها. تنمية الرّوح الجهاديّة والنّفس المطمئنّة للطّفل المسلم: ففي كل قصص العلامة الندوي عن الأنبياء وحكاياته عن التاريخ الإسلامي، دعوة إلى الجهاد وحب الاستشهاد وترغيب الطفل في الشهادة في سبيل الله،[٦٥٢] وقد أكد هذا المعنى السامي العلامة الندوي تأكيداً واضحاً ومميزاً في معظم قصصه وحكاياته، والأدلة على ذلك كثيرة، نذكر منها التالية: تنافس الغلمان في الجهاد والشّهادة في غزوة بدر، مسابقة بين أتراب في غزوة أحد، فداء علي بن أبي طالب للرسول الله ﷺ عندما نام في فراشه ليلة هجرته، فكان علي أول فدائي في الإسلام:

[٦٥١])الندوي، قصص النبيين، ص: ٦

[٦٥٢]) الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي، ص: ٧٩

"وأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلّم بهذه المؤامرة، فأمر علي بن أبي طاللب أن ينام في فراشه مستجياً ببردته".[٦٥٣]

الثّقافة الإسلامية

قام العلامة النّدوي بترسيخ بعض خصائص الثّقافة الإسلامية في عقول النّاشئين، وذلك كالتّالي: الوعي الإسلامي، النّظرة الشّمولية والتّفسير الإسلامي للتّاريخ، ربانية المصدر والغاية، الإنسانية، الثّبات.

الخاتمة

بعد معرفة عن حياة أبي الحسن علي الندوي وإسهاماته بالخصوص في أدب الأطفال يثبت أن هذه الشخصية شخصية مهمة في مجال قصص الأطفال كما نجد في أعماله القيمة، ويظهر بها أنه حاول أن ينتج أهمية العلم والتعليم، والصداقة، والكرم، والشجاعة، وحب القراءة والإطلاع، وتقدير العلم والعلماء في نفوس الأطفال وطبيعتهم وقدم القيم الاجتماعية في أدبه الموجه إلى الأطفال بلغة سهلة وفي أسلوب رشيق وجذاب. ونفهم من خلال سطوره للأطفال لأنهكان يعتقد أن طفل المسلم هو أساس المجتمع المسلم.

المصادروالمراجع

- ✓ **أدب الأطفال في العالم المعاصررؤية نقدية تحليلية : د. إسماعيل عبد الفتاح، مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة**
- ✓ **النّدوي، أبوالحسن علي الحسني، في مسيرة الحياة، دارالقلم، دمشق، الطبعة الأولى**
- ✓ **البصري، عبدالله بن محمّد، معجم أهم مصنفات التراجم المطبوعة، الطبعة الأولى**
- ✓ **النّدوي، أبوالحسن علي الحسني ، قصص النبيين**
- ✓ **القرضادي، يوسف، ، الشيخ أبوالحسن الندوي كما عرفته، دارالقلم، دمشق، ٢٠٠١م**
- ✓ **الغوري، عبدالماجد، السيد، أبوالحسن علي الحسني الندوي ،دارابن كثير، دمشق، بيروت**

[٦٥٣]) الندوي، سيرة خاتم النبيين، ص: ١٠٩-١١٠

✓ آزادي، عبدالسلام، التّاصيل الإسلامي للغة العربية وآدابها في جهود الشيخ أبي الحسن الندوي، دارالمنارة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م
✓ الحسيني، السيد قدرة الله السيد عبد الحي الحسني، دارالشرق، السعودية، ١٩٨٣م
✓ محمّد أكرم النّدوي، أبوالحسن النّدوي العالم المربي والداعية ، دارالقلم، دمشق، ٢٠٠٦م
✓ النّدوي، أبوالحسن علي الحسني، قصص من التاريخ الإسلامي
✓ النّدوي، أبوالحسن علي ا، قصص النبيين للأطفال ، مؤسسة الرسالة. بيروت١٣٩٥ هـ
✓ النّدوي، أبوالحسن علي الحسني، سيرة خاتم النبيين
✓ https://www.marefa.org

الجمالية و الرمزية فى ترجمة عربية لقصيدة الزهرة الساقطة للشاعر كمارناشان

د.شمير الندوي
مدرس اللغة العربية، المدرسة الحكومية، كانتبورام، كيرلا

المقدمة

" آها أزهرة كم قد كنت زاهرة مثل المليكة في رأس الذُرى العالى"

هذا البيت مأخوذ من قصيدة " الزهرة الساقطة " للشاعر الهندي الفيلسوف "كمارناشان" حيث ترجمها بقلم الشاعر أبوبكر مولوي ننمندا ، وقد نُشرت هذه القصيدة في مجلة "مِداوادي" في شهر ديسمبر ، سنة ١٩٠٧ م. ومن جهة المعاني و المفاهيم الحديثة كانت هذه القصيدة خطوة جديدة في أشعار ملايالم ، الزهرة الساقطة رمزية للحياة البشرية الفانية حيث تعالج هذه القصيدة موضوعا عن حياة البشرية في الدنيا اللاشية .

و قد يضرب الشاعر مثل الحياة البشرية كالزهرة التي تفتحت أمام أعيننا حيث تبدأ حياتها الجميلة بصفوة البهاء و الروعة و تجذب إليه كل شئ ، وتفيح منها الطيب في الجو ، و تسر الناظرين بجمالها الرائعة وفي نهاية حياتها تصفر و تبلى ، أخيرا بتلة الزهرة تسقط في الأرض، لا رائحة و لا طيب لها، و لا جمال و لا روغة ،صارت الزهرة جثة لا روح لها و لا ريحان ، كذلك حياة البشر ،تزدهر و تثمر و تبلى ، كم من آمالٍ غربت أمامنا ، وكم من طموح طارت إلى البعد .

وهذه القصيدة أعظم عملية فنية في الأعمال الهندية المترجمة إلى اللغة العربية حيث تتضمن فيها أمواج القيم و المفاهيم و الفلسفة و الحكمة ، نرى أن الشاعر أبوبكر مولوي أنفق جهده في تحقيق هذا الهدف بأحسن وجه و أفضل لغة وأجمل أسلوب .

قام الشاعر أبوبكر مولوي ننمندا بترجمة قصيدة "الزهرة الساقطة" للشاعر الهندي الفيلسوف المفكر "كمارناشان" (١٢ أبريل ١٨٧٣-١٦ يناير ١٩٢٤). وهي قصيدة رثاء مشهورة في لغة مالايالم – لغة كيرالا جنوب الهند، حيث تزهر في قلوبنا بجماليتها الفنية و جاذبيتها الخيالية حتى الآن.

كان قصائد كمارناشان مقبولة مفضلة عند أهل كيرالا في كل حين حيث اشتهرت بفلاسفتها و معانيها المتميزة ،وقد عالجت قصائده عدة موضوعات متعلقة بالثقافة و السياسية و القومية و الدينية . ولاسيما كان صوته مرتفعا ضد الخرافات و البدع التي كانت موجودة في أهل الهنتوكية في ذاك الزمان ، و دعا كمارناشان إلى التضامن و التسامح بين الملل و النحلة المختلفة .

كوماراناشان شاعركبير،هو أول من بدأ قصيدة الرمزية والرومانسية في شعر مالايالم. ساعدت أعماله في تغييرات كبيرة في الحياةالاجتماعيةفي ولايةكيرالا،تتميز أشعاره بأسلوبه و معانيه.

الأسباب المدفوعة إلى الترجمة

كان الشاعر أبوبكر مدرسا في المدرسة العليا "ننمدا" أحد مقاطعة كاليكوت حيث أنه كان محبا للغة العربية و آدابها و هو مؤلف مفكر ، و شاعر وكاتب وله مقالات فنية في مختلف أنواع الأدب ، وله تلاميذ كثير و أنفق جهده في تربية الأولاد و تعليمهم ، في ذلك الزمان ظن الناس عن اللغة العربية أنها لغة ديني فقط، ومع أنه ساهم أن يزيل هذه النظرية نحو اللغة العربية ، و أكّد بخدمته بأن اللغة العربية لها أصل متين و فرغ واسع في كل علوم و آداب من اللغة و الفن .

كان مولوي يحب قصيدة عربية كما يحب قصيدة ملايالم ،وبدأ بمقارنة بين أشعار العربية و ملايالم ، وفرغ في ترجمة أشعار الشعراء المشهورين العربيين . وينشر ملاحظاته و اقتراحاته حول هذه الأشعار ، وهكذا هو وصل إلى ترجمة هذه القصيدة المشهورة "الزهرة الساقطة " .

وعنده عدة ملاحظات في إختيار هذه القصيدة ، وهو يقول في مقدمة كتابه "الزهرة الساقطة " عن الأسباب المدفوعة إلى الترجمة ، ومن أهمها عقيدة كمارناشان في الإله و الدين ، كان "كمارناشان" المشهور مريد للفيلسوف المفكر الراهب "سري ناراينا غورو " . وقد تأثر في حياته عقيدة "شري ناراينا غورو " .

و هو يقول بأن أهم مأثرات التي أثرت لقيام بالترجمة هذه القصيدة بأن مضمونها يحث الإنسان إلى الرجوع إلى الله و توكل عليه حيث بأنها تدل على فناء الدنيا و الزهد فيها ، رغم أن كمارناشان كان رجل ذات دين و ثقافة و فلسفة . وكان معظم قصيدة كمارناشان ذات موضوع متعلقة بالموعظة الحسنة و زهد الدنيا حيث تتميز بأسلوبها الرائعة .

يلاحظ المترجم الشاعر أبو بكر مولوي عن أسباب التي تحثه إلى عملية ترجمة هذه القصيدة منها "يقول المترجم هناك أسباب متعددة أن يقرأ هذه القصيدة و ترجمتها إلى العربية ، المهم منها إن هذه القصيدة يتنوع بذات معانيها الفلسفية و عقيدتها الإلهية كان كمارناشان متدين في صغر سنه و مريد للفيلسوف المشهور "شيري ناراياناغورو " ولهذا جاء في قصيدته موضوع متصل بالعقيدة و الإيمان .

يقول المترجم عن الأسباب التي حثته إلى ولوع قصيدة كمارناشان ، وفي خلال تدريسه في المدرسة وافقه أن يسمع إلى قصائد كمارناشان من أستاذ ملايالم – ويدووان مادَوَن نايار - الذي يدرس الأولاده من فصل آخر قصيدة "جندال بيكشوكي" ، واستمع إليه و تعجبه ، وبدأ أن يقرأ قصيدته تماما ، وذات يوم في السنة ١٩٥٣ م قد نشر في جريدة "جندريكا " نعي رئيس باكستان نواب سيد لياقة علي خان خبر رئيسي مع قصيدة كمارناشان ،

أوّه زهير وهل إليك قد بسطت
عديمة الرحم ويحا يدع زوال
وهل لصائد غاب في القتيل حما

م اوعقاب وقتل كل اشغال

وقد تأثر هذه القصيدة فيه تأثرا عميقا و بدأ أن ترجم هذه الأبيات إلى العربية .

وفي ذلك الزمان أن النقاد يروا بأن القصائد فني فقط ، وليس فيها موضع للتذكرة و النصائح ، ولكن تغير كمارناشان هذه النظرية بقصائده الموضوعية الفلسفية الرمزية ، نرى فيها النصائح و الموعظة و التذكرة بأسلوب منهجية ،

الموضوع الرئسي في قصيدة الزهرة الساقطة

وكثير من النقاد يرون أن هذه القصيدة موضوعها الاساسي الزهد في الدنيا والبعد عن نعيمها وزينتها ، لكن هذا الرأي ليس بسديد و نرى بين سطور مايرمز الى الزهد ،أحيانا يميل الشاعر بخلاف ذلك ، فنراه يمدح زينة الدنيا ويصف جمالها بحيث يرغب فيها حتى الرهبان و الزهاد

فيقول :

لما تفتَحت تهتزين علّ ذو وال أعيان عندك قاموا ناظرى الحال

آيايكن : عالما زاهدا أويك جبانا فـــمن هزم من فتك نزال

يقول المترجم الشاعر أبوبكر مولوي أنه ترجم هذه القصيدة ببحر البسيط . فإن أصل هذه القصيدة بممزجة باللغتين الملايالم و السانسكريتية لهذا وقد واجه الشاعر كثير ا من الصعوبات في عملية الترجمة ، رغم أنه اختار بالقافية اللامية .

ويقول الدكتور. أى. بي محي الدين كوتي في مقالته "وقد ترجم قصيدة "وينا بوو" إلى العربية في سنة ١٩٨٥م باسم "الزهرة الساقطة" حيث قام به أبو بكر مولوي ننمنذا، وهي تعتبر أول قصيدة مليالم ترجمة إلى اللغة العربية ، وقد أعان مولوي في تأليفها بقافية العربي في بحر البسيط ، وقد ترجم لفظا بلفظ و اختار كلمة مناسبة للسياق حيث أنه أعطى أصل القصيدة الملايالم و الإنجليزية التي ترجمها بروفسر شرينواسن أيضا في كتابه وقد نشر هذا الكتاب من "عرفات" دار النشر للكتاب كاليكوت.

الرمزية و تجلياتها في قصيدة الزهرة الساقطة

الرمزية لون من ألوان الأدب العربي حيث تعدها مدرسة مستقلة في أدب العربي الحديث، وهي تعني شيئا ما يعني شيئا آخر". "وهو ذلك الشيء الذي يوحي بشيء آخر بفضل وجود علاقة معينة بينما كما أنه إشارة مصطنعة متفق على معناها بين مجموعة من البشر فيرمز الأسد مثالً إلى القوة والشجاعة، واللون الأبيض إلى الطهارة."[٦٥٤] ،

يبدأ الشاعر قصيدته بكلمة رثاء و نكمة "آها " ، فهذه الكلمة تدل على أكبر حزنه عندما رأى الزهرة التي سقطت في الأرض بعدما كانت مليكة في ريحان شبابها ، و في هذه القصيدة نرى أن كمارناشان يرمز الحياة الدينا بزهرة جميلة كما نرى في سطورها وهو يقول :

" آها أزهرة كم قد كنت زاهرة مثل المليكة في رأس الذُرى العالى"

نعيم الأرض فنى لا ريب أين غنا كِ اليوم أو أثرٌ في ذكر ذى الحال

الزهرة هناك رمزية للحياة البشرية يقول المترجم : " فشاعرنا كمارناشان يصف الزهرة و سقوطها مريدا بها في خياله البديع حياة جارية كاعب سقطت عن الحياة المنعمة بها بكل أنواع النعمة ، وبكل أنواع الجمال الرفاهية ، يصفها و يصف كل طور من أطوار حياتها من ولادتها الى حين سقطتها يئسة في الحب منخذلة في العشق مخدوعة في الصفو من حبيب لجوج كانت أثنته من فسيح قلبها يصعها وصفا يروع القارئ و يدهش السامع و يجذب كل ذي قلب حساس شعور ."[٦٥٥]

يصور الشاعر الحياة الحقيقية حيث ان الإنسان يرجع من هذه الدنيا بعد فطرته الزاهرة إلى الأبد ، فأصبح الرجل جثة لا فخر لها ولا عظمة ، مجرد جسد ، لا

[٦٥٤] الرمزية وتجلياتها في الشعر العربي الحديث، سارة نجر ساير العتيبي233 - 216 IUGJHR Vol 52, No5, 5102, pp

٦٥٥الزهرة الساقطة كلمة المترجم

روح لها ولا ملك ، كان في هذه الدنيا كل شئ ، عاش كمالك الذي يملك إمراطورية عظيمة ، ولكن بعد فراق روحه من هذاالجسد القيم صار جثمانا الخالي من الروح.

يقول المترجم في مقدمته "وبعد ذلك كله يعبر الشاعر عنها بطريقة حديثة و هي الطريقة الرمزية (symbolism) التي لم تكن ظهرت في جو الشعر الميالمي قبل هذا الشاعر الحكيم وان كانت فاشية في اوربا قبل ذلك،[٦٥٦]

ينادي الشاعر الزهرة التي سقطت في الأرض ، و هي عاشت في الأرض كملكة عظيمة ولكن مع أسف شديد ،إنها سقطت في الأرض ، قد جاءها الأجل في ريحان شبابها ، يريد بها الشاعر بأن الحياة في الدنيا فانية لا محالة..

يذكر الشاعر عن أطوار طفولة هذه الزهرة التي ترعرعت في حجر الشتلات في مهد النسيم و رقص الأوراق . وكانت طفولتها نعيمة و حنينة حيث لعبت مع أخواتها النّوار بلا خوف و لاحزن .وتدربت الغناء من الطيور ، وتشدوها عند طلوع الشمس و تعلمت أسرار الكون من النجوم في سماء الليل ،

الآن .. قد وصلت في شبابها بعد زوال طفولتها حيث أشرقت وجهها ، و تجملت خدها حتى أصبحت ابتسامتها نورا ، يعني به الشاعر بتغير أطوار الحياة هذه الزهرة من الطفولة إلى الشباب حيث ظهرت فيها الجمال و روعة الشباب . يتعجب الشاعر بجمالية هذه الزهرة بحسن منظرها وحيث اجتمعت فيها كل ألوان من حسن الكون من البهاء و الروعة و البهجة و الفتنة .

يبين الشاعر عن روعة هذه الزهرة بخيال و أسلوب جميل ، حيث يقول سيقف أمامها كل من ينظر إليها بأشد بهجة و دهشة رغم أنه كان جبانا الذي يفر من الأعداء أو عالما زاهدا . عندما فاح الطيب و الشذا منها فيحا، ينتشر في الجو وقد يشتاق العاشق أن تستخلصها بسبب وحيد لأن أحد غيرها موجود مثل نعتها .

[٦٥٦] الزهرة الساقطة كلمة المترجم

يصف الشاعر أسرار الحب و العشق في هذا الستر حيث يقول لأن هذه الزهرة منفردة في جمالها في أعين العشاق دون الأزهار من نفس نوع ، يقول الشاعر "الجمال و الروعة موجودة في سائر الأزهار من نفس نوعك و لكن جمالكِ و روعتكِ خاصة لكِ التى لا تراها إلا ب عيون العشق" .

و الشبابية مزهرة و إن كان قلّ ، و إن رادف معها الحزن و الهم وهي أجمل فترة الحياة و أروعها . ويقول الشاعر مخاطبا للزهرة الساقطة و يذكّرها عن ريحان شبابها "كم من فراشات جميلات مثلكِ طافت حولك لاستقبالكِ برسائل الحب ؟ و رغم ذلك الجعلان السوداء جائوك يرجو عشقك .

يقول الشاعر "ربما أنتِ تزوجت هذا السيد الجعل العاشق بدون أن تعتبر جمال الفراشات ، لأنكِ اهتمت العشق و المحبة فقط ، ولهذا هو الآن يطوف حولكِ بشدة الحزن و البكاء" .

وقد يصف الشاعر حزن الجعل بفراق هذه الزهرة ، كانا في بداية حياتهما عاشقين، فجأة جاءت هذه الكارثة إلى حياتهما بصورة الموت ، ربما بهذا السبب أنه يطوف حول هذه الجثة الساقطة على الأر ض.

يعد الشاعر أن المنية أمر لازمة و قاطعة التي لا يخلو منها أحد ، وقد قابلها أيضا هذه الزهرة الحنونة ، لم يرحم عليها ملك الموت كما لا يرحم صياد على حمامة أو صقر .

كانت هذه الزهرة فاخرة في حياتها، الآن هي كالصدف خالي من الدر حيث فارقت منها الروح رغم أنها تعيش بعزة و فخر في قلوبنا حتى الآن . بل كل من يبكي و يحزن عندما يذكر محاسنها ، وحسن معاملتها حيث يرثى على أيامها الخالية .

يقول الشاعر :

لم لاطفا وضع التقدير عقد معاليه عليك و لم أفنى باعجال

من ذا بفكر بسر الخلق فالبرره في الأرض _ ماالطوق ؟ آه قل آجال

يسأل الشاعر : "لِم تخطف الدهر عنكِ في الشباب يا زهرة ؟ فإذا فكرنا عن أجوبة هذا السؤال فيظهر أمامنا هذا السر الكوني الذي يعلب دوره في حياة الأبرار ، رُبَّ الأبرار وقعوا في فم المنية في ريحان شبابهم ، فيعتقد الشاعر أنه لم يمنح الدهر للصالحين عمر طويل .

حيث يلاحظ الشاعر فلسفته تجاه الحياة لأن الخير للأبرار أن يرجع من الدنيا بعد تحقيق أهداف الحياة فجأة ، هذا أفضل على ما يعيش بين الفجار الذين كالحجارة الحادة التي تجرحفي أرجل مسافر الليالي ،

يعترف الشاعر عن حقيقة الحياة والموت وحيث يلاحظ كل من عليها فان ، و أجل مسمى ، اليوم لك و غدا لنا ، الجبال المرتفع و البحر العميق لا يقوم أبدا ، و كل يدك دكا في يوم من الأيام .لا يستحق أحد الأبدية .

ويقول الشاعر :

تفني الحوادث و الذرات باقية والروح عندئذ عن جسمها جال

آيضا فيبعث (ذا يقضي كذلك هـ ـهنا المعارف) بعثا وفق أعمال

وكل مخلوق فَانٍ لا يبقى إلا وجه ربك ، الأرواح التي خلوا الأجساد سيرجع إلى الأرض مرة أخرى (كما يعتقد الهندوكية في الرجعة) وتحصدن بما كسبوا من الأعمال . ليس فائدة بالحزن والهم ، ربما يكون الشر خيرا و الخير شرا ، وفي توفيق الله ، سترجع أيتها الزهرة إلى الأرض بروح جديد و جسد بديع ، أو ستطلع غدا في أفق المشرق بعد غروب الشمس اليوم ، أو ستكون عصنا من أعصان شجرة الجنة .

يقول الشاعر :

يا عين عودي فيغدو الآن ذي الزهرة حر قا فذوبا ثرى نسيا باعجال

لو عد هذا مآل الكل ما هو نفـ ـع الدمع ؟ رؤيا حياة الأرض (آه) حالي

يا عين عودي ... سيفني هذه الزهرة في التراب ، وكل كائنات في الأرض هكذا ، فما فائدة بالدمع ؟ وعلينا أن نعترف بأن الحياة الدنيا كالأحلام التي تنتهي فجأة .

الخاتمة

تتميز هذه القصيدة بخصائصها المتنوعة حيث يتلون بأسلوبها و معانيها وجمالها ، و هي تعلمنا فلسفة الحياة و حكمة الموت ، وتفسر خلاصة حياة الدنيا و نعيمها ، وتبين أحوال البشر و أطوار مراحل عمره الفانية ، وتنتهي قصيدته باعتراف حقيقة الحياة و الموت و فناء هذه الدنيا . الدنيا تلاشي حيث يزول كل شخص عظيما أو حقيرا ، كريما أو مجرما . و ينشرهم و يجزيهم بقدر أعمالهم .

المراجع و المصادر

- ✓ **الزهرة الساقطة – أبوبكر مولوي ننمندا – عرفات دار النشر كاليكوت ١٩٨٩**
- ✓ **(11/07/2021)https://variruchi.blogspot.com/2017/11/1-1907.html**
- ✓ **(10/07/2021)https://muslimheritage.in/innermore/86**
- ✓ **https://journals.iugaza.edu.ps/index.php/IUGJHR/article/viewFile/ (1/07/2021)3068/1958**
- ✓ **Veena Poovu Kumaranashan**

إسهامات د. يوسف كوكن
في الأدب العربي وتطويرها

بشنين هدى كى.سي،باحثة الدكتوراه
قسم اللغة العربية وآدابها بكلية فاروق التابعة بجامعة كالكوت

المقدمة

الأستاذ يوسف كوكن يعد من الكتاب المتضلعين باللغة العربية والأردية والفارسية والإنجليزية. لا جدل أنّ هذا الموضوع موضوع ذات قيمة عالية، لأنّ للأستاذ محمد يوسف كوكن العمري إسهامات قيمة وخدمات جليلة في تعليم اللغة العربية وفي تطوير اللغة وآدابها، الأستاذ كوكن له مزايا عديدة وشخصية عبقرية. في اللغة العربية أنه كتب كتبا كثيرة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. وله خدمات قيمة في إنعاش اللغة العربية وآدابها أيضا. وله عدة كتب في الأدب العربي وتاريخيه وفي عناوين أخرى باللغة العربيةالجدير بالذكر هنا كتابه "أعلام النثر و الشعر في العصر العربي الحديث" في ثلاثة أجزاء، إنّ هذا الكتاب لا يزال يلعب دورا هاما في معرفة الأدباء والشعراء بالأدب العربي الحديث، ويساعد طلاب اللغة العربية بالمدارس والكليات العربية والجامعات الهندية في دراسة تاريخ الأدب العربي الحديث. قد رتب الكاتب كتبا كثيرة في هذا الموضوع بأسلوب عجيب، ومنهج سهل يناسب مستوى الطلبة وفطرتهم.

ولادته ونشأته

هو محمد يوسف كوكن بن محمد إبراهيم كوكن ينتمى نسبه إلى النوائط. ولد محمد يوسف كوكن فى الرابع من نفمبر ١٩١٦م، بمنمبور ، على مسافة خمس وخمسين كيلو ميترا من مدينة مدراس (المعروفة بشينای حاليا) كان أبوه محمد إبراهيم فقيها، تلقى منه مبادئ الأردية والتاملية وشيئا من المبادئ الفقهية والحساب. توفي والده عام

١٩٦٨م، وأمه فاطمة بيكم[٦٥٧]، تعلّم منها القران الكريم. وتعلّم الأردية من المدرسة الإبتدائية. وكان خاله أبو صالح محمد عضنفر مدرسا فى جامعة دار السلام بعمر آباد. وبإيعاز منه التحق يوسف كوكن بدار السلام عام ١٩٢٥م. وواصل دراساته هناك نحو ثلاث سنوات. هاجر جده الأكبر زين العابدين كوكن الآركاتى فى القرن الثالث عشر الهجرى مدينة البصرة متجها الهند. واستقروا في ولاية تمل نادو.

للأستاذيوسف كوكن ثلاثة إخوة وثلاث أخوات، وكان الخامس من الأولاد، سافر أخوه الأكبر محمد إسماعيل كوكن إلى باكستان واستوطن فيها، وكان عاملا فى المصرف. وأخوه عبد القادر كوكن أيضايسكن فى باكستان، وأخوه الدكتور عبد الرحمان كوكن أستاذ فى قسم الرياضيات بجامعة نيجيريا، وماتت أخته بعد الزواج.

لميرزق الله الشيخ كوكن أيّ مولود، ولكن الله أعانه على تأليف عدد من الكتب التى ستظل تتلألأ في سماء العالم ما دامت السماوات والأرض بإذن الله، لتكون خير خليفة له بعد وفاته، وقد توفي رحمه الله في ١٦ أكتوبر ١٩٩٥م. فكان حقا من بين الموتى الذي تحت القلوب بذكرهم، ومصداقا لما قالته العرب: "الموت التقى حياتلا نفاد لها ".

الكتب في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

١-القراءة العربية

إن الكتاب "القراءة العربية" الجزء الأول نال قبولا واسعا في الأوساط العلمية الذي رتب للمبتدئين في اللغة العربية سنة ١٩٦٥م، وذلك عندما أحس الأستاذ محمد يوسف كوكن بالحاجة إلى مثل ذلك أثناء تدريسه في جامعة مدراس، أنه حاول لترتيب كتاب سهل في أسلوب جديد رائع يناسب مستوى الطلاب المبتدئين في اللغة العربية حيث بدأ الكتاب بتعليم الحروف العربية مع أقسامها، أحيانا يبتدأ الدرس بطريقة

[٦٥٧] مجلة صوت الأمة، المجلد 47، أكتوبر 2015م.

الأسئلة والأجوبة، فيبتدأ الدرس بالنص مباشرة في موضوع يرغب فيه الطلبة ثم يبين القواعد التي جاءت في نفس الدرس مع التمرينات و التدريبات.

هذا الكتاب بمكان مرموق في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ونال قبولا حسنا لدى الطلبة المبتدئين حتى اختير هذا الكتاب في المقررات الدراسية في المدارس و الكليات[٦٥٨].

٢-القراءة المفيدة

إنّ الأستاذ يوسف كوكن قام بترتيب الكتاب "القراءة المفيدة" بعد ما مضى خمس سنوات على ترتيب الكتاب "القراءة العربية". اختار المؤلف مادة هذا الكتاب على نحو يناسب تطلعات الناشئين الثقافية كما أنه يمثل أدب الأطفال الهادف في صورة الأقصوصة التي استقاها من المصادر التاريخية.

بدأت دروس الأسماء المفردة و التثنية و الجمع ثم توجه إلى إستخدام أسماء الإشارة وأدوات الإستفهام والضمائر المتصلة و المنفصلة. ويبين الفعل الماضي و المضارع من الأفعال الثلاثية المجردة والصحيحة، ويعلم الأفعال الثلاثية المجردة من المهموز وأقسامها وما إلى ذلك. أخيراً أنّه استعمل طريقة المحادثة بين شخصين وهذه الدروس كلها ترغب الطلاب في قراءتها ودراستها حيث يسهل على الطلاب فهم القواعد والأحكام وحفظها بدون صعوبة ولا مشقة[٦٥٩].

التجارة وما يتعلق بها

من إنتاجات الأستاذ محمد يوسف كوكن في مجال تعليم للغة العربية كتاب "التجارة وما يتعلق بها"، وقد قام المؤلف بتأليف هذا الكتاب للطلبة العربية الذين يدرسون التجارة كما ذكر في كتابه "ألفت هذا الكتاب للطلبة العربية الذين يدرسون التجارة و ما يتعلق بها لكي يعملوا في البلاد العربية و المؤسسات التجارية، وفيها مكاتب

[٦٥٨] - محمد بشير كى، محمد يوسف كوكن حياته وآثاره(رسالة أيم.فل)، قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت.

[٦٥٩] - د.جمال الدين الفاروقي وعبد الرحمن محمد الآدرشيري وعبد الرحمن المنغاد، أعلام المؤلفين في البلاد الهندية، 2013م

إعلانات عن الأشياء التجارية لعل الله يفيدهم في حصول المهارة في التحرير العربي و تعبيرات صحيحة من العربية إلى الإنجليزية ومن الإنجليزية إلى العربية [٦٦٠]".

إسهاماته في تطوير اللغة العربية وآدابها

أعلام النثر و الشعر في العصر العربي الحديث

كتب المؤلف الأستاذ كوكن هذا الكتاب "أعلام النثر و الشعر في العصر العربي الحديث" عندما دعي إلى جامعة كاليكوت أستاذا زائرا لإلقاء المحاضرات في قسم اللغة العربية وآدابها عن الأدب العربي الحديث لثلاثة أشهر. فوجد فرصة ثمينة لجمع المعلومات الوافرة، واستفاد من الكتب المختلفة وحصل على مواد كثيرة عن الأدب العربي الحديث خاصة عن الأدباء والشعراء في العصر الحديث، كما ذكر نفسه "فأتيحت لي فرصة ثمينة بأن أطالع الكتب الموجودة في هذه الجامعة وأسجل تراجم الأدباء والشعراء الآخرين من مصر والشام ولبنان والعراق والمهجر وأكمل ما قد كتبت عن بعضهم فألقيت هذه المحاضرات لثلاثة أشهر من ١٥ أكتوبر ١٩٧٩م إلى ١٤ يناير ١٩٨٠م [٦٦١]".

فقدّم هذا الكتاب تصويرا رائعا موجزا لطلاب اللغة العربية الذين كانوا في حاجة ماسة إلى مثل هذا الكتاب باللغة العربية لأنّ الكتب الأردية متوفرة عن الأدب العربي الحديث في شمال الهند و لكن الطلاب في جنوب الهند لا يعرفون اللغة الأردية عامة فهذا الكتاب مفيد جدا لطلاب اللغة العربية في الهند عامة ولطلاب اللغة العربية بجنوب الهند خاصة.

وحاول المؤلف في هذا الكتاب لذكر تاريخ ولادة كبار الأدباء والشعراء من العرب ووفاتهم، وضمن في الجزء الأول ثلاثين أديبا. وقدّم موجز حياتهم وخدماتهم وآثارهم العلمية والأدبية في الأدب العربي الحديث. اعتنى المؤلف أولا في كتابه بالموقف السياسي

[٦٦٠]-محمد يوسف كوكن، التجارة وما يتعلق بها

[٦٦١]-مجمد يوسف كوكن، أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث، 1980م

في الشرق الأوسط في القرنين الآخرين، وأشار إلى سقوط الدولة العباسية في بغداد، وإلى قيام الدولة العثمانية، و فسّر الأحوال الإجتماعية والسياسية في ذلك الوقت، وأشار إلى حياة الأمراء والخلفاء وإلى حكوماتهم التي كانت في بلاد شتى، مثلا الحجاز والسوريا والعراق ومصر وجزيرة العرب والشام و لبنان واليمن غيرها. ثم تكلّم عن تطور الطباعة والصحافة وتاريخ المطبعة في العالم والمطابع العربية وما إلى ذلك. ثم توجه المؤلف إلى الصحافة "فهي من أسس النهضة الأدبية الحديثة و عامل من العوامل في إنتشار اللغه الفصحى، وسبب كبير في تقديم الأبحاث الأدبية والعلمية والسياسية و التاريخية والاقتصادية والاجتماعية إلى عوام الناس في المدن و القرى[٦٦٢]".

وناقش المؤلف الأدباء الذين بذلوا أقصى الجهد لإحياء الصحافة ولنشر الثقافة، وأدوا خدمات جليلة، فمن أوائلهم أديب إسحاق منشئ "جريدة مصر" سنة١٨٧٧م، والشيخ علي يوسف البلصفوري صاحب جريدة "المؤيد" سنة ١٨٨٩م وغيرهم. ثم مال المؤلف إلى النهضة العلمية في عصر محمد علي وخدماته القيّمة في مجال العلم والأدب، وأنشأ مطبعة بولاق سنه١٨٢٢م. وهي التي قامت بإسهامات قيّمة في إحياء اللغة العربية وآدابها بطبع الكتب القديمة والجديدة، وأسس مدرسة الألسن سنة ١٨٣٦م وغيرها من التطورات.

بدأ المؤلف أن يخوض في ترجمة الأدباء والشعراء فقام أولا بترجمة الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي(١٨٠١-١٨٧٢م) وألقى الضوء على حياته النيرة وأعماله العلمية والأدبية وخدماته الجليلة، وعرّف المؤلف هو أول من تولى الترجمة في المدارس المصرية لأنه كان يتقن باللغة العربية بدراسته في جامعة الأزهر، و كان عارفا باللغة الفرنسية أيضا، ويبلغ عدد مؤلفاته تسعة وعشرين مؤلفا ومن أبرزها "تخليص الإبريز في تلخيص باريز". ثم تكلّم عن علي باشا مبارك(١٨٢٣-١٨٩٣م) والشيخ ناصيف اليازجي(١٨٠٠-١٨٧١م) انعطف البحث إلى شخصية مارون النقاش(١٨١٧-١٨٥٥م) مؤسس فن

[٦٦٢]- مجمد يوسف كوكن، أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث، 1980م

التمثيل في اللغة العربية وأشار إلى تأليفه مثل الرواية "البخيل" و هي أول رواية تمثيلية ألفت باللغة العربية والرواية "أبي الحسن المغفل" و"هارون الرشيد". وأتى المؤلف بحياة أمير الشعراء أحمد شوقي(١٨٦٩-١٩٣٢م) الذي كان شاعرا مسلما فخورا بإسلامه، غلبت أشعاره وقصائده العواطف الدينية والشعائر الإسلامية، له كثير من الأشعار في الدفاع عن الدين الإسلامي و في وصف البلاد التي زارها، و في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم. وذكر بعده عن شاعر النيل حافظ إبراهيم (١٨٧٠-١٩٣٢م) و كان شاعرا مصريا، ركّز مواهبه الشعرية على البيئة المصرية. وذكر عن شاعر القطرين خليل مطران(١٨٧٣-١٩٤٩م) كلاما مفصلا في أكثر من أربعين صفحة. و انتهى الجزء الأول من كتابه "أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث" إلى ترجمة أمير البيان شكيب أرسلان(١٨٦٩-١٩٣٦م) الذي كان من أكابر الكتاب و الأدباء و من أعضاء المجمع العلمي العربي.

قام الأستاذ محمد يوسف كوكن من تأليف الجزء الثاني من سلسلة "أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث" وتناولها في الجزء الثاني تسعة وأربعين ترجمة الأدباء والشعراء في العصر الحديث و بعض من العناوين الأدبية التي تتعلق بهذا العصر، وقدّم مباحث عالية من الأدباء والشعراء الذين هاجروا من بلادهم و استوطنوا بأمريكا. بدأ المؤلف كتابه الجزء الثاني بتعريف الأدباء والشعراء من المهجرين الشمالي و الجنوبي وذكر أحوالهم. وانتشرت الأسر العربية في كل بلد من بلدان أمريكا. و كان معظم هؤلاء العرب أميين، ولكن فيهم بعض الأفراد الذين كانوا يرغبون في المحافظة على لغتهم الأم. فأصدر أول جريدة "كوكب الشرق" سنة١٨٨٨م، ثم توالت بعدها جرائد ومجلات تحيي اللغة العربية، وتربط الناس باللغة العربية واشتهر منهم جبران خليل جبران وأمين الريحاني وعبد المسيح حداد وإيليا أبو ماضي و نسيب عريضة وغيرهم. أراد المؤلف لإلقاء الضوء على بعض العناوين المستحدثة في الأدب العربي كالمسرحية والقصة أنه عرّف المسرحية وأصحابها، منهم مارون النقاش

وأخوه تقلي النقاش وأحمد أبو خليل القباني ويعقوب صنوع والشيخ سلامة حجازي وغيرهم. وأنّ مسرحياتهم كانت تعالج المسائل القومية والوطنية والإجتماعية، وعرّف المؤلف القصة العربية القديمة والحديثة أيضا.

إن الأستاذ يوسف كوكن تابع الجزء الثالث لكتابه "أعلام النثر و الشعر في العصر العربي الحديث" وحاول لإضافة تراجم الأدباء حوالي ست وأربعين أديبا مع ذكر خدماتهم بالإيجاز .وأتى المؤلف في ترجمة الدكتور طه حسين(١٨٨٩-١٩٧٣م) و آراء موافقيه ومخالفيه، ويبدأ المؤلف الجزء الثالث بترجمة أحمد لطفي السيد وينتهي إلى ترجمة الدكتور شوقي ضيف.

ثم اهتم المؤلف بترجمة الشيخ حسن البناء الذي كان جاهدا لإقامة الحكومة على المنهج الإسلامي، وبعده انتبه إلى سيد قطب الذي ألف تفسير الشهير للقران الكريم باسم "في ظلال القران"، ثم صرف العناية بعده إلى نازك الملائكة، وختم المؤلف الجزء الثالث بذكر الدكتور شوقي ضيف الذي كان ناقدا كبيرا في الأدب العربي الحديث، و كان للاستاذ يوسف كوكن علاقة شخصية عميقة بالدكتور شوقي ضيف لأنه كان أستاذ ا ومشرفا له عندما التحق بجامعة القاهرة. هكذا انتهى الجزء الثالث من هذا الكتاب و كان المؤلف يتمنى متابعة الجزء الرابع ولكنه لم يوفق.

العرب وآدابهم

ألف كوكن كتاب "العرب وآدابهم" في جزأين لأجل سدّ الفراغ المتواجد في الجامعات الهندية و الكليات العربية والمدارس الإسلامية خاصة في مدراس وكيرلا، حيث استطاع من خلال إطلاعه الواسع أن يدرك الحقيقة الكامنة في عدم معرفة الطلاب وخاصة في جنوب الهند عن تاريخ العرب وآدابهم لعدم وجود كتاب حول الموضوع في متناول اليد. فشمر عن ساعديه، وبدأ بإعداد هذا الكتاب حول تاريخ العرب من العصر الجاهلي وحتى العصر الأموي، الذي اشتمل على أحوالهم وغزواتهم وفتوحاتهم وآدابهم وما الى ذلك. هكذا أصبح هذا الكتاب يعتبر حقًا بمثابة كتاب

يحتوي على معلومات قيمة و يجمع بين دفتيه كل ما يحتاج اليه الطالب والباحث من معلومات حول العرب وأدبهم بشكل عام[٦٦٣].

وقد قدّم كوكن الجزء الأول سنة ١٩٦٦م ثم نشر الجزء الثاني بعد خمسة أشهر في نفس السنة. اهتم المؤلف بالجزء الأول وقسّمه إلى أربعة أبواب، ثم أتى بعناوين متعلقة بهذا الباب، وبيّن هذه العناوين بشيء من التفصيل و التطويل بحسب الحاجة. ابتدأ الباب الأول بعنوان "العرب قبل الاسلام" وعرّف جزيرة العرب والدول والقبائل العربية والحروب الطويلة التي جرت بين القبائل مثل حرب البسوس وحرب داحس و غبراء. ثم قدم البحث القيم عن اللغة العربية وإختلاف لهجة العرب في اليمن و الحجاز ونجد، ومميزاتها.

وفي الباب الثاني بحث المؤلف عن "الشعر والشعراء في العهد الجاهلي"، وجرت المناقشة عن الشعر وتأثيره في نفوس العرب ومكانة الشاعر عندهم، وبيّن أصحاب المعلقات والشعراء الصعاليك وغيرهم. قد بدأ الباب الثالث بعنوان "البعثة النبوية" ثم "أديان العرب" و"بداية الإسلام"، وجاء بذكر الغزوات و أسبابها في عهد النبي صلى الله عليه و سلم. وفي الباب الرابع بعنوان "الأدب والشعر في عهد النبي ﷺ" وبيّن فيه القرآن والسنة وتأثير العرب بأسلوب القران وبلاغته[٦٦٤].

وفي الجزء الثاني اختار المؤلف نفس المنهج، وتناول الباب الأول بعنوان "عصر الراشدين"أما الثاني "الأدب والشعر في عهد الراشدين"، ثم توجه إلى "العصر الأموي" وتناول العنوان "الأدب والشعر والثقافة في العصر الأموي" وأخيراً تناول المؤلف بعض العناوين الدينية التي تتعلق في العلوم الاسلامية والعلوم الداخلية، وهكذا انتهى الكتاب.

الأبيات المقدسة

[٦٦٣]- مجلة ثقافة الهند، المجلد66، أكتوبر-ديسمبر2015م

[٦٦٤]- د.جمال الدين الفاروقي وعبد الرحمن محمد الآدرشيري وعبد الرحمن المنغاد، أعلام المؤلفين في البلاد الهندية، 2013م

إن الأستاذ محمد يوسف كوكن ألّف كثيرا من الكتب في اللغة العربية حول عناوين شتى بأساليب سهلة لتسهل على الطلاب قراءتها ودراستها، عندما طلب من الأستاذ كوكن بعض أصدقائه ترجمة هذا الكتاب ولم يتجرأ أولا بسبب عدم إتقانه بلغته المحلية التاملية رغم أنه كان من أهلها فساعده بعض إخوانه الصادقين فأثبت الترجمة بعد المقارنة بالتراجم الإنجليزية والأردية. فعرب كوكن الكتاب "تروكورال(Thirukural)"هذه لطائف حكيم فيلسوف في لغة تاميل، يعتقد أنه عاش في القرن الثاني قبل الميلاد في تامل نادو، وتعرف مجموعة إفادته ب"تركورل" يعني "الأبيات المقدسة". ويحتوي هذا الكتاب على نصائح طيبة ولطائف حسنة تؤثر في النفوس توقد مجامر القلوب. وقد قام الأستاذ كوكن بترجمته إلى العربية بعنوان "الأبيات المقدسة" والكتاب يتناول موضوعات روحية وإلهية موزعة على ثلاثة أقسام، من العادات و التقاليد والعلوم الجنسية، وفيه ١٣٣٠ بيتا، ومنها "الحكيم العاقل ينفق ثروته في مصالح الناس ولا يخاف من انقطاعها، فهي كمثل ينبوع لا ينفد ماءه[٦٦٥]".

الخاتمة

يعد الأستاذ محمد يوسف كوكن العمري من الأعلام الأفذاد في القرن العشرين بالهند الذين قاموا في ترويج اللغة العربية وآدابها. إنه بذل جهوده الجبارة في انعاش اللغة العربية وإحياءها وتطوير دراستها وآدابها رغم أنه كان متقنا باللغات الأردية والإنجليزية والفارسية والهندية والتاملية. وامتازت شخصيته بين معاصريه بالهند في ميدان الدراسات العربية وتاريخ آدابها الجميلة. لا شك في أنه عالم ألمعي ذو ثقافة واسعة، استخدم مؤهلاته العلمية وصلاحياته اللغوية تجاه الدين والدعوة إليه، وإزالة الشكوك والشبهات حول الإسلام التي توجه إليه من قبل المسيحيين والهنادك. وكان مستعدا لهم في كل وقت.

[٦٦٥] - د.جمال الدين الفاروقي وعبد الرحمن محمد الآدرشيري وعبد الرحمن المنغاد، أعلام المؤلفين في البلاد الهندية، 2013م

كانت حياته حياة متحركة بالنشاطات العلمية والأدبية والدينية والدعوية والإصلاحية والإجتماعية. لا جدال في أنّه كان متقدما عن الآخرين في زمنه، لأنه لعب دورا كبيرا في اللغات الأربعة. كانللسيد سليمان الندوي ومجمعه دار المصنفين في تكوين شخصية كوكن كاتبا ومؤلفا ومصنفا ومحققا وعالما كبيرا.

المصادروالمراجع

- ✓ أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند، المجمع الإسلامي العلمي ندوة العلماء،
- ✓ أحمد زبيرك.م.ع، الشيخ صدقة الله القاهري:شاعرا عربيا هنديا، (كتاب إلكتروني).
- ✓ د.جمال الدين الفاروقي وعبد الرحمن محمد الآدرشيري وعبد الرحمن المنغاد، أعلام الأدب العربي في الهند، ط١، مكتبة الهدى كاليكوت، كيرلا، الهند،٢٠٠٨م.
- ✓ د.جمال الدين الفاروقي أعلام المؤلفين في البلاد الهندية، قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية، ط١، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ٢٠١٣م.
- ✓ محمد بشيركى، محمد يوسف كوكن العبقري الكبير في جنوب الهند، مطبعة كى ايم للطباعة والنشر،كندوتي، كيرلا،١٩٩٨م.
- ✓ محمد بشيركى،محمد يوسف كوكن حياته وآثاره (رسالة أيم.فل)،قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت.
- ✓ محمد يوسف كوكن العمري،أعلام النثروالشعرفي العصر العربي الحديث، دارحافظة للطباعة والنشر، مدراس، ١٩٨٠م.
- ✓ محمد يوسف كوكن العمري، التجارة وما يتعلقها، دارحافظة للطباعة والنشر، مدراس المجلات العربية
- ✓ مجلة البعث الإسلامي، المجلد٥٧، سبتمبر٢٠١١م، مؤسسة الصحافة والنشر، لكناؤ.
- ✓ مجلة ثقافة الهند، المجلد٦٦، العدد٤، أكتوبر-ديسمبر٢٠١٥م، مجلة علمية ثقافية المجالس الهندي للعلاقات الثقافية، آزاد بهوان، نيودلهي(ص:٩٩-١١١).
- ✓ مجلة صوت الأمة، المجلد ٤٧، أكتوبر٢٠١٥م،مجلة شهرية إسلامية أدبية، تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس(ص:٤٣-٥١).
- ✓ مجلة كاليكوت، المجلد الثالث،العدد الثاني، يناير٢٠١٣م، مجلة ربع سنوية، تصدر عن قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت، كيرلا، الهند(ص:١٠١-١١٩).

إسهامات ظفر أحمد العثماني
في الشعر العربي

أحمر غني ،باحث الدكتوراه
جامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي

ملخص البحث

بدأت سلسلة المدائح النبوية من حياة الرسول الكريم ﷺ، ويرجع الفضل إلى عم الرسول الكريم أبي طالب لأنه أول من قال الشعر في المدح النبوي[٦٦٦]، قد جمع حسان بن ثابت ﷺ ثروة شعرية في المدح النبوي دفاعا عن الرسول الكريم، وبهذا السبب قد اشتهر بـ "شاعر الرسول" في أوساط الناس[٦٦٧]، وهكذا اشتملت سلسلة المدائح النبوية على أكثر من أربعة عشر قرنا وتستمر إلى يومنا هذا.

وبعد وصول العرب إلى الهند وتعارف سكان الهند بالإسلام واعتناقهم، وبسبب إقامة علاقة دينية باللغة العربية، قد نال مسلمو الهند في صنف المدح النبوي نفس الشهرة كما نالوا في الأصناف الأخرى من اللغة العربية وآدابها. يحاول هذا البحث للإطلاع إلى شخصية الشيخ ظفر أحمد عثماني وإلى أعماله الأدبية لا سيما إلى المدائح النبوية من أشعاره

المقدمة

كان الشعراء الهنود يفتخرون بتكريمهم للرسول الكريم ﷺ، حيث اعتبروا المدح النبوي من فلاح الدنيا والآخرة، وبالتالي، فإن الشعراء الهنود في الفترة المبكرة، هم هارون بن موسى الملتاني وأفلاح بن يسار الملقب بـ أبو عطاء السندي، أبو الضلع

[٦٦٦]. الشيخ عبد الله عباس الندوي، "أشعار المدح في العربية"، مكتبة الإسلام، لكناؤ، عام ١٩٧٥م، ص ٣٣.
[٦٦٧]. نقوش، عدد خاص للسيرة النبوية، لاهور، يناير، ١٩٨٤م، ص ١٢٤.

السندي وغيرهم الشعراء الهنود القدامى، ففي أشعارهم يظهر لون المدح النبوي بوفرة.[٦٦٨]

تلقت القصائد النبوية للشيخ محمد قاسم النانوتوي، والشيخ أنور شاه الكشميري، والشيخ ذو الفقار علي الديوبندي، والشيخ حبيب الرحمن العثماني (رحمهم الله تعالى) شهرة كبيرة، وبالأخص قصيدة الشيخ حبيب الرحمن العثماني "لامية المعجزات" تعد درة نادرة في سلاسة اللسان وبلاغة البيان.[٦٦٩]

ومن هذه السلسلة الشيخ ظفر أحمد العثماني، الذي قدم أشعارا في مدح النبي متأثرا بحب الرسول بإخلاص ومحبة، وهذه الأشعار حظيت بقبول حسن في الأوساط العلميةواشتهرت في الجمهور أيضا بالتشبيهات النادرة والاستعارات الجميلة والموضوعات المختلفة.

نشأته وولادته

ولد الشيخ ظفر أحمد العثماني بن الشيخ لطيف أحمد في ١٣ ربيع الأول عام ١٣١٠هـ، الموافق ٥ أكتوبر ١٨٩٢م في ديوبند، توفيت أمه وهو ابن إثنين ونصف سنة من عمره، ولما بلغ سبعة من عمره بدأ قرأة القرآن ناظرا على الحافظ "نامدار" في دارالعلوم ديوبند وتعلم كتب اللغة الفارسية من الشيخ محمد ياسين الديوبندي والد الشيخ شفيع أحمد العثماني.[٦٧٠] انتقل إلى جوار رحمة الله صباح يوم السبت في مدينة كراتشي ٢٢ ذيقعدة عام ١٣٩٤هـ/ الموافق ٨ ديسمبر عام ١٩٧٤م، ودفن في قرية بابوش نغر بمدينة ناظم آباد.[٦٧١]

كانت للشيخ ظفر أحمد علاقة طبيعية بالشعر والأدب العربي، ومنذ الطفولة، كان مولعا بالشعر العربي، وعندما كان يدرس الكتب العربية الابتدائية مثل نحو مير،

"الشعر العربي في الهند"مقالة البحث، حامد علي خان، غير مطبوعة، مكتبة مولانا آزاد، علي جراه، ١٩٦٢م.

[٦٦٩]. أنظر إلى "دائرة المعارف الإسلامية" ج ٢٢، ص ٤٠٠.

[٦٧٠]. مفتي محمد شفيع عثماني، "جند عظيم شخصيات"، كتب خانة نعيمية ديوبند،١٩٩٧م، ص٣٨.

[٦٧١].عبد الشكور الترمذي، "تذكرة الظفر"، مطبوعات علمي كماليات، باكستان، ص ٤٥.

وما إلى ذلك (لم يتجاوز عمره اثني أو ثلاثة عشر عامًا آنذاك)، كتب رسالة إلى أحد معارفيه معذرة عن عدم الزيارة بلغة شعرية مثل هذا:

أنا ما رأيتك من زمن فازداد في قلبي الشجن [٦٧٢]

كان الشيخ العثماني يمتلك قدرة فائقة على تأليف الشعر العربي منذ سن مبكر، وإذا قلنا عن هذه المهارات والقدارت بأنها طبيعية، فلا مبالغة فيه، وبما أن الثروة الشعرية العربية للشيخ العثماني لم تكن في شكل ديوان، لذا لم تشتهركما كان يستحقها، ولكن قصائده ومراثيه التي طبعت قد نالت شهرة واسعة في الأوساط الأكاديمية، وهذا يدل على أن الأعمال الشعربة للشيخ العثماني أصلا كانت في مقدار وافر ولكنه كان يحاول إخفاءها بسبب اجتنابه عن السمعة والشهرة وطبيعته المتقلبة.

لقيت قصائده في مدح رسول الله ﷺ "نور على نور" و"وسيلة الظفر" قبولا حسنا في عامة الناس والخواص وطبعت قصيدة "وسيلة الظفر"من مطبعة المركز الأكاديمي الشهير آنذاك، "المعارف" أعظم جراه، وهذا دليل على كونها علمية وأدبية.[٦٧٣]نستعرض هنا قصيدة "وسيلة الظفر"للشيخ العثماني،وقبل بدء استعراضها،نقدم لمحةخاطفة للشعراء الهنود حتى يتم مراجعة مواضيع أشعاره فنيا بسهولة.

قصيدة "وسيلة الظفر"

تحتوي هذه القصيدة للشيخ ظفر أحمد العثماني على 193 بيتا، ومعظم مواضيعها هي حب الرسول وأخلاقه الحميدة وقصص القرآن، والنصائح

[٦٧٢]. نفس المرجع، ص ٦١.

[٦٧٣]. الشيخ ظفر أحمد العثماني، "وسيلة الظفر"، مطبع معارف، أعظم جراه، عام ١٣٦٣هـ.

والوعظ،وزوال الدنيا وعدم البكاء في المصائب، ولكن بسبب تغير الأسلوب قد نشأ فيها الابتكار والجمال، وحسب العادة، تبدأ هذه القصيدة أيضًا بالتشبيب هكذا:

ما للظلام تبدلت بالنور ما للزمان أتى بكل حبور
هل لاح نجم في مطالع صور م أونست نار بجانب طور[٦٧٤]
أو أومض البرق العقيق بحاجر فتلألأت منها جبال حضير
أو أسفرت عن وجهها بدرية أمطرت فؤادي ليلة بضفير
دع عنك ذكر سعاد والزمن الذي مني مضى في حب ذات خدور
فمتاعه وسروره وحبوره يفنى ولو في مدة وشهور

وعلى النحو الذي أشاد الشيخ العثماني بالنبي الكريم ﷺ في القصيدة أعلاه، فهي تتسم بلون المدح من جهة، وتشمل كنز النصائح والوعظ من جهة أخرى، وبالأخص، زوال الدنيا وعدم البكاء في الهموم والأحزان والمصائب التي بينها الشيخ العثماني فهو منقطع النظير.

و في الأبيات التالية، قد أورد ذكر زيارة النبي الكريم إلى المدينة المنورة والمناظر الخلابة والجميلة للمدينة المنورة بطريقة نادرة، حيث قدم قداسة المدينة المنورة في التلميح القرآني بطريقة حديثة:

بجوار أحمد خير من وطي الثرى وأجل من في الأرض من مقبور
أني أطلعت على معالم طيبة وشممت ريح جنابها المعطر
بلد يحل به المطيب طيب وبه تزول هموم كل ضجور

وبعد ذلك، سلط الشيخ العثماني الضوء على سيرة النبي ﷺ وأولى اهتمامًا خاصًا بالأخلاق الحميدة والجميلة للنبي ﷺ:

نفسي وما بيدي فداه فإنه أصل الخلائق مركز التدوير

[٦٧٤] .الشيخ ظفر أحمد العثماني، "وسيلة الظفر"، مطبع معارف، أعظم جراه، عام ١٣٦٣هـ ص ٣٠.

لولاه لم تكن السماء وأرضها كلا ولا روح بتلك الصور
هو سيد رسل الكرام أمامهم وله لواء الحمد يوم نشور
قد كان آية ربه في الخلق والخلق العظيم ملاك كل أمور[٦٧٥]

ومن هنا، انتقل ذهن الشيخ العثماني إلى الظروف التي ولد فيها النبي ﷺ ولا يخفى على أحد أن ذلك الزمان قد تفشى فيه الجهل، وقد انقطعت سلسلة الخير والمعروف، فقد ذكر الشيخ العثماني تلك الأحوال كلها بطريقة فنية للغاية، إلى جانب العيوب الاجتماعية للعرب في ذلك العهد على سبيل المثال: نقض العهد، وخيانة الأمانة، ووأد البنات، وعبادة الأصنام وغيرها والتي كانت عيوبا لا تُغتفر ووصمات عار على جبين الإنسانية، لذلك ذكرها الشيخ ظفر أحمد العثماني على وجه التحديد:

قد جاءنا والناس في ظلماتهم والجهل قائدهم لكل فجور
مرجت عهودهم وضاع أمانهم والظلم شيمة تابع وخفير
وأدوا البنات فيالها من قسوة كادت تخر لها جبال ثبير
عبدوا الحجارة من سفاهة رأيهم وصبوا إلى حب النساء الخور

ثم ذكر الشيخ العثماني بالتفصيل التغيرات التي حدثت في أعقاب بعثة النبي ﷺ في الأبيات التالية:

بمحمد إنسان عين محامد وأجل من قد جاءنا بزبور
أحياء به الأرض الموات فأصبحت مخضرة الأكناف ذات عطور
قد سمعت كلماته صم الهوى وبوجهه انفتحت عيون العور

إن الأذى وسوء المعاملة الذي عانى منه النبي ﷺ والمؤمنين من قبل قريش مكة فهو أسوأ مرحلة في التاريخ، ومع ذلك قد أظهر النبي مروءته وشخصيته وأرشدهم بكل

[٦٧٥] .نفس المرجع، ص ٤.

الطرق، قد يندر مثاله، وفي البيتين الأخيرين، ذكر الشيخ العثماني لجوء النبي إلى الكهف عند الهجرة، وبحث الأعداء عنه ونسج العنكبوت شبكة في فوهة الكهف، ثم أورد في الأبيات التالية بعض المعجزات ونصرة الله الخاصة في غزوة بدر وعلامات النوايا الحسنة للنبي ﷺ عشية فتح مكة بإشارة:

والبيت يعرف حين طهره	من الأصنام بالتوحيد والتكبير
وكذلك الجمرات تعرف رميه	والركن يعرف لثمه بفرير
وكذلك الأشجار تعرف أمره	فأنت تشق الأرض ذات فهور
جاء الملائكة الكرام لنصره	في يوم بدر بالعلاء شهير[٦٧٦]

وفي سياق تغير هذه الظروف، قام رسول الله بعمل استثنائي، ومن خلال هذه الخدمات، قد تمت تغطية العديد من جوانب شخصيته العظيمة من طرق متعددة:

عجبا لرحمته على أعدائه	ولعفوه عن خصمه المقهور
فلقد عفا عن قدرة عمن طغى	وبغى عليه وسامه بفطير
فأولئك الطلقاء من علهم	كرما فأسلم كلهم بشكور
أ رأيت في الدنيا يتيما مثله	ملك القلوب بهكذا التسخير

وكرامة النبي ﷺ وسخائه وعفوه وشخصيته الكريمة التي أفادت البشرية كلها، فلم يقدم الزمان مثالها حتى اليوم، قام الشيخ العثماني بتصوير هذه الأحوال في الأشعار التالية.

لم يكن أحد ندا للنبي ﷺ في الحسن والجمال والعادات والأخلاق، وفي الأبياتالتالية، أحاط الشيخ العثماني الأعمال الروتينية للنبي مع واقعة المعراج وأيضا ذكر نزول الوحي مع القصيدة الشهيرة للشيخ السعدي:

[٦٧٦] .نفس المرجع، ص ٦.

بلغى العلى بكماله كشف الدجى بجماله
حسنت جميع خصاله صلوا عليه وآله

ثم دمجها في شعر واحد في أسلوبه:

وبحسنه وبجماله وكماله وخصاله وسخائه الموفور
فتراه إذ ما جئته مبتسما متهللا كالبدر في التنوير

وبعد هذه الأبيات، قد وصف خصائص الصحابة الكرام رضي الله عنهم بطريقة جيدة:

وبدت صحابته نجوما للهدى في كل ناحية وكل ضفير
منهم أبو بكر أمام أولى التقى بفراسة ورزانة التفكير
ما كان أثبته لكل مهمة كادت تزول لها ذوات صخور
من كان يعبد أحمدا فوربكم مات الحبيب ولات حين نكير
من كان يعبد ربه فهو الإله الواحد القيوم خير نصير

إن أبا بكر الصديق ﷺ هو الخليفة الأول، لذلك تم ذكر الأشعار في منقبته أولا حسب الترتيب، ثم جاء بيان منقبة الخليفة الثاني عمر الفاروق ﷺ في الشعر الآتي:

ثم الخليفة بعده عمر الذي فتح البلاد وكان خير أمير
وأشدهم في الله أطوعهم له قرما هما ما رغم كل فجور
ليث النهار وراهبا في ليلة لم ينخدع أبدا لدار غرور
فاق الملوك بعدله وبفضله وبعلمه بسياسة التدبير
أهل السياسة كلهم تبع له فيما أتى من أعدل الدستور

ثم، قدم الشيخ العثماني أشعارا في منقبة عثمان الغني ﷺ، بناء على العلاقة العرقية منه فخرا:

ثم الخليفة بعده جدى الذي فاق الورى بحيائه المشهور
عثمان ذو النورين أفضل موسر ساس الخلائق في خصال فقير

لم يرض لما حاصروه بداره ظلما بشق عصاهم المسمور

وبالمثل، أشاد الشيخ العثماني بعلي بن أبي طالب ﷺ، وأشار إلى الحديث الشهير "أنا مدينة العلم وعلي بابها" بطريقة بلاغية:

زان الخلافة بعده علم الهدى بطل الوغى حلال كل عسير

أعنى عليا خير باب مدينة العلم الذي هو منبع التفسير

أسد الإله وسيفه المسلول في ميدان خيبر في أجل ظهور

وبعد ذلك، أنثى الشيخ العثماني على الحسن والحسين ﷺ وقدم أشعارا من التقدير والاحترام بطريقة تذكر قداسة أهل البيت وتعليقًا قصيرا وجامعا للفظائع المروعة لحادثة كربلاء:

ثم ابنه الحسن الرضي المجتبى غوث الأنام بكل يوم ثبور

قد أصلح الله العظيم بوجهه بين الفئام قد أشرفوا الدمور

والله طهرهم واذهب رجسهم أهل النبي بأحسن التطهير

تبا لمن قتل ابن بنت نبينا تبا له من ظالم ختير

وإشارة إلى الظروف المؤلمة التي وقعت إثر حادثة كربلاء ومحاولة بعض المنافقين الذين قاموا بإلحاق الضرر في بيئة الحب والاتحاد بطبيعتهم الخبيثة في هذه الأحوال، قال الشيخ العثماني هكذا:

حق له أن لا يبايع كل من عبد الهوى وأطاع أمر غدور

من كان مركبه النبي وظهره تبا لهم تركوه رهن قتير

يا حسين لا تبعد فذكرك خالد والذكر للإنسان خير عمور

وبعد هذا، ينتقل الشيخ إلى مدح الرسول ﷺ، ويقول أشعارا في مدح النبي ﷺ:

ختم الرسالة أنت آخر لبنة في قصرها فعلا جميع قصور

قد كان في قصر النبوة خلة سدت بوجهك يا أجل نذير

أنت الذي أدبت قومك بعدما كانوا أضل بمهمه كبعير

إن الذين يبايعونك إنما قد بايعوا الله بغير نكور[٦٧٧]

ترتبط نهاية القصيدة برغبات الشاعر ومطالبه، حيث يدعو الشيخ العثماني، بصفته كمؤمن حقيقي، لنفسه ووالديه وأهله وعائلته بواسطة أوصاف رسول الله العالية:

هذا الفخار ولا فخار مثله واهاله علما على التوقير
بأبي فلانك راضيا حتى ترى ان قد ظفرت بجنة ونهور
وكذلك آبائي وكل عشيرتي وأحبتي من أقرب وشطير
بأبي فلا تحرم نوالك قاصدا يرجو رضاك بغيبة وحضور
بأبي فإنك لم تخيب سائلا أبدا وأنت كزاخر مسجور

وبالإضافة إلى طلب العفو الخاص به، فقد أشاد الشيخ العثماني بالمحدثين الكرام وأيضًا بأولئك الذين أدوا الخدمات المتعلقة بالأحاديث، وهؤلاء الناس على الرغم من كونهم الناطقين باللغة الهندية لا يقلون في إبداء آرائهم عن الشعراء العرب الشهيرة مثل الفرزدق [٦٧٨](15) وجرير [٦٧٩](16):

خير الكلام كلام أحمد بعدم أوحى الإله بنظمه في السور
طوبى لحفاظ الحديث ومرحبا بالناظمين لدره المنثور
والجامعين صحيحة وقوية ولما تواتر منه والشهور
والناقدين سليمه وسقيمه والنابذين لمفترى بالزور
إني وإن كانت بهند نشأتي فالشعر شعر فرزدق وجرير

[٦٧٧] .نفس المرجع، ص ١٤.

[٦٧٨] . أبو فراس همام بن غالب المعروف بـ الفرزدق، ولد في بصرة، كان شاعرا كبيرا في زمن بني أمية، جرير كان معاصره، راجع للتفصيل: ديوان الفرزدق مع شرح أستاد علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٥-٨.

[٦٧٩] . جرير بن عطية الخطفي، ولد في يمامة، كانت له يد طولي في الشعر العربي، راجع للتفصيل: شرح ديوان جرير، محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، دار الأندلس، بيروت، ص ٧٢.

الجزء الأخير من القصيدة هو الدعاء، يقدم الشاعر في هذا الجزء صلاته إلى الله تعالى بحيث يمكن تقدير مشاعر الشاعر وأحاسيسه وأحواله الباطنية:

يا ربنا ارحمنا بحق نبينا	واغفر خطايانا وكل أطير
وتقبل الأعمال وارض قصيدتي	واجبر بها يا رب كل كسورى
واكشف بها كربى وضع عني بها	وزرى فانك رب خير غفورى
يا رب فارزقني الفلاح ونجني	يوم القيامة من عذاب سعير
واجعل لنا في دار قربك منزلا	حسنا وانك رب خير قدير

ومع الدعاء، انتقل ذهن الشيخ العثماني نحو صلاة النبي، فأكمل القصيدة بذكر النبي ﷺ، وأصحابه، وأسرته، والأئمة، والعلماء، والفقهاء، وكذلك عائلته وأقاربه هكذا:

يا رب صل على النبي وآله	بتحية تربو مياه بحور
وعلى صحابته الكرام وأهلهم	ما افترت الأزهار بالباكور
وعلى أئمتنا الذين تفقهوا	في الدين ما هب الصبا بدبور
والعالمين العاملين بعلمهم	ما غنت الأطيار بين شجير

قد اتضح من هذه الأمثلة أنه كانت للشيخ العثماني قدرة فائقة بشأن موضوعات القرآن، واستخدمها في أشعاره بصورة منظمة، وبالإضافة إلى ذلك، هناك العديد من الأمثلة للطريقة التي دمج الشيخ العثماني المفاهيم القرآنية في الأشعار، والتي لن يخلو ذكرها عن الطول، وبالمثل، بذل الشيخ العثماني جهودا كثيرة لدمج مفاهيم الأحاديث في العديد من الأبيات، وقصائد الشيخ هذه تتسم ببعض الخصائص والسمات المميزة الأخرى، وأنها تحتوي على معلومات تاريخية وكذلك المعلومات الجغرافية.

الخاتمة

وخلاصة القول إن القصائد النبوية للشيخ العثماني تدخر بأمواج الحب والإخلاص من جهة، ومن جهة أخرى قد قام الشيخ بتعريف العلم والأدب، وقام

بمحاولة ناجحة لتطهير أشعاره بكلمات القرآن الكريم، وفي هذا الصدد، تمشيا مع المبادئ الفنية للشعر، صنع هذه القصائد مرجعا علميا للقرآن الكريم والحديث النبوي، والتاريخ والأدب، والسير الذاتية وسيرة النبي والتي تستحق الذكر. وهذا يدل على أن الشيخ العثماني كان واحدا من فحول الشعراء الهنود في المدائح النبوية، والذي كان يمتلك يدا طولى في المدح النبوي.

المصادروالمراجع

١- مفتي محمد شفيع عثماني، "جند عظيم شخصيات"، كتب خانة نعيمية ديوبند،١٩٩٧م.
٢- عبد الشكور الترمذي، "تذكرة الظفر"، مطبوعات علمي كماليات، باكستان ١٩٧٧م.
٣- الشيخ ظفر أحمد العثماني، "وسيلة الظفر"، مطبع معارف، أعظم جراه، عام ١٣٦٣هـ.
٤- الشيخ عبد الله عباس الندوي، "أشعار المدح في العربية"مكتبة الإسلام، لكناؤ١٩٧٥م.
٥- نقوش، عدد خاص للسيرة النبوية، لاهور، يناير، ١٩٨٤م.
٦- دائر المعارف الإسلامية، رتبه دانشكاه بنجاب، طبعت من لاهور، ج ٨، ١٩، ٢٠، ٢٢،عام ١٩٧٣م.
٧- ديوان الفرزدق مع شرح استاد علي فاعور، طبع من بيروت، عام ١٩٨٧م.
٨- شرح ديوان جرير، محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، طبع من بيروت.
٩- المفتي محمد شفيع، "بعض من الشخصيات الكبار"، طبع من ديوبند، عام ١٩٩٧م.
١٠-السيد سليمان الندوي، "العلاقات بين الهند والعرب"، طبع من أعظم جراه، ١٩٧٩م.
١١-مجلة "المعارف" الشهرية الصادرة من أعظم جراه.
١٢-مجلة "النقوش" الشهرية الصادرة من لاهور، عدد حاض للسيرة النبوية، ج ١٠.

إسهامات الدكتور ضياءالرحمن الأعظمي في الادب العربي المعاصر

ساجد كى، باحث الدكتوراه
قسم اللغة العربية بجامعت كالكوت، كيرالا

ملخص البحث

الهند دولة قد تشرفت بالفعاليات الإسلامية الحية. وانتجت علماء عباقر المشهورين في مجال دراسة الاسلامي والادبي واللغوي خاصة في مجال دراسة القران والحديث والفقة والتصوف.وقد لا تزال بالعجب والترحال.وبالنسبة الى العلم الحديث ,نعد العلامة الدكتور ضياء الرحمن الأعظمي المتوفي ١٤٤١هـ الى العلماء الاسلامي الهندى الذين لعبوا دورا هاما في فن الحديث.قد سمعنا فراقا لهذا العبقري الاسلامي في يوم عرفة الماضية في تراب المدينة المنورة في سنة ١٤٤١هـ الموفق ٢٠٢٠ يوليوا ٣١م بتوقيت الهند.وقد لعب دورا بارزا في تطوير اللغة وأدبها العربي بالهند. وانتقل الى الله تعالى بترك اكثر من عشرين كتب الى ايادى ذي القراءة والتفكير. والدراسة والتحقيق.رحمه الله تعالى وغفر له وأسكنه فسيح جناته. هدف هذه الورقة الرحلة البحثية الى الدكتور الأعظمي الأدبية والفردية.ويدور على اثره العلمية والادبية واللغوية.

المقدمة

الهند تراب العلم والرفعة وتراث دراسة دين الاسلام والحديث وثقافتها التي انجبت عباقر الرافعين والذكاء الرقيين. منذ القدم , هناك عديد من العلماء والكتاب

الاسلامي التي لا تحصى, في هذه البلاد ,ذات راماين ومهابهارات وتستمر هذه الرحلة الى الان بنشاط قوية وتيارات شدة.قد ملأ إناء الأدب العربى الهندي بغزير اثريات الأدباء والكتاب بين شاه ولي الله المحدث الدهلوي المتوفي سنة ١٨٠٣م وعلي ميان ابو الحسن على الندوي المتوفي ١٩٩٠م.نقول بالعجبية, لا تزال تجري هذا الإناء بإستمرار الحيوية في القرن الإحدى وعشرين ايضا بالهند.لا شك, قد عد الاسم العلامة الدكتور ضياء الرحمن الأعظمي المتوفي سنة ١٤٤١ هـ الموافق ٢٠٢٠م الى الاسماء العلماء الهند الذين ساهموا مساهمة عالية في ترقية علوم الإسلام ولغة القرأن.وكان حياته ذا عجبة وعجمى,يعني من الحياة الهندوكي والى الممات المسلمة. ومن الحياة في الهند الى الممات في المدينة المنورة.رحمه الله.نتحدث عنه بالعمق.

ولادته ورحلة الى الدين الحنيف

[٦٨٠]وضع الحق العلامة الأعظمي,ابي احمد محمد عبد الله الأعظمي, في بيت [٦٨١]البراهمة الهندوكي باسم "بانكيرام" عام ١٩٤٣م في بلدة بلرياغنج بمديرية اعظم كره في شمال الهند.ونشأ في ارض غنغا وجبل هيماليا وترعرع على بساط الارض الالهة.منذ طفولته, وكان يفكر عن المشاكل الالهة في دين الهندوكي ويحلل المشاكلة بذكائه العبقري ويذكر الاله الواحد.وقد تأثر بعلامة ابي الاعلى المودودي "بدينه الحق[٦٨٢]"كتابه الدين الحق التي باللغة الهندية. فأسلم وهدى الى صراط المستقيم طريقا في عام ١٩٦٠م وهو في عمره ستة عشر سنة. ملأ قلبه بالايمان وحب الرسول ﷺ.وبدأ ان يتحقق عن الرسول ﷺ وقوله وفعله وإقراره.وهذه بداية لحياة الشيخ الاعظمي لدراسته الى فن الحديث.

الدراسة

[٦٨٠] . صهيب حسن المدني المباركفوري, مقالة شبكة الأقلام الحرة,http://www.thefreelancer.co.in/ar/?p=1242

[٦٨١] .البراهمة هي طبقة دينية من طبقات دين الهندوكي.

[٦٨٢] . كتاب ابى الأعلى المودودي

وكان متحمسا باللغة العربية والدراسات الاسلامية منذ بداية حياته الاسلام. ومن اهل بلده رجل صالح وطبيب حاذق معروف اسمه الشيخ ايوب الندوي كفله ودرسه إبتدائية الاسلامية [٦٨٣]ونصح لشيخ الأعظمي للدراسة الى جامعة دار السلام بعمراباد في ولاية تامل نادو,جامعة معروفة في جنوب الهند.تجهد وتحقق بالعلوم الاسلامي خاصة في علم الحديث.وتطالع عبر الصحفات والحروف العظيمة.تخرج فيها بالشهادة الفضيلة. ثم انتقل الى المدينة المنورة لدراسة الشريعة الاسلامية في كلية الشريعة في جامعة الاسلامية ١٩٦٦م.وانغمس الى عمق بحر العلوم الاسلامي وأقوال النبي ﷺ.بعد تخريج البكالوري حصل الأعظمي شهادة الماجستير من جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة.كان موضوع مشروع الماجستير عن ابي هريرة ﷺ غني بقول وفعل واقرار النبي ﷺ وفقير بالمال والأهل. وهو "ابو هريرة ﷺ في ضوء مروياته",هي من اهم كتبه المنشورة.

رحلة الى الأزهر الشريف

ولم يكفي للشيخ الأعظمي بهذه الشهادات العالية والعلوم الصافية.كان لا يزال يستنبط علوم الحديث. ففر وجهه الى جامعة الأزهر المصرية,منبع العلوم الدين منذ القدم, للدراسة الدكاترة.وازدرع حياته البحثية من بلد النبي الى بلد النيل.فحقق الكتاب أقضية رسول الله ﷺ لإبن الطلاع٢٨ المتوفي ٤٩٧هـ تحقيقا بدقة وعمقا وتقدمها الى الجامعة.وقد عمل في رابطة العالم الاسلامي,موسسة لتنمية دين الاسلام والمسلمين حينما هو في مكة المكرمة. وكان مدير مكتب الأمين في بلد الامين.ثم اشتغل بالتدريس في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة.مع التدريس,كان يقوم بالإشراف

[٦٨٣] ibid .

والتفتيش على بحوث طلاب الدراسات العليا.ومع ذلك,عين عميدا لكلية الحديث الشريف في الجامعة.استعمل دقيقاته الى مطالعة كتب قيمة.والى سبك بينة.ودرس صحيحين الشريفين للبخاري ومسلم رحمهما الله.واستمرت هذه المهنة العالية حتى سفره الى الله عزوجل. ومن تلاميذه المشهورين في الهند الدكتور رضاء الله المباركفوري رحمه الله (شيخ الجامعة السلفية بنارس سابقا), محقق العديد من الكتب المهمة واستاذ اسغر علي امام مهدي السلفي,امير جمعية اهل الحديث المركزية في الهند وغيرهما في العالم الذين لا تحصون. جدير بالذكر,كان الشيخ الاعظمي يدعوا والديه واهل بيته الى دين الاسلام بل يكره عبادتهم للآلهة.ولكن وهم يردون من دعوة الحنيفة.

أثرياته العلمية

انتقل الدكتور الأعظمي الى رحمة الله تعالى بترك اثاره العلمية القيمة.بالواضح,كان اول عباقر الاسلام بالهند المعاصر.كلمته تسير من قلوب الى قلوب.وفكرته يدق اجساد الى اجساد.ومن المعروف,كانت تخصصاته تعتمد على مجال الحديث الشريف.فنرى من كتبه المنشورة تحقيقات في علم الحديث.ومن انجازاته القيمة مما يلي:

❖ **الجامع الكامل**

هذا الاثر اثر رائع للشيخ الأعظمي.ومع ذلك,اشتغل هذا العبقري لتصنيفه الايام الطويلة في حياته.وبذل جهوده ومطالعته لإخراج هذا الاثر. وقد اجتهد الأعظمي اجتهادا عظيما حوالي عشر سنوات لإنتاج هذا الكتاب .اسم هذا الكتاب طويل وهو "الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على ابواب الفقه".[٦٨٤]وقد جمعها من

٦٨٤ ibid .

مصادر السنة المتعددة مثل الموطات, المصنفات, المسانيد, الجوامع, الصحاح,السنن,المعاجم,المستخرجات, الأجزاء,الأمالي وغيرها.واختار الأحاديث بنسبة الصحة والحسن.يتغير هذا الكتاب من الكتب الأحاديث الأخرى كي يرتب على الأبواب الفقهية.ويشمل الكتاب على اثني عشر ة مجلدا,١٦٠٠٠حديث.وطبع الكتاب من دار السلام بالرياض عام ٢٠١٦م.

❖ .**أبو هريرة ﷺ في ضوء مروياته بشواهدها وحلل انفرادها**

.كما مر من قبل,هذا الإنتاج رسالة ماجستير للسيخ الأعظمي حينما هو في جامعة ملك عبد العزيز في المدينة المنورة.وهي دراسة تحليلية لمئة حديث من مروياته.لبيان المنهج الذي سار عليه في الدفاع عن هذا الصحابي الجليل الذي اتهمه اهل الأهواء.يصف الكاتب في رسالته المذكورة عن الصحابي الذين يعيشون مع خوف وتقوة للاتباع الرسول الكريم ﷺ.واعتبروا مع ايات القران السنة النبوية.وكانوا لذلك يحرصون على حضور مجالس الرسول ﷺ ويتسابقون الى حفظ من قوله عليه الصلوة والسلام.كان ابو هريرة اول من ذكرنا سابقا.وكان طراز من الصحابة.لهذا العمل ترك بلاده اليمن وقصد بالمدينة.وكان اكثر من روي من ﷺ الأحاديث الشريف.وجدير بالذكر,يبحث المصنف في كتابه المذكورة عن ابى هريرة ﷺ ودراساته التحليلية عن مروياته مع دقة التعبير وعمقة المقارنة.

❖ **أقضية رسول الله ﷺ لابن الطلاع**

حقيقة, كما قلنا السابق,هي اطروحة تحليلية لدراسته الدكتوراه. ولاكن اصبحت مؤلفة معروفة لدى العالم الاسلامي حينما انتشرت بين ايادي القراء والعلماء.ومن المعروف,ان كتاب أقضية رسول الله ﷺ للمحدث ابي عبد الله محمد بن فرج المالكي

القرطبي المعروف بإبن الطلاع المتوفى ٤٩٧هـ.[٦٨٥]هو العلامة المتقن والإمام الفاضل الحجة الثبت والفقيه الفصيح.القوال بالحق ةالصدق.كان ابن الطلاع كاتب الأندلسي حينما ازدهر الادب و العلم في الأندلس.كتابه [٦٨٦]المذكورة يناقش عن الأحكام الواردة لرسول الله ﷺ.كانت دراسة تحليلية للشيخ الأعظمي ,هي دقة وعمقة.وذات رأية واسعة.هذه الأطروحة تقدمت تحت اشراف العلامة محمد بن محمد ابو شهبة رحمه الله.وطبعت مرة ومرة بتحقيق والإستدراك .وقد ترجمت الى الأردية لحاجة القضاة والمحامين الإسلاميين في باكستان.

❖ **معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد**

هذا الكتاب جميل الناطق للقارئ.تفيد الباحثين والمتخصصين في علم الحديث في اسانيدها ومصطلحاتها.يتغير هذا الكتاب بغيره بترتيب معلوماته المنصةصة. رتب الكتابة على الأحرف.نشر هذا الكتاب دار الإمام المسلم.يقول الدكتور رحمه الله في مقدمته:هذه بحوث في مصطلحات الحديث,وعلومه,ولطائف اسانيده,رتبتها على حروف المعجم,غير مراع فيها الا الحرف الأول,ليكون الكتاب بداية للمجتهد,ونهاية للمقتصد,وذلك تلبية لطلب كثير من الإخوة الأفاضل المثقفين المختصين بغير علم الحديث الشريف وعلومه.هناك أيضا العديد من الكتب المشهور لديه في مجال الحديث وفقه السنة ومصطلحاته وعلوم القران. وهو مما يلي:

- التمسك في السنة في العقائد والأحكام
- بحوث متنوعة في فقه السنة

أثراته الكتبية بنسبة الهندية

[٦٨٥] . ابن الطلاع,اقضية رسول الله ﷺ,دار الكتاب العربي,مقدمة

[٦٨٦] . صهيب حسن المدني المباركفوري, مقالة شبكة الأقلام الحرة,http://www.thefreelancer.co.in/ar/?p=1242

في الواقع,الدكتور الأعظمي.قابل الاسلام من الهندوسة,له قرائة واسعة ورأية عميقة وأخبار مخيفة متنوعة عن الاحوال الديني وديانات المتعددة وتقاليدها.فله اثريات القيمة.

- **فصول في أديان الهند**

طبع اولا هذا الكتاب في سنة ١٤١٧هـ.في هذا الكتاب يصف العلامة الأعظمي عن الأبطال الخبيثة واساطيرها.خاصة الاديان الهندوسة,البوذية,الجينية,السيخية بأسلوب سهل ولفط فهم.

- **اليهودية والمسيحية**
- **.قران انسايكلوبيديا باللغة الهندية**

الخاتمة

نقول بلا شك وريب,ان الدكتور ضياء الرحمن الاعظمي كان يدور دورا بارزا في ترقية اللغة العربية والدراسات الاسلامية.وقد لا يزال يناقش كتبه وكلماته في العصر الراهن.سوف تبقى هذه الأثريات القيمة حتى فوت العالم.اذ اثرياته عن الخاتم الانبياء والمرسلين.نرجوا من الله تعالى الثواب العالية والسعادة الأبدية وجنة الفردوسية لدوره وجهده الى بناء علم الدين الحنيف والحديث الشريف.

المصادروالمراجع

- ✓ .ابن الطلاع,أقضية رسول الله ﷺ,دار اللؤلؤة,جامعة الأزهر,طبعة الأولى ٢٠١٧م.
- ✓ .صهيب حسن المباركفوري,مقالة شبكة الاقلام الحرة the freelancer, ٢ اغسطس ٢٠٢٠
- ✓ رئيس التخرير:شمس الرب خان المباركفوري,
- ✓ مدير التحرير: راشد حسن المباركفوري.
- ✓ http://www.thefreelancer.co.in/ar/?p=1242
- ✓ .دضياء الرحمن الأعظمي,دراسة في الجرح والتعديل,مكتب غرباء الأثرية,مدينة, ١٩٩٥م
- ✓ مكتب عين الجامعة ebook

الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي
صحفيا محنكا وكاتبا مفكرا

د/نجم الدين ، رئيس قسم اللغة العربية
كلية دارالأيتام المسلمين بوايناد، موتل، ، كيرالا، الهند

الملخص

الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي (١٩٣٥-٢٠١٩م) هو العالِم الرباني الكبير، والأديب الألمعي الشهير والكاتب الموفق القدير، وقد نال الشيخ شهادة العالمية من دارالعلوم لندوة العلماء بلكناؤ (الهند)، كما أخذ شهادة الليسانس في اللغة الإنجليزية من جامعة عليكره الإسلامية (الهند)، وجمع بين هاتين الثقافتين عندما بدأ عمله بالقسم العربي بإذاعات عموم الهند من عام ١٩٥٣م إلى عام ١٩٧٣م مذيعا ومترجما من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية. وهو الأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالهند، ورئيس تحرير جريدة الرائد حوالي خمسين سنة، ورئيس التحرير المشارك في مجلة البعث الإسلامي الغراء، وكذلك عمِل مديرا للمعهد العالي للدعوة، ثم عين عميدا لكلية اللغة العربية وآدابها، ثم رئيسا للشؤون التعليمية بدارالعلوم لندوة العلماء بلكناؤ (الهند)، وهو الحائز على جائزةِ رئيسِ جمهوريةِ الهند الفخرية، وهو صاحب المؤلفات القيمة في اللغتين العربية والأردية من أمثال "الشيخ أبو الحسن الندوي قائدا حكيما" الذي يكشف الستار من الجانب السياسي من حياة الشيخ الندوي ونشاطه، وجهاده على الصعيد القومي، ومنهج معالجته للقضايا الوطنية التي تمس المسلمين مباشرة أو بصورة غير مباشرة، لأن المسلمين كما قال سماحته جزء من شعب هذه البلاد، فكل ما يحدث في هذه البلاد سياسيا، تعليميا، أو اقتصاديا يمس المسلمين. وكذلك للأستاذ كتب قيمة أخرى من أمثال: نحو نظام عالمي جديد،وأدب

الصحوة الإسلامية، ومصادر الأدب العربي، ومختصر الشمائل، وتاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، وأعلام الأدب العربي في العصر الحديث، والدعوة الإسلامية ومناهجها، ومنهج علماء الهند في الدعوة والتربية الإسلامية، وحركة التعليم الديني وتطور المنهج وغيرها.

الكلمات المفتاحية: واضح رشيد الندوي، الكاتب، المفكر، الصحفي، الأديب

أسرة الشيخ الندوي: إن الأستاذ الندوي كان ينتسب إلى أسرة خَلَقَتْ العظامَ من الرجال، والعباقرة في كل مجال، فكان في أسرته من درَس ودرّس، ومنهم من قرأ وكتب، ومنهم من دعا المسلمين إلى الإصلاح في عقائدهم وعاداتهم، ودعا المشركين إلى الإسلام فآمن على يده آلاف. وإن أستاذنا الندوي كان ينتسب إلى أسرة خلقت المؤلفين والأدباء، والأساتذة والشعراء، ليس في اللغة الأردية فحسب، بل في اللغة العربية أيضا. فحافظوا على هذه اللغة، لغة القرآن والجنة، وعضوا عليها بالنواجذ، وكتبوا فيها، فهناك أعلام، سواء فيه الرجال والنساء. فمنهم من نظم عن مآثر الصحابة الكرام، ومنهم من أنشد عن مآثر أولئك الرجال الذين قاموا بدور كبير في توجيه التاريخ توجيها إسلاميا، ومنهم من أعد موسوعة في تراجم علماء الهند وأعيانها، فمن المعقول أن الشيخ واضح رشيد تأثر جدا في تكوين شخصيته بهؤلاء العباقرة من أسرته الكريمة.[٦٨٧]

عُقِمَ النساءُ فلا يَلِدْنَ شَبِيْهَهُ إنّ النساءَ بِمثلِه عُقْمُ

(أبو دهبل الجمحي)

ويقول الأستاذ نذر الحفيظ الندوي الأزهري:[٦٨٨] "ولد الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي في أسرة كان شعارها منذ زمن طويل الجمع بين العقيدة السلفية النقية وبين الربانية الصحيحة، فتربى الأستاذ تحت إشراف خاله سماحة الإمام أبي

[٦٨٧] الندوي، أ. د. محمد أيوب: الأستاذ واضح رشيد الندوي: أديبا وصحفيا، الرائد، السنة: ٦٠، الأعداد: ١٦-١٧-١٨، (فبراير- مارس- ٢٠١٩م) ندوة العلماء، لكناؤ، ص: ٦٩-٧٠

[٦٨٨] وهو الشيخ الصالح التقي العالم الأديب الصحافي البارع أبو المعظم نذر الحفيظ بن عبد الحفيظ بن محمد إسحاق بن خدا بخش الندوي الأزهري (١٣٥٨-١٤٤٢هـ)، صاحب المؤلفات الشهيرة: (الزمخشري كاتبًا وشاعرًا)، و(أبو الحسن الندوي كاتبا ومفكرا)، و(الإعلام الغربي وآثاره).

الحسن علي الحسني الندوي -رحمه الله تعالى رحمة واسعة- أحد أشهر رجال الدين والفقه واللغة والأدب في الهند. فاستقى محمد واضح الندوي من الفكر النيّر لخاله أبي الحسن الندوي، ونظرته الثاقبة، وغيرته الدينية، وحميّته الإسلامية، وقلبه المشرق اليقظ، وفراسته الإيمانية، وحسّه المرهف، وذوقه الرفيع، وأسلوبه الدعوي والتربوي الحكيم، وعقله المتفتّح، واتزانه في التأليف والنقد والتحليل، والاستنارة بنور القرآن وهديه والاستدلال به، فكان التوفيق حليفه في كل خطوة خطاها في الدعوة والتعليم والتربية، وفي مجال التأليف والإعلام."[٦٨٩]

حياة الشيخ الندوي العلمية والعملية: فقد تعلم واضح رشيد الحسني اللغة العربية وآدابها من الأساتذة الكبار، منهم الأستاذ الشفيق السيد أبو الحسن علي الندوي، والعلامة السيد سليمان الندوي، والعلامة عبدالحفيظ البلياوي، والأستاذ الدكتور عبدُ الله عباس الندوي وغيرهم –رحمهم الله- من أساتذة ندوة العلماء، و كذلك "يرجع إحكامه للعربية ورسوخه فيها إلى البيئة اللغوية والأدبية التي أنشأها العلامة محمد تقي الدين الهلالي المراكشي، والشيخ الأديب خليل عرب في لكناؤ، وفي دار العلوم لندوة العلماء، وقد التقى بهما واستفاد منهما"[٦٩٠] ولهذا التلميذ الرشيد حق أن يعتز بأساتذته العظام ويقول:

أولئك آبائي، فجِئْني بمثلهمإذا جمعَتْنا يا جريرُ المجامعُ

(الفرزدق)

فأصبح الشيخ ينطق باللغة العربية أحسن من كثير من أهلها الذين رُضِعوا بِلبانها وتربوا في رُبُوعها، فكان إذا تكلم بالعربية فكأن عندليباً هندياً يشدو بأنغام عربية ساحرة في روضة هندية (ندوة العلماء) سماها الشيخ الطنطاوي بـ "واحة خضراء في صحراء قاحلة جرداء". ويشهد بطول باعه في العربية سعادة الأستاذ الدكتور سعيد

[٦٨٩] الندوي، الأستاذ نذر الحفيظ، مجلة الصحوة الإسلامية، السنة: ١٥، العدد: ٥، ، جامعة دارالعلوم، زاهدان، إيران، ص: ٢.

[٦٩٠] الندوي، الدكتور محمد أكرم، العلامة الشريف محمد واضح رشيد الحسني الندوي: حياته وفكره وأعماله، مكتبة سلمى الثقافية، تطوان، المغرب الأقصى، الطبعة الأولى- ٢٠٢٠م، ص:٦٦

الأعظمي الندوي (رئيس التحرير لمجلة البعث الإسلامي) قائلا: "هو من كبار الأدباء والكتاب الإسلاميين، وقد صدر من قلمه مؤلفات وكتب قيمة في موضوع الأدب الحديث، ومصادر الأدب العربي القديم، وهو يعد من أفذاذ الأدباء، ويحل مكانةً أدبيةً وعلميةً ممتازةً."[٦٩١]

وقد نال الشيخ شهادة العالمية من جامعة دارالعلوم لندوة العلماء، كما أخذ شهادة الليسانس في اللغة الإنجليزية من جامعة عليكره الإسلامية، وجمع بين هاتين الثقافتين عندما بدأ عمله بالقسم العربي بإذاعات عموم الهند من عام ١٩٥٣م إلى عام ١٩٧٣م مذيعا ومترجما من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية.

ولما أراد الأستاذ بالإفادة والتعليم عاد إلى دار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٧٣م مدرسا وباحثاً وأستاذا ومؤلفا، بجانب رئاسته لجريدة الرائد، ورئيسِ التحرير المشارك في مجلة البعث الإسلامي الصادرتين من ندوة العلماء، وكذلك عمِل الأستاذ مديرا للمعهد العالي للدعوة، ثم عين عميدا لكلية اللغة العربية وآدابها، ثم رئيسا للشؤون التعليمية بدار العلوم لندوة العلماء منذ عام ٢٠٠٦م حتى وفاته في ٢٠١٩/٠١/١٦م. أغدق الله على قبره شآبيب الرحمة والرضوان.

وما كان قيسٌ هُلكه هلك واحد ولكنــه بنيــانُ قومٍ تهــدما

(عبدة بن الطبيب)

خلق الشيخ الندوي: وكان الشيخ واضح رشيد الحسني صاحبَ الذهن المتوقد، والعقل الذكي، والقلب النقي، والخلق الرضي، والقلم الحي الندي، والكلام الناضر الطريّ، فهو كان اسما على مسمى، فكان الوُضوح والرشد والحُسْنُ طابِعَه الدائمَ الأصيل. فالوضوح في الأفكار والرُؤَى، والرشد في السلوك والمعاملات، والحُسْن في السيرة والأخلاق.

[٦٩١] الندوي، واضح رشيد، أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، (التقديم /سعادة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي)، دار الرشيد، لكناؤ، الهند، الطبعة الأولى- ٢٠٠٩م، ص: ٢٢

تفكره علم وسيرته هدى وباطنه دين وظاهره ظرف
(المتنبي)

من أهم مؤلفاته العربية: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، نحو نظام عالمي جديد، مصادر الأدب العربي، مختصر الشمائل، الشيخ أبوالحسن قائدا حكيما، أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، الدعوة الإسلامية ومناهجها، وحركة التعليم الديني وتطور المنهج وغيرها[٦٩٢]. وكتابه "الشيخ أبو الحسن الندوي قائدا حكيما" يكشف الستار من الجانب السياسي من حياة الشيخ الندوي ونشاطه، وجهاده على الصعيد القومي، منهج معالجته للقضايا الوطنية التي تمس المسلمين مباشرة أو بصورة غير مباشرة، لأن المسلمين كما قال سماحته جزء من شعب هذه البلاد، فكل ما يحدث في هذه البلاد سياسيا، تعليميا، أو اقتصاديا يمس المسلمين.[٦٩٣]

وفي كتابه المسمى "أدب الصحوة الإسلامية" يستعرض أدب الصحوة الإسلامية، ويقدم نماذجه الرائعة، ويتناول الأدباء الإسلاميين الذين استخدموا الأدب كأداة للدعوة إلى الإصلاح، وصد الهجوم على الأمة الإسلامية، وكشف زيف الحضارة الغربية، وتمكنوا من إنارة العقول وإحياء القلوب ورفع الهمم، وإيقاظ الوعي، وإثارة الحفيظة، وإشعال الغيرة، وإعداد الجيل المؤمن الأبي الباسل. فندين للأدباء العرب الإسلاميين كما ندين للأدباء والشعراء الهنود الإسلاميين. "فكشف العلامة شبلي النعماني، والسيد سليمان الندوي زيف "الموضوعية" المزعومة للمستشرقين، واستهدف الأستاذ عبد الماجد الدَرْيابادي كذلك الحضارة الغربية بالنقد العلمي حيناً،

[٦٩٢] الندوي، محمد نعمان الدين (مدير معهد التعليم والتربية، لكناؤ، الهند): عندليب الهند العربي محمد واضح رشيد الحسني الندوي رجع إلى ربه، إيتش. إيم. حسين ترست، الطبعة الأولى-٢٠١٩م، ص:١٥-١٦

٦٩٣ ينظر للتفصيل: الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، الشيخ أبو الحسن الندوي قائدا حكيما، دار الرشيد، لكناؤ، الهند، الطبعة الثانية- ٢٠١٢م، ص: ٦

وبالتكذيب والتبكيت حيناً آخر في أدبه وصحافته."[٦٩٤] ومن هؤلاء الأعلام الدكتور محمد إقبال، والشيخ أبوالأعلى المودودي، والشيخ أبو الحسن الندوي والشيخ واضح رشيد الندوي أيضا. وللأستاذ مؤلفات في اللغة الأردية أيضا. ولايسع لي المجال التحدث عن هذه الكتب القيمة في هذا المقال الوجيز. ومعظم مؤلفات الشيخ موجودة أون لاين على موقع: abulhasanalinadwi.org

ونظرة عابرة على عناوين هذه المؤلفات للأستاذ الندوي تدل على ما تناوله من موضوعات متنوعة من التعليم والتربية، والدعوة والتزكية، والأدب والتاريخ، والسياسة والمجتمع، والشؤون الإقليمية والعالمية وهلم جرا.

علاقة الشيخ بالإعلام: ويتحدث سعادة الأستاذ الدكتور عبد الماجد قاضي الندوي (رئيس قسم اللغة العربية وآدابها السابق بالجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي، الهند) عن علاقة الشيخ واضح الندوي بالإعلام والصحافة في مقاله المعنون بـ(شيخ الصحافة العربية في الهند) فيقول في أسلوبه العذب الرشيق: لمع الأستاذ الندوي نجما باهر الضوء على آفاق الصحافة العربية في الهند قرابة خمسين سنة، بعَطائه الفكري الغزير، وإسهامه العلمي الوفير. عاش خلالها قضايا الأمة، فيهتم لهمومها، ويغتم لأحزانها، ويعالج مشاكل المسلمين معالجة حكيمة، فيبحث عن أسبابها وجزورها بحثا واقعيا، ويقوم بتحليل الأحداث تحليلا موضوعيا دقيقا، كاشفا القناع عن الأيدي المتحركة وراء مسرح الأحداث، مستوصفا الحلول المنطقية لتصحيح المسار وترشيد الوعي.

وكانت الصحافة مجال اهتمامه الأخص، وكان شيخ الصحافة العربية – بالمعنى الدقيق – بلا منازع، حيث توفرت له تلك الآلية التي تؤهله للاشتغال بها، والخوض في

٦٩٤ الندوي، الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني، أدب الصحوة الإسلامية، دار الرشيد، لكناؤ، الهند، الطبعة الأولى- ٢٠٠٩م، ص: ٨٨

مجالاتها، إذ أنه بدأ حياته المهنية مترجما ومذيعا في قسم اللغات الأجنبية بإذاعة عموم الهند. وزاول نشاطه في الإعلام الرسمي على مدى عقدين من حياته المهنية الأولى... غير أن هذه الفترة الطويلة التي قضاها في الإعلام وفرت له فرصة دراسة الشؤون الإقليمية والدولية، حتى رسخت قدمه فيها، وزادته مراقبته المباشرة لأوضاع العالم، واستطلاعه الدؤوب في شؤون الإعلام المحلي والدولي، تضلعا في قضايا السياسة الدولية ومحاورها الرئيسية. وهكذا عرف الشيخ الندوي الصحافة نظريا عن كُتُب، ومارس نشاطها فعلا، واطلع على أسرارها وخفاياها وزواياها، وأصبح خبيرا في منهجياتها ونظرياتها وأساليبها.[٦٩٥]

ويتحدث الكاتب الشهير الدكتور عِزالدين بن زُغِيْبَة، (رئيس قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية، بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي.) عن تفوق الشيخ الندوي في مجال الصحافة قائلا: "وقد وُفِّقَ الشيخ لإدارة فن الصحافة في أحسن صورة، ويمكن القول إنه ينافس في كتاباته الصحفية كبارَ الصحفيين العرب في تقديمه للموضوعات وتحليلها وتوجيه المجتمع وتبصيرهم وتوعيتهم بكل ما يحدث صغيرا وكبيرا في زوايا العالم. وكتاباته المستمرة التي تزدان بها صفحات الرائد والبعث الإسلامي وعدد من الصحف الهندية والعربية، تتمثل فيها مقدرته الفائقة وصناعته المتقنة في هذا المجال."[٦٩٦]

عَلاقة الشيخ بجريدة الرائد: إن الأستاذ الندوي كان يكتب الافتتاحية وغيرها من المقالات والكلمات في جريدة "الرائد" التي كان رئيس تحريرها. وحينما كان يكتب عن موضوع ما، سواء كان في مجال الصحافة أو الأدب أو حتى في السياسة يُضفِي على

[٦٩٥] الندوي، أ. د. عبد الماجد قاضي: شيخ الصحافة العربية في الهند، الرائد، السنة: ٦٠، الأعداد: ١٦-١٧-١٨، (فبراير- مارس-٢٠١٩م) ندوة العلماء، لكناؤ، الهند، ص:٧٥

[٦٩٦] الدكتور عِزالدين بن زُغِيْبَة: أديب الهند ومفكرها محمد واضح رشيد الندوي، الرائد، السنة: ٦٠، الأعداد: ١٦-١٧-١٨، (فبراير-مارس-٢٠١٩م) ندوة العلماء، لكناؤ، الهند، ص:١٨

الموضوع جماليةً من نوع خاص في الأسلوب الرزين، وفي اللغة الشفافة، ليكون القارئ مأخوذا بجمالية الفكرة وشفافيتها وحضورها الطاغي. ولم تزل تهتم "الرائد" اهتماما كبيرا بتربية التذوق العربي للجيل الجديد وترغيب الشباب المسلم في تعلم اللغة العربية، كما تشجعهم على كتابة ما يجول بخواطرهم في اللغة العربية ونشرها على صفحاتها... وتلعب دورا واضحا من خلال مقالاتها الفكرية والدينية بخدمة الدين الإسلامي، ونشر دعوته، كما تدحض وتهاجم الأفكار المضللة المعارضة للإسلام من الاشتراكية، والإباحية، والقومية العربية، والانحلال الأخلاقي، والفساد الاجتماعي، وحملات التبشير المسيحي وغيرها، وهي تهدي الشباب المسلم وترشده إلى الفكر الصحيح الذي يقودهم إلى التقدم في شتى المجالات.[٦٩٧]

ويجدر بي أن أنقل هنا ما كتبه في مقالة له معنونة بـ" من صِناعة الموت إلى صِناعة القَرارات" إذ قال: "لقد وصل العالم الإسلامي إلى مرحلة لايحتاج فيها إلى مصانِعِ أدوات، ولا مصانعِ أسلحة. فإن الأدوات والأسلحة تتوفر في السوق، وتُشتَرى بالمال، وقد تكدست في بلاده المختلفة. إن الشيئ الوحيد الذي يحتاج إليه هو صناعة الموت، وهو بضاعة لا تشترى، وهو البضاعة المفقودة، وهي ضالة المسلم، صناعة صنعت الأعاجيب، وتملكت على خزائن الأرض، وهي مفتاح القيادة، وهي التي أنجبت الأبطال الذين نتمجد بهم ونعتز، والذين صنعوا التاريخ، وندين لهم بفخر واعتزاز."[٦٩٨]

ويقول الأستاذ الدكتور شفيق أحمد خان الندوي (رئيس قسم اللغة العربية وآدابها الأسبق بالجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي، الهند): إن أسلوبه أسلوب ساذج بسيط وجميل يسر

---

٦٩٧ للتفصيل ينظر: الندوي، أ. د. محمد أيوب، ومجموعة الباحثين: دليل الجرائد والمجلات العربية في الهند، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة السعودية العربية، الطبعة الأولى – ١٤٤٠م، ص: ١٠٨-١١١

٦٩٨ الندوي، واضح رشيد: من صِناعة الموت إلى صِناعة القَرارات، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماؤ، لكناؤ، الهند، ١٩٨٠م، ص: ١٦

القراء والسامعين بوفرة جدة الفكر وجودة المضمون، وقوة العاطفة والاتزان بين اللفظ والمعنى، والامتزاج من الكلاسيكية والحداثة في التعابير العربية والأصلية."[٦٩٩]

عَلاقة الشيخ بمجلة البعث الإسلامي: الأستاذ الدكتور سليم الرحمن خان الندوي (نزيل طوكيو- اليابان) يكتب حول هذه المجلة الغراء في رسالته العلمية "الصحافة الإسلامية في الهند: تاريخُها وتطورُها" فيقول: "طلعت مجلة "البعث الإسلامي" في آفاق الصحافة وهي تحمل دعوة إلى الأمة الإسلامية نابعة من قلب متألم وقلم شجاع، وهكذا تمكنت من تمثيل الدوائر الدينية بصراحة تامة في مواقف حساسة عديدة، وكانت تدور صحافتها حول رسالة وهدف، وتتلخص هذه الرسالة في كلمة تُنشر دوما على غلاف المجلة وهي "شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد". ولها فضل كبير في تعميم الذوق العربي النزيه في أرض الهند الجدباء، وهي الرائدة في مجال الصحافة العربية حيث تلتها دوريات عديدة باللغة العربية في الهند."[٧٠٠]

وقد ذكر رئيس هذه المجلة الأسبق محمد الحسني ميزتها، ونهجه الذي اختاره فيها، في كلمته الافتتاحية للعدد الأول (أكتوبر ١٩٥٥م)، فقال: "إنها ليست مجلة كبعض المجلات الأدبية في القاهرة وبيروت تلعب وتلهو بالأدب، وتعبث بالخزف والحصى، وتسبح بحمد أعلام الغرب وتقدس لهم، ولاتحسن صناعة المدح والإطراء والتزلف إلى الملوك والأمراء، إنها مجلة ذات دعوة، وذات عقيدة، وذات مبدأ، وذات رسالة".[٧٠١]

كما ذكر الشيخ الحسني مهمة هذه المجلة الغراء قائلا: "ستحاول مجلة "البعث" أن تكون نقطة اتصال وهمزة وصل بالهند والبلاد العربية الشقيقة، تحمل رسالة أبناء

---

[٦٩٩] الندوي، الدكتور محمد أكرم، العلامة الشريف محمد واضح رشيد الحسني الندوي: حياته وفكره وأعماله، مكتبة سلمى الثقافية، تطوان، المغرب الأقصى، الطبعة الأولى- ٢٠٢٠م، ص: ١١٠

[٧٠٠] د. سليم الرحمن خان الندوي: الصحافة الإسلامية في الهند: تاريخُها وتطورُها، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، الهند ٢٠١٠م، ص:٣٠٢

[٧٠١] الندوي، محمد الحسني: الافتتاحية، مجلة البعث الإسلامي، السنة الأولى، العدد: ١، (أكتوبر-١٩٥٥م) ندوة العلماء، لكناؤ، الهند، ص: ٤، ناقلا من الندوي، أ. د. محمد أيوب، ومجموعة الباحثين: دليل الجرائد والمجلات العربية في الهند، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة السعودية العربية، الطبعة الأولى – ١٤٤٠م، ص: ١٠٦

الهند إلى إخوانهم في الشرق العربي، وتحمل تمنيات أبناء البلاد العربية وعواطفهم الطيبة نحو إخوانهم في الهند، وتبحث عن الأوجاع المشتركة بين البلاد."[٧٠٢] فنالت هذه المجلة الإعجاب والتقدير في الأوساط العلمية والأدبية، لأنها كانت أعظم مجلة في تاريخ الصحافة العربية في شبه القارة الهندية من حيث المستوى والمحتوى، والقبول والانتشار.

إن أستاذنا الشيخ الندوي كان يكتب دائما في هذه المجلة التي كان شريكا في رئاسة تحريرها بعنوان "صور وأوضاع"، فكان له عَمود خاص باسمه فيها. وكان الأستاذ يلقي الضوء في كلماته ومقالاته حول أحوال العالم الإسلامي والعالَم الغربي وصُوَرَهما المعاصِرة، وأوضاعَهما الراهنة بنظره العميق الوسيع الثاقب، ويقوم بأداء مسؤوليته نحو الدعوة الإسلامية، وبفريضته لأداء كلمة الحق عند السلطان الجائر.

ويقول الأستاذ الدكتور محمد أكرم الندوي (باحث في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية، بريطانيا) بأن كتابات الشيخ واضح رشيد الندوي في الصحافة تتميز بالخصائص التالية: "١. توسعه المعرفي، فكان كثير المطالعة وواسع المعرفة وملماً بعامة العلوم السياسة والاجتماعية. ٢. استقلاله الفكري، لم يمسه شيئ من الداء الذي ابتُلي به الصحفيون في الشرق والغرب من التبعية والسياسة والحزبية والأيدلوجية، بل كان كاتباً أصيلاً في مواقفه، واثقاً بعلمه وفكره، ومستقلاً عن الخنوع لغيره. ٣. تحليله الدقيق، تتسم كتاباته بالصدق وأمانة السرد ودقة التحليل، وقوة النقد مصطبغة بالموضوعية والهدوء والاتزان، صادرة من الدراسة العميقة لتاريخ الحضارة الغربية وثقافتها. ٤. الغيرة الدينية والحمية الإسلامية."[٧٠٣]

---

٧٠٢ المرجع نفسه، ص: ٥-٦

[٧٠٣] الندوي، الدكتور محمد أكرم، العلامة الشريف محمد واضح رشيد الحسني الندوي: حياته وفكره وأعماله، ص: ١١١

أقدم لكم نموذجا من كتاباته ليكون خير شاهد على ما أقول. والأستاذ هنا يُخبر عن الأمم المتحدة التي أُسست لصِيانة الإنسان، ولِحَلّ النزعات والأزمات بين الأمم والدول، ولكنها اليوم عَجَزت عن القيام بمسؤوليتها، وصارت لعبة في يد أمريكا، فيقول: "ولكن إجراءاتِ أمريكا في العصر الأخير بعد استكانة الدول الأوربية الأخرى كفرنسا وبريطانيا، ومحاولةَ الهيمنة على العالم، واللجوءَ إلى إجراءات تعسفية، وعدمَ المبالاة بدور الوساطة للأمم المتحدة ومسؤوليتِها لحل الأزمات، قد أدت إلى عَجْز الأمم المتحدة عن القيام بدورها كالوسيط، وتأديةِ واجباتها، وتجرأت بعضُ الدول على اتخاذ إجراءاتٍ تعسفية بدون احترامٍ لحقوق الإنسان، وعدم سماعها لنداء الأمم المتحدة."[٧٠٤]

الخاتمة:

وجملة القول بأننا إذا درسنا مؤلفات الأستاذ الندوي ومقالاته في ضوء معايير الكتابة الفنية والصحافة الحديثة، وجدناه صحفيا محنكا وكاتبا مفكرا. إنه ألف كتبا عربية وأردية، كما كتب مقالات علمية في مختلف الأوقات والمناسبات، ولكنها لاتزال أهميتُها باقية، ولم يتضاءل دورُها مع مرور الزمن، فيها هداية ونور لكل عصر ومصر، فيها نبراس لكل إنسان، وبرهان لكل ذي عينين، ولسان وشفتين. ولا مراء في أن الشيخ الندوي قد استخدم لسانه وقلمه دائما في صلاح الإنسانية ببالغ من شعور المسئولية والأمانة، وكفَّ اللسانَ والقلم عن كل ما لايعني ولايفيد. كان يحمِل في قالَبِه قلبا ذكيا يتفاعل ويتأثر بكل ما تتعرض له الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها. وكانت شخصيته متعددة الجوانب واسعة المدارك، بعيدة الأغوار جمعت من الأوصاف الخلقية والسمات الفكرية والمعارف الإنسانية. وقلما تجتمع هذه الصفات في شخصية واحدة. فاسمحوا لي أقول بكل صراحة وإيمان:

---

[٧٠٤] الندوي، واضح رشيد: مسؤولية الأمم المتحدة في تسوية النزاعات وإقامة الأمن في العالم، مجلة البعث الإسلامي، المجلد: ٦٤، العدد: ٧، (نوفمبر-١٩١٨م) ندوة العلماء، لكناؤ، الهند، ص: ٩٢

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

(أبو نواس)

المراجع والمصادر

- ابن زُغَيْبَة، الدكتور عِزالدين: أديب الهند ومفكرها محمد واضح رشيد الندوي، الرائد، السنة: ٦٠، الأعداد: ١٦-١٧-١٨، (فبراير- مارس-٢٠١٩م) ندوة العلماء، لكناؤ، الهند.
- الندوي، د. سليم الرحمن خان: الصحافة الإسلامية في الهند: تاريخُها وتطورُها، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، الهند، الطبعة الأولى- ٢٠١٠م.
- الندوي، أ. د. عبد الماجد قاضي: شيخ الصحافة العربية في الهند، الرائد، السنة:٦٠، الأعداد: ١٦-١٧-١٨، (فبراير- مارس-٢٠١٩م) ندوة العلماء، لكناؤ، الهند.
- الندوي، الدكتور محمد أكرم، العلامة الشريف محمد واضح رشيد الحسني الندوي: حياته وفكره وأعماله، مكتبة سلمى الثقافية، تطوان، المغرب الأقصى٢٠٢٠م.
- الندوي، أ. د. محمد أيوب: الأستاذ واضح رشيد الندوي: أديبا وصحفيا، الرائد، السنة: ٦٠، الأعداد: ١٦-١٧-١٨، (فبراير- مارس-٢٠١٩م) ندوة العلماء، لكناؤ، الهند.
- الندوي، أ. د. محمد أيوب، ومجموعة الباحثين: دليل الجرائد والمجلات العربية في الهند، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، السعودية
- الندوي، محمد الحسني: الافتتاحية، مجلة البعث الإسلامي، السنة الأولى، العدد: ١، (أكتوبر-١٩٥٥م) ندوة العلماء، لكناؤ، الهند.
- الندوي، محمد نعمان الدين (مدير معهد التعليم والتربية، لكناؤ، الهند): عندليب الهند العربي محمد واضح رشيد الحسني الندوي رجع إلى ربه. إيم. حسين ، لكناؤ، -٢٠١٩م.
- الندوي، الأستاذ نذرالحفيظ، مجلة الصحوة الإسلامية، السنة: ١٥، العدد: ٥، جمادى الأولى ١٤٤٠هـ جامعة دارالعلوم، زاهدان، إيران.
- الندوي، الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني، أدب الصحوة الإسلامية، دار الرشيد، لكناؤ
- الندوي، واضح رشيد، أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، (التقديم /سعادة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي)، دارالرشيد، لكناؤ، الهند، الطبعة الأولى- ٢٠٠٩م.
- الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، الشيخ أبو الحسن الندوي قائدا حكيما، دار الرشيد، لكناؤ، الهند، الطبعة الثانية- ٢٠١٢م،

إسـاهمات الأسـرة الأريكلية
في الشـعر العـربي

محمد صالح . ك.ك
الباحث ، كلية إصلاح العلوم ، تانور، كيرلا

ملخص البحث

إن اللغة العربية هي لغة الكتاب المجيد والجنة، قد فاز من اتصل بها بشعر وابداعات وتأليفات. وسابق العرب بأفضل الشعراء والخطباء في العربية، وسطرت أسماء العجميين الذين تفوقوا في العربية أيضا معهم في صفحات التاريخ. لم يكمل تاريخ الشعر العربي والشعراء بدون إسهامات الماليباريين كالأسرة الأريكلية، ولكنه قد أهملت سيرة الأريكليين وإسهاماتهم في الشعر العربي من مدائح رسول الله صلعم والمراثي وغيرها، وتفتح هذه الورقة أبواب البحث والدراسة عنهم وتأليفاتهم،وتبحث الورقة أولا عن حياتهم ، وثانيا عن تعلقاتهم بالشعر العربي وثالثا عن تأثيرات شخصيتهم وآثارهم وتختم بخاتمة وجيزة. وتتضمن أهم المراجع في الأخير

المقدمة

بعد عهد مالك بن دينار ﷺ وأصحابه، صار المخدوميون قائدو الإسلام ودعوته ومسجد الفناني معهد العلم والعلوم ، وشاع الدين وتوابعه على يدي الجهابذة العلماء الذين تعلموا لديهم- إلى جميع أنحاء كيرلا. فلذا سمّي الفناني مكة صغيرة في بلاد الهند.

ومن البلاد التي أضاءت بنور الفناني قرية "نادابرم" تقام في شمال مليبار بكيرلا. وقد أنجبت مسجدا البلادين المذكورين وغيرهما فقهاء ومحدثين ومؤرّخين وشعراء وفصحاء وغيرهم من النبغاء. وتفخرت نادابرم خصوصا بجمّ غفير من أسرات العلماء العباقرة مع مسجدها المسمّى بالفناني الصغير. ودرس فيها العلماء المحققون

نحو أحمد الشيرازي وكتيامو المسليار البلنكوتي وكنح عبد الله المسليار المشهوربكيينا وغيرهم. وعرف العلماء الذين درّسوا وعاشوا في هذه القرية باسم "أور"[٧٠٥]. وخدمت أسرات العلماء فيها خدمة قيمة للمجتمع ودين الإسلام فمن أهمها الأسرة الأريكلية التي ولدت العلماء الفصحاء ولكن لم يعبأ بها التاريخ وتبحث عنها في هذه الرسالة.

الأسرة الأريكلية

أقيمت الأسرة الأريكلية في قرية تروڵّور قريبا لنادابرم المذكورة. وقد شيدت أركانها بفرسان الفصاحة والشعر في الأدب العربي مع براعتهم في المجال الدينية. وأخذوا حظا وافرا لإحياء تراث الأدب العربي منذ أوائل قرن العشرين الذي جمد نهره بعد وفاة عمر القاضي البلنكوتي وقاضي محمّد رحمهما الله. كما وصفهم الشاعر:

أريكل دار طيب العلم أهلها وفضلهم آباء مجد مؤثل
وإذ قيل أي الناس خير قبيلة يشار اليهم في جميع المحافل
وفيهم عروق الشاعرية جلهم يقولونه في مدح أو في المسائل[٧٠٦]

وهم: الشيخ أحمد المسليار الأريكلي، وعبد الله المسليار، وعبد الرحمن المسليار، وإبراهيم المسليار قدس الله أسرارهم. ولكنه أسفا لم ينصفهم التاريخ في اعتبارهم أدباء وبلغاء. فيراد بهذه الرسالة تعريف هذه الأسرة وإسهاماتها للشعر العربي.

الشيخ أحمد المسليار الأريكلي

هو المعروف بوالد هذه الأسرة. ولد في مويفوت من قرية نادابرم سنة ١٢٩١ الهجرية (١٨٨١م) ابنا للعالم الصوفي الشيخ كنجيت المسليار. وتلقى العلم على أحمد الشيرازي[٧٠٧] وكوتيامو المسليار البلنكوتي وغيرهم من أكابر العلماء. ودرّس في بلاد

[٧٠٥] يخاطب الناس في شمال مليبار خصوصا في نواحي نادابرم علماءهم المواطنين بكلمة "أور" تعظيما لهم. وتفرعت هذه الكلمة من " أَوَرْكَضْ" الذي هو اشارة التكريم في اللغة الميالمية وتحول إلى "أور" بتتابع استعمالهم.

[٧٠٦] رثاء الشيخ عبد رحمن محمد أحمد الأريكلي، بشير الفيضي الجيكوني ص: 1

[٧٠٧] ولد في شيريم على قرب منكدى في مالبرم. درّس في مسجد الفناني ثمّ صرف خدمته إلى نادابرم وبقي فيها حتى توفي سنة 1326هـ ، وقد صنّف حاشيتي الألفية وشرح الزنجان وحاشية فتح المعين وغيرها من الكتب في مجال شتّى.

شرونّور وموبفوت وتولى القضاء على البلاد المذكورين . وكان عالما صوفيا ورعا ولم يطعم طول حياته إلّا الحلال، وتحرى عن الحرام على أبنائه. وتوفّي سنة ١٩٥١[٧٠٨] ودفن في مسجد الجامع فاراكول.

وكان سيفا حاسما على المبتدعين واستعمل براعته الكتابية والخطابية عليهم. وكان أيضا أديبا وشاعرا وصنف الأشعار من المناقب وغيرها والكتب. ويدل على زيادة علمه ذوقه في تصنيف الأشعار المافلا[٧٠٩] التي براعة العلماء فيها نادر في العصر.

مصنفاته

١. نظم قرّة العين لفتح المعين
٢. الدرّة الفقهية في مناقب السيدة النفيسة
٣. الدرّ المنظم في مناقب السيّد الأعظم
٤. منحة القوي بمدحة السيد العلوي
٥. النور الأوّل في مدح النبي صلعم
٦. الشمائل المحمدية

التأثيرات

فنظم قرّة العين يتضمن على المسائل من مقدمة قرة العين لفتح المعين إلى باب حجه في شكل شعري. ويبيّن فصاحته ومهارته. ولكن تمام هذا النظم لم يسطر اليوم بغفلة المتأخرين وقيل إن نسخه قد وودعت سطوره عند العلماء المتقدمين ويظهر ذوقه السليم في الأدب العربي من أسماء مصنفات. . ومنها:

نظمت للزكاة متن الفتح متنا عميم النفع سهل الفتح

[٧٠٨] الشيخ أحمد المسليار الأريكلي ، منشور فيس بوك لأبي هانئ عبد الباسط الهدوي .

[٧٠٩] الأشعار المؤلفة في عربي ميالم التي اختلطت بالعربية واللغة الميالمية وألفاظ من اللغات الأخرى من تمي وكنّدى، وانتشرت بين الميباريين، وتحتوي على حياتهم وثقافتهم وقصص من قبلهم من الأولياء والكرماء ك"محيي الدين مالا" للقاضي محمد الكالكوتي ووقائع الحروب وشجاعات الشهداء ك"فد الفات". وفي مضي الزمن، قد ازدهرت بيوت المسلمين بهذه الأشعار. ومن الشعراء المشتهرين في هذا الفن: ماهن كوتي وبدر في كندوتي وحيدر الفلكوتي

أعني المسمّى قرة العين تقر عيون من يبغي بما فيه استقرّ[٧١٠]

الشيخ عبد الرحمن الأريكلي

هو أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد سمّاه العرب بالشيخ عبد الرحمن الأريكلي. ولد يوم ثالث عشر من يوليو سنة ١٩٣٨ ابنا لشيخنا المذكور أحمد المسليار وبيوي فاطمة بنت عبد الله المسليار المعروف ب"شروكرى أور". وزوجه حليمة وله احدى عشر ولدا من بنين والبنات.

قدم إلى ساحة العلم بتعلم كتاب الميزان من كنجيتي المسلياراالفانتونغي من حلقة درس مويفوت[٧١١]، و تلقى العلم على أبيه الكريم في كتب الصرف والنحو والفقه واللأدب والعروض والقوافي. وكان مشغوفا في الأدب العربي منذ نعومة أظفاره واعتنى له أيضا مع عناية غيرها وظفردروسه الإبتدائية من المتبحر الأديب. والتحق بعد ذلك بحلقة تدريس عبد العزيز المسليار الأينكادي بمسجد الجامع بشرشل في فيولي، وارتحل طالبا منبع العلوم إلى كاينا وتشيرافرم وتشرونور وتعلّم تحت إبراهيم المسليار الأتيوتي ومحمد المسليار الصغير. وغاض إلى عمق العلوم تحت كنح ألوي المسليار التاييكادي وفاق إلى شاعر فقيه بالتعلم لدي العلماء المشهورين ككنح عبد الله المسليار الكيينا[٧١٢] وأحمد الشيرازي بالمسجد الجامع في نادابرم. ووفّق للتعلم في دار العلوم بوايكاد مدة قصيرة ورجع منه لبعض الأسباب.

وبعد حقبة طويلة في التعلم، تقدّم إلى التدريس بإجازة الأستاذ ودرّس في شيرشيل وكاينا وشيور وتودنّور وكانجنغاد وآرنغادي، واتّصل محاضرا بالكلية العربية

---

[٧١٠] انظر الرسالة عن زين الدين المخدوم الصغير للدكتور الرفيع عبد البر الوافي المليباري

[٧١١] المكان القريب لبيته

[٧١٢] عالم فقيه ولد سنة 1912م. وكانا رئيس جمعية العلماء لولاية كيرالا التي تفرق من جمعية " سمست". وقد درّس في المسجد الجامع في نادابرم خمسين سنة، ولم يدعم إستعمال مكبر الصوت في خطبة الجمعة. وتوفي سنة 200م ودفي في قاعة المسجد الجامع بكدميري.

الرحمانية في الكدميري[٧١٣] سنة ١٩٧٨م واستمرّ فيها حتى لحق بالله العزيز. ونفّذ طريقة حديثة في منهج التدريس. وحلّ عقود المسائل مسهلا ومجملا الذي تميز به من غيره من المعاصرين. وقدومه إلى الرحمانية كان فرصة لاستظهار مهارته في الشعر. وعاش عالما صوفيا متواضعا ولكن ثقل العلم لم يزده إلّا التواضع والورع كما قال الشاغر:

رزانة العلم من كانت تثقّله يمشي بها خاضعا مقدار أثقال[٧١٤]

واعتمد الناس عليهم ملجأ لمشاكلهم ومستشفيا لأمراضهم ومرجعا لمسائلهم حتى خاطبوه ب"أور" وهي كليمة تكريمية يخاطب بها الشيخ العظيم.

حياته الشعرية

رفع الشيخ عبد الرحمن الأريكلي مكانة كيرالا لدى العرب بإعجاز الفصاحة والبلاغة في الشعر. وقد قرض أشعارا متعددة خلال حياته ولكن فقد بعضها بأسباب شتّى كعدم عادته بجمع الأشعار ونشرها وعدم عناية المتأخرين بها. قد ذاق طعم الشعر العربي من مهد أبيه. وأدرك أعلى المراتب بشغفه فيها والمطالعة الواسعة. حتى صنّف شعرا في وقت تعلمه . فمنها شعره عند قدوم العلماء إلى ودكرى لاحتفال جمعية العلماء لعموم كيرالا: نهنّي سادة كبرى من الفضلاء والأمرا

وكتب الأشعار في معظم الأعاريض من المدح واتهاني والمراثي والإجتماعيات والقوميات والوطنيات والسياسيات والإخوانيات وغيرها. وأكثرها تجمّع في قالب البحر الطويل وهي: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن[٧١٥]. وكان ينشد القصائد المرتجلة خلال تدريسه وعند حلول الحوادث وغيرها من الأحوال .

---

[٧١٣] الكلية العربية الرحمنية هي معهد ديني معروفة في شمال الهند أقيمت في بلدة كدميري من كالكوت. أسست في اثني وعشرين في نوفمبر سنة 1972م. ومؤسسه صاحب الفضيلة كنح أحمد المسليار الشيكلوتي. ويدس فيها الكتب الدينية مع العلوم المادية.

[٧١٤] السطر الأول من قصيدة رزانة العلم للحافظ فضل العباد النعيمي

[٧١٥] ويحصل العلم التفصيلي عن البحر بمطالعة متن الكافي في علمي العروض والقوافي للأبي العباس أحمد بن شعيب بن القنائي الشافعي

وتفتحت الأشعار من شفتيه على سبك الشعر ونظمه لا خطأ فيها ولا زلل. وذات يوم سأل المتعلم أن يخرج ليبول من خلال تدريسه فأنشد:

لعلّ فيكم من يريد البول فليذهبن للبول فهو أولى

وحينما أطال التلميذ خطبته فقال:

لا ينبغي التطويل في الكلام لأنّ فيه الضجر للسماع

ولمّا سمع قتل ملكة الديانا أنشد:

هلكت الديانى في اصطدام هالك مع إلفها المصري في فرنسا

ومرة اشتكى المتعلم في تدريس: أليس اليوم من شعر؟ فأجاب: "حال الجريظ دون القريظ"[٧١٦].

ولم تطبع سير العلماء الأكابر من كيرالا إلّا فيها مرثية الشاعر عنهم. ولم يشهد بلادنا لشخص عظيم الذي ألف المراثي على هذا القدر. وقد يسطر في بعض أشعاره تاريخ الحوادث ووفاة الأشخاص على حساب ا ب ج د[٧١٧].

وقد رثى مراثي عن أبيه وسيد عبد الرحمن البافقي و أحمد فوكويا الفانكادي وشمس العلماء إي. كي أبو بكرالمسليار وإي. كي حسن المسليار وأحمد المسليار الكنيتي ومحي الدين كوتي المسليار الفرونّي ومحمد المسليار القطبي وكنح عبد الله المسليار المعروف بكييني ومحي الدين كوتي المسليار الميفلاشيري وأبي بكر المسلياركوتملى[٧١٨] قال فى هذا السبيل:

نأت شمس أضاءت كلّ دار بكيرلا طول أعوام جواري[٧١٩]

[٧١٦] الأستاذ الأريكلي: وضاعة العلم، بهجة العلماء، ص: 116

[٧١٧] وهو إشارة التواريخ على حساب بالحروف نحو ا: 1، ب: 2 ، ج: 3 ، د: 4 الخ.

[٧١٨] وهؤلاء العلماء قاد للدعوة الدينية في ولاية كيرالا و

[٧١٩] الأستاذ الأريكلي: وضاعة العلم، ص: 100

ولم يتقلص أشعاره وأفكاره في الدينية فقط، بل اتّسعت إلى الحوادث السياسية والثقافية كحادثة هدم بابري وكارثة سنامي في يابان. ومن نشيدته عن حادثة مسجد بابري:

بهجير ستّ دسمبر الهند التي عام أضرّ المسلمين كثيرا [٧٢٠]

قتل لعلمانية الهند التي أسست عليها الدولة الدستور [٧٢١]

وقد منح لمدح حبيب الله صلعم موضعا عليا في عالم أشعاره. وصنّف ديواني قصائد المدح المسميان بالجوهر المنظم في سيرة النبي المكرم والدرّ المنضد في كمالات النبي صلعم. وارتقي بالديوانين إلى قمة جنان المداح من الإمام البوصيري وغيرهم . فالجوهر المنظم يتضمن على ٦٠٠ أبيات بسيرة الحبيب صلعم ويبدأ ببيت:

لربّ الورى الحمد الموافي لأنعم توالى عليه الحمد في كلّ لحظة [٧٢٢]

وأول السطر من الدر المنضّد:

لك الحمد يا رحمن أبلغ محمدا ولاء على أفضلك للتحدد [٧٢٣]

وقد مدح رسول الله صلعم في النظمين مدحا غير نظير ويهدي القارئين إلى عشق رسول الله صلعم. وينشد عن حبّ رسول لله صلعم :

وكلّ حديث عنه فيه فوائد تتبعها حقّ على كل مسلم [٧٢٤]

وأنشد مستنقدا لعقوبات المشركين على حبيبه صلعم ومتألما في تأذيتهم على المسلمين. ويقول:

ولم يترك في قلوب أولئك من عواطف إنسانية قدر درهم

وهمّوا بإطفاء الهدى نور ربهم بأفواههم كالسرج تطفأ بالفم [٧٢٥]

---

[٧٢٠] يحصل 1992 عند إضافة حروف "أضر المسلمين كثيرا" على حساب ا ب ج د

[٧٢١] الأستاذ الأريكلي: وضاعة العلم، ص: 103

[٧٢٢] الجوهر المنظم في سيرة النبي المكرم، ص: 10

[٧٢٣] الدر المنضد في كمالات النبي صلعم، ص: 1

[٧٢٤] الجوهر المنظم في سيرة النبي المكرم، ص: 11

[٧٢٥] المرجع السابق، ص: 59

وألّف الدر المنضد معتمدا على كتب السير للأئمة كما يقول:

من كتب الهدى الصحاح التقط ما ترى في منظوما كدرالمنضّد

وطبع ديوان أشعاره باسم"الأريكليات" تحت جمعية بهجة العلماء بالكدميري.

التأثيرات

الشيخ عبد الرحمن الأريكلي قد ذاع صيته في عالم العرب وأكرمه أكابر علماء العرب وشعرائه وتحيروا ببلاغة أشعاره.ولمّا أنشد أبياتا من الجوهر المنظم في مجلس الكرماء بأبو ظبي، تعجب وزير الأوقاف للإمارات العربية المتحدة الشيخ الخزرجي بإعجاز نظمها وبراعته الشعرية. وشغف لتطبيع الجوهر على رئاسته ، وطبعت بكلمة التقريظ للشيخ علي الهاشمي وكلمة تهنئة نجيب المطيع أستاذ الحديث في جامعة أم دردان من سودان. وبعد ذلك قد نشر هذا الديوان تحت مطابع دوحة الحديث بقطر ودار الفطر ببيروت من لبنان وكتب كلمة التقريظ له عالم الهند السيد أبو حسن علي الندوي ويذكر فيها: "وقد أعجبت من قصيدته الطويلة حيث أنها في قالب الشعر العربي الخالص "[٧٢٦] الخ.

وقد نشرت صحيفة الأيام البحرينية المقابلة معه في اليوم السابع وعشرين من نوفمبر سنة ١٩٩٨م. ونشرت أيضا الصحيفة المشهورة المسماة بالشرق في القطر مقابلته بعنوان:" الشاعر العربي الذي ألّف ديوان نظم مدح رسول الله صلعم من كيرالا". وقد أظهر الحزن الشديد في مقابلته مع" الأيام" عن تخلف الهنديين في الشعر العربي وعدم اعتباره ووجوب تجبر الأزمة في مجال نشر الكتب العربية بالهند. وبحثت مرثيته عن أمير الإمارات العربية المتحدة الشيخ زايد بن سلطان نهيان بين العرب حتى في الوزارات. وتضمنت قصيدته المسماة بكلمات نصح في المنهج الدراسي لجامعة دار

[٧٢٦] المرجع السابق ص: 8

الهدى الإسلامية بتشماد[٧٢٧]. ويسير أشعاره في خطبات العلماء وكتاباتهم حتى اليوم. وتدل هذه التأثيرات علوّ مكانته عند العرب وغيرهم . وانتقل الشاعر العربي- الذي منح الله لكيرالا جائزة قيمة - إلى رحمة الله في اليوم الثامن عشر بستمبر سنة ٢٠٠٥م (١٦ شعبان ١٤٢٦هـ). وعند غيبته سأل العرب: أين الشاعر المرتجل عبد الرحمن؟

الشيخ إبراهيم المسليارالأريكلي:

هو الشيخ أبو محمد إبراهيم الأريكلي ولد في اليوم الخامس عشر في ينوري سنة ١٩٤٠أخا للشيخ عبد الرحمن الأريكلي. وكان سرّ أبيه في العلم والورع والتصوف والأدب حتى صار عضو المشاورة المركزية لجمعية العلماء لعموم كيرالا تقريرا لحياته المخلصة وعلم الزاهر.

وتعلم لدى أبيه وإبراهيم المسليار الأتيوتي وشمس العلماء إي. كي أبي بكر المسليار وأحمد المسليار الكنياتي وأبي بكر المسليار كوتملى وكنح عبد الله المسليار الكييني من مختلفة الأماكنة نحو نادافرم و الجامعة النورية بفيزاباد وتليفرمب وغيرها من منابع العلوم. وبعد خروجه فيضيّا درّس في مساجد أنحاء البلاد كتروم فرمب وفانور وتلشيري واتصل بالكلية العربية الرحمانية محاضرا فيها سنة ١٩٨٦ واستمرّ فيها حتى توفي سنة ٢٠١١م. وكان له براعة مستقلة في حل عقود المسائل والمشاكل. واشتهى لإلقاء العلوم على تلامذتهم طول حياته.

إساهماته في العربية

اشتهر أريكليا ثانيا في عالم الشعر العربي بأشعاره المتعلقة بوقائع شتى. وصنف مولدا لشيخه المرشد السيد حسن الجفري المنفرمي باسم النوال التبري في مناقب السيد الجفري. وكان له أيضا مهارة في تأليف المراثي وكتب رثاء السيد محمد علي الشهاب الفانكادي و السيد إسماعيل الفانوري وعبد الله المسليارالأندويني وأحمد

[٧٢٧] تُعد جامعة دار الهدى الإسلامية، التي تقع في ولاية كيرالا الهندية الجنوبية، مؤسسة سباقة في التعليم العالي الإسلامي بالهند، إذ توفر الجامعة مناهج دراسية تمزج ما بين الدراسات الدينية والأخرى العلمية، فضلاً عن التركيز على تدريس مختلف اللغات. وأسست سنة 1986م.

المسليار الكنياتي و كنح عبد الله المسليار كيينا وغيرهم. وأقيمت الأشعار فيها مقام تواريخ حياته. وأشعاره تحتوي على الحوادث الواقعية والسياسية وأنشد عن احتلال الأمريكا على عراق: لو كنت تنظر لاترى إلّا سوى ريقا أتت من حامالات دمار

عجبا لفرعون الحديث وسعيه طوعا لصهيونية الغدّار[٧٢٨]

ومن رثائه لأحمد المسليار الكنياتي:

أخذ المعارف من أكابر عصره وكذاك عنه أكابر الأعيان[٧٢٩]

وتوفي الشيخ الكريم في يوم أحد وعشرين من مايو سنة ٢٠١١م (١٧ جمادى الأخرى ١٤٣٢هـ).

الخاتمة

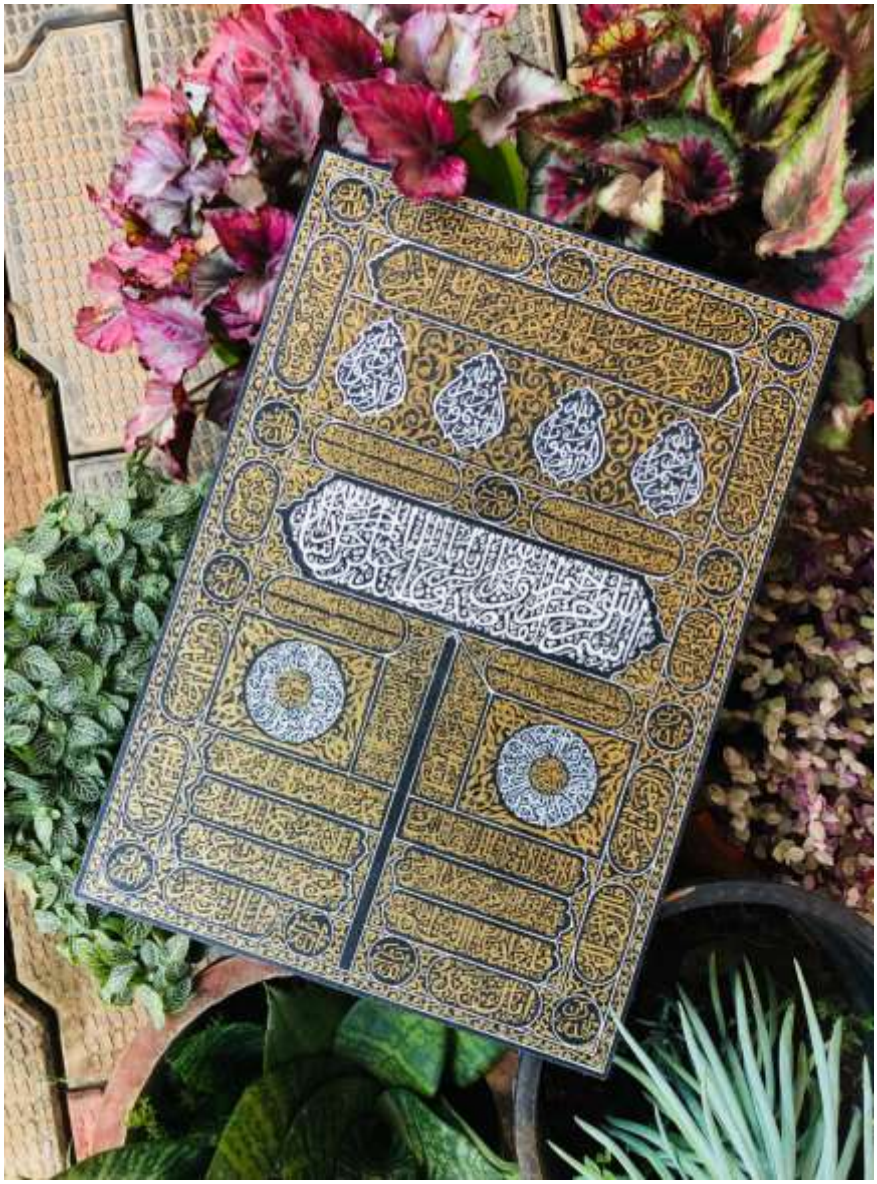
قد ساهمت هذه الأسرة مساهمة غزيرة للأدب العربي. ولكنه لم تعرف بعدم اعتبار هذ الفن في مليبار بعناية جيدة. ولو دوّنت جميع أشعارهم ومدوناتهم لكانت المليبار تفتخر بها أمام العالم.

المصادروالمراجع

- ✓ **الأستاذ إبراهيم الأريكلي: وضاعة العلم، بهجة العلماء ، كلية الرحمانية بكدميري، كيرلا**
- ✓ **الأستاذ عبد الرحمن الأريكلي،الحياة المنورة ، بهجة العلماء، كلية الرحمانية بكدميري،**
- ✓ **الفقه في كيرالا: تاريخه وآثاره، قسم الفقه وأصول الفقه بجامعة دارالهدى الإسلامية**
- ✓ **الأجلاء في المليالم ، محمد المسليار النلكوتي ، مكتبة إرشاد، كالكوت**
- ✓ **مجلة تلشّم يونيو٢٠١٧ ، جشماد ، كيرلا**
- ✓ **المسلمون في كيرالا، عبد الغفور القاسمي ، مكتبة الهدى ، كالكوت**
- ✓ **الشعراء العربيون في كيرالا ، فرحان الفارس الهدوي**
- ✓ **الأدب العربي، جامعة دارالهدي الإسلامية ، جشماد ،كيرلا**
- ✓ **الجوهرالمنظم في سيرة النبي المكرم، دارالفكر ببيروت من لبنان**

[٧٢٨] المرجع السابق ص: 86

[٧٢٩] المرجع السابق، ص: 71



فاطمة أمل طالبة بكالوريوس من قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بويناد بصورة باب الكعبة المكرمة الذي أجادته بفنها الخطي.

Editorial Board

• Advisor

Dr. Muhammed Fareed (Principal, WMO Arts and Science College, Muttil)

• Chief Editor

Dr. Najmudheen. P

(Asst. Prof & Hod Dept. of Arabic, WMO Arts and Science College, Muttil)

• Editor

Dr. Yoosuf Muhammed Nadwi

(Asst. Prof , Dept. of Arabic, WMO Arts and Science College, Muttil)

• Members

Sakeer Nellikkunnummal (Asst. Prof,Dept. of Arabic, WMO Arts and Science College, Muttil)

Mrs.Shaila. KH (Asst. Prof , Dept. of Arabic, WMO Arts and Science College, Muttil)

Dr.MuhammedSayeed MK (Asst. Prof ,WMO Arts and Science College, Muttil)

Hasil. K (Asst. Prof,Dept. of Arabic, WMO Arts and Science College, Muttil)

Abbas KA (Asst. Prof,Dept. of Arabic, WMO Arts and Science College, Muttil)

• Review Board

Prof. Ahmed ali Ibrahim Al Falahi (Professor, Dept of Arabic University of Fallujah, Iraq)

Dr. Maryam Al Hashimi (Asst. Prof, Dept. of Arabic Higher Colleges of Technology, Sharjah)

Prof. Rizwanur Rahman (Chairperson, Center for Arab and African Studies, JNU, New Delhi)

Prof. Duvaida Nafisa (Professor of Higher Education, Higher School of Teachers, Algeria)

Dr. T. Abdul Majeed, (Director: Centre for HRD, University of Calicut)

Dr. Jamaludheen Farooqi (Former Principal, WMO. College)

Dr. Saidalavi (Principal, Malabar College , Vengara)

Dr. Sabir Navas C M (Asst. Professor Dept of Arabic, MUA College Pulikkal)

Dr. Muhamed Saleem Nadwi (Lecturer University of Peradeniya, Sri Lanka)

RAIHAN

Peer Reviewed Research Journal
ISSN 2394-8493, Volume: XII,2021 October

Special Issue

Proceedings of the International Conference

on

Depiction of India in Contemporary Arabic Works

Held on 2-5 August 2021 in India

DEPARTMENT OF ARABIC

W.M.O ARTS & SCIENCE COLLEGE, Muttil

Affiliated to University of Calicut

Wayanad, Kerala, India - 673122.

Deptofarabicwmoc@gmail.com,raihanwmoc@gmail.com

Recognized by Govt. of India. Order No: KERALA00004/11/1/

SPECIAL EDITION

RAIHAN

PEER REVIEWED RESEARCH JOURNAL

ISSN : 2394-8493 VOLUME:12 2021(1443 h)

Proceedings of the International Conference
on
Depiction of India in Contemporary Arab Works
Held on 2-5 August 2021 in India



DEPARTMENT OF ARABIC
W.M.O. Arts & Science College, Muttil
(Affiliated to University of Calicut)
Wayanad, Kerala, India - 673122
deptofarabicwmoc@gmail.com, raihanwmoc@gmail.com
Recognized by Govt. of India, Order No: KER. ARA00004/11/1/